

ذِكْرُ الْأَشْيَفِ الْوَتَائِقِ

مَجَلَّةٌ ثَقَافِيَّةٌ مُصَوَّرَةٌ نِصْفُ سَنَوِيَّةٍ تُعْنِي بِالتُّرَاثِ وَالتَّوْثِيقِ
تَصْدُرُ عَنِ الْعَتَبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ - قِسْمِ الشُّؤْنِ الْفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ

المُشْرِفُ الْعَامُ
سَيِّدُ الْحَاجَةِ السَّيِّدِ أَحْمَدُ الصَّافِي

رئيس التحرير
عَقِيلُ عَبْدِ الْحَسَنِ عَلِيِّ

مدير التحرير
حُسَيْنُ عَلِيِّ الْجَوَادِي



العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

مركز الدراسات والمراجعة العلمية



اسم المجلة:

العدد:

الناشر:

مراجعة:

المطبعة:

التدقيق اللغوي:

تصميم وإخراج:

السنة:

عدد النسخ:

ذاكرة الأرشيف الوثائقي .

٢٧ .

قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.

مركز الدراسات والمراجعة العلمية.

دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع.

مصطفى كامل محمود - أحمد كاظم الحسناوي.

حيدر مهدي صالح.

٢٠٢٥ م.

١٠٠٠ نسخة.



المدارس الدينية

الحمد لله رب العالمين، باري الخلائق أجمعين، وأتمم الصلاة وأفضلها وأكملها على المبعوث رحمة للعالمين نبي الرحمة أبي الزهراء محمد ﷺ وعلى آله الهداة الأبرار أئمة الهدى ومصابيح الدجى.

إن المدارس الدينية في العراق هي الوجه الحقيقي للحركة العلمية والثقافية في البلد، على سعة تنوعها وتعددتها، وقد احتفظت كل جهة بمدارسها ومراكزها العلمية والثقافية، ولكن بصمة المدارس الإمامية ومساجدها التي أضحت بوابات معرفية تُذاع فيها آيات القرآن الكريم وكلمات أهل البيت ﷺ واضحة وجلية في عمقها التاريخي والمعرفي. وما تزال حتى وقتنا هذا تُمثّل الواقع الاجتماعي والإيماني بمزيد من العلماء والصلحاء والفضلاء وقادة المجتمع، وهي بحق تُعدّ أهم ثروة يعتز بها الشيعة أهل البيت ﷺ في كل بقاع العالم.

واتخذت هذه المدارس والمراكز العلمية النجف الأشرف وكرلاء المقدسة والحلة مقراً لها، وقد توزّعت فيما بعد على عددٍ من المحافظات العراقية، ولا نغفل عن حوزة بغداد التاريخية التي كانت قبلة العالم وقتها، فلا يمكن أن نغادر ذكر مدرسة درس فيها الشيخ المفيد طيّب الله ثراه وخرّجت الفحول من علمائنا الكبار مثل شيخ الطائفة الطوسي، والرضي، والمرتضى، وغيرهم ممن تفتخر بهم مدارس الشيعة الإمامية إلى يومنا هذا، حتى إنّ ثقة الإسلام الشيخ الكليني طيّب الله ثراه قد ختم حياته ورحلته العلمية في بغداد.

وبعدها انتقل الدور إلى النجف الأشرف، حيث ظهرت فيها حوزة علمية كبيرة أضحت معلم الشيعة المعرفي والشاخص الأبرز لكل طلاب العلم والمعرفة، وما تزال قائمة برعاية صاحب الأمر ﷺ وجهود النخبة من علمائنا الكرام.

وبزغ في فترة مهمة من تاريخ الحركة العلمية في العراق مدرسة الحلّة وحوزتها العلمية الرصينة، ونبع فيها جملة من أعلام الطائفة كالمحقق الحلي والعلامة الحلي وغيرهما من أفذاذ ومشاهير حوزتها، وقد مدّت التشيع بخيرة العلماء والفضلاء، وكان لها الأثر البالغ في ترويج علوم الطائفة إلى بقاع العالم الإسلامي، وبفضل علمائها تبصّر العديد من الناس وانتقلوا إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وإن الحديث عن مساجدها ومدارسها يحتاج إلى مساحةٍ أوسع وأرحب من هذه السطور البسيطة.

احتفى هذا العدد بمجموعة من المدارس والمعاهد العلمية الدينية في العراق، وركّز على نخبة منها، كما لم يُهمَل المدارس والمعاهد الأخرى في المدارس الإسلامية وغيرها، وفق منهجية المجلة الأرشيفية والتراثية. ونأمل أن يكون هذا العدد قد سلّط الضوء على بعض المدارس ووثّق بعض الأنشطة والأعمال المعرفية الأخرى.

وتأتي أهمية الأرشيف للمدارس الدينية والمعاهد العلمية لدورها المهمّ والمؤثّر في المجتمع، إذ لها الأسبقية في الحراك العلمي والمعرفي، والصدارة والأثر على مَنْ سواها من المدارس الحديثة، والحقُّ أنّ وجودها يُمثّل عصب الحياة المعرفية، ولا يسدُّ فراغها أيُّ تأسيسٍ آخر، لذا نجد أنّ العلماء يُولونها أهمية كبرى، كما نشاهد هذا الاهتمام في عصرنا من قبل المرجع الأعلى دام ظلّه حيث وجّه إلى بناء المدارس الدينية والاعتناء بالموجود منها، وترميم المتهاك وإعادتها لتقديم خدماتها وأنشطتها.



مسجد الهندي
بين العلم والعبادة

حسن علي الجوادي

منذ فجر الإسلام الحنيف أخذ المسجد دوره المؤثر في المجتمع، فلم يكن مساحة للصلاة والعبادة المعهودة فحسب وإنَّما كان هو المساحة المعرفية والثقافية ومحلَّ اجتماع المسلمين ولقياهم، ثم أخذ يتطوَّر أمره أكثر فأكثر حتى صار المسجد مدرسة، تدرَّس فيها العلوم الدينية والطبية والمسائل المهمة للناس، وما زلنا نلتمس آثار وبركات دعوة القرآن الكريم إلى تعمیر المساجد: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾^(١). ومن وصايا النبي ﷺ لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه: «يا أبا ذر من أجاب داعي الله وأحسن عمارة مساجد الله كان ثوابه من الله الجنة، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كيف يعمر مساجد الله قال: لا يرفع فيها الأصوات ولا يخاض فيها بالباطل ولا يشتري فيها ولا يباع، واترك اللغو ما دمتَ فيها، فإن لم تفعل فلا تلومَنَّ يوم القيامة إلا نفسك، يا أبا ذر إنَّ الله تعالى يعطيك ما دمتَ جالساً في المسجد بكلِّ نفس تنفَس فيه درجة في الجنة، وتصلِّي عليك الملائكة، ويكتب لك بكلِّ نفس تنفَّست فيه عشر حسنات ويمحى عنك عشر سيئات»^(٢).

ويلتمس الباحث في المصادر الإسلامية أهمية المساجد وبنائها وعمارتها، لأنَّها مرتبطة بالله سبحانه وتعالى وعبادته، حتى سميت وعرفت المساجد بأنَّها بيوت الله، وأول البيوت عمارة واهتماماً هو الكعبة المشرفة ثم توالى المساجد في الأماكن الأخرى وأشهرها بعد مسجد الحرم المكي، مسجد الكوفة، والمسجد النبوي، ثم توالى المساجد في الانتشار في حياة البلدان والأصهار الإسلامية.

(١) سورة التوبة: الآية ١٨.

(٢) الوافي، الفيض الكاشاني، ج ٢٦، ص ١٩٥.

اهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بالمساجد واتسعت دائرة الاهتمام بعد أن صارت المساجد مدارس ومحافل علمية، وما تزال قائمة حتى يومنا هذا، ونحرص على أن نتناول في هذا العدد من مجلة الأرشيف مسجد الهندي، أحد أهم وأعرق المساجد في النجف الأشرف، ويتركز الحديث عن العلماء والأساتذة الذين درّسوا ودرّسوا ومن نال شرف صلاة الجماعة فيه، وقد ذكرنا نخبة من علماء الطائفة وشخصياتها.

جامع الهندي:

يطلق لفظ (الجامع) أو (جامع البلد) على مسجد الهندي. وذلك لسعته ولأهميته التاريخية، ويقع في محلة قديمة تعرف بمحلة (الجية) كما يحكيه الصك المؤرخ عام ١٢٤٥ هـ. وتطلُّ بوابته الكبيرة على سوق الحويش، قرب الطمة، وبوابته الصغيرة على شارع الرسول، ويعود تأسيس جامع الهندي إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري وذلك في عصر العلامة الكبير الشيخ حسين نجف المتوفى عام ١٢٥١ هـ - ١٨٣٥ م، وتعود تسميته بالهندي مع اسم الحمام والقيسارية، نسبة لعائلة هندية شريفة، كانت تتمتع بثراء واسع عريض، وقد سكنت مدينة النجف الأشرف، وورد اسم «خان محمد» الهندي الذي عمّر هذا الجامع، ثم أحدثت عليه زيادات أدت إلى اتساعه. وتشير أسرة آل الصافي إلى أن جامع الهندي يعود لجدهم السيّد عبد العزيز الموسوي، وأنه أوكل أحد الهنود القاطنين في مدينة النجف الأشرف على بنائه، ومن ثمّ نسب إليه، وقد وضع السيّد عبد العزيز الموسوي حجر الأساس بيده، بعد أن اشترط على الحضور من العلماء والفضلاء على كل من لم تفته صلاة الصبح يضع بيده حجر

الأساس فأحجم الجميع عداه، فوضع الحجر بيده، وقد اشترى الدور الواقعة في جوار الجامع فألحقها به، مما أدى إلى توسعته. ويقول الشيخ الطهراني: أنَّ السيّد عبد العزيز (جد آل الصافي) هو المباشر لبناء المسجد الجامع الذي بذلت مصرفه امرأة صالحة هندية. ويقول الشيخ محبوبة: «وقفت على فراش له عتيق واقفه الحاج مهدي المازندراني في سنة ١٢٢٤ هـ. ويقول الأستاذ محمّد سعيد الطريحي: أنَّ مسجد الهندي قد شُيّد في أوائل القرن الثالث عشر الهجري في عهد الشيخ حسين نجف الكبير، ومؤسسه أحد صلحاء الهند وهو المرحوم الحاج خان محمد، وقد قرر حينه أنّه لا يضع أول حجر في أساسه إلّا رجل لم يبت ليلة من الليالي على جنابة ولم يترك صلاة الليل مدة عمره فأحجم الحاضرون وقام هو بنفسه فوضع أول حجر في أساسه وقد أرخ هذه العمارة السيّد رضا الهندي عام ١٣٢٩ هـ له:

لذكر هذا المسجد جامع فلا تكن فيه من الغافلين
وأدخل إليه خاضعاً خاشعاً عليك ذلك البائس المستكين
واتخذ الواحد عوناً على طاعته إذ هو نعم المعين
مؤرخاً (كبر وهلل وكن مصلياً واركع مع الراكعين)

تاريخ المسجد:

لقد طرأت على الجامع الهندي إصلاحات وإضافات عديدة، ففي عام ١٣٢٣ هـ اكتسب الجامع حالته الأخيرة، بحيث لم يعهد مثلها في مساجد النجف، حتى عام ١٣٧٥ هـ حيث أقدم الإمام السيّد محسن الحكيم على توسعته فاشترى

دارين متصلتين بالجامع، وبهذه الإضافة تم تسوية القسم المكشوف من الجامع بالقسم المسقوف. ويمتاز القسم المسقوف بالأسطوانات العريضة والأقواس العالية والأطواق المزخرفة، فهي تعطي للجامع صفة تاريخية وتراثية رائعة، وأصبح الجامع مربع الشكل تقريبا، وقد احتلت مكتبة الإمام الحكيم ومقبرته حدوداً من الناحية الشمالية، وخصصت قطعة لمقابر رجال العلم من أسرة آل الحكيم تجاور المكتبة وتطلُّ بوابتها على صحن الجامع.

وكان جامع الهندي على طول تاريخه مدرسة علمية، وقد اعتلى منبره عدد من أعلام مدينة النجف الأشرف ومدرسي الحوزة العلمية فيها، وأقيمت فيه صلاة الجماعة من قبل أعلام أسرة آل نجف وشيوخها (حسن وجواد ومحمد وطه). وأقام فيه الصلاة كل من: الشيخ محمد رضا الطالقاني، والشيخ باقر القمي النجفي وغيرهما. ويقيم الصلاة في الوقت الحاضر سماحة السيّد محمد علي الحكيم ظهراً، وسماحة السيّد محمد سعيد الحكيم ليلاً. وأشار السيّد محمد الحلي النجفي إلى توسعة الجامع عام ١٣٧٧ هـ بقوله:

جامع الهندي قد وسعه آية الله حكيم الزمن
قل به ما شئت أرخ أو فقل تلك آيات الحكيم المحسن
ويقول الشيخ فرج العمران القطيفي:

مسجد الهندي بأرض (النجف) مسجد تال عظيم الشرف
مسجد قد أسسوه بالتقى ولأنواع العبادات اصطفى
لصلاة وصلات ودعا ولوعظ ولدرس المصحف

ولطلاب الهدى مدرسة بعلوم الدين والفقهِ تفي
وبه مكتبة أسسها السيد (المحسن) والبر الوفي
ضمّ فيه كتباً قيمة ضمّ صحفاً من حسان المصحف
فغدا للنجفي مفخراً وإلى الشيعي أسنى متحف
فلهذا أرّخوه (لم يزل مسجد الهندي فخر النجفي)
وأنشأ أهالي القطيف مسجداً في بلادهم يشبه الجامع الهندي في النجف عام
١٣٧٤هـ وقد أشار إليه الشيخ القطيفي بقوله:

لجنة في (الخط) شادت مسجداً أدركت فيه عظيم الشرف
فغدا في (الخط) يحكي أرخو (مسجد الهندي بأرض النجف)
وأصبح الجامع الهندي (جامع النجف) بأسرها، فهو مدرسة تلقى فيه
المحاضرات العلمية، ومنتدى تقام فيه المناسبات الدينية والوطنية إذ تقام في
رحابه، وإنّ الاجتماعات الخطيرة تعقد فيه. وأتخذ النجفيون مكاناً للمآتم
الحسينية وإقامة الفواتح وغير ذلك من الخدمات الدينية والاجتماعية^(١).

(١) الفصل في تاريخ النجف الأشرف، حسن عيسى الحكيم، ج ٣، ص ٩٤.

نخبة من علماء وأساتذة الحوزة العلمية ممن درس أو صلى الجماعة في مسجد الهندي

١- الشيخ حسين نجف التبريزي ١١٥٩ - ١٢٥١ هـ

هو الشيخ حسين ابن الحاج نجف بن محمد التبريزي النجفي من علماء عصره الأفاضل ومشاهيره بالتقوى والنسك كان للناس به على اختلاف طبقاتهم وثوق غريب فقد كان إمام أهل النجف الأواحد يصلي بالناس جماعة في (مسجد الهندي) وكان على سعته لا يسع المصلين وكان يطيل كثيراً فقد حدثني بعض شيوخ العلماء أن أحدهم أحصى عليه في الركوع يوماً سبعين تسبيحة ومع كل ذلك كان للناس تهافت على الصلاة خلفه.

كان أعجوبة في الصبر والثبات والإيمان بالله لم يبدُ عليه طيلة حياته أثر لضيق أو رخاء أو عافية أو بلاء ولم يكثرث بما كان يحدث في النجف أو عليها من الكوارث ولما حدث طاعون (١٢٤٧) وتردى بعض وفرّ آخرون قيل له ألا تنفر مع من نفر فقال: انظروا إلى المأذنة فإذا نفرت نفرت معها وبالجملة فهو أحد عظماء الأمة وفحول الطائفة اكتنفته المزايا من شتى النواحي وتجمعت فيه الفضائل من جميع الأطراف فكان جماع الفضل^(١).

(١) طبقات أعلام الشيعة، آقا بزرگ الطهراني، ج ١٠، ص ٤٣٤

٢. الشيخ جواد نجف التبريزي:

الشيخ جواد ابن الشيخ حسين ابن الحاج نجف التبريزي النجفي من أكابر علماء عصره ومشاهيرهم بالزهد والصلاح. (آل نجف) من بيوت النجف العريقة في العلم والأدب، وقد نبغ فيه فقهاء فطاحل وعلماء أجلاء وفيهم من قرض الشعر فأجاد فيه وأبدع، وكان ولم يزل يضرب المثل بتقوى أعلام هذا البيت وزهدهم وعبادتهم وصلاتهم وورعهم وسلامة ذواتهم، وأصلهم من تبريز هاجر جدهم الحاج نجف إلى النجف فتوطنها وأخرج الله من ذريته أبطالاً طبق ذكرهم الخافقين، منهم المترجم كان أحد علماء عصره الأعلام وفقهائه الأفاضل اتفقت الكلمة في عصره على وثاقته وجلالته وعدالته وتقدمه ولم ينازعه في ذلك منازع وقلماً حصل ذلك لأحد. حضر على بعض أولاد الشيخ جعفر كاشف الغطاء وعلى صاحب (الجواهر) أيضاً وكان يصلي في مسجد الهندي في مقام والده فتتدى به عامة أهل النجف^(١).

٣. السيد حسين الكوهكمري الشهير... - ١٢٩٩:

هو السيد حسين ابن السيد محمد بن الحسن بن حيدر بن شمس الدين بن أمين بن نور الدين بن شمس الدين بن إسماعيل بن محمد بن علي بن عباس بن فخر الدين بن هاشم بن تاج الدين الحسن الحسيني الكوهكمري التبريزي - ويقال له السيد حسين الترك أيضاً - أحد كبار علماء عصره، ومشاهير محققين علم الأصول ومعاريفهم.

ولد في كوه كمر (من قرى مرند)، ونشأ بها وتعلم مقدمات العلوم ثم هبط

(١) طبقات أعلام الشيعة، آقا بزرگ الطهراني، ج ١٠، ص ٢٨١.

تبريز فقرأ بها السطوح على الميرزا أحمد امام الجمعة وولده الميرزا لطف علي وغيرهما ثم هاجر إلى العراق فحضر في كربلاء على شريف العلماء المازندراني والسيد إبراهيم القزويني صاحب (الضوابط) والشيخ محمد حسين الأصفهاني صاحب (الفصول) ثم حضر في النجف على الشيخ علي ابن الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء وعلى الشيخ محمد حسن صاحب (الجواهر) ولازم الحجة الأكبر الشيخ المرتضى الأنصاري واختص به. حدثني أحد الثقات الأجلاء عن العالم الجليل الثقة الشيخ محمد اللاهيجي من تلامذة الأنصاري، عن المترجم أنه قال: حضرت على علماء كربلاء ثم وردت النجف فلازمت درس الشيخ علي والشيخ محمد حسن وفي خلال ذلك دخلت يوماً (مسجد عمران) فرأيت الأستاذ الأنصاري على منبر الدرس يباحث (القوانين).

وكان يعرف يومذاك بملا مرتضى - فرأيته فوق ما أريد فلازمته وشرع عند ذلك ببحث الخارج فواظبت على الحضور في معهده حتى توفي صاحب (الجواهر) في (١٢٦٦) وانحصر التدريس به واستقل بذلك وأنا ملازم له إلى أن توفي. لمع نجم المترجم على عهد أستاذه الأنصاري وطبق ذكره أندية العلم واشتهر بغزارة المادة وسعة الاطلاع واشتغل بالتدريس خارجاً في حياة الشيخ فقد كان يقرر بحثه لجم غفير وكان له إقبال ووجاهة يحضر درسه ما يقرب من أربعمئة فاضل إلا أنه لكثرة أدبه واحترامه لأستاذه كان يجعل تدريسه كمقدمة لبحث الشيخ فقد حدثني أحدهم عن الشيخ محمد حسن المامقاني - من أعظم تلاميذ المترجم - أن الشيخ كان يدرس في صحن (مسجد الهندي) فكان السيد المترجم يلقي الدروس على تلامذته فوق سطح المسجد فإذا دخل الشيخ صحن

المسجد نزل هو وتلاميذه لاستماع درس الشيخ مع باقي تلاميذه، وكان له اهتمام عظيم في الدرس والبحث فقد كان لا يعرف التعطيل ولم يقطع التدريس في أكثر المناسبات والعطل المتعارف على التعطيل بها وكان مجلسه ندوة علمية في جلّه وترحاله حتى إنّه كان إذا رجع من الزيارة يشرع في التدريس قبل وصول النجف بمرحلة والحديث طويل عن انكبابه على نشر المعارف ومواصلة الليل والنهار بذلك وكان له عند شيخه مقام رفيع ومكانة سامية فقد كان يرجع إليه الاحتياطات وبعض الأمور الأخر^(١).

٤. الشيخ محمد رضا الطالقاني... - ١٣٣٦هـ:

من أعظم علماء عصره. هاجر من طالقان إلى طهران فمكث بها عدّة سنين قرأ خلالها مقدمات العلوم ودرس السطوح، ثم تشرف إلى النجف الأشرف بعد سنة (١٣١٠ هـ) فتلمذ على الميرزا حسين الخليلي، والشيخ محمد طه نجف، والشيخ محمد كاظم الخراساني، وغيرهم سنين طوالاً حتى بلغ في الفقه والأصول مبلغاً عظيماً، ونال منها حظاً جسيماً، ومزج علمه بالعمل فقد كان من أتقى أهل عصره وأشدّهم نسكاً وورعاً، وأكثرهم صلاحاً وعبادة وزهداً؛ وكان من المراقبين المجاهدين، والأبدال المرتاضين، عرف في ذلك واشتهر أمره بين سائر الطبقات من الخاصة والعامة فكان مهوى الأفئدة؛ قام بإمامة الجماعة في مسجد الهندي بعد وفاة العلامة التقي الشيخ باقر القمي فكان يجتمع للاقتداء به خلق كثير، وكانت جماعته كبيرة تضم مختلف الأصناف وأكثرهم أهل صلاح ظاهر وتقي معروف، وبالجملة فهمها وصف به هذا العالم الجليل وما أثنى عليه

(١) طبقات أعلام الشيعة، آقا بزرك الطهراني، ج ١٠، ص ٤٢٠.

به بالنسبة إلى علمه وتقاه فهو قليل لا يفي حقه؛ لأنّه من نماذج السلف الصالح التي رأيتها والتي عدم وجودها - مع الأسف - في هذه الأزمان^(١).

٥. الشيخ علي القمي النجفي ١٢٨٣ - ١٣٧١ هـ:

هو الشيخ علي ابن الشيخ محمّد إبراهيم بن محمّد علي القمي النجفي فقيه بارع، وعالم جليل، وزاهد معروف.

كان والده من علماء عصره الأعلام، وقد صاهر أيام دراسته في النجف العلامة الشيخ مشكور بن محمّد الحولايي النجفي - جد الأسرة العلمية المعروفة باسمه (آل الشيخ مشكور) - على ابنته كما سبقت الإشارة إليه في ترجمته ص ٢١ وهي أم المترجم له.

ولد في طهران في السابع من شهر رمضان سنة ١٢٧٣ هـ كما حدثني به، ونشأ على والده الجليل فتربى في حجر العلم والتقوى، وتعلم المبادئ وقرأ المقدمات والسطوح على لفيف من أهل الفضل، ثم هاجر إلى النجف الأشرف بعد سنة ١٣٠٠ هـ فحضر في الفقه وأصوله على الميرزا حبيب الله الرشتي.

بلغ المترجم له في العلوم الإسلامية درجة عالية، وأصاب حظاً عظيماً، وأصبح من المجتهدين وأفاضل الفقهاء وعمره دون الأربعين، وصار له بين كبار المشايخ وزعماء المذهب من مشايخه وغيرهم مكان رفيع واحترام، وقد كتب على عهد معظم أساتذته في الفقه الاستدلالي في غاية البسط والدقة، مما يكشف عن علو كعبه ورسوخ قدمه، وكتب في الرجال والحديث مواضيع تدل على براعته الفائقة وخبرته الواسعة في هذا العلم الذي هو الدعامة الأولى

(١) طبقات أعلام الشيعة، آقا بزرك الطهراني، ج ١٤، ص ٢٤٢.

للاجتهاد والباب الوحيد للاستنباط.

وقد كان شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، لا يعرف المجاملة والمداهنة فيما يعود إلى الدين، ولا يشتري رضا المخلوق بسخط الخالق مطلقاً، أمّا الغيبة بل الحديث في غير ما يصلح شؤون الآخرة فلم يعرفها طيلة عمره، ولم تسمع منه، فإن نطق بين الناس فلا يعدو حديث العلم ونحوه مما لا علاقة له بشؤون الدنيا، وإن اختلى واعتزل اشتغل بالتأليف أو قراءة القرآن والذكر، أو التفكير في مآله.

وقد اشتهر في ذلك بين الخواص والعوام واتفقت كلمة أهل العلم والدين من العرب والعجم وسائر طبقات النجف على أنه أورع وأتقى وأعدل علماء عصره، حتى لم يوجد بين الناس من يشك في ذلك أو يناقش فيه، وقد لُقّب بالزاهد فكان يعرف بذلك بين بعض الناس. وكان يقيم الجماعة في مسجد الهندي فتأتم به الجموع الغفيرة ويتسابق إلى درك صلاته صفوة العلماء وأهل الفضل، ونخبة الصلحاء والمعرفين بالتقوى والنسك والعبادة^(١).

٦. السيد محمد الفشاركي الأصفهاني ١٢٥٣هـ - ١٣١٦هـ:

هو السيد محمد بن آغا مير قاسم الطباطبائي الفشاركي الأصفهاني الحائري العسكري النجفي؛ علامة جليل، أستاذ المحققين ومرتب العلماء والمجتهدين. كان من أعظم الأساطين وعمدة الفقهاء والأصوليين، الذي خرج من محضره الشريف جماعات من الأفاضل المبرزين، بل الأعلام المجتهدين. ولد بـ «فشارك» إحدى قرى «قهپايه» من نواحي أصفهان في سنة ١٢٥٣هـ. تشرف

(١) طبقات أعلام الشيعة، آقا بزرگ الطهراني، ج ١٦، ص ١٣٢٦.

أوائل شبابه مع أمّه بالحائر الشريف. واشتغل حتّى صار قابلاً للحضور في بحث العلامة الآخوند ملّا محمّد حسين المعروف بالفاضل الأردكاني، فاستفاد منه سنين. وفي حدود سنة ١٢٨٦ هـ هاجر إلى النجف الأشرف وحضر بحث آية الله ميرزا محمّد حسن الشيرازي. ولما هاجر آية الله إلى سامراء سنة ١٢٩١ هـ، هاجر هو أيضاً في أوائل المهاجرين؛ وكان هو من أعظم تلامذته. وكان مدرّساً في حياة آية الله سنين، يستفيد من بحثه جمع كثير من الأفاضل إلى أن توفي آية الله. فهاجر هو إلى النجف واشتغل هناك بالتدريس في مسجد الهندي. فتدأّت على الاستفادة من بحثه الأفاضل، حتّى تبين الانكسار في سائر مجالس البحث التي كانت معمورة في تلك الأيام بالفضلاء الفحول؛ فاجتمع في بحثه زهاء ثلاثمائة منهم وهم مبتهجون مسرورون بقدومه وتوفيق الاستفادة من أنفاسه وأنواره^(١).

٧. الفقيه العالم النبيه السيّد محمّد الفيروزآبادي اليزدي النجفي:

توفي في سامراء سنة ١٣٤٥ ليلة الجمعة سلخ ربيع الأوّل غير أنّ جثمانه الشريف حمل من سامراء إلى النجف اقتداء بآية الله المجدّد حيث أنّه توفي في سامراء وحملت جنازته إلى النجف كما سمعت تفصيله، وكان الفيروزآبادي جمّ العلم متوقّد الذكاء من أعظم تلاميذ الفقيه الأجل السيّد محمّد كاظم اليزدي الطباطبائي صاحب العروة الوثقى، ومُنّ انتقلت إليه المرجعية بعد وفاة أستاذه المذكور وطبعت رسائله العملية وكنت مَن يحضر بحثه في أصول الفقه إلّا أنّه لم تطل أيامه، وتوفي بمرض السلّ، وكان قدس في أيام شهر رمضان يصعد المنبر في

(١) طبقات أعلام الشيعة، آقا بزرگ الطهراني، ج ١٧، ص ٣٨٧

مسجد الهندي لإرشاد العوام وكان يقرأ نهج البلاغة عن الكتاب ويفسره على أحسن وجه^(١).

٨. الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء:

هو الشيخ محمد حسين ابن شيخ العراقي علي ابن الحجة الشيخ محمد رضا ابن المصلح بين الدولتين موسى ابن الشيخ الأكبر جعفر ابن العلامة الشيخ خضر بن يحيى بن سيف الدين المالكي الجناحي النجفي. ولادته ونشأته: ولد في النجف الأشرف سنة ١٢٩٤هـ، ونشأ في بيت جليل عرف بالعلم وربى العلماء، وشرع بدروسه حين بلغ العاشرة من عمره، وأنهى دراسة سطوح الفقه والأصول وهو بعد شاب، ثم بدأ الحضور في دروس أكابر العلماء كالشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد اليزدي وآغا رضا الهمداني وأضرابهم، ولازمهم سنين طوالاً حتى برز بين أقرانه وحظي باحترام واهتمام أساتذته، ودرس الفلسفة على يد الميرزا محمد باقر الأصطهباناتي والشيخ أحمد الشيرازي وغيرهما من الفحول. ولما لمع نجمه ونبع شرع في التدريس في مسجد الهندي وكان درسه يضم من الفضلاء ما يربو على المائة^(٢).

٩. الشيخ مرتضى الطالقاني:

ولد في قرية «ديزان» من قرى طالقان سنة ١٢٧٤هـ، وترعرع برعاية والده الذي كان عامياً راعياً للأغنام ولكن فيه تدين وحبٌ للعلم والعلماء.

(١) مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، الشيخ ذبيح الله المحلاتي: ج ٢، ص ٣٦٨.
(٢) ترجمة حياة الشيخ في مقدمة كتاب نقض الفتاوى الوهابية، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، ص ١١.

تعلم قراءة القرآن والكتابة بالقرية في كتاب الشيخ محرم الذي أولاه عنايته ورباه تربية صالحة وأقرأه بعض الكتب الأدبية أيضاً، وذلك لما توسّم فيه من مخايل الفضل وحبّ العلم. وانتقل إلى النجف الأشرف، فحضر خارجاً على أعلامها في الفقه والأصول، كالمولى محمد كاظم الآخوند الخراساني والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي.

اختص مدة بأستاذه الآخوند الخراساني، فلازمه في دروسه الأصولية ليلاً في مسجد الشيخ الطوسي وفي دروسه الفقهية نهراً في مسجد الهندي، وبعد انشغال الآخوند بقضية المشروطة انقطع الطالقاني عن الحضور لديه وتفرغ للتدريس وتنشئة الطلبة الشباب^(١).

١٠. الشيخ القديري الكفراني:

الشيخ عبد الله هو الشيخ عبد الله ابن المولى علي بن محمّد بن قدير الكفراني الرويدشتي الأصفهاني. عالم محقّق وفقه كبير. كان في النجف الأشرف من حصار الأبحاث العالية وتلامذة الفقهاء المقدمين، وقد اختصّ بالميرزا حبيب الله الرشتي زمناً طويلاً، حتى صار من أجلاء تلاميذه وأكابر طلابه، وكان من مقرّري بحث أستاذه بعد الدرس. وبعد أن توفّي أستاذه في ١٣١٢ استقلّ بالتدريس، فكان له مجلس حافل يحضره الأفاضل في مسجد الهندي^(٢).

١١. النجف آبادي الشيخ علي محمّد:

عالم ربّاني، وفاضل صمداني. ولد في نجف آباد أصفهان. كان أباه من

(١) المفصّل في تراجم الأعلام، السيّد أحمد الحسيني الأشكوري، ج ٣، ص ٥٢.

(٢) درة الصدف فيمن تلمذ من علماء أصفهان بالنجف، الشيخ رحيم القاسمي: ج ٣، ص ٤٨٠.

الصلحاء والوجهاء، وكان والده من التجار والأعيان.

قرأ المبادئ والسطوح في أصفهان، وحضر في المعقول عند المولى محمد الكاشي وجهانگیر خان القشقائي. ثم هاجر إلى العتبات المقدسة ونزل في سامراء، ولازم بحث السيد المجدد الشيرازي سنين عديدة.

ثم ذهب في حياة أستاذه إلى النجف، فاشتغل بالتدريس في المعقول والمنقول، وكان بحراً فيهما، ومن الأجلّاء المتبحرين، والعلماء الكاملين، سيرة وسريّة وسلوكاً وتهذيباً وكان أحد العباد الأوتاد، ورجال التقى والزهد والنسك والورع والأخلاق.

غلب عليه تدريس المعقول والمنقول والحكمة الإلهية في سنيّه الأخيرة، فكان مجلس درسه في مسجد الهندي عامراً بأفاضل المشتغلين والطلّاب النابهين، وكان الغالب عليه حبّ العزلة والخمول والعبادة والانقطاع إلى الله^(١).

١٢- الميرزا الأشثياني:

هو العالم والفقير الكبير الشيخ محمد حسن الأشثياني. أبوه الميرزا جعفر وجدّه الميرزا محمد وأخوه الذي سُمّي باسم جدّه محمد، عرف بالميرزا بزرك (الكبير). وكما اطلق على ابن أخيه اسم الميرزا جعفر كوچك (الصغير). ولذلك فإنّ المترجم له عُرف بالميرزا محمد حسن أو الميرزا حسن الأشثياني، حتى عند وصوله لمراتب عالية في العلوم الدينيّة والمرجعيّة ورئاسة الحوزة العلميّة.

إنّ الميرزا الأشثياني وفي الأيام الأولى من حضوره درس الشيخ الأنصاري،

(١) درة الصدف فيمن تلمذ من علماء أصفهان بالنجف، الشيخ رحيم القاسمي: ج ٣، ص ٥٥٤.

وبسبب صغر سنّه كان يجلس خلف أعمدة مسجد الهندي مقرّ إلقاء دروس الشيخ الأنصاري حيّاءً وخجلاً، حيث كان الحضور كلّهم كهولاً وشيوخاً. غير أنّه مع مرور الأيام، ترك هذه العادة، وراح يشارك أستاذه الشيخ في البحث، ممّا أثار ذلك إعجاب الشيخ، وطلب منه أن يقترب إلى منبر الدرس بعد التعرّف عليه.

حتّى أنّه دعاه إلى منزله وكان يفضّله على الكثير من تلامذته. وبسبب تمتعه بالفصاحة والسلاسة كان يقرّر دروس الشيخ الأنصاري للآخرين وعرف بالمقرّر التحريري والشفهي للشيخ^(١).

١٣. السيّد محمّد الفيروزآبادي (١٢٧٥ - ١٣٤٥ هـ.ق)؛

هو السيّد محمّد بن محمّد باقر الحسيني، الفيروزآبادي اليزدي، النجفي، كان فقيهاً إمامياً، مدرّساً، مرجعاً من مراجع التقليد والفتيا. ولد في فيروزآباد من قرى يزد في إيران سنة (١٢٧٥ هـ. ق). دراسته: انتقل إلى يزد، ودرس بها على السيّد يحيى اليزدي، هاجر إلى العراق فحضر في سامراء وكربلاء والنجف على أكابر المجتهدين، وأبدع في علوم الشريعة، ثمّ تصدّى للتدريس في مسجد الهندي بالنجف الأشرف، وعلا شأنه. واشتهر بعد وفاة أستاذه السيّد محمّد كاظم اليزدي، إذ رجع إليه في التقليد جمع من الناس^(٢).

(١) الرسائل التسع: الميرزا الآشتياني، ص ٤١.

(٢) العروة الوثقى والتعليقات عليها (تعليقة ٤١ مرجع)، السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي،

١٤. الحاج شيخ باقر ابن الحاج آغا محمد القمي النجفي:

إمام مسجد الهندي في النجف. كان عالماً فاضلاً عاملاً، عابداً زاهداً، ورعاً تقياً، زكياً نقيّاً. هاجر فيمن هاجر من العلماء إلى سامراء أيام سيدنا الأستاذ. وحضر علي مجلسه سنين. وقبل وفاته رجع إلى النجف، وسكنها مشغولاً في العلم والعمل، حتى توفيَّ قدسُ في شهر شعبان سنة ١٣٣٤. وكان أبوه أيضاً من العلماء الأجلاء بقم من تلامذة الشيخ صاحب الجواهر^(١). وكان يصلي بالناس إماماً في مسجد الهندي فيمتلئ على كبره وهذا المسجد من أول بنائه مخصوص بصلاة الأتقياء الأبدال كالشيخ حسين نجف وبعده الشيخ جواد نجف وبعده الشيخ محمد طه نجف وبعده الشيخ باقر القمي المترجم وبعده اليوم الشيخ علي بن إبراهيم القمي^(٢).

١٥. الشيخ عباس القمي:

الشيخ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي، والده الحاج محمد رضا كان من صلحاء أهل قم وزهادهم، وله تعلقٌ بحضور مجالس الوعظ والإرشاد ومجالس سيد الشهداء عليه السلام، وكان يرجع إليه بعض معارفه لمعرفة بعض الأحكام الشرعية، مع أنه كان يمتنهن الأشغال الحرة.

كان الشيخ القمي يرتقي المنبر في النجف الأشرف في (مسجد الهندي) المعروف صباح كل يوم من العشرة الأولى لمحرّم، وكان مجلسه يزدحم بالناس أكثر من جميع مجالس النجف مع أنه كان يتحدث لمدة لا تقل عن ساعتين.

(١) تكملة أمل الآمل، السيّد حسن الصدر، ج ٢، ص ٢١٠.

(٢) أعيان الشيعة السيّد محسن الأمين، ج ٣، ص ٥٣٨.

وكان في يوم العاشر لا يقرأ إلا المقتل ولا يتحدث إلا عن مصيبة سيد الشهداء (عليه السلام) ومظلوميته. وكان يضج المجلس بالبكاء ويبكي العلماء والفضلاء بكاءً شديداً^(١).

١٦. الشيخ علي سماكة الحلبي:

ولد الشيخ في الحلة سنة ١٣١٩ هـ، ونشأ نشأته الأولى في أحضان والده المقدس، وهاجر إلى مدينة العلم النجف الأشرف سنة ١٣٣٧ وهو في الثامنة عشرة من عمره، وأكبَّ على طلب العلم في جدِّ ومثابرة، فدرس «الرسائل» على الشيخ عبد الرسول الجواهري و«المكاسب» على السيّد محمّد هادي الميلاني والسيد سعيد الحكيم و«الكفاية» سطحاً على السيّد أبي القاسم الخوئي.

أمّا أساتذته في الفقه والأصول العالين فهم: الشيخ ميرزا حسين النائيني، حضر عليه منذ سنة ١٣٤٨ وكتب من تقرير أبحاثه «حاشية الرسائل» و«الاجتهاد والتقليد» و«قاعدة من ملك» و«إرث الزوجة». الشيخ ضياء الدين العراقي، السيّد محسن الطباطبائي الحكيم، كتب من تقرير أبحاثه قطعاً من كتاب «النكاح والضمان والبيع» حاشية على العروة الوثقى، وكان معظم استفاداته الفقهية منه.

طبعت النجف في ذهنه أعذب الذكريات وأجملها، يردّد ذكرها باشتياق ويقول حتى في أواخر أيّام حياته «إنني كلّما أمّر على جامع الهندي وأرى الطلبة في حلقات دروسهم يخفق قلبي شوقاً وأتذكر أيّامي في النجف وأتمنى أن

(١) منازل الآخرة: الشيخ عباس القمي، ص ٨٧.

أشاركهم في الدرس والبحث»^(١).

١٧. الشيخ موسى الخوانساري:

هو الشيخ موسى ابن الميرزا محمد ابن الشيخ (أبي عدنان)، ولد شيخنا المترجم له في مدينة خوانسار في العاشر من شهر الميزان (مهر)

عام ١٢٥٤هـ. ش المصادف لسنة ١٨٧٥م. تتلمذ في الفقه والأصول لجهابذة الحوزة وأعلامها البارزين أمثال المرحوم آية الله السيّد كاظم اليزدي صاحب العروة، والمرحوم الآخوند الخراساني صاحب الكفاية.

كان رحمه الله مثال العلم والتقى السامي ونموذج الزهد والعمل الصالح النامي. ولتحليله بالخصال الكريمة مضافاً إلى مرتبته العلمية المرموقة خلف مرجع العصر السيّد أبي الحسن الأصفهاني - قدس الله روحه - في إقامة الجماعة في أكبر مساجد النجف الأشرف وهو المسجد الهندي، وذلك بعد أن عجز السيّد الأصفهاني نتيجة الشيخوخة وكبر السن عن إقامة الجماعة والتدريس. فقد كان رحمه الله موضع ثقة تامة من قبل مرجع الشيعة السيّد أبي الحسن الأصفهاني في أمر الاستفتاءات والإجازات^(٢).

١٨. السيّد حسين الحماي:

السيّد حسين ابن السيّد علي ابن السيّد هاشم الحماي أحد مراجع العصر في النجف الأشرف. ولد في ١٢٩٨هـ وحضر على الشيخ محمد كاظم الخراساني وشيخ الشريعة الأصفهاني والسيّد محمد كاظم اليزدي واشتغل بالتدريس

(١) المفصل في تراجم الأعلام، السيّد أحمد الحسيني: ج ٤، ص ٩٨.

(٢) منية الطالب: الخوانساري، ج ١، ص ٧.

فتخرّج عليه جمع من الفضلاء وبعد وفاة السيّد أبي الحسن الأصفهاني في ١٣٦٥ هـ رجع إليه جمع في التقليد. أقول: كان يدرّس ﷺ في مسجد الهندي بحث الخارج من الفقه ويصلي المغرب والعشاء جماعة في الصحن الشريف العلوي^(١).

١٩. السيّد يوسف الطباطبائي الحكيم:

السيد يوسف ابن السيّد محسن ابن السيّد مهدي الطباطبائي الحكيم ولد عام ١٣٢٧ هـ في النجف ونشأ بها في ظلّ أبيه العالم الجليل المرجع وتعلم من أساطين الحوزة وصار من العلماء الكبار المعروفين بالتقى والزهد وترك الدنيا. كان سماحته يقيم صلاة الجماعة لدى غياب والده المقدّس عنها في الصحن الحيدري الشريف ليلاً وفي مسجد الهندي ظهراً وعصراً^(٢).

(١) مع علماء النجف الأشرف، السيّد محمّد الغروي، ج ٢، ص ١٥٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٨١.

الجدید المنسی من الأدب العالمی
حضارة المدارس الدينية في جبل عامل
في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديتين

د. عبد المجيد الحر

من الوفاء لقدسية التقليد، وسمو العادات في الحضارة الإسلامية، ونحن نؤرخ لحضارة المدارس الدينية في جبل عامل، أن نذكر ولوبقطة من التزامنا، بحر الحكمة والفلسفة والفكر السامي، الذي انساب من ينبوع أول مدرسة إمامية، نسجت ملحمة الشهادة في الصراع بين الحق والباطل، وخلدت عنوان مدرسة الحسين بن علي (عليه السلام). وما يحتم علينا الخضوع لهذه الإرادة، أننا نمُرُ بذكرى عاشوراء، ذكرى البذل والجهاد والنضال، في أيام شبيهة بتلك التي أحاطت بإمام الشهداء (عليه السلام)، فتسري في نفوسنا قشعيرة إيقاظ الضمير لواقع الحال، كيما نقوم الخطى على النهج الذي قام المذهب الشيعي فوق صراطه، حتى تكون مدرسة سيد الشهداء (عليه السلام) الرائدة المجلية عند ذكر العلم وأهله في ميدان كل كفاح. ومن تلك القطرة نقول:

يا حسينُ كن بعوني في الفداء	دمك المهرق تاج الشهداء
أمُّك الزهراء بنتُ المصطفى	من حشاها بذلت أغلى الدماء
هي والعذراءُ رُكننا قبله	مكةً والقدس أرضُ الأنبياء
فبعيسى وبطه والذي	شرف الشرق بأنوار السماء
أرجع التاريخ وانفض سيدي	فبأرض القدس ثاني كربلاء

يا حسينُ كربلاءُ شهدت	من بطولات بنيك النبلاء
وقعة حَرَّى وجيشاً يصطلي	وهج نارٍ خارقاً شهبَ الفضاء
فغدت أجسادهم شعلة حق	وأنارت نهج زحف الأقوياء

يصلون العالم العلويّ وحيّاً بكتاب الله، مرفوع الدعاءِ
ربَّنَا إِنْ زَاغَ مِنْهَا خَافِقٌ فاهدِه فوق ثباتٍ من رجاءِ
واجعلِ الأجساد قرباناً لمن كان للقدس نبيّ الشَّهداءِ

يَا حَسِيْنُ طَهَّرَ الْأَرْضَ وَقَدْ دَنَسَ الْمَوْطِنَ رَجَسُ الدُّخْلَاءِ
زَرَعُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ فِتْنَةً وَاسْتَبَاحُوا الْغَدْرَ فِي سَفْكِ الدَّمَاءِ
وَمَحَوُا آيَتَنَا مِنْ سَفَرِهِمْ وَأَقَامُوا آيَةً لِلْأَشْقِيَاءِ
جَعَلَ الْبَاطِلُ شَيْطَاناً يَرَى جَوْلَةَ الْحَقِّ سَلَاخَ الضَّعْفَاءِ
وَنَسُوا أَنَّ حَسِيْنَاً رَايَةً نُسِجَتْ مِنْ خَفَقِ أَنْوَارِ السَّمَاءِ
كُلُّهَا هَبَّتْ نُسَيْمَاتُ الضُّحَى أَشْرَقَتْ بِالنَّصْرِ فِي أَرْضِ الْفِدَاءِ

ولعلَّ هذه القطرة الندية بذكر النجباء الميامين من آل بيت النبي العربيّ خاتم المرسلين، تترامى اتساعاً بهاطل الهداية من السماء، فتصبح الديمة التي تترقق بدائم الارتواء للأفئدة العطشى إلى العلوم القدسية من البقعة الحسينية. أمّا عن البقعة العاملة، فنقول إنّها شهدت نشاطاً لا يتوقف مداه، في حقول التربية والتعليم، عند إطلالة القرن التاسع عشر الميلادي. وكانت المدارس تُشاد في ربي الجبال والوهاد العاملة، فتشمخ وتسمو، وتستقطب الشغوفين بالوعي، والمتطلعين إلى المعرفة، مستمدةً مادة اتساعها وتجدها، من مباءات

الإبداع، والتفوق العقلي المنتشرة في العالمين العربي والإسلامي.

وكان العامل، لا يجد غضاضة، وهو الظامى إلى الارتواء العقلي والروحي، الضميري والنفسي، من التوجه إلى مصر والشام والعراق وإيران، لينهل من مجارٍ تفجر ينابيع القمم العلمية بالآراء المستحدثة، والأفكار المتجددة، شرباً تثقيفاً، وتوجيهاً إصلاحياً واجتماعياً لا يظماً بعده أبداً.

ولا نجد غير الانكباب على صقل الذات وتهذيبها، وشد العزم على الترحل، والضرب في البوادي والقفار، إلا بذلاً عصامياً، لا تُحدّ جهوده، يرنو إلى أرفع أعمدة دور العلم في كل جانب تحفّ به العين، أو اتجاه تصله الأذن. وعلى الرغم من الألاعيب والدسائس التي كانت تحاك، حول المجاهدين لنيل ما أوصى الرسول العظيم ﷺ أن يطلب من المهد إلى اللحد، والتي كان العثمانيون يحيطون بها، أبناء جبل عامل دون غيرهم، لعلو همتهم، وأنفتهم من النوم على الضيم وفي جسد هم عرق ينبض بدم الرسالة العلمية، فقد كان المعمم يبذل أقصى ما لديه من نفسٍ ونفيس، وابن الشعب من العامة، ما وسعت يداه، لشدّ أزر المجتمع الواحد وتماسكه؛ ليقف سداً منيعاً في وجه التعسف والطغيان. وهكذا شهدت جباع في أوائل القرن التاسع عشر ولادة شيخ عميد^(١)، يعطي

(١) هو الشيخ عبد الله أبو الحسن بن علي بن الحسين بن الشيخ عبد الله بن علي بن نعمة العاملي الجبعي. كانت ولادته في جباع سنة (١٢١٩هـ - ١٨٠٤م) ووفاته في البلدة نفسها سنة (١٣٠٣هـ - ١٨٨٥م). كان عالماً جليلاً، وشاعراً أديباً. قرأ في جبل عامل ثم يمم وجهه شطر العراق فدخل عالم الحوزات العلمية في النجف الأشرف، وعاد منها بقسطٍ وافٍ من التبحر العلمي. وقد سعى أهل مدينة (رشت) بإيران للإفادة من إرشاداته الدينية، وإصلاحاته الاجتماعية، فمكث فيها موجهاً مصلحاً معلماً، ثم عاد إلى مسقط رأسه ليؤسس مدرسته التي حملت اسمه بعد طول تعسف واضطهاد لإغراق البلاد في ظلام الجهل، والتي

الجسد العاملي، دماً جديداً، يواجه الأمراض المتكاثرة حول البقعة العاملية، بإرادة لا تهون، وعقيدة لا تلين في قول كلمة الحق الشافية من كلِّ علّة دينية أو زمنية.

وحين نذكر مدرسة الشيخ عبد الله نعمة، يجب علينا ذكر الممّول لهذه المدرسة، المحسن الكبير، الحاج سليمان الزين، جدّ صاحب العرفان المغفور له الشيخ أحمد عارف الزين. والذي لم يأت على نشره الدارسون (وقد وجدته في مخطوطة للشيخ عبد الله نعمة) أنّ الشيخ من آل نعمة، كانت تراوده فكرة تأسيس المدرسة بمفهوم متكامل البناء والأثاث والزاد العلمي. فأسّر إلى صديقه الحاج سليمان فكرته، وهو يبدي التأثير لعدم توفر ما يؤمّن كل ما يحتاج إليه. فإذا بالحاج الكريم يبدي استعداداه لتوفير أكثر ما يطمح إليه الشيخ العتيد. فقد همس متفائلاً مسروراً: «إذا لم يكن لي من مالي ما يُرضي ربي فلا خير فيه» ودعا الشيخ إلى النهوض بما عزم عليه لئيدل له ما يلزمه، إلى جانب تأمين ما يساعد طلبة العلم المعوزين. وبكذا كان الحاج للشيخ خير معين في وقت ولادة بيتٍ للمعلم. وكان مثلاً يُقتدى به في طريق المكرمات.

وحين تجلّت هذه المدرسة بإرادتها، وعزيمة الملتفّين حولها، رجع إليها الناس في جميع الأمور الدينية، ونالت عندهم مقاماً وموقِعاً كبيرين في النفوس. وكان لصاحب المدرسة دورة سنوية تعمّ إقليم الشقيف وبلاد بشارة وجبل لبنان، وقطاع بعلبك ودمشق وحمص وغيرها، ينشر فيها برنامج مدرسته، ومؤهلاتها وتطلعاتها المستقبلية. كما كان يظهر المنهج الديني المتسامح الذي

تقف عنده؛ لتلفَّ به الإسلام في وحدة متكاملة لا تقفُ عند خلافٍ في اجتهادٍ أو وجهة نظرٍ راسخةٍ في العلم. ومن الجاه العظيم الذي أحرزته هذه المدرسة بفضل مؤسسها، أنَّ الزعيمين الكبيرين علي بك الأسعد صاحب تبنين وابن عمّه محمّد بك الأسعد، كانا يستقبلان الشيخ مع أتباعهما ووجوه البلاد، على جسر القافية، إذا أطل عليهما زائراً بلاد بشارة.

ويهمنا أن نورد بعضاً من العلماء الأعلام الذين خرّجتهم هذه المدرسة. ومنهم:

- الشيخ محمّد علي عز الدين^(١) مؤسس مدرسة حنويه.
- الشيخ علي السبتي^(٢) المؤرخ الكبير.
- الشيخ موسى شرارة^(٣) مؤسس مدرسة بنت جبيل.

(١) ولد في كفره، ثم انتقل إلى مدرسة (حدّاثا) طلباً للعلم، وبعد ذلك إلى مدرسة جبّاع، إذ نال القسط الأوفى من التفقه في الدين، وأصول الأحكام على يد العلامة الشيخ عبد الله نعمة. وكان شديد الإعجاب بذكائه وطول بابه، وسرعته في استنباط الأحكام. وقد أصبح فيما بعد شاعراً كبيراً ألم بكثير من الأغراض، وأعطى تجديداً في بعضها. ومن قصيدة له يذكر فيها البلد الذي حضنه وأهله للعلم قوله:

وعن جبع لا تسألنَ فإيَّها معاهد أحبابي ومنزل إخواني
عرفت بها عزّي وفضلي وسؤددي ونلت بها علمي وأحرزت عرفاني
خدمتُ بها شيخ الهدى سيّد الوري أبا حسن غوث الصريخ رجا الجاني
وكانت وفاته سنة (١٣٠١هـ / ١٨٨٣م).

(٢) الشيخ علي السبتي كبير من البارزين من أعلام هذا العصر الذين نحن بصدد، وكان فقيهاً مجلياً، وشاعراً موهوباً، ومؤرخاً فذاً. كانت ولادته في قرية كفره من أعمال صور. وحصل علومه في بلدي النميرية وجبّاع. وكانت وفاته سنة (١٣٠٣هـ - ١٨٨٥م).

(٣) وقد قام بتأسيس هذه المدرسة سنة (١٢٩٨هـ - ١٨٨١م) فأعلى شأنها حتى أصبحت محطّ

- السيد حسن يوسف مكّي^(١) مؤسس المدرسة الحميدية في النبطية.
- الحاج علي الزين والد المغفور له الشيخ أحمد عارف الزين وغيرهم وغيرهم
من يضيق المقام عن ذكرهم.

وقد استطاعت هذه المدرسة بحسن إدارة شيخها، وثقة طلابها به، أن تحتاز
محنًا صعبة، مدّها فيها المحسنون بكلّ ما يقوون عليه من مساعدة مادية ومعنوية،
تجعلهم يقتدون بآثار الحاج سليمان الزين، وبما سنّه لهم من نفحة تبث العلم
والعمران في كلّ مكان. وخير ما نختم به أثر هذه المدرسة وعطاءها الشامل،
ما فاضت به قريحة مؤسسها، وهو يحنُّ إلى موطنه، في إحدى رحلاته البعيدة،
إذ يقول:

رعى الله عهداً قد نشأت بظله وحيّاه من صوب الغمام بنافع
فإنّ به داري ومنزل جيرتي وملعب أترابي وروض مراتعي

رجال الأدب والفكر، واستقطب عدداً وافراً من الطلاب. كما أنّ الكارثة التي أصابت
مدرسة حنويه بعد وفاة مؤسسها الشيخ محمد علي عز الدين، جعلت طلابها يقصدون
مدرسة بنت جبيل وتكتظ بهم. فجددت بهم دراسة بعض العلوم، فجعلت تلك الدراسة
على البرامج المفهرسة، كما أنّها أعادت طبع بعض المؤلفات على قاعدة ترتيب الحاشية
والمتن. ومن الذين أخرجتهم هذه المدرسة العلامة السيد محسن الأمين، صاحب أعيان
الشيعة. والعلامة والشاعر الكبير الشيخ عبد الحسين صادق، وكانت وفاة العلامة موسى
شرارة سنة (١٣٠٤هـ-١٨٨٦م).

(١) هو حسن بن يوسف بن إبراهيم بن علي مكّي. كانت ولادته في بلدة حبوش سنة
(١٢٦٠هـ-١٨٤٤م) رحل إلى جبّاع طلباً للعلم، ثم إلى حاضرة النجف الأشرف إذ
مكث فيها اثنين وعشرين عاماً، عاد بعدها إلى وطنه عالماً كبيراً، ومجتهداً فقيهاً عام
(١٣٠٩هـ-١٨٩١م) وفي العام الثاني قام بتأسيس المدرسة الحميدية التي استمرت
طيلة أربعة عشر عاماً، تمّد الطلاب بأحدث العلوم، حتى فجعت بوفاة مؤسسها سنة
(١٣٢٤هـ-١٩٠٦م) فأغلقت أبوابها.

لقد برّح الشوق الملح بناظري
أبى الوجد إلا أن يبيّض ناظري
وما أنا إن شطّ المزار بذاهل
يروم اتصالاً بالحبیب وبيننا
أنسى رياض الحيّ وهي مريّة
وأنسى طباء الحيّ وهي أوانس
عسى نفحة تسري إلى الحيّ بكرة
فيا برق يممّ سفح لبنان قاصداً
وبلّغ سلامي في السفيح لمعشر
سقى الله أياماً تقضت بعامل
وقل لهم ذاك الكئيب الذي نأى
وحدّ حديثي للديار وأهلها
لعلّ عيوناً من صخور جوامد
تفوه جواباً عن ديارٍ بلاقي

وقد عاصرت مدرسة الشيخ عبد الله نعمة، مدرسة أخرى، لا تقل عنها شهرةً ومنعةً وعلوً شأن، ألا وهي مدرسة العلامة الذائع الصيت الشيخ علي الحر^(١)، التي نافست ضرتها المذكورة سابقاً، بحسن التوادد والتآلف والتفاهم،

(١) هو العلامة الزعيم المفكر، الذي دانت له البلاد، وزحفت إلى داره العباد، تبركاً بإيمانه النادر، وتوسلاً للرضاء والدعاء لصالح الدارين، ويُعدُّ من أشهر رجالات جبل عامل مقاماً ومنصباً

وتبادل العلوم والآراء، وشدَّ كلُّ منهما أزرَّ الأخرى في وقت الكوارث والمحن. ولهذا التنافس المحبَّب الوفي، راح الناس يتناقلون المثل السائر عنهما: «مَنْ رام الوفاق وعلوَّ الهمة فليقتدِ بالشيخ علي الحر والشيخ عبد الله نعمة» وهذا المثل مخطوط على أكثر من مؤلفٍ حوته المدرستان.

وما تمتاز به مدرسة الشيخ علي الحر، أنَّها قامت على دعائم لم تتوفر لغيرها من المدارس وهي:

(أ) بقايا الحضارة الإنسانية، والبذل الفكري، الذي أسهمت به المدارس السالفة، في ما يزيد على القرنين من حياة العلم والثقافة.

(ب) الحركات التحررية الاستقلالية التي أسهمت بها جباة بشخص زعيمها المعروف - يومئذٍ - الشيخ علي الحر. والذي كان العضو البارز في أوَّل مؤتمر عربي عقد عام ١٨٧٧ م^(١). في دمشق. وكانت هذه الحركات تدعو للاستقلال، وسلخ البلاد العربية عن السلطنة العثمانية. وهكذا كان لوجود الشيخين علي الحر وعبد الله نعمة، ومن حولهما نخبة ممتازة من وطنيين، وطلاب

وأصالة رأي وبعد نظر. كما أنَّ تشریح باب داره على مصراعيه ليل نهار أعطاه لقب الكرم الحاتمي. وللمنزلة الرفیعة التي بلغها لدى رجال الدين والدنيا، أضحى صاحب الخطوة الأولى لدى رجالات الحكم التركي. فهو المقدم على كلِّ زعيم في الاستقبالات الرسمية، وهو الرائد في الحركات العربية، وعضو مؤتمر دمشق في عهد مدحت باشا التركي. ومن أشهر ما أذيع عنه لدى السلطات العليا أنَّ باستطاعته تخليص من يشفع له عند الحاكم المختص. فإذا جاء أناس يلتمسون العفو عن مسجون في حضرة الوالي، وأجابه بالنفي، يقولون إذن سنلجأ إلى سيدنا الشيخ علي الحر. فيهدف الوالي، هو الوحيد القادر على إخراج من شاء من السجون. كانت وفاته في جباة سنة (١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م). انظر: محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٤١، ص ٦١.

(١) عادل الصلح، كتاب سطور من رسالة: تاريخ جباة، ص ٣٦١.

علم ومعرفة، في جوٍّ مفعمٍ بالحركات والنشاطات، بعد ذلك الركود الطويل، تأثير كبير على بروز المدرسة إلى حيز الوجود.

(ج) الجاه العظيم الذي أحرزه مؤسس المدرسة عند أمراء البلاد، وقد أكسب هذا الدعم المدرسة ثقة معنوية إلى جانب ثقته العلمية، مما حدا بالحكام والولاة إلى مساعدتها بكلِّ عونٍ تطلبه. ومن جراء هذا الدعم اطمأنَّ الشيخ إلى سيرها، وارتاح إلى حلِّ جميع مشاكلها^(١).

(د) الدعامة المادية التي وفرها لها أصحاب الثروات الذين كانوا يتوددون إلى الشيخ بأموالهم، تقرباً إليه، والتي كانت تعدُّ في تلك الأيام، من أهمِّ مقومات المدرسة لشقِّ طريقها بين حنايا الفقر والعوز والتغلب على مشقَّات الحياة.

وبفضل هذه الدعائم الأربع، تهيَّأت للمدرسة الأسباب اللازمة، لبروزها في جوٍّ مثقل بالهموم والقلق. وحازت قصب السبق في الواجهة الرسمية^(٢).

وقد قامت المدرسة - بفضل مؤسَّسها - بأعمال إنسانية دوَّنها الباحثون^(٣)،

(١) خطط جبل عامل: ص ١٥١.

(٢) إنَّ ما يثبت احترام السلطات الرسمية وتقديرها لمؤسس المدرسة الشيخ علي الحر، وخضوعها لمشيئته، تلك الحادثة التي جرت سنة (١٣١٢هـ - ١٨٩٤م) حين حلَّ مفتي صيدا - آنذاك - الحاج عثمان الزين ضيفاً على الشيخ في إحدى الليالي. فتسلل إلى غرفة نومه المدعو حسن حجازي، مدفوعاً من قبل محمود بشير الصعبي من وجوه قضاء النبطية، وصاحب بلدة كفر رمان، بسبب خلاف بينه وبين المفتي، وأطلق عليه النار وقتله. وكان لمقتل المفتي ضجة كبيرة في الأوساط الرسمية والشعبية، بادرت السلطة بسببها - فوراً - إلى دار الشيخ، فنقلت جثمان المفتي وهي تعدُّ الشيخ بالسهر على إلقاء القبض على القاتل، كما أنَّ الرجال الرسميين كانوا يعزُّون الشيخ ويخففون المصاب عنه. ولو حدث هذا الأمر في دار غير دار الشيخ علي الحر، لاختلف النهج، وتطورت الأمور إلى ما لا تحمد عقباه، واستغلت لشقاق طائفي.

(٣) إذا تصفحنا كتاب (مجمع المسرَّات) للدكتور شاكر الخوري لوجدناه حافلاً بالثناء على آل

وعَلَّقُوا عَلَيْهَا تَعَالِيقَ شَتَى، تَفُوحُ مِنْهَا عَبْقُ الْوَفَاءِ وَالْعِرْفَانِ. وبوفاة الشيخ علي الحر، غابت إشراقة نور، كادت تغرق البلاد في ظلام من الحرمان والنسيان، لولا أن توفّرت في ظلّه عقولٌ فتيّة، وعمائمٌ نديّة، سدّت الثغرة، وملأت بعض الفراغ الذي تركه، بنشاط همّتها، وتواصل جهدها لإحياء العلوم، وتتابع المدارس خلفاً عن سلف.

وبإطلالة سنة (١٣٢٤هـ-١٩٠٦م) أطلّ على جبّاع الشيخ عبد الله الحر، بعد غياب بدأ سنة (١٣١٦هـ-١٨٩٨م) في رحلة جهاد علمي إلى حاضرة النجف الأشرف، تكلّلت بفوزٍ مشرّف في نيل الإجازات العلمية من المراجع الكبرى، قمم الاجتهاد والتقليد. وما كاد يستقر في أرض الوطن، حتى بدأ يُرسي قواعد مدرسته الجديدة. وفي عهده بلغ العلم والأدب، حدّه الأقصى، فسطع نوره، وراجت سوقه، وفاح أريجُه. وزهت باحات تلك المدرسة وأروقتها بالجليل الرفيع من مقام العلماء المجتهدين، إذ كان يؤمّ جبّاع في تلك الحقبة الزاهرة بالوعي والمعرفة والوطنية الحقّة، والإيمان العميق الأغوار في النفوس الورعة التقيّة، نخبة من أصحاب العمائم النقيّة، النديّة بالفكر الثاقب والرأي السديد، والالتزام بالدين الحنيف، أمثال: السيّد محسن الأمين، والسيّد

الحر وآل نعمة في جبّاع؛ لأنّهم وقرأ للمسيحيين الهاربين من مطاردة الدروز كلّ آمن وغوث وطمأنينة، وعلى رأس هؤلاء الشيخان الجليلان الفاضلان، العالمان الكبيران الشيخ علي الحر والشيخ عبد الله نعمة، صاحباً مدرستي العلم والتعليم، والإصلاح والتوجيه، والذي بهما قضي على التفكك والتخاذل، والتقاتل، وأحيى التعاطف القائم على المروءة والنخوة اللبنانية الأصيلة، المتمثلة بقري جبل عامل، وأهلها الأكارم. ويصف في هذا الكتاب كيف أنّهم (هو وأهله وجمعٌ من إخوانه وأقاربه) لجأوا إلى دارٍ هذين العالمين الفاضلين سنة (١٢٧٧هـ-١٨٦٠م) فحماهم من قتل محقق، ونالا الأذى من الدروز في سبيل الدفاع عنهم.

عبد الحسين شرف الدين، والشيخ حسين مغنيّة، والشيخ عبد الحسين صادق، والسيد حسن يوسف مكّي، والسيد حسن إبراهيم، والشيخ إبراهيم عز الدين، والسيد محمد نور الدين، والشيخ محمد حسين مروة، والشيخ عبد الله شومان، والشيخ علي مروة، والشيخ عبد الكريم الزين، والشيخ موسى مغنيّة، والشيخ جواد سيّتي، والشيخ محمد مغنيّة، والشيخ أحمد عارف الزين، والشيخ أحمد رضا، والشيخ سليمان ظاهر، وغيرهم وغيرهم^(١).

وقد استقطبت هذه المدرسة همم العلماء الأجلاء في النشاط الديني والوطني، حيث تعقد المؤتمرات الخطيرة، لأحداث مصيرية، يتناول فيها رجال الدين، المناقشات والمشاورات، المؤدية لرفع كلّ ضيم عن الجنوب وأهله. وفي إحدى الليالي الحاملة في ضميرها، ثقل الأهوال والأحداث، تجمّع من كلّ صوب عاملي، أربعون عالماً في دارة مؤسس المدرسة الشيخ عبد الله الحر، وخرجوا بقرارات مصيرية، حملها (المراسيل) إلى القرى الجنوبية، وكلّها تدعو إلى الإلفة والاتحاد في وجه الهجمات الشرسة من الحدود الشمالية العاملة، وافتعال الفتن الطائفية من قبل الدولة الفرنسية. كما تدعوهم إلى الإقبال على العلم، وعدم التهافت على العادات الدخيلة المؤدية إلى الانحراف، والبُعد عن الأصالة العربية الشريفة. وقد وُقعت تلك الوثيقة باسم (مجلس علماء جبل عامل)، وكان لها دوي صახب في آذان المندوب السامي للدولة الفرنسية. وفي مخطوطة العلامة الشيخ عبد الله الحر^(٢) حديث شائق، تداوله والمندوب السامي

(١) مجلّة العرفان، العدد ٤، مج ٧٠، ص ٨١.

(٢) جاء في مخطوطة (المجالس العلية من النخبة العاملة) ص ٢٣: «وكانت لنا لجنة عتاب مع المندوب السامي في بيروت، حاول خلالها إغراءنا بالمناصب والوعود. أمّا المناصب، فقد

في تلك الوثيقة. وفي سنة ١٩٣٤م أحييت تلك المدرسة بدعوة من مؤسسها ثلاثة أيام بلياليها، كانت مجلساً للصفوة المختارة، من الجهابذة العلماء، تناولت فيه حال الفريق الذي تخرّج في هذه المدرسة، والآمال الكبار المعلقة عليه، والخطى الواسعة التي يخطوها في سبيل تأسيس مدارس أخرى في الأفضية العاملة. وشدّدوا على وجوب إبراز الإرادة الحكيمة لإبعاد آية وقفة جمود، تؤدّي إلى ترك التعليم، وإقفال المدارس.

وقبل أن ننهي دراستنا عن هذه المدرسة العامرة بأساتذتها وطلّابها، تستوقفنا لمحتان تاريخيتان، عن مدرستين، عاصرتا مدرسة العلامة الشيخ عبد الله الحر. الأولى مدرسة العلامة الشيخ عبد الغني الحرّ، والثانية مدرسة العلامة الشيخ محمد الحرّ^(١). وقد عاد هذا الأخير إلى جبّاع سنة (١٣٤٣هـ -

عرض علينا وظيفة قاض شرعي، فرفضناها بإصرار، وأبدينا غاية الزهد بها، وأمّا الوعود، فقد أملنا بمنحةٍ يقدمها للمدرسة، تسدّ بعض العجز، وتساعد على التطوير، فأبدينا له الزهد أيضاً، فأصرّ على المال، وأعلن أنّ هذه المنحة من حقّ الشعب لمساعدته في التعليم، وقال إنّ المستشار الفرنسي للمندوب السامي، سيزورنا في جبّاع، ونبحث وإياه في أمر المنحة وكميتها. فصممتا على مضض وقلنا: وإنّ غداً لناظره قريب. وما كاد يأتي الغد، ويعلن أحد أتباعنا أنّ المستشار الفرنسي وصل إلى الساحة وهو آت إلينا، حتى رغبتا إلى من كان في مجلسنا، أن يبقى حيث هو، ولا يخرج إلى الباب الخارجي لاستقبال الزائر الرسمي. وهكذا كان. وقد جلس المستشار في مجلسنا بغاية التأديب والتهذيب. وعرض علينا إرادة المندوب السامي في تقديم المنحة للمدرسة، فأعدنا رفضها على مسامعه وقلنا: إنّ الله أغنانا عنها، وكان ذلك اليوم آخر عهدٍ لنا ببلقائه وأمثاله.

(١) هو الشيخ محمد بن حسين بن سعيد الحر، أبصر النور في جبّاع، عام (١٢٩٥هـ - ١٨٧٨م) وبدأ تحصيله العلمي في بلد، كغيره من أبناء عصره، واختار العلامة الشيخ حسين المحمد، أستاذاً لتأديبه وتثقيفه، وكان ذلك عام (١٣٠٩هـ - ١٨٩١م) وحين أتمّ دراسته الأولية، قصد بلدة النبطية، وقرأ على العلامة السيّد حسن يوسف مكّي. وبعد إتمام ما يختتمه نظراؤه من التجويد والتفسير والحديث والفقه، رأى أن يقصد حاضرة النجف. وكان ذلك عام

١٩٢٤م) بعد أن كانت مدرسة الشيخ عبد الله الحرّ قد قطعت شأواً بعيداً في مجال التأسيس والتقدم العلمي. فرأى أن يوازي نسيبه في الجسد، وأخاه في الروح، ابن عمّه السابق له في التأسيس، في السير بمدرسة تكون رديفاً لتلك، وتعزز المجتمع العمالي بمؤسسات جديدة. وكان العلامة الشيخ محمد الحرّ على جانب كبير من الذكاء الحاد، والفكر الوقاد. ويكفي أنه أمضى خمساً وعشرين سنة، متنقلاً بين الحوزات العلمية النجفية، باحثاً دارساً، مناقشاً مجادلاً، سائلاً مستفتياً، حتى شهد له المجتهدون الكبار، من المرجعية الدينية، بتوقد الذهن، وسرعة الخاطر، وأجازوه بكثير من التنويه والإعجاب.

وكانت مدرسة الشيخ محمد قد أعادت لبلدة جباع نهضةً علمية واسعة بها استحصل عليه من مؤلفات مستحدثة، أمدّت الطلبة بمطالعات جديدة، تفيض اجتهاداً متطوراً يجاري الحياة العامة، بواقع ما انطبع عليه العلم المتقدم. وما إن سمع أهل الأقضية بما يجدهه الشيخ من أحكام ملحة لدى العامة، تتطابق وواقع الحال^(١) حتى توافدوا إلى ناديه زرافاتٍ ووحداناً، يطلبون الفتاوى

(١٣١٨هـ - ١٩٠٠م) وبعد أن اكتنز علماً وثقافة ودرايةً وسعة اطلاع، عاد إلى جباع عام

(١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م). وبقي فيها حتى وافاه أجله عام (١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م).

(١) لقد تفرّد الشيخ محمد الحرّ، بإجازة نادرة، من المرجع الديني في النجف الأشرف العلامة الفقيه السيّد أبي الحسن الأصفهاني، تجيز له الحكم بطلاق المرأة التي غاب عنها زوجها في المهجر، وانقطعت أخباره. وكان جبل عامل كغيره من أبناء البقاع اللبنانية، يشهد هجرة من بنيه، تطلب ما يسد الرق، بعد أن ضاق العيش، وأصبحت البلاد عرضة للقحط والمحل من جرّاء الظلم والفساد، وتسلبت الحاكمين على رقاب العباد. وكان الرجل يغيب عن زوجته، وتنقطع أخباره، ويفقد كلّ صلة بأهله ومعارفه. ولهذا تعرض امرأته للذلّ والهوان، والفقر والفاقة وتصبح في أشدّ الحاجة إلى من يعيلها، ويستر الضنك المحيط بها. وكان العلماء العامليون لا يملكون حيلة تفصل الزوجة عن زوجها إلا إذا ثبتت وفاته، أو وافق

والمشورة، ويسألونه الاستزادة من التوفيق لحلّ مشكلات العصر المستعصية.

أمّا مدرسة العلامة الشيخ عبد الغني الحر^(١)، فلم تعمّر وتكسب مداها الواسع العميق إلّا في النجف الأشرف التي هاجر إليها طالباً للعلم. وكان الذكاء الذي ورثه عن أبيه الشيخ أحمد وجده الشيخ علي الحرّ، لا يعادله ذكاء في استنباط الأحكام، والاجتهاد في حلّ المسائل المستعصية. كما أنّ المنزلة الدينية التي توصّل إليها جعلته في مصاف الأولياء من الطهر والصلاح والزهد والتقوى. وأحاطته بأساطير الأحاديث والقصص الشعبية البالغة الطرافة.

لقد دامت مدرسة الشيخ عبد الغني أعواماً نيفت على الثلاثين، استقطبت فيها الطلبة العاملين المهاجرين لطلب العلم في النجف الأشرف. وكان الشيخ

على طلاقها. وحين جاء العلامة الشيخ محمّد الحر بتلك الإجازة من المرجع الأعلى، تسنّى للنساء المهجورات من أزواجهن، وقد قطعن الأمل بعودتهم، وأصبحوا بحكم المفقودين. أن يستحصلن على الطلاق. والطريف في الأمر أنّ هذه الإجازة لم تُعطَ لغير علامتنا من بعده.

(١) هو الشيخ عبد الغني بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمّد بن أحمد الحر. رأت عيناه النور في بلدته جباغ سنة (١٣٠٠هـ-١٨٨٢م) وترعرع في أحضان العزّ والفخار، بدارة والده وجده زعيم البلاد الشيخ علي الحر. وللألمعية الفياضة بثورة ذكاء لا تبدأ، وبصيرة نور تجعل عينيه لا يحيدان عن التطلع إلى السماء، تفرّس فيه جده الشيخ علي كلّ معاني الإيمان، إلى جانب الثقافة الواسعة، والاجتهاد. ولذا أوصى به خيراً، ودار به على النخبة المتقاة من أهل الفضل والعلم للتجويد والتدريس. وقد قرأ القرآن على أشهر القراء الذين أدهشتهم سرعة حفظه. كما أنّ الشيخ عبد الرؤوف المحمد خصّه بعلوم النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والبدیع والعروض. والشيخ حسين المحمد خصّه بالأصول والفقه. وحين غيَّب المنون وجه جده الشيخ علي عام (١٣٢٢هـ-١٩٠٤م) ضاقت الدنيا في وجهه، واسودّت الحياة في عينيه. فيمم وجهه شطر النجف الأشرف، وهناك برزت مواهبه في سعة من الدراسة والبحوث الدينية والزمنية وهناك أسس أوّل مدرسة تمتاز بالزهد والصوفية، وبقي يجاهد بنفسه ونفيسه حتى وافته المنية سنة (١٣٥٥هـ-١٩٣٦م).

لا ييخل عليهم بما أكرمه الله به من مادة عقل، وغنى جيب. إذ إنَّ وثوق الناس بمزايه الدينية، وخصائله السماوية، وانصرافه إلى مناجاة الإله، والتفرغ للتضرع إليه، جعلهم يهرعون نحوه بأموالهم الخارجة من الحقوق المتوجبة عليهم، فينزع بدوره إلى توزيع تلك الأموال على مستحقيها من الطلبة الواردين من جبل عامل.

وكان الشيخ من الشعراء المطبوعين على فطرة الارتجال. إذ كان ذا نفسٍ طويل لا يجاريه فيه أحدٌ من أهل عصره. فقد يقف أمام ضريح أحد الأئمة، ويرتل القصيدة البالغة خمسمائة بيت، كما فعل في القصيدة (الكافية) في مدح الإمام علي عليه السلام وقد وقف أكثر شعره على مدح الأئمة عليه السلام وخصَّ منهم الحجة المنتظر، صاحب العصر والزمن، الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن عليه السلام وآخر ديوان له طبع في النجف الأشرف، هو بعنوان (منتظم الدرر في مدح الإمام المنتظر). ومن أجل ذلك جرى دفنه في الحضرة الشريفة في الرواق الحيدري. ومن جميل شعره قوله:

أرى الصبر أولى للأنام من الحزن	وإن كنت من فرط الأسى قارعاً سني
فما الصبر إلا في دروع حصينة	وجنة تحصين من الأنس والجن
وفيه رضا الرحمن إذ حثنا به	وعرفنا أن الأسى هو لا يُغني
لنا أسوة في آل طه إذا ابتلوا	وقد صبروا صبر النبي بلا وهن
وأحسن شيء للورى في زماننا	وفيه لهم إن أخلصوا أعظم الأمن
توجههم لله ثم انتظارهم	أتم الهدى يجلو سناء دجى الدجن

وكان العلامة الشيخ عبد الله الحرّ لا يزال يرتقي بمدرسته صعداً، من فوز إلى فوز، حين وردته أنباء العراق، تخبره بنيل نجله العلامة الشيخ عبد الكريم الحرّ^(١) رتبة الدرجة الأولى بين أقرانه، في مناقشة جرت وسط الصحن الطاهر في الحضرة الشريفة. وكان يُشرف على المناقشة المرجع الأعلى السيّد أبو الحسن الأصفهاني قدس سره، ويحيط به المجتهدون العلماء الأعلام: الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والشيخ عبد الكريم الزنجاني، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والسيّد محمد حسين الحامي والمرجع الأكبر النائيني، وغيرهم من المجتهدين اللامعين في ذلك العصر. وكان أن شرّفه كلُّ مجتهد بدعوة بحث في حوزته العلمية دامت ثلاثة أشهر، منحه بعدها إجازة في الكفاءة والاجتهاد. وقد تهللت أسارير علامتنا الشيخ عبد الله، لتلك البشائر تُرْفُ إليه من أرض الطهارة والقداسة. فسارع يُبرق إلى نجله بالعودة إلى أرض الآباء والأجداد ولتقرّ به عيناه في حياته. وكان أن وصل العلامة الشيخ عبد الكريم الحرّ إلى

(١) هو الشيخ عبد الكريم بن عبد الله بن عبد السلام بن سعيد. كانت ولادته في بلدته جباع سنة ١٩٠٠م. وكان أكبر أنجال المجتهد المعروف العلامة الشيخ عبد الله الحر. وكانت تتجلى على قسماته سمات النباهة والذكاء منذ طفولته، فتوسم فيه والده خير خلف له. وانصرف إلى تنشئته على المبادئ التي نشأ عليها، ولقّنه مبادئ العلم في الفقه والأصول وسائر العلوم الدينية داخل مدرسته. وحين أنهى مرحلة متقدمة من الدراسة والبحث، قصد النجف الأشرف عام ١٩١٩م، وكلّه حماس واجتهاد للتعمق في العلوم. وأمضى في الحوزة العلمية ما يزيد على العشرين عاماً، غائصاً فيها إلى الأبعاد العلمية المترامية الفروع والفنون. وقد تتلمذ على كبار أئمة العلم أمثال المرجع الأعلى الإمام أبي الحسن الأصفهاني، والمجتهد الأكبر النائيني، والقمة العظمى الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء. وكانت وفاته بعد عمر طويل قضاه في الجهاد العلمي، مستقلاً، باحثاً، معلماً في مدينة بيروت عام ١٩٨٠م. حيث نقل جثمانه الطاهر ليدفن في النجف الأشرف إلى جانب أمير المؤمنين أبي الحسن عليه السلام. (العرفان: مج ٦٨، ص ٤٥٦).

جباع عام ١٩٣٩م^(١). لينال شرف الأمانة من العلّامة والده، ويتسلّم المدرسة التي أسّسها بالنضال والجهد.

وما كاد ييسط سلطته في التدريس والإدارة، حتى استطاع بما لديه من أفكار متجددة، أن يقذف بالحديث إلى البيئة العاملة. فيتخرج على يديه، نفرٌ من المفكرين والأدباء، لا يزالون حتى اليوم ينشرون أفكاره ومبادئه. وسعى بعد ذلك إلى أن تصبح مدرسته النواة الثابتة الأصلية للمدرسة الرسمية التي ما زالت قائمة حتى اليوم. وما كاد يطمئن إلى نجاح عمله حتى انتقل إلى بلدة قناريت (قضاء صيدا). وكان أوّل عالم ديني يحلُّ بها واعظاً مرشداً مؤسساً للدين والدنيا. فقد سعى مع الوجهاء والمخلصين إلى تأسيس مدرسة على الطراز الحديث، المنفتح على علوم الشرق والغرب باللغات العربية والأجنبية. كما عمد إلى تأسيس جامع للصلاة^(٢).

(١) كان وصول العلّامة الشيخ عبد الكريم الحر إلى جباع في بداية إعلان الحرب العالمية الثانية من قبل دول المحور ودول الحلفاء. وكان كثير النباهة سريع الخاطر. إذ بادر إلى جمع الوجهاء في مكان فسيح في خراج البلدة يسمى (المرجة) وأعلن عليهم بالحرف الواحد: «لقد اعتاد لبنان أن يرعى في مثل هذه المحن، جيوشاً غازية، وأخرى مغزية، تمرّ فوق أراضيه، إمّا منتصرة، أو منهزمة. والعاقل الحكيم، من ينظر إلى الأمور المتأتية، بعين التاريخ الماضية، ليأخذ منها العبر، ويرقى إليها بالنظر. ولذا أدعوكم إلى شيئين: الأول: التعاون - جميعاً - في وضع برنامج اقتصادي متكامل المؤونة للسنوات القادمة، يخزن فيه كل بيت قسماً من مؤونته لهذا العام، بانتظار ما يأتي به العام القادم، حتى لا نؤخذ على حين غفلة. والثاني: المحافظة على استمرارية الدراسة تحت ظلّ الخوف والجوع والقلق. إذ إنّ العلم وحده يشيع الطمأنينة ويتصر على المادة. وكونوا على ثقة أنّي أحمل الأمانة، ولن أفرط بأبنائكم، وسأسهر على راحتهم ودفع الأذى عنهم»، وكان للشيخ ما أراد. وكان لجباع انتصار على الجهل وعلى الجوع في أيام الحرب الحرجة، بفضل صاحب المدرسة الجديد.

(٢) مجلة العرفان: مج ٦٨، الأعداد ٥ و ٦ و ٧، ص ٤٥٥.

وما كاد يطمئن إلى نجاح عمله، ويعيّن إدارة محليّة تتولى شؤون ما بدأ به. حتى توافد عليه المؤمنون، يطلبون مجيئه إلى عاصمة لبنان بيروت. إذ إنّ المدينة تفتقد علماء أمثاله يعظون ويرشدون، ويؤسسون بيوت الصلاح والإيمان. ورضخ شيخنا لمشيئة شعبه وحلّ بيروت في محلّة البسطة التحتا. وكان من أوائل العلماء الذين استوطنوها، واتخذ من جامع (البسطة) دار علم وعبادة. فأقام حلقاتٍ من الدروس اليومية، كان فيها يفقه الدين للمصلين، عاملاً على خدمة المبادئ الدينية^(١) حتى وافته المنية. ثم التفت إلى الناحية الاجتماعية، فأسهم مع إخوانه العلماء في تأسيس (جمعية الهداية والإرشاد) العلمية. وكان هدفها رفع مستوى الشباب المسلمين ولمّ شملهم في لبنان من الناحيتين الدينية والمعيشية^(٢).

وهكذا، فإنّ العلامة الشيخ عبد الكريم الحرّ، لم يكن مدرسةً ثابتةً في البلد الذي كان له شرف إنجابه، بل صار مدرسةً متنقّلةً، يحلّ العلم معها أنّى حلّت، وتشرق شمس العلم مع إطلالته على الأرض التي ينزل فوق أديمها. ويكفي جباغ أنّها نالت مجدّاً لم تنله بلد بعلمائها. ويكفي علماءها شرف الانتساب إلى أرض الجمال والدعة والخصب والوفاء. وحسبهم أنّهم سعوا ففازوا، وناضلوا فبرزوا، وكانوا طليعة المعممين. وجاهدوا فنالوا صلاح الدارين. لذا لسان حالنا فيهم يقول:

حصحص الحقّ، واستوى الميزان وانتهت للعلی نفوسُ تُصانُ

(١) مجلّة العرفان: ص ٤٥٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٥٦.

هي ميراث عَصْمَةٍ واجتهادٍ بلغ المجدَ منه، ذاك الزمانُ
قد أتى ينشر العدالة تيهًا بعد عصرٍ دجا، وفيه ارتهانُ
عصر ليلٍ تَأَرَّقَتْ حَدَقَتاه وكسا الجفن في الظلام هوانُ
وانبرى الوصمُ يطمسُ العقلَ حتى غابَ وعيٌ، وجفَّت الأذهانُ
وغشت زفرة التنهد روحاً هالها الكفر، إذ نأى الإيمانُ
فأبت أن تُضامَ وَهْيَ انعتاقٍ وارتقت شاهقاً، فعزَّ المكانُ
فإذا الفجرُ يملأ الأرض نورا وإذا العلمُ وحيه القرآنُ
واطمأنت. فأيةُ الله تُتلى فوق كونٍ خلوده الإنسانُ
وتجلَّت عمائمُ الدين تترى قبياً، حُصَّنت بها الأوطانُ

**البيوتات العلمية والمدارس في الحلة
في القرن السادس حتى القرن العاشر
(دراسة تاريخية)**

أ.م.د. ثامر كاظم عبد

أ.م.د. محمود شاكر مشعان

الملخص:

في هذا البحث حصلنا على معلومات ساعدتنا على إتمامه وإظهاره بالمظهر الذي يرضي الجميع إن شاء الله تعالى، فضلاً عن المخطوطات التي حصلنا عليها من المكتبات وفهارس المخطوطات التي ساعدتنا للوصول إلى معرفة أماكن كتابة هذه المخطوطات ومعرفة علمائها وتلاميذهم وبعد إتمامنا لهذا البحث، نرى أنَّ هنا حاجة إلى الوقوف ملياً عند بعض النتائج المهمة في البحث والتي استخلصناها كما يلي:

إنَّ الحوزة العلمية في الحِلَّة منذ انطلاقتها العلمي في القرن السادس على يد الشيخ محمد بن إدريس (٥٤٣هـ / ١١٤٨م) (ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م) وإلى حين أفولها في منتصف القرن العاشر الهجري كانت مركزاً للدراسات العلمية في العالم الإسلامي، والسبب الرئيس لهذا الانطلاق العلمي يرجع إلى دور العلماء والمدارس في النهضة العلمية لهذه المدينة، فقد كان اعتماد علماء الحِلَّة في بداية التدريس على بيوتاتهم، ولم يكن ذلك عقبة أمامهم بل كان البديل الذي يقوم بدور المدرسة، وأصبحت هذه البيوتات معاهد علم يؤمُّها طلبة العلم من داخل المدينة ومن خارجها، وبعد ظهور الازدهار والتوسع العلمي الذي بلغ القمة في العطاء في القرن السابع والثامن الهجري أصبحت الحِلَّة مركزاً علمياً كبيراً ولجميع العلوم مثل: النَّسب والأدب فضلاً عن الفقه وأصوله وغيرها من العلوم.

Abstract:

Since scientific al hawza starting in the sixth can AL

- shekh Ibn idriss (my God have mercy on him) until abolition in the middle at tenth century A. H. was considead as acenter for scientific studies in the Islamic world. The main reason for this scientic develament returned to the role of scientists and school in the scientific renaissance of this city.

The scholars of Hilla depended on their homes at the beginning of teaching. Through research shows that there was altarnative of the schools which is the scientists, houses act as school.

These schools became instidutes of science which are frequented by science students from inside and outside of the city. After the appearance the prosperity and scientific expansion that reached the summit in the seventh center and eighth centhry A.H.

At that time Hilla became a major scientific center and all sciences as descent and literature as well as jurisprudence its origins and other sciences.

Many students migrated to the city so the need to build schools , A school was built next to the Shirne of Imam sahib al zaman (peace be upon him) and other school to

be a new place replaced the houses which opened by the scientists to their students.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين ومن والاهم إلى يوم الدين.

تراثنا الإسلامي يعبر عن هوية الأمة، بل هو خير معبر عنها؛ لأنه جزء منها، وهكذا كل تراث هو جزء من الأمة التي أنجزته، فلا يمكن أن نؤسس النهضة على تراث آخر غير تراثنا، فالنهضة يحتضنها هذا التراث.

إن الذي دفعنا إلى هذا البحث، هو استقراء مدينة الحلة ومعالمها؛ والكشف عن وجه من وجوهها التي تتمثل بالبيوتات العلمية والمدارس التي نشأت واشتهرت بها، وتسلط الضوء على الإمكانيات العلمية التي كانت تتمتع بها هذه البيوتات والمدارس، وفضلها الذي سلب بسبب الإهمال؛ ولأن جزءاً مما خلفوه من تراث كبير أخفيت معالمه كان صرحاً شامخاً انتفعت به أكثر البلاد الإسلامية.

كانت هذه البيوتات العلمية والمدارس تمثل جانباً مهماً من تراث هذه المدينة، وهو الجانب الفكري، فهو يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، وتستلهم في ضوء مستقبلها، لذا كان من الأهمية الاهتمام بها، والحفاظ عليها، ونقله إلى الأجيال نقلاً صحيحاً، بحيث يكون نبراساً وهادياً لهم في حاضرهم ومستقبلهم ولا شك في أن الحفاظ على هذه البيوتات والمدارس والعناية بها أمر ضروري لحماية تراثها، وإن القيام بالبحث عنها وبيان دورها في تهيئة جيل كبير

من العلماء هو إحياء هذا التراث.

وقد استدعت طبيعة الدراسة القسمة على مبحثين: تناولنا في المبحث الأول: عن البيوتات العلمية في الحلّة، أما المبحث الثاني فعنوانه بـ: المدارس في الحلّة.

وقد اعتمد البحث على روافد مهمة، ومتنوعة في صدارتها كتب التراجم والسير، منها: كتاب الرجال لابن داود، الحسن بن داود الحليّ (ت ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م) والذي يعد من الكتب الرجالية المهمة والتي اهتمت بالرجال وخاصة رجال الحلّة، وكتاب سير وأعلام النبلاء للذهبي، محمّد بن أحمد بن قايّماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، وكتاب أمل الآمل للحر العاملي (ت ١١٠٤هـ / ١٩٥٩م)، وكتاب رياض العلماء للخوانساري (ت ١٣١٣هـ / ١٨٩٤م) وغيرها من كتب الرجال.

أمّا كتب التاريخ: فقد اعتمدت على كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢)، وكتاب تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م)، وكتاب تاريخ الإسلام للذهبي، وكتاب تاريخ طبرستان لابن اسفنديار (ت. ق: ٦) وغيرها من الكتب.

أمّا كتب الرحلات: فقد اعتمدت على كتاب تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، واعتمدت على غيره من المصادر والمراجع التي ذكرتها كاملة في قائمة المصادر والمراجع.

وقبل الانتهاء من حديثنا لا يسعنا إلّا أن نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان إلى كلّ من أعاننا بكتاب أو أفادنا بتوجيه، أسأل الله أن يؤيدهم ويسدد خطاهم،

ويوفق كلَّ مَنْ مدَّ لنا يد العون، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربَّ العالمين.

المبحث الأول: نشأة البيوتات العلمية في الحلة

ترجع بواكير نهوض الحلة الفكري والعلمي بدايتها إلى مؤسسها الأمير صدقة بن منصور بن ديبس بن مزيد الأسدي، (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م) (٥٠١هـ/ ١١٠٧م) ثم قويت هذه النهضة في وقت لاحق عندما أصبحت الحلة مركزاً من مراكز العلم ونالت الصدارة في العالم الإسلامي.

قال ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م): «لقد كان من أهم أسباب النهضة الفكرية في الحلة، اهتمام الأمراء المزيديين بهذه الناحية، وتشجيعهم المستمر لرجال العلم والأدب، وإجزالهم العطايا والهبات لهم، فقصدتهم الكثير من الشعراء، كما حظي عندهم العلماء والفضلاء، حتَّى إنَّ سيف الدولة صدقة بن مزيد كانت له مكتبة ضخمة تضم ألوف المجلدات»^(١).

وهناك أسباب عديدة للنهضة العلمية الكبيرة كانت وراء نشوئها واستمرارها لأربعة قرون تقريباً من القرن السادس إلى القرن العاشر أصبحت فيها الحلة زعيمة وقبلة للعلم والعلماء واحتلت موقع الزعامة للمذهب والدين، من تلك الأسباب اهتمام أمراء الدولة المزيديّة بالعلم والعلماء، قال ابن الأثير: «ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَخَمْسِمِائَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَجَب قَتَلَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ صَدَقَةَ بَنِ مَنْصُورِ بَنِ دَيْبَسِ بَنِ مَزِيدِ الْأَسَدِيِّ أَمِيرَ الْعَرَبِ وَهُوَ

(١) ابن الفوطي الشيباني: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ)، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، دمشق، (١٩٦٧م)، ج ٤، ص ١٦٤.

الذي بنى الحلة السيفيّة بالعراق، وكان قد عظم شأنه وعلا قدره واتسع جاهه واستجار به صغار الناس وكبارهم فأجارهم... وكان له من الكتب المنسوبة الخط شيء كثير ألوف مجلّدات، وكان يحسن يقرأ ولا يكتب، وكان جواداً حليماً صدوقاً، كثير البر والإحسان، ما برح ملجأ لكلّ ملهوف يلقي من يقصده بالبرّ والتّفضيل ويسط قاصديه ويزورهم، وكان عادلاً والرعايا معه في أمن ودعة، وكان عفيفاً لم يتزوَج على امرأته ولا تسرّى عليها فما ظنّك بغير هذا؟ ولم يصادر أحداً من نوابه ولا أخذهم بإساءة قديمة، وكان أصحابه يودعون أمواله في خزائنه ويدلون عليه إِدلال الولد على الوالد، ولم يسمع برعية أحبّت أميرها كحبّ رعيته له، وكان متواضعاً محتملاً يحفظ الأشعار ويبادر إلى النادرة ﷺ، لقد كان من محاسن الدّنيا»^(١)، فلقد كان للأمرء المزيدين من محبي العلم والأدب، لقد كتب الأدباء والشعراء مناقب ومآثر وكرم وجود وفضل كثير لهذه الأسرة الكريمة، فقد ذكر الشاعر والأديب هبة الله بن نّما ألف شاعر في كتابه المشهور (المناقب المزيديّة في أخبار الدولة الأسديّة)^(٢)، وهناك سبب آخر لا يقل أهمية وهو الاهتمام بالكتب فقد قيل: «كان أهل الحلة والكوفة والمسيب يجلبون إلى بغداد الأُطعمة، فانتفع الناس بذلك، وكانوا يبتاعون بأثمانها الكتب النّفيسة»^(٣).

(١) ابن الأثير: عز الدين علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، (١٣٨٦هـ): ج ١٠، ص ٤٤٠-٤٤٩.

(٢) ابن نّما: أبو البقاء هبة الله بن نّما بن علي بن حمدون محمّد الحليّ (ت ٦٤٥هـ)، المناقب المزيديّة في أخبار الدولة الأسديّة، تحقيق: محمّد عبد القادر وصالح موسى، مؤسسة الرسالة الحديثة، عمان، (١٩٨٤م)، ج ٧، ص ٣٨٧.

(٣) ينظر: ابن الفوطي الشيباني: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمّد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، إيران، (١٤١٦هـ)، ص ٣٦١. العاملي: محسن بن عبد الكريم الأمين (ت ١٣٧٢هـ)، أعيان

فضلاً عن أنَّ الحِلَّة طيبة التربة، معتدلة الهواء، عذبة الماء، ذات طبيعة بهجة، وهي إلى جانب ذلك وارثة الحضارة والمدنية البابلية، فكان لجميع ذلك أثر في صفاء الخاطر وحِدة الذَّهن واعتدال المزاج عند أبنائها وهي صفة عامة.

إنَّ الحوزات العلمية الشيعية تنماز عن مثيلاتها بأمرين جوهريين: استقلالها المالي والسياسي، ومنهج الدراسة فيها، فمالياتها تتمثل في الأخماس والزكوات والتبرعات التي يدفعها الشيعة في العالم إلى مرجع التَّقليد الذي يرون أنَّه الأَعلم بالفقه، والأَنقى في العلماء المعاصرين، والمكَلَّف يعطي الحقوق الشرعيَّة التي في ذمته إلى مرجع التَّقليد الذي يثق به، وكان قسم من هذه الأموال تصرف على طَلَّاب العلم، وهذا ما سارت عليه مدارس الحوزة العلميَّة في الحِلَّة.

كانت بيوتات العلماء في مدينة الحِلَّة أحد روافد الفكر الإسلامي، وكانت هذه البيوتات مُحبَّة للعلم، مكرمة للعلماء، ومبالغة في الاهتمام بالفقهاء ومغدق عليهم، وهي بلا شك مركز من مراكز العلم والثقافة، فيها تُعقد حلقات الدَّرس، ويؤمُّها العديد من طَلَّاب العلم كي ينتهلون من عذب علمائها، ويمكننا وصفها بالمعاهد العلمية، إذ عن طريقها يأخذ الطالب إجازته التي تخوله ممارسة اختصاصه سواء كان في التَّدريس أو الفُتيا، فقد أغنت منازل العلماء المدينة عن المدارس، إذ تخرج في هذه المنازل أعداد كبيرة من الفقهاء وطلبة العلم على أيدي أبرز علمائها سواء كانوا من أهل المدينة أو من المدن الإسلاميَّة الأُخرى.

كانت الدراسة في بداية عهدها في بيوت العلماء فقد شكَّلت هذه البيوتات

مراكز ونواة مراكز للعلم، فكانت تُعقد في هذه البيوتات المجالس العلمية، وكان العلماء يؤمُّون هذه المجالس ويحضر الكثير من طلاب العلم للاستفادة من الدروس العلمية التي تطرح فيها والحصول على الإجازات، ومن هذه البيوتات التي نذكرها حسب وفيات أصحابها هي:

١- بيت الشيخ ورَّام بن أبي فراس الجواني (ت ٦٠٥هـ - ١٢٠٨م):

الأمير الزاهد أبو الحسين ورَّام بن أبي فراس عيسى بن أبي نجم بن ورَّام ابن حمدان بن إبراهيم بن مالك بن الأشتر النخعي (صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) عالم فقيه صالح جليل القدر وهو جدُّ السيِّد علي بن طاووس لأُمِّه، لُقِّبَ بأمير الفقهاء والعلماء، نشأ في الحلة وترجى بها وصار أميراً من الأمراء العسكريين، ثم ترك سلك العسكرية وواصل دراسته للعلوم حتى صار عالماً، يروي عن الشهيد الأوَّل، قرأ على الشيخ محمود الحمصي له كتاب (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر)، إنَّ الشيخ ورَّاماً كان محبّاً للعلم والعلماء مكرماً لهم، مبالغاً في اهتمامه بالفقهاء مغدقاً عليهم، إذ يظهر من بعض الروايات أنَّ العماد الطبريَّ رحل من النَجف الأشرف إلى الحلة بدعوة من الشيخ ورَّام، قال ابن إسفنديار في كلامه عن - العماد الطبريَّ -: «فقيه آل مُحَمَّد عليه السلام، عالم زاهد متدين، استدعاه الأمير ورَّام بن أبي فراس إلى الحلة، فأقام بها عامين، وخصَّص الأمير لنفقاته كلَّ عام ألف دينار، فرحل إليه الشيعة من بغداد والكوفة وكلِّ النواحي، يقرؤون عليه، ويسمعون منه، ويحملون عنه، وحصلت بينهما مصاهرة، فتزوج ابنُ الأمير ورَّام بنتَ العماد الطبري، فأولدت له ولداً... من خيرة الشباب، متبحراً في العلوم، ولهُ جاء عَرِيضٌ، واختصاصٌ وزلفى من

الناصر لدين الله أبي العباس أحمد الخليفة»^(١).

ومن تأثير دار الشيخ ورّام على الحركة العلميّة في الحِلّة أنّ الشيخ محمود ابن علي بن الحسن سديد الدين الحمصي الرازي (ت ٦٠٠هـ - ١٢٠٣م) عندما وصل العراق عائداً من الحرمين الشريفين في طريقه إلى الرّي، لقيه الشيخ ورّام ابن أبي فراس، وطلب منه البقاء في الحِلّة، وألحّ في ذلك، فاستجاب له ونزل عنده، منشغلاً بالذاكرة والمدارسة، وألّف كتابه (المِتَقَدُّ من التّقليد والمُرشد إلى التّوحيد) المسمّى بالتعليق العراقي، وقرّع منه في دار الشيخ في الحِلّة سنة (٥٨١هـ - ١١٨٥م)، وأملاه على الشيخ ورّام^(٢).

وانتفع علماء الحِلّة بـ(سديد الدين الحمصي) كثيراً وأملى عليهم كتابه المذكور آنفاً المسمّى بـ(التّعليق العراقي)، سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧)، إذ كانت له إسهامات في إمداد التراث الحليّ بآرائه ومباحثاته الإسلامية، ولاسيما العقدية،

(١) بهاء الدين محمد بن حسن (ت ٦٠٠هـ) تاريخ طبرستان، تحقيق: عباس إقبال، طهران، (١٩٤١)، ص ١٣٠، وينظر: عماد الدين الطبري الأملي: محمد بن أبي القاسم علي بن محمد (ت ٦٠٠هـ)، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد الفيومي، مؤسسة النشر التابعة لجامعة المدرسين، قم المقدسة، (١٤٢٠هـ)، ص ٧.

(٢) قال عنه السيّد رضي الدين علي بن طاووس: «شيخ المتكلّمين في زمانه محمود بن علي الحمصي - رضوان الله عليه - وهو ممن وصل العراق للحجّ وألزمه جدّي ورّام بن أبي فراس - قدّس الله روحه، ونور ضريحه - بالإقامة سنة وقرأ عليه وبالغ في الإحسان إليه، وكلامه عندنا الآن في مجلد فيه مهمات مسائل قد سأله عنها جملة من الأعيان وعليها خطّه - ﷺ - بأنّها قرأت عليه». فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، (١٣٦٨هـ)، ص ٧٤، وينظر: الطهراني، محمد محسن بن علي (ت ١٣٨٩هـ)، طبقات الشيعة، تحقيق: علي نقوي، متزوي، إسماعيليان، إيران، (د.ت)، ج ٦، ص ٤٥، ص ٢٩٥. كمال الدين: هادي حمد (ت ١٩٧٠م)، فقهاء الفيحاء: مكتبة المعارف، بغداد، (١٩٦٢م)، ج ١، ص ٩٠-٩٣.

وهذا الكتاب يُسمَّى أيضاً بـ (المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد)^(١)، يقول: «وسمَّيته بـ (التعليق العراقي والمنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد)، فليذكروا بما شاءوا وأحبُّوا من الاسمين»^(٢)، وهو يُعدُّ من الكتب الكلامية المهمة والقيِّمة وفيه إثبات للعقائد الخمس مبسوط مشتمل على جزأين، وفيه تحقيقات ودلائل تدلُّ على فضل مؤلِّفه وطول باعه وسعة اطلاعه^(٣)، وإنَّها سمَّاه بالتعليق العراقي؛ لأنَّه صنَّفه بالحلة^(٤).

وحضر مجلس درس الحمصي - فضلاً عن الشيخ ورام الذي سمع أكثر كتبه - فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) المفسر، ومنتجب الدين ابن بابويه (ت ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م)، وتلمذ على يده أكابر علماء الحلِّيِّين، مثل ابن إدريس الحلِّيِّ (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م)^(٥).

ومن الحقيق بالذكر أنَّ جملة من علماء الحلة قد سألوا سديد الدين الحمصيّ عدداً من الأسئلة وأجاب عنها^(٦)، وأفادوا منه كثيراً بعد أن حقَّوه برعايتهم، وصرح بهذا الاحتفاء والتَّكريم الذي ناله من لدن علماء الحلة، والمكوث، والإقامة في الحلة، وإنَّه على الرغم من التماس الأعذار في التحنُّن للأهل والأوطان إلاَّ أنَّهم ألحُّوا عليه في الإقامة، قال: «أدخلوني الحلة عمَّرها الله ببقائهم بإعزاز (١) الخوانساري، محمَّد باقر الموسوي (ت ١٣١٣ هـ)، روضات الجنات: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، (١٤٣١ هـ)، ج ٧، ص ١٥٩.

(٢) أعيان الشيعة: لمحسن أمين العاملي، ج ٤، ص ٤٨.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ج ١٠، ص ١٠٦.

(٤) ينظر: صدر الدِّين: السيّد حسن هادي (ت ١٣٥٤ هـ)، تأسيس الحلة لعلوم الإسلام، مطبعة

ذوي القربى، قم المقدسة، (١٣٩١ ش)، ص ٣١٣.

(٥) ينظر: أعيان الشيعة: لمحسن أمين العاملي، ج ٢، ص ٢٧١.

(٦) ينظر: فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم: لابن طاووس، ص ٧٤.

وإكرام وإجلال وإنعام وأنزلوني أشرف منازلهم وأطيبها وأفسحها وأرحبها وأكرموا مثواي ولقوني بكلّ جميل واستأنست بهم، واستأنسوا بي... ثمّ بعد الاستئناس أظهروا ما أضمروه من الالتماس المشتمل على إقامتي عندهم أشهراً، فشقّ عليّ واستعفيت واعتذرت بالتّحنن إلى الأهل والوطن وتعطل أموري هناك بتأخري ومقامي في السفر فما زادهم استعفائي إلّا استدعاءً واعتذاراً إلّا إصراراً على الإلحاح والمبالغة فيما التمسوه فاستحييت، ولزمتني إجابتهم وآثرت مرادهم على متمنّاي وعزمت على الإقامة»^(١).

وكان ورّام شديد التأثير بـ(سديد الدين الحِمَصي) ودلالة ذلك أنّه كان يرجّحه على غيره من العلماء، قال رضيّ الدين ابن طاووس: «وكان جدّي ورّام - قدّس الله روحه ونور ضريحه - يرجّحه على غيره من العلماء، ويفضل تصنيفه على من لا يجري مجراه من الفضلاء»^(٢).

توفي ﷺ في الحلّة سنة (٦٠٥هـ / ١٢٠٨م) وقبره معروف، ويقع بيت الشيخ ورّام في وسط الحلّة بمحلّة (التّعيس)، وأصبح بعد ذلك قبراً للشيخ ﷺ وهو مشهور لدى الحلّيين^(٣).

(١) أعيان الشيعة: لمحسن أمين العاملي، ج ١٠، ص ١٠٦.

(٢) ينظر: فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم: لابن طاووس، ص ٨٠.

(٣) ينظر ترجمته: الكامل في التاريخ: لابن الأثير، ج ١٢، ص ٢٨٢. لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني، ج ٦، ص ٢١٨. ابن طاووس: علي بن موسى الحسني الحلّي (٦٦٤هـ)، التّشريف بالمنن في التعريف بالفتن في ظهور الغائب المنتظر ﷺ، نشر كلبهار أصفهان، (١٤١٦هـ)، ص ١٥. الحرّ العاملي: محمّد بن الحسن بن علي (ت ١١٠٤هـ)، أمل الآمل، مكتبة الأندلس، بغداد، (١٣٨٥هـ)، ج ٢، ص ٣٣٨. الخفاجي: د. ثامر كاظم (معاصر)، من مشاهير أعلام الحلّة الفيحاء، مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدّسة، (١٤٢٨هـ)، ٢٧٧ رقم ١٥٤. المراقد والمقامات البهية في الحلّة السيفية، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدّسة، (١٤٣٤هـ):

٢- بيت الشيخ عميد الرؤساء هبة الله بن حامد بن أيوب (ت ٦١٠هـ-١٢١٣م)^(١).

عَدَّ هبة الله الملقَّب بـ(عميد الرؤساء) شيخاً ومتصدر بلده، مما يدلُّ على سموِّ علمه والمكانة التي يتمتَّع بها، إذ كان مرجعاً لأهل الحلة في الأدب، ولأجل ذلك كان منزله مقصد طُلاب العلم، قال المجلسي: «أقول: قد وجدت في نسخة قديمة من الصحيفة الكاملة بخطَّ الشيخ حُسين بن حسن بن حُسين بن مُحَمَّد القصياني وكان تاريخ كتابتها سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ما هذه صورته: صورة ما على الأصل: وعليها أعني النسخة التي بخطَّ ابن السكون خط عميد الرؤساء قراءة: صورتها قرأها على السيِّد الأجل النقيب الأوحد العالم جلال الدين عماد الإسلام أبي جعفر القاسم بن الحسن بن مُحَمَّد بن الحسن بن معيَّة - أدام الله علوه - قراءة صحيحة مهذبة ورويتها له عن السيِّد بهاء الشرف أبي الحسن مُحَمَّد بن الحسن بن أحمد عن رجاله المسمَّين في باطن تلك الورقة وأبحثه روايتها عني حسب ما وقفته له وحددته له، وكتب هبة الله بن حامد بن أحمد ابن أيوب بن علي بن أيوب في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستمائة والحمد لله

١٠٤ رقم ٨٤.

(١) الشيخ الأجل عميد الرؤساء هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب الحليُّ اللغوي الإمام الفقيه الفاضل الحافل الأديب الكامل الإمامي المعروف بـ(عميد الرؤساء) يكنى بأبي منصور، صاحب كتاب الكعب والمنقول، قال ابن الفوطي: «نحوي لغوي شاعر، شيخ وقته، ومتصدر بلده قرأ علوم اللغة، أخذ عنه أهل تلك البلاد الأدب، له نظم ونثر، وكان يلقَّب بوجه الدويبة». ينظر ترجمته: مجمع الآداب في معجم الألقاب: ص ٩٦٦، الصفدي، صلاح الدين، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ) الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (١٤٢٠هـ)، ج ١٢، ص ٢٠٣. أعيان الشيعة: ج ٩، ص ٨٣. النوري: حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، خاتمة المستدرک، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، مطبعة مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث - قم المقدسة، (١٤١٦هـ)، ج ٣، ص ٤٨.

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وصلواته وتسليمه على رسوله سيِّدنا مُحَمَّدٍ المصطفى وعلى آلِه الغر الميامين»^(١).

٣- بيت الشيخ نجيب الدين مُحَمَّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نَمَ بن علي الربيعي الحليّ (ت ٥٦٤٥/١٢٤٧م)^(٢).

قام الشيخ قَدَسُ في سنة ست وثلاثين وستمائة بتعمير بيوت الدرس في الحلّة، وأسكنها جماعة من الفقهاء^(٣)، وإنَّ الكثير من الأعلام قد تلقى علومه في هذا المكان الذي يعد من مراكز العلم في الحلّة والذي يعرف سابقاً بالجامعين، فقد قرأ بها المحدث أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي السروي المعروف بابن شهر آشوب سنة (٥٦٧هـ / ١١٧١م)^(٤).

(١) المجلسي: مُحَمَّد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: يحيى العابدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، (١٤٠٣هـ)، ج ٢٧، ص ١٠٤.

(٢) مُحَمَّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نَمَ بن عليّ الرّبيعيّ، شيخ الإمامية نجيب الدين أبو إبراهيم الحليّ، يُعرف بـ (ابن نَمَ) ولد نجيب الدين بعد سنة (٥٦٥هـ) بيسير، كان من جَلّة العلماء، فقيهاً، مفتياً، ذا اعتناء بالعلم وأهله، وصنّف كتباً، وتوفي رحمه الله بالحلّة سنة (٦٤٥هـ)، وحُمل إلى مشهد الإمام الحسين الشهيد عليه السلام بكربلاء المقدسة فدفن فيه، وكان يوم وفاته يوماً عظيماً، رثاه الناس. ينظر ترجمته: الأفندي: عبد الله الأصبهاني (ت ١١٣٠هـ)، رياض العلماء وحياض الفضلاء، مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة، (١٤٠٣هـ)، ج ٥، ص ٤٩. أعيان الشيعة: لمحسن أمين العاملي، ج ٩، ص ٢٠٣. القمي: عباس مُحَمَّد رضا (ت ١٣٥٩هـ)، الكنى والألقاب، مطبعة الصدر، طهران، (د.ت)، ج ١، ص ٤٤١. طبقات أعلام الشيعة: لأغا بزرك الطهراني، ج ٣، ص ١٥٤. من مشاهير أعلام الحلّة: لثامر الخفاجي، ١٩٢ رقم ١١٠.

(٣) ينظر: أعيان الشيعة: لمحسن أمين العاملي، ج ٩، ص ٢٠٣. السبحاني: جعفر (معاصر)، موسوعة طبقات الفقهاء، تحقيق: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، (١٤١٩هـ)، ج ٧، ص ٢١٤.

(٤) ينظر: روضات الجنات: للخوانساري، ج ٣، ص ٣٠. د. الحكيم: حسن عيسى (معاصر)،

قال العلامة المجلسي رحمته الله: «وعندي بخط الشيخ شمس الدين محمد بن صالح إجازة للشيخ الفاضل نجم الدين طومان بن أحمد العاملي وذكر فيها أنه يروي عن السيد فخار والشيخ نجيب الدين ابن نما وجماعة آخرين، وقال عند ذكره للرواية عن السيد فخار أنه قرأ عليه في سنة ثلاثين وستمائة بداره بالحلة»^(١).

ويذكر أن عدد من الطلاب روى الحديث عن الشيخ نجيب الدين في داره منهم: الشيخ محمد بن جعفر المشهدي صاحب كتاب (المزار)، وولده الشيخ الفقيه جعفر وحفيده نجيب الدين محمد بن جعفر، وحفيده الآخر نجم الملة جعفر بن نجيب الدين وأحمد بن محمد بن هبة الله وغيرهم^(٢).

يقع هذا البيت في محلة المهديّة بالقرب من بيت السيد أحمد بن طاووس والشيخ المحقق الحليّ وهو اليوم مدرسة مشهورة ومرقد للشيخ رحمته الله^(٣).

٤- بيت السيد علي بن طاووس قدس سره (ت ٦٦٤هـ / ١٢٥٦م)^(٤).

قال السيد الأمين العاملي: «وأما سائر كتبه فقد جاء في (مجموعة الشهيد)

مدرسة الحلة العلمية، المكتبة الحيدرية، مطبعة شريعت، إيران، (١٣٤١هـ)، ص ١٩.

(١) بحار الأنوار، للمجلسي: ج ١٠٦، ص ١٧.

(٢) ينظر: رياض العلماء، للميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني: ج ٥، ص ٣١٦.

(٣) ينظر: المراقد والمقامات البهية في الحلة السيفية، لثامر الخفاجي: ١٠٣ رقم ٨٣.

(٤) هو الشريف الطاهر جمال السالكين نقيب الطالبين السيد رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رحمته الله الطاووس العلوي الحسيني الحليّ، ولد في يوم الخميس منتصف محرم الحرام سنة (٥٨٩هـ) في أسرة من الأسر العلمية الشريفة التي قطنت الحلة الفيحاء، ولُقّب جدّهم محمد بـ (الطاووس) لحسن وجهه وجماله، ظهر منهم نوابغ عظام كانوا مفخرة للأجيال من بعدهم، ولهم مراكز علمية في أيامهم

أنّه جرى ملكه في سنة تأليفه (الإقبال)، وهي سنة (٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) على ألف وخمسمئة كتاب، والله أعلم بما زيد عليها من هذا التاريخ إلى وفاته في سنة (٦٦٤هـ / ١٢٦٥م)، وهذا النيف والسبعون مجلداً من كتب الدّعوات التي عنده كلّها كانت من كتب المتقدمين على الشيخ الطوسي الذي تُوفي سنة (٤٦٠هـ)؛ لأنّ الشيخ منتجب الدين بن بابويه القميّ جمع تراجم المتأخّرين عن الشيخ الطوسي إلى ما يقرب من مئة وخمسين سنة وذكر تصانيفهم، ولا نجد في تصانيفهم من كتب الدّعاء إلّا قليلاً^(١).

وكتب كتاب (الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة واحدة في كلّ سنة) تأليف: رضي الدين عليّ بن طاووس الحليّ، كتبه في بيته هذا وأتمّه يوم الاثنين الثالث عشر من جمادى الأولى سنة (٦٥٠هـ / ١٢٥١م)، وأضاف إليه بعض الإضافات بعد هذا التاريخ^(٢).

ونسخت نسخة من كتاب (فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين ربّ الأرباب) كتاب في الدّعاء، لرضي الدين عليّ بن طاووس يقول: في يوم الثلاثاء

نفعوا بها الناس، توفي ﷺ في الخامس من شهر رمضان سنة (٦٤٤هـ)، وينظر ترجمته في: الحوادث الجامعة، لابن الفوطي: ص ٣٥٠. أمل الآمل، للحر العاملي: ج ٢، ص ٢٠٥. الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمي: ج ١، ص ٣٣٩. البغدادي: إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، مكتبة المثنى، بيروت (د.ت)، ج ١، ص ٧٦. الخوئي: أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١٣هـ)، معجم رجال الحديث، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط ٥، (١٤١٣هـ)، ج ١٢، ص ٢٠٦ رقم ٨٥٣٤، من مشاهير أعلام الحلة: ١٥٣ رقم ٨٤.

- (١) أعيان الشيعة لمحسن أمين العاملي: ج ٩، ص ١٦٥.
- (٢) ينظر: الخفاجي: د. ثامر كاظم، (معاصر) معجم المخطوطات الحليّة، دار الكفيل للطباعة، كربلاء المقدسة، (١٤٣٦هـ)، ج ١، ص ١٢١.

٢٤ رجب سنة (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م)، يوم فتح الله أبواب النصر في حرب البصرة على علي عليه السلام، وأتمّه في يوم الأحد الخامس من جمادى الأولى سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) نسخها في بيته أحد أحفاده المسمّى: علي بن سعد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد بن محمّد الطاووس سنة (٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م)، توجد نسخ منه في مكتبة الأستانة الرضوية في مشهد المقدّسة برقم (١٧٥٧)^(١).

وكتب السيّد ابن طاووس كتابه (كشف المحجة لثمره المهجة) كتاب في الأخلاق كتبه في هذا البيت سنة (٦٤٩هـ/ ١٢٥١) وقد بلغ قدس من العمر إحدى وستين سنة، وأتمّه يوم الاثنين الثالث عشر من جمادى الأولى سنة (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م)، نسخة بخط الناسخ: الشيخ محمّد بن شمس الدين يحيى بن الجويني الحنفي، (محت بعض كلماتها وكتبنا مكانها ما وضعناه بين المعقوفات)، نسخها يوم الجمعة الثاني عشر من شوال سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧) بالحلة، توجد منه نسخة في مكتبة السيّد المرعشي في قم المقدّسة برقم (٤٠٩٦)^(٢).

وكتب السيد ابن طاووس كتابه (مهج الدعوات ومنهج العناية) كتاب في الدعاء، ألفه السيّد يوم الجمعة ٧ جمادى الأوّل سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣)، ونسخه تلميذه الشيخ حسين بن عمار البصريّ الحليّ يوم السابع من جمادى الآخر سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م) في دار السيّد ابن طاووس، نسخته في مكتبة المشكاة في إيران برقم (٢٠٠٤)^(٣).

(١) ينظر: الطهراني، محمّد محسن بن علي (ت ١٣٨٩هـ)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط ٣، (١٤٠٣هـ)، ج ١٦، ص ١٠٣. ومعجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ٤٩٧.

(٢) ينظر: معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ٢، ص ٧١.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٩٢.

يقع هذا البيت بالقرب أو مجاور إلى محلة الجامعين أو هو امتداد من محلة الجامعين إلى قبر ولده السيّد علي والمعروف اليوم بمحلة الشاوي إذ الكثير من قبور العلماء كقبر عبد الكريم بن أحمد بن طاووس وقبر علي بن حماد النحوي والخليعي وغيرهم من العلماء^(١).

٥- بيت السيّد أحمد بن طاووس قدس سرّه (٦٧٣هـ/ ١٢٧٤) ^(٢)؛

كان في بيت السيّد أحمد الكثير من الأعلام الذين تلقوا علومهم في هذا البيت العلوي الشهير، فقد كتبت ونسخت الكثير من كتبه (نثرية)، منها: كتاب (بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية) للسيّد والتي نسخها تلميذه تقي الدين حسن بن علي بن داود الحليّ صاحب كتاب الرجال المشهور، في شهر شوال سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦)، توجد نسخة منها في مكتبة وزارة الأوقاف في بغداد برقم (٦٧٧٧)، وتوجد في مكتبة المشكاة برقم (١٣٧٥) نسخة نسخت على الأصل نسخة نسخت على الأصل التي هي بخط (الحسن ابن داود) تلميذ المصنّف^(٣).

(١) ينظر: المراقد والمقامات البهية في الحلة السيفية، لثامي الخفاجي: ٤٦ رقم ٢٧.
(٢) السيّد جمال الدين أحمد بن طاووس أخ السيّد علي، يكنى بأبي الفضائل، عالم مجتهد واسع الاطلاع، كان إماماً في الفقه والأصول والأدب والرجال والدراية والتفسير، له مؤلفات كثيرة بلغت أكثر من سبعين مؤلف، توفي رحمته الله بالحلة سنة (٦٧٣هـ) وقبره فيها مشهور بمحلة تسمّى باسمه (أبو الفضائل). ينظر ترجمته: الحوادث الجامعة: ص ٥١٩. ابن داود: الحسن الحليّ (ت ٧٤٠هـ)، الرجال، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف (١٩٧٢م)، ص ٢، أمل الآمل، للحر العاملي: ج ٢، ص ٢٩. إيضاح المكنون، لإسماعيل باشا البغدادي: ج ١، ص ١٨٤. الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمي: ج ١، ص ٣٤٠. أعيان الشيعة، لمحسن أمين العاملي: ج ٣، ص ١٨٩ رقم ٥٤٢. من مشاهير أعلام الحلة، لثامر الخفاجي: ١٨ رقم ٤.
(٣) ينظر: معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ١٩٦-١٩٧.

وكتب كتاب (فرحة الغري بصرحة الغري)^(١) تأليف: غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاووس (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م - ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م)، في بيت أبيه السيّد أحمد، ونسخت نسخة من هذا الكتاب في نفس هذا البيت بخط تلميذه حسين بن علي الحلّي سنة (٦٨٨هـ / ١٢٨٩م) توجد منه نسخة في مكتبة السيّد المرعشي في قم المقدسة برقم (١٤٢٨م)^(٢).

وذكر ابن الفوطي بيته قائلاً: «أنّه مجمع الأئمة والأشراف»^(٣)، وممن حضر الدرس عنده في منزله وقرأ عليه الشيخ كمال الدين علي بن الحسين بن حماد الليثي الواسطي، وكتب له السيّد غياث الدين إجازة شاملة بكلّ ما قرأه عليه وقال فيها: «وليروعني ما أجازه لي والدي وعمّي رضي الدين علي بن موسى ابن طاووس - رضي الله عنهما - من مروياتهما ومصنفاتهما وخطبهما ونثرهما وكلّ ما تصحّ روايتهما لي»^(٤).

يقع هذه البيت في محلة تعرف بمحلة (أبو الفضائل) سميت باسمه تبركاً بالسيّد أحمد وكانت سابقاً تسمّى بمحلة المهدية والتي فيها الكثير من قبور العلماء الحلّيين ومنهم السيّد نظام الدين الأعرجي والشيخ الشفهيّ وغيرهم^(٥).

(١) كتاب تاريخي قمنا بتحقيقه بعد أن أهدى لنا السيّد محمود المرعشي نسخة أصلية بخط المؤلّف السيّد عبد الكريم بن طاووس رحمته الله، وطبع في مكتبة السيّد المرعشي في قم المقدسة سنة (١٤٣٣هـ).

(٢) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ٥٠٨.

(٣) مجمع الآداب، لابن الفوطي: ج ١، ص ١١٥ - ٢٢٥.

(٤) ينظر: أمل الأمل، للحر العاملي: ج ٢، ص ١٥٨.

(٥) ينظر: المراقد والمقامات البهية في الحلة السيفية، لثامر الخفاجي: ٤٢ رقم ٢٣.

٦- بيت الشيخ محمد بن معية (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) ^(١):

كان بيته ممن يقصده طلبة العلم، فقد قرأ عليه في بيته الشهيد الأول محمد بن مكي (ت ٧٨٦هـ - ١٣٨٤م) يوم السبت الحادي عشر من شوال سنة (٧٥٦هـ / ١٣٥٥) كتاب (الروضة) الذي يتناول مواعظ النبي ﷺ وبنهاية قراءة هذا الكتاب كتبت له إجازة شاملة بكل ما قرأه عليه وسمعه منه جاء فيها: سمع هذه الأحاديث من لفظي مولانا الشيخ... محمد بن مكي... وأجزت له روايتها بالسند المتقدم وغيره من طريقي إلى المشايخ الأجلة الذين رووها وكذا أجزت له رواية جميع ما تصح روايته من سماعاتي وقراءاتي ومستجازاتي ومناولاتي ومصنفاتي وما قلته وجمعتة ونظمتة ونثرته وأجيز لي ^(٢)، وقرأ عليه الحديث مرة أخرى في داره بالجامعين في الحلقة في السادس من شعبان سنة (٧٥٤هـ - ١٣٥٤م)، ومن قرأ عليه في منزله ولازمه فيها مدة طويلة النسابة

(١) السيد تاج الدين أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر القاسم بن الحسين بن محمد بن الحسن بن معية الحسيني الديباجي الحلبي، عالم فاضل جليل القدر، شاعر أديب، نسابة انتهى إليه علم النسب في زمانه، وكان أعجوبة الزمان في جميع الفضائل والمآثر، له كتب، منها: كتاب (الابتهاج في الحساب)، وكتاب (أخبار الأمم)، وكتاب (الثمرة الظاهرة من الشجرة الطاهرة)، و(سبك الذهب في شبك النسب)، و(الفلك المشحون في أنساب القبائل والبطون)، و(معرفة الرجال)، و(منهاج العمال)، و(نهاية الطالب في نسب أبي طالب)، وغيرها من الكتب، توفي ﷺ في ربيع الأول سنة (٧٧٦هـ) في الحلقة وحملت جنازته إلى مشهد أمير المؤمنين ﷺ في النجف الأشرف. وينظر ترجمته: أمل الآمل، للحر العاملي: ج ٢، ص ٢٩٤ رقم ٨٨٧. أعيان الشيعة، لمحسن أمين العاملي: ج ١٠، ص ٣٩ رقم ١١١٠. الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمي: ج ١، ص ٤١٥. هدية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي: ج ٢، ص ١٦٦. معجم المؤلفين، لعمر كحالة: ج ١١، ص ١٣٨. معجم رجال الحديث، لأبي القاسم الخوئي: ج ١٧، ص ١٨١ رقم ١١٦٠٦. من مشاهير أعلام الحلقة، لثامر الخفاجي: ٢٠٣ رقم ١٣٠. (٢) ينظر: بحار الأنوار، للمجلسي: ج ١٠٤، ص ١٨٣.

جمال الدين بن عنبه (ت ٨٢٨هـ)، فقد ذكر أنه لازم أستاذه في منزله لمدة اثني عشر عاماً قرأ عليه في تلك المدة الكثير من العلوم^(١).

٧- بيت الشيخ مفلح بن حسن الصيمري (ت ٩٠٠هـ - ١٤٩٤م)^(٢) :

كان بيت الشيخ مفلح بكباقي البيوت العلمية الحليّة مرتعاً لطلاب العلم والمعرفة، فقد ذكر أن الشيخ مفلح ألّف كتابه (جواهر العقود) وهو كتاب في الفقه، ألّفه في داره بالجامعين في الحلة السيفية في العاشر من جمادى الآخرة سنة (٨٧٠هـ / ١٤٦٥م)، ونسخه عباد الدين بن عبد السميع بن فياض الأسدي يوم الاثنين التاسع عشر من ذي الحجة سنة (٩١٧هـ / ١٥١١م) توجد منها نسخة في مكتبة مجلس الشورى في طهران برقم (٨٩٤٠)، ونسخة أخرى نسخت في هذا البيت نسخها إسماعيل بن محمّد بن صالح الصيمري يوم الجمعة التاسع من شعبان سنة (٩٢٤هـ / ١٥١٨م) توجد منه نسخة في مركز إحياء التراث في قم برقم (إحياء التراث ١٦٦٦م)، وتوجد نسخة أخرى نسخها في داره (١) ينظر: عمدة الطالب، لابن عنبه: ص ١٦٥، ص ٢٠٦. الذريعة، لأغا بزرك الطهراني: ج ١٥، ص ٣٣٨.

(٢) مفلح بن الحسن بن رشيد (راشد) بن صلاح الصيمري البحراني الحليّ، أحد أعيان الإمامية، وكان أديباً، شاعراً، وبرع في الفقه، تتلمذ على الفقيه الكبير ابن فهد الحليّ (ت ٨٤١هـ)، أخذ عنه ابنه الفقيه الحسين بن مفلح (ت ٩٣٣هـ)، وصنّف فيه وأجاد، واشتهرت فتاويه، ودوّنت في كتب الفقهاء ك (الجواهر، والمقاييس)، و (مفتاح الكرامة)، وغيرها، توفي في حدود سنة ثمانين وثمانمائة أو تسعمائة هجرية. ينظر ترجمته: أمل الآمل، للحر العاملي: ج ٢، ص ٣٢٤ رقم ١٠٠١. رياض العلماء، للميرزا عبد الله أفندي: ج ٥، ص ٢١٥. روضات الجنات، للخوانساري: ج ٧، ص ١٦٧ رقم ٦٢١. المامقاني: عبد الله (ت ١٣٥١هـ)، تنقيح المقال: المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف، (١٣٥٠هـ)، ج ٣، ص ٢٤٤ رقم ١٢٠٩٢. أعيان الشيعة، لمحسن أمين العاملي: ج ١٠، ص ١٣٣. طبقات أعلام الشيعة، لأغا بزرك الطهراني: ج ٤، ص ١٣٧.

بالجامعين في الحلة السيفية في مكتبة إمام العصر بشيراز برقم (٣٥٢)^(١).

ألف الشيخ مفلح الصيمري الحلّي في داره الواقع في محلة الجامعين كتابه (كشف الالتباس عن موجز أبي العباس) وهو كتاب فقهي، ألفه في أواخر القرن التاسع الهجري، توجد منه نسخ خطية من القرن العاشر في مكتبي مجلس الشورى في طهران برقم (٣٩٧٣)، والنسخة الأخرى في مكتبة الطبائبي في شيراز برقم (١٤٣) في يوم الثلاثاء الثاني من رمضان سنة (٩٥١هـ)^(٢).

وألف الشيخ الصيمري كتاب (نكاح المتعة) وهو كتاب في الفقه الإمامي في هذه المدرسة وهي مدرسة أبيه الشيخ مفلح ألفه وانتهى منه في الحادي عشر من شهر جمادى الثاني سنة (٩٠٨هـ) ونسخته موجودة في مكتبة ملك في طهران برقم (٢١٤٧)^(٣).

وكتبت نسخة من كتاب (إلزام النواصب) في علم الكلام، تأليف: الصيمري، نسخها: سيف الليثي الحلّي، سنة (٩٧٧هـ / ١٥٦٩)، توجد نسخة مكتبة الأستانة الرضوية برقم (٣٣٩)^(٤).

وكتبت نسخة من كتاب (نيات العبادات وصيغ العقود والإيقاعات) وهو كتاب في الفقه الإمامي من تأليف الشيخ حسين بن مفلح الصيمري في هذه المدرسة سنة (٩٣٣هـ)، توجد هذه النسخة في مكتبة الشورى في طهران برقم (١٠٠٧٠)، ونسخة أخرى باسم الناسخ السيّد حسين بن علي بن محمد

(١) ينظر: معجم المخطوطات الحلية، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ٢٨٨.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٦٣.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٨٢.

(٤) المصدر السابق: ج ١، ص ١٢٥.

الحسيني الحلّي يوم الجمعة السابع عشر من رجب سنة (٩٨٩هـ) توجد في مكتبة مدرسة صدر بازار في أصفهان برقم (٢٥٢)^(١).

يقع هذا البيت في محلة الجامعين، وهي المحلة المشهورة والتي عرفت بها الحلة السيفيّة وتعد من المحلات الأولى في الحلة^(٢).

٨- بيت الشيخ عبد السميع الفياض^(٣) :

وهو بيت كتبت فيه عدّة كتب، ونسخت فيه عدّة نسخ خطيّة يقع في الجامعين، ولكننا لم نجد له أثراً له إلا من خلال إشارات عابرة في الكتب والمخطوطات التي كتبت فيه، فقد كتب كتاب: (تذكرة الفقهاء في تلخيص فتوى العلماء) للعلامة الحلّي، يوم الاثنين ثامن ربيع الأوّل بالحلة سنة (٩٠٥هـ- ١٤٩٩م) بالحلة في بيت الشيخ من مباحث الإجارة إلى السكنى والعمرى، نسخها: حامي بن بدر بن بركة الأسدي، توجد هذه نسخة في مكتبة السيّد المرعشي برقم (١٦١١)^(٤).

(١) المصدر السابق: ج٢، ص ٥٢٥.

(٢) ينظر: المراقد والمقامات البهيّة في الحلة السيفيّة، لثامر الخفاجي: ص ١١١.

(٣) ابن محمّد الأسدي الحلّي، أحد كبار علماء الإمامية، كان فقيهاً، فاضلاً، عالماً، متكلماً، جليلاً، اعتنى بالفقه، كان متبحراً في الفقه جيّد التحرير ودأب، وحصل، حتى برع، وصنّف فيه وفي علم الكلام كتباً، لم نظفر بوفاته، لكنه كتب نسخة من (التنقيح الرائع) للمقداد في سنة (٩١٨هـ)، فاعله توفيّ بعد ذلك بقليل؛ لأنّه كان قد فرغ من كتابه نسخة من (إيضاح الفوائد) لفخر المحققين في سنة (٨٧٦هـ). ينظر ترجمته في: رياض العلماء، للميرزا عبد الله أفندي: ج ٣، ص ١٢١. أعيان الشيعة، لحسن أمين العاملي: ج ٨، ص ١٦. طبقات أعلام الشيعة، لأغا بزرك الطهراني: ج ٤، ص ٧٥. الذريعة، لأغا بزرك الطهراني: ج ١، ص ٢٠٢ رقم ١٠٥٤، وج ٣، ص ٤٤٨ رقم ١٦٣١.

(٤) ينظر: معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ٢٣١.

وكتبت نسخة من كتاب (التنقيح الرائع لمختصر الشرائع)، المجلد الأول والثاني، بيد ولده: عبد الله بن عبد السميع بن فياض الأسدي سنة (٩١٨هـ - ١٥١٢م) بالحلة في بيت الشيخ عبد السميع بن فياض الأسدي، وتوجد منه نسخة في مكتبة الأستانة الرضوية برقم (٢٢٧٢م).

ونسخت في هذا البيت نسخة من كتاب (كفاية الطالبين في ما يجب على المكلفين) وهو كتاب في الفقه الإمامي لجمال الدين أحمد بن متوج البحراني الحلّي (ت ٨٢٠هـ)، نسخها ولده عباد الدين ابن عبد السميع الحلّي سنة (٩١٧هـ)، توجد منه نسخة في مكتبة مجلس الشورى في طهران برقم (٨٩٤٠)^(١).

المبحث الثاني: نشأة المدارس في الحلة

اهتم الحليّون بإكرام العلم والعلماء، والمبالغة في الاهتمام في الفقهاء والإغداق عليهم، فقاموا ببناء وتعمير المدارس، لتكون هذه المدارس مركزاً للدرس وطلبة العلم، لكن لم تأخذ المدارس الحليّة عناية كاملة بدراستها وتحديد مواقعها بالضبط إلا أن هناك إشارات ضعيفة لمدارس عديدة نذكر منها حسب تسلسلها الزمني:

١ - مدرسة مقام صاحب الزمان عليه السلام:

كان للمراكز العلمية المحيطة بالحلة الدور الكبير والمشرف في النهوض بتلك النهضة العلمية، ويُعدّ مقام الإمام الحجة المنتظر عليه السلام من الأماكن الإسلامية المقدسة في النهوض الفكري لتلك المدينة، ومركزاً من مراكز العلم في الحلة،

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ٨٣.

يرجع تاريخ المقام إلى ما قبل تأسيس مدينة الحلة سنة (٤٩٥هـ / ١١٩٨م)، إذ كان مرتعاً للعلماء والفقهاء والأساطين وملاذاً للعام والخاص^(١).

إن كثيراً من الرحالة الذين زاروا مدينة الحلة وعرجوا إلى زيارة المشاهد الشريفة فيها قد زاروا مقام صاحب الزمان عليه السلام.

فقد ورد ابن بطوطة في زيارته للحلة سنة (٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) قائلاً: «وبمقربة من السوق الأعظم مسجد على بابهِ ستر حرير مسدول يسمونه مشهد صاحب الزمان عليه السلام»^(٢).

وذكر كركوش صاحب تاريخ الحلة قائلاً: «في سنة ٩٦١ هجرية أرسل سلطان مصر أمير قبطانيته (سيد علي رئيس) إلى العراق وذلك لإحضار السفن الموجودة في ميناء البصرة إلى مصر فزار مبعوث سلطان مصر هذا المقام (مقام صاحب الزمان عليه السلام) ومشهد الشمس»^(٣).

قال الخوانساري: «إن محمد بن نسا الحلي في سنة (٦٣٦هـ / ١٢٣٨م) أنشأ بيوت في الحلة إلى جانب المشهد المنسوب إلى صاحب الزمان وأسكنها جماعة من الفقهاء»^(٤).

وذكر السيد العاملي: «أن السيد نجم الدين أبا عبد الله، الحسين بن أردشير

(١) ينظر: الفوائد الرضوية، للشيخ عباس القمي: ص ٤٥٠.

(٢) ابن بطوطة: محمد بن عبد الله اللواتي (ت ٧٧٩هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (رحلة ابن بطوطة) تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٥هـ)، ج ١، ص ٢١٣٩.

(٣) تاريخ الحلة، للشيخ يوسف الحلي: ص ١١٥.

(٤) روضات الجنات، للخوانساري: ج ٣، ص ٣٠.

ابن محمد الطبري وهو من تلاميذ الشيخ نجيب الدين يحيى الهذلي الحلّي له نسخة من كتاب نهج البلاغة بخطّه في مدينة أصفهان تاريخ كتابتها في صفر سنة (٦٧٧هـ / ١٥٥٣م) بالحلّة في مقام صاحب الزّمان ﷺ وعليها خطُّ الشيخ نجيب الدّين المذكور وهو خطُّ جيد وصورة خطّه الشريف^(١).

يعد المقام الشريف من الأماكن المهمة التي قصده العلماء والتلاميذ في القرون الثلاثة السادس والسابع والثامن الهجري، وقد كتبت الكثير من الكتب لعلماء الحلّة ونسخ الكثير من هذه الكتب في مقام صاحب الزمان ﷺ.

إنّ أهم ما يرشدنا إلى تأريخ المدرسة في المقام الشريف هو مجموعة من المخطوطات التي كتبت في هذه المدرسة، فقد كتب في مدرسة المقام كتاب (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) تأليف: أبي القاسم جعفر بن حسن ابن يحيى الحلّي (٦٠٢-٦٧٦هـ)، ونسخة نسخها في نفس المقام محمد بن الحسين ابن علي بن القاسم الزيني في يوم العشرين من شهر شوال والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة (٦٩٩هـ / ١٢٩٩م)، من كتاب الطهارة إلى نهاية الديات، توجد منه نسخة في مكتبة الشورى في طهران برقم (٩٥٢٢)^(٢).

وكتب في هذه المدرسة كتاب (القواعد الجلية في شرح الرسالة الشمسية)

(١) أعيان الشيعة، لمحسن أمين العاملي: ج ٥، ص ٤٥١. قال الحسيني: «الحسين بن أردشير الطبري (ق ٧ - ق ٧) الحسين بن أردشير بن محمد بن الحسن الاندراوذي الطبري، نجم الدّين، أبو عبد الله، ونقل: كتب نسخة من كتاب (النهاية) للشيخ الطوسي وأتمها في يوم الثلاثاء ١٥ ربيع الأوّل سنة (٦٨١هـ)، وقرأ الكتاب على العلامة الحلّي فأجازه بإجازتين في ربيع الآخر وجمادى الآخرة من سنة (٦٨١هـ)، وقال في الإجازة الأولى: قرأ عليّ الشيخ العالم الفقيه الفاضل الكبير...». الحسيني: أحمد، (معاصر) تراجم الرجال، مكتبة المرعشي النجفي - قم المقدسة، (١٤١٤هـ)، ج ١، ص ١٦٧.

(٢) ينظر: معجم المخطوطات الجلية، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ٣٨٨.

وهو كتاب في المنطق للعلامة الحلي: الحسن بن المطهر رحمته الله (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م)، النسخة بخط العلامة الحلي بتاريخ ربيع الآخر سنة (٦٧٩هـ / ١٢٨٠م) توجد منه نسخة في مكتبة الأستانة الرضوية برقم (١١١٤م) ^(١).

وكتب كتاب: (إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان)، للعلامة الحلي، ألفها يوم الحادي عشر من شوال سنة (٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) توجد منه نسخة في النجف الأشرف بمكتبة أمير المؤمنين عليه السلام برقم (٩٨٩٧) ^(٢).

وتّم في هذه المدرسة نسخ كتاب (مختلف الشيعة في أحكام الشريعة) للعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) الذي فرغ منه في الرابع من جمادى الآخرة سنة (٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)، كما في مخطوطة المدرسة الباقرية، وفي نسخة في آخر الجزء الخامس منه فراغ المؤلف من هذا الجزء السادس من جمادى الآخرة سنة (٧٠٧هـ / ١٣٠٨م)، وفي مكتبة العلامة الطباطبائي فراغ المؤلف من تأليفه بكامله في الخامس عشر من ذي القعدة سنة (٧٠٨هـ / ١٣٠٨م)، وفي هذه المدرسة تمّ نسخ مخطوطة كتبها محمد بن أبي طالب الآبي تلميذ المصنّف سنة (٧٠٤هـ)، توجد منه نسخة في مكتبة البرلمان الإيراني السابق معروضة في معارضها، ذكرت في فهرسها ٩١ / ٤، ونسخة في مكتبة مجلس الشورى بنفس اسم الناسخ برقم (١٣١٧) ^(٣).

وهناك عدّة نسخ نسخها في هذه المدرسة المباركة تلميذ العلامة الحلي وشاح ابن محمد بن عيينة، منها في سنة (٧١٨هـ / ١٣١٨م) توجد منها نسخة في مؤسسة

(١) ينظر: معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ٢، ص ٥٤.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ٧٥.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢١٢. مكتبة العلامة الحلي: ص ١٧٤.

كاشف الغطاء في النجف الأشرف برقم (٢٤٢١)، ونسخة نسخها يوم الجمعة الثاني من رجب سنة (٧٢٠هـ / ١٣٢٠م) تمّ مقابلتها على نسخة المؤلف في يوم الأحد السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة (٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، توجد منها نسخة في مكتبة السيّد المرعشي في قم المقدسة برقم (٤٤٣٤م) ونسخة في نفس المكتبة برقم (١٥٤٥م) يوم الثاني من رجب سنة (٧٢١هـ / ١٣٢١م)، ونسخة نسخت في السادس من ربيع الأوّل سنة (٧٢٤هـ)، توجد منها: نسخة في مكتبة الأستانة الرضوية في مشهد المقدسة برقم (٤٥٩١٧م)، ونسخة أخرى نسخها الناسخ نفسه في هذه المدرسة في السادس من شوال سنة (٧٢٤هـ / ١٣٢٣م) توجد منها نسخة في مكتبة الأستانة الرضوية برقم (٢٥٦٣م)^(١).

وفي هذه المدرسة تمّ تأليف كتاب (تبصرة المتعلّمين في أحكام الدين) للعلامة الحليّ (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) في مدرسة الحلة في ليلة الثلاثاء يوم الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة (٧١٩هـ / ١٣١٩م)، توجد منه نسخة خطيّة بخط المؤلف في مكتبة القائيني في مدينة قائن الإيرانية برقم (١٩١)، ونسخة خطيّة نسخت في نفس المكان يوم العاشر من شوال سنة (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) توجد نسخة منه في مكتبة الأستانة الرضوية برقم (١٣٨٥٤م)^(٢).

ونسخة نسخت بخط جيد كتبها لنفسه السيّد نظام الدين محمّد... بن علي بن الحسن وفرغ منها في بغداد في الثاني عشر من شعبان سنة (٧٥٧هـ / ١٣٥٦م) -، قرأها على أستاذه فخر المحققين محمّد في الرابع من ذي الحجة سنة (٧٥٧هـ / ١٣٥٦م) في الحلة، وكذلك قابلها مرّة أخرى بخط المصنّف وصححها

(١) ينظر: معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ٢، ص ٢١٣.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ١٩٨.

عليه، وكتب في آخرها بخط فخر المحققين إنهاء أيده الله قراءة وبحثاً وفهماً وضبطاً، وكتب محمد بن الحسن بن المطهر في رابع عشر ذي الحجة سنة (٧٥٧هـ/١٣٥٦م)، وعليها تعليقات فخر المحققين، وفي طرفيها أوراق مملوءة فوائد فقهية وأصولية وحديثية وأدبية وتاريخ بعضها من إملاء فخر المحققين، كما أن منها أشعار لطيفة منها من إملاء السيد العالم الفاضل الزاهد العابد... أمير حسن ابن الإمام العلامة نصرة الدين إسماعيل الرازي، وعليها تملك عبد الوحيد بن نعمت الله الجيلاني في لاهور سنة (١٠٤٨هـ/١٦٣٨م)، وتملك محمد بن يوسف الأعسم الكردي، توجد منه نسخة في النجف الأشرف بمكتبة أمير المؤمنين (ع) برقم (١٨٥)^(١).

وهناك مخطوط آخر للعلامة الحلي (رحمه الله) كتب في المقام الشريف سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، وهو كتاب (تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية)، ذكره الشيخ الطهراني قائلاً: «كتاب (تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية)، في تمام الفقه لآية الله العلامة الحلي، لكنه استوعبه الفروع والجزئيات حتى أحصيت مسأله فبلغت أربعين ألف مسألة رتبها على ترتيب الفقه في أربع قواعد للعبادات والمعاملات والإيقاعات والأحكام، باديه بمقدمة ذات مباحث في الفقه وفضله وآدابه ومعرفته وعدم كتمانها، أوله: الحمد لله المتقدس بكمالها عن مشابهة المخلوقات المنتزعه بعلوه عن مشاركة الممكنات، طبع بإيران سنة (١٣١٤هـ) ويأتي الشين شرح في الخزانة الرضوية عدة نسخ منها: بخطوط العلماء وإجازات المشايخ لهم كما في فهرسها المطبوع، ونسخة المؤلف التي عليها إجازته بخطه لتلميذه الكاتب للنسخة التي رأيتها في مكتبة

(١) معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ٧٥.

المولى المعاصر الشيخ الحاج ميرزا أبي الفضل الطهراني، والكاتب المجاز هو: محمود بن محمد بن يار، هكذا صورة المکتوب في النسخة وفرغ من الكتابة وقت الصبح سادس رجب سنة (٧٢٣هـ) ثمَّ قابلها مع نسخة خط المصنّف، وحكي عن خطّه أنّ فراغه من التصنيف كان عاشر ربيع الأوّل سنة (٦٩٠هـ) ثمَّ قرأه بعد المقابلة على المصنّف فكتب إجازة مختصرة بخطّه له بجنب اسمه المکتوب، إنّها: أيّده الله تعالى قراءة وبحثاً وفهماً وضبطاً واستشراحاً وذلك في مجالس آخرها سادس عشر جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبعمئة، وكتب حسن بن يوسف بن المطهر الحليّ مصنف الكتاب حامداً مصلياً مستغفراً، وأقدم كتابه من هذه النسخة هو النصف من التحرير المکتوب سنة (٦٩٩هـ / ١٢٩١م)، الموجود في مكتبة شيخ الإسلام بزنجان كما في فهرسها^(١).

ونسخت في المدرسة أعلاه مخطوطة كتبها محمد بن علي الطبري تلميذ المصنّف وفرغ منها في الرابع والعشرين من صفر سنة (٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) ثمَّ قابلها وصححها على نسخة الأصل بخطّ المؤلّف، وهي في مكتبة السيّد المرعشي العامة في قم رقم ٣٨٥ ذكرت في فهرسها ١/ ٤٠٢^(٢).

وهناك مخطوطة كتبت في داخل المقام سنة (٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) كتبها محمد ابن محمد بن بدر في مقام صاحب الزمان عليه السلام وفرغ منها يوم الثلاثاء السادس من رجب سنة (٧٢٣هـ / ١٣٢٣م)، نسخة مصححة في آخر القاعدة الأولى منها كتب العلامة الحليّ إنهاءً في ٢٦ جمادى الآخرة سنة (٧٢٤هـ / ١٣٢٣م) القاعدة الأولى والثانية، والنسخة المخرّمة الأوّل والآخر، توجد هذه المخطوطة في مكتبة

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لأغا بزرك الطهراني: ج ٣، ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) مكتبة العلامة الحليّ: ص ٧٧.

السيد المرعشي قدس الله سرّه رقم (٦٧٣٢) وصفة فهرسها ١٧ / ٢٨٥^(١).

ونسخة أخرى مصحّحة عليها بلاغات بخطّ فخر المحققين ابن العلامة في
عاشر ذي القعدة سنة (٧٥٩هـ / ١٣٥٧م)، توجد في مكتبة (عبد العظيم برقم
٢٥٨)، ناسخها: أحمد بن حسن بن يحيى الفراهاني، يوم الجمعة ٢٣ ربيع الآخر
(٧٢١هـ / ١٣٢١م)، ملكه محمد بن يحيى ابن إبراهيم بن محمد بن الحسن بن
إبراهيم البابلي في يوم السبت خامس ذي القعدة سنة (٧٦٠هـ)، الجزء الأوّل
والثاني^(٢).

وفي المدرسة أعلاه كتب كتاب (منهاج الصلاح في اختيار المصباح) كتاب
في الدعاء للعلامة الحليّ (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م)، ونسخها في نفس المدرسة
تلميذ المصنّف الشيخ محمد بن علي الطبري يوم الخميس الثالث من شوال سنة
(٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، توجد في مكتبة مجلس الشورى برقم (١٢٣٦٢)^(٣).

وكتب في المقام نسخة من كتاب (الأسرار الخفية في العلوم العقلية) في
علم الكلام، تأليف: العلامة الحليّ، نسخة مشتملة على نقوش مغربية، نسخت
أواخر شوال سنة (٧٣٤هـ / ١٣٣٤م)، توجد منه نسخة في مكتبة إحياء التراث
في قم المقدسة برقم (١٧٩٧)^(٤).

(١) معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ٢٠٤. قال الطباطبائي: «مخطوطة كتبها
محمود بن محمد بن بدر الرازي الغزي، المجاور بالحرم الشريف الغروي، وفرغ منها يوم
الأربعاء ٢٤ شوال سنة (٧٣٧هـ)، وهي في مكتبة مدرسة الآخوند في همدان رقم ٤٥٩١،
وكلمة ثلاثين تصلح لأن تقرأ ثمانين». مكتبة العلامة الحليّ: ص ١٧٩.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ٢٠٤.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٤٨.

(٤) المصدر السابق: ج ١، ص ١١١.

ونسخت نسخة من كتاب (الباب الحادي عشر) للعلامة الحلي، في مدرسة صاحب الزمان عليه السلام في الحلقة، نسخها: أحمد بن حسين بن أبي القاسم ابن حسين العوادي الأسدي الحلي في الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة (٧٤١هـ / ١٣٤١م)، توجد منه نسخة في مركز إحياء التراث في قم المقدسة برقم (١٦٢٥م) ^(١).

وكتب نسخة من (أجوبة المسائل المهنية الأولى)، كتبها: العلامة الحلي، وهي مسائل في الفقه وأصوله وغيرها (١٨٤ مسألة) سألها مهنا بن سنان بن عبد الوهاب العبدلي الحسيني المدني، فأجاب عليها العلامة مختصراً فتوائياً وفي بعضها تفصيل واستدلال، قرأها السائل على العلامة بالحلة في سنة (٧١٧هـ / ١٣١٧م)، وجمعت بأمر عز الدين بن نور الدين علي بن أبي سعيد، ونسخها في نفس المكان: حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني الآملي سنة (٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، توجد منها نسخة في مكتبة المشكاة في إيران رقم (١٠٢٢م) ^(٢).

وكتب في هذا المقام كتاب (استقصاء البحث والنظر في مسائل القضاء والقدر) في علم الكلام للعلامة الحلي، نسخة منه بخط حيدر بن علي بن علي ابن حيدر الآملي العاملي تلميذ فخر المحققين محمد قرأها عليه وكتب له الإنهاء بخطه بتاريخ الثاني عشر من شهر رمضان المبارك سنة (٧٥٩هـ / ١٣٥٧م)، توجد منه نسخة في مكتبة المجلس النيابي في طهران برقم (٤٩٥٣) ^(٣).

(١) معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ١٨٩.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ١٠٧.

(٣) المصدر السابق.

ونسخة أخرى بخط عبد المطلب بن محمد بن عبد المطلب الحسيني الحلي
فرغ منها سنة (٧٩٧هـ) توجد منه نسخة في مكتبة ملك في طهران برقم
(٢٨١٣)^(١).

قال العاملي: «الشيخ محمد بن ناصر الدين الحداد العاملي له كتاب (الدرة
النضيدة في شرح الأبحاث المفيدة) للعلامة الحلي عنه نسخة مخطوطة في المكتبة
الرضوية مخرومة الآخر إلا أن الظاهر الذهاب منها قليل؛ لأن فيها قبل الآخر
بورقتين، وفيها على ظهر النسخة ما صورته كتاب (الدرة النضيدة في شرح
الأبحاث المفيدة) تصنيف الشيخ الفاضل الكامل أنموذج السلف بقيّة الخلف
عين أعيان الزمان وعزّ الملة والدين أبي محمد، حسن بن ناصر الدين إبراهيم
الحداد العاملي قدس ويحارب ذلك ما صورته: صورة ما كتبه المصنّف على نسخته
ابتدأت في تصنيف ثامن وعشرين شعبان وفرغت في أربع وعشرين رمضان،
فكان مجموع المدة ستة وعشرين يوماً وذلك في الحلة بمقام صاحب الزمان عجل
الله تعالى فرجه، ولم يذكر سنة كتابة تاريخ هذه النسخة»^(٢)، والشيخ الحسن بن
ناصر له كتاب طريق النجاة ينقل عنه الشيخ الكفعمي (ت ٩٠٥هـ / ١٤٩٩م)
كثيراً في تأليفاته^(٣)، وهو من تلامذة العلامة الحلي قدس، وفي متابعة من ترجم له

(١) ينظر: معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ١٠٧.

(٢) أعيان الشيعة، لمحسن أمين العاملي: ج ٩، ص ١٧٩. قال الخوانساري والحسيني: «عزّ الدين
حسن العاملي (٧ق - ٨ق) حسن بن ناصر بن إبراهيم الحداد العاملي، ونقول: قرأ بعض
عليه كتاب (قواعد الأحكام) للعلامة الحلي فكتب له إنهاء في الخامس من جمادى الآخرة
سنة ٧٢٥هـ». رياض العلماء، للميرزا عبد الله أفندي: ج ١، ص ٣٢٢ وص ٣٤٦. تراجم
الرجال، للسيد أحمد الحسيني: ج ١، ص ١٦٠.

(٣) ينظر: الذريعة، لأغا بزرك الطهراني: ج ١٥، ص ١٦٩.

تبين أنه كان حياً سنة (٧٣٩هـ / ١٣٥٧م) ^(١).

ومخطوطة كتبت في المقام المذكور كتبها علي بن محمد بن الحسين المزيدي الحلبي وافرغ منها في ١٥ صفر سنة (٧٥٩هـ / ١٣٥٧م)، وقوبلت بخط المصنف في سنة (٧٦٣هـ / ١٣٦١م)، وهي في جامعة طهران رقم (٦٦٩٩) ذكرت في فهرسها ١٦ / ٣٣٥ ^(٢).

وكتبت في المقام المذكور نسخة من قواعد الأحكام للعلامة الحلبي الجزء الأول، كتبها المؤلف نفسه على بعض تلاميذه في القرن السابع، وهي نسخة مصححة، في آخرها إجازة كتبها الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي، توجد منها نسخة في مكتبة كوه رشاد في مشهد المقدسة برقم (٣٨٧) ^(٣).

وتوجد منها نسخة كاملة من جزأين كتبها تلميذه أحمد بن محمد الحداد يوم الخميس السابع والعشرين من شهر رمضان سنة (٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) في نفس المكان، توجد منه نسخة في مكتبة الأستانة الرضوية برقم (٢٣٧٩٢)، ونسخة بخط جمال الدين محمد بن الحداد الحلبي في الثامن من شوال في سنة (٧٣٥هـ / ١٣٣٥م) توجد منه نسخة في مكتبة الشورى برقم (٦٠٣) ^(٤).

وكتبت في المكان نفسه نسخة أخرى في عصر العلامة الحلبي من أول الكتاب إلى الوصية، مصححة عليها تعاليق بعضها بخط فخر الدين محمد ابن العلامة

(١) ينظر: تراجم الرجال، للسيد أحمد الحسيني: ج ١، ص ١٦٣.

(٢) ينظر: مكتبة العلامة الحلبي: ص ١٧٧.

(٣) ينظر: معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ٢، ص ٧.

(٤) المصدر السابق: ج ٢، ص ٩.

الحلي، توجد منها نسخة في مكتبة السيّد المرعشي برقم (١٣١٠)^(١).

ونسخ كتاب (واجبات الصلاة وصفتها) للعلامة الحلي، من قبل أحد تلاميذ العلامة وهو أحمد بن محمّد الحداد البجلي الحلي في يوم السابع من ذي الحجة سنة (٧٤٦هـ / ١٣٤٥م) في مدرسة صاحب الزمان في الحلة، وتوجد هذه النسخة في مجلس الشورى في طهران برقم (٨٨٩٢)^(٢).

ونسخ كتاب (واجب الاعتقاد على العباد) للعلامة الحلي، من قبل أحد تلاميذ العلامة وهو أحمد بن محمّد الحداد البجلي الحلي في سنة (٧٤٧هـ / ١٣٤٦م) في مدرسة صاحب الزمان في الحلة، وتوجد هذه النسخة في مجلس الشورى في طهران برقم (٤٩٥٣)^(٣).

وكتبت في مدرسة المقام قريبة من عصر المؤلف، نسخة مصححة عليها تعاليق أكثر من إملاء أو خط العلامة الحلي أو ابنه فخر الدين محمّد الحلي المنقولة عن زين الدين علي بن مظاهر الحلي الذي أجاز له فخر الدين نقلها في ٢٥ ذي الحجة (٧٥٤هـ / ١٣٥٣م)، بعض أوراق النسخة حديثة الكتابة، توجد منها نسخة في مكتبة السيّد المرعشي برقم (٦٧٧٤)^(٤).

وكتبت في مدرسة المقام نسخة من قواعد الأحكام للعلامة الحلي، كتبها: جعفر بن محمّد العراقي، يوم السبت الأوّل من جمادى الآخرة سنة (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) قابله وصحّحه الناسخ على نسخة كانت في مدرسة صاحب

(١) معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ٢، ص ٨.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٥٢٩.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٥٣٠.

(٤) المصدر السابق: ج ٢، ص ٨.

الزَّمان بالحلَّة، وأتمَّ المقابلة في ١٢ جمادى الأولى سنة (٧٨٦هـ)، ثمَّ قرأه وحلَّ بعض لغاته ومشكلاته وكتب عليه تعاليق بعضها له وأتمَّ ذلك في ١٨ رمضان سنة (٧٨٦هـ / ١٣٨٤م) مخروم الأوَّل، توجد نسخة منها في مكتبة الغرب في همدان إيران برقم (٨٥٢)^(١).

قال الطباطبائي: «مخطوطة كتبها جعفر بن محمَّد العراقي في الحلَّة وفرغ منها يوم السبت غرة جمادى الآخرة ثم قابلها وصححها على نسخة مصححة معتمدة في مقام صاحب الزمان بالحلَّة سنة (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) جزءان في مجلَّد في مكتبة مدرسة الآخوند في همدان، رقم (٩٢٧)، ومخطوط كتبه حسين ابن محمَّد العراقي لابنه سعد الدِّين محمَّد وانتهى في غرة جمادى الآخرة سنة (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) في الحلَّة في مدرسة صاحب الزمان ﷺ قابله جعفر بن محمَّد بن جعفر العراقي - وأظنه أحياناً للكاتب - في ١٨ رمضان المبارك سنة (٧٨٦هـ / ١٣٨٤م)»^(٢).

ومخطوطة من القرن الثامن قريية من عهد المؤلِّف، عليها حواشٍ كثيرة للمؤلِّف ولابنه فخر المحقِّقين، ونقل عن زين الدِّين بن علي بن مظاهر الحلِّي: أنَّ فخر المحقِّقين أجاز له روايتها في ٢٥ ذي الحجَّة سنة (٧٥٤هـ / ١٣٥٤م) توجد نسخة منها في مكتبة السيِّد المرعشي، رقم (٦٧٧٤)، ذكرت في فهرسها ٣١٨/١٧^(٣).

ونسخت في هذا المكان نسخة من كتاب (الألفين الفارق بين الصدق

(١) معجم المخطوطات الحليَّة، لثامر الخفاجي: ج ٢، ص ١٠.

(٢) مكتبة العلامة الحلِّي: ص ١٧٧.

(٣) ينظر: معجم المخطوطات الحليَّة، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ١٥٠.

والمين) للعلامة الحلي، تاريخ التأليف: ٢٠ ربيع الأول سنة (٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) في مدينة دينور الإيرانية، نسخة نسخها حفيده: يحيى بن محمد بن الحسن بن المطهر سنة (٧٥٩هـ) في مدرسة صاحب الزمان عليه السلام بالحلة، توجد منه نسخة في مكتبة أصفهان العامة في إيران بدون تسلسل^(١).

ونسخ في هذه المدرسة كتاب (خلاصة المنهاج في مناسك الحج) للعلامة الحلي، نسخها أحمد بن الحداد الحلي سنة (٧٤٧هـ)، توجد نسخة منه في مكتبة الشورى برقم (٨٨٩٢)^(٢).

وتوجد نسخ خطية من كتاب (نهاية الأحكام في معرفة الأحكام) للعلامة الحلي، تاريخ تأليفه: شعبان (٧٠٥هـ / ١٣٥٠م)، نسخها محمد بن علي بن يوسف بن المطهر ابن أخ العلامة في مكتبة السيد المرعشي في قم المقدسة من دون تسلسل تاريخ نسخها سلخ جمادى الآخرة سنة (٧١٠هـ)^(٣).

وكتاب (نهج المسترشدين في أصول الدين) للعلامة الحلي، تاريخ تأليفه: الثاني عشر من ربيع الأول سنة (٦٩٩هـ / ١٢٩٩م)، وقيل: أتمه في ليلة الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة (٦٩٩هـ / ١٢٩٩م) كما في بعض النسخ، نسخه تلميذه محمد بن أبي طالب ابن الحاج محمد الآوي في ذي الحجة سنة (٧٠٢هـ / ١٣٠٢م) في هذه المدرسة، ونسخته موجودة في مكتبة الأستانة الرضوية برقم (٩٥٥م)، ونسخة أخرى استنسخت في نفس هذا المكان نسخها تلميذه الآخر أبو الفتوح أحمد بن أبي عبد الله بلكو بن أبي طالب الآوي سنة

(١) معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ١٤٩.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ٣١٩.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٨٩.

(٧٠٣هـ/١٣٠٣م) وقد قرأ الناسخ الكتاب على فخر المحققين محمد ابن العلامة الحلّي فأجازه على الورقة الأولى في سنة (٧٠٥هـ/١٣٥٠م) في أواخر النسخة خروم، والنسخة موجودة في مكتبة السيّد المرعشي في قم المقدسة برقم (٤) (١).

وكتب فخر الدين محمد بن الحسن الحلّي (٦٨٢هـ/١٢٨٣م- ٧٧١/١٣٦٩م) كتاب مناسك الحج، وهو في أحكام حج التمتع، كتبه سنة (٧٥٥هـ/١٣٧٣م) في مدرسة صاحب الزّمان في الحِلّة، ونسخها السيّد حيدر الأملي الحلّي سنة (٧٦١هـ/١٣٥٩م) في نفس المدرسة، توجد منه نسختان واحدة في مكتبة المشكاة برقم (١٠٢٢م)، والنسخة الأخرى في مكتبة الغرب في همدان برقم (١/٦٤٣ غ) (٢).

ونسخت في مدرسة صاحب الزمان نسخة من كتاب (إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد) لفخر الدين محمد بن الحسن المطهر الحلّي، نسخها شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين مكي العاملي (الشهيد الأوّل) ليلة الثلاثاء سادس شوال سنة (٧٥٦هـ/١٣٥٧م) في الحِلّة، توجد منها نسخة في مكتبة المشكاة برقم (٧٠٦) (٣).

وكتب فخر المحققين محمد ابن العلامة الحلّي، كتابه: (الفخرية في معرفة النية) بخطّه في المدرسة يوم السبت الرابع من شهر رمضان المبارك سنة (٧٥٩هـ/١٣٥٧) وتوجد منه نسخة في مجلس الشورى في طهران برقم

(١) معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ٢، ص ٥١٦.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٣١٩.

(٣) المصدر السابق: ج ١، ص ١٧٦.

(٦٣٤٢)، ونسخة في مكتبة المشكاة برقم (٢٩٩٢)^(١).

ونسخت نسخة من كتاب (المختصر النافع) للمحقق الحلّي، في نفس المدرسة يوم الخميس السادس عشر من ربيع الأوّل سنة (٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) عليه تعاليق الأوراق حديثة الكتابة، توجد النسخة في مكتبة كلية الإلهيات في مشهد برقم (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)^(٢).

وفي هذه المدرسة تمّ نسخ كتاب (النافع يوم المحشر في شرح الباب الحادي عشر) للمقداد السيوري الحلّي (ت ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)، نسخه الشيخ أحمد بن شمس الليثي الحلّي يوم الأربعاء السادس من شهر رمضان سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م) ونسخته موجودة في مكتبة السيّد المرعشي برقم (٤٩٦١م)^(٣).

ونسخ كتاب (نهاية السؤل في شرح مبادئ الأصول) لفخر الدين محمّد ابن العلامة الحلّي، نسخها السيّد فخر الدين بن نظام الدين الحسيني الحلّي في شهر رمضان سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) بالحلّة السيفيّة في مدرسة صاحب الزمان عليه السلام، توجد نسخته في مكتبة السيّد المرعشي برقم (١٠٦٠١)^(٤).

وكتاب (الجمانة البهيّة في نظم الألفية) تأليف: الشيخ شمس الدين حسن ابن راشد الحلّي (ت ق ٩هـ)، أرجوزة في (٦٥٣) بيت أتمّ نظمها في الثالث والعشرين من ربيع الأوّل سنة (٨٢٥هـ) في مدرسة صاحب الزمان عليه السلام في

(١) معجم المخطوطات الحلّيّة، لثامر الخفاجي: ج ٢، ص ١٧٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٢١.

(٤) المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٩٣.

الحلّة، توجد منه نسخة خطية في مكتبة مجلس الشورى بطهران برقم (٨٩٣٢) بخطّ الناسخ شمس الدين محمّد بن علي بن حسن الجباعي (جد الشيخ البهائي) في ذي القعدة سنة (٨٥١هـ / ١٤٤٧م)^(١).

والخلاصة من هذا كلّ فهذا المكان المقدّس الذي ظهرت به بركات الإمام الحجة عليه السلام، كان مدرسةً ومأوىً للعلماء والفقهاء الذين كانوا يلقون ويتلقون العلوم الفقهية وغيرها من العلوم الأخرى.

يقع المقام في مركز الحلّة في محلة السنية في سوق الصفارين المتصل بسوق الحلّة الكبير، وهو أشهر مكان يعرف بالحلّة، والمقام عبارة عن غرفة كبيرة الحجم يبلغ طولها وعرضها ٨×٦ م والأرضية والجدران مغلف بالمرمر الإيطالي ومزجج وعليه قبة كبيرة مغلفة بالكاشي الكربلائي، عمّره السيّد علي السيستاني (دام ظلّه الوارف) أكثر من مرّة لأهميته^(٢).

٢- مدرسة ابن إدريس: محمّد بن أحمد بن إدريس العجليّ (ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م)^(٣)؛

كان الشيخ ابن إدريس الفقيه الإمامي رائد النهضة الفكرية الجديدة في

(١) معجم المخطوطات الحلّيّة، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ٢٨٤.

(٢) ينظر: المراقد والمقامات البهية في الحلّة السيفية، لثامر الخفاجي: ١٢١ رقم ٥.

(٣) الشيخ شمس الدين، ولد في الحلّة سنة (٥٤٣هـ) وكان من مشايخ وعلماء وفقهاء الحلّة المجتهدين، كان متقناً لأكثر العلوم كثير التصانيف، فقد وضع أقوال الشيخ الطوسي قدس سرّه واجتهاداته موضع الدراسة والنقد العلمي، وفتح باب النقاش، والذي أصبح محلّ تساؤل ونقاش، فقد اشتهر الشيخ ابن إدريس في مواجهة آراء الشيخ الطوسي وردّها، وفتح باب الاجتهاد، قال فيه ابن الفوطي: «فخر الدين أبو عبد الله محمّد بن إدريس بن محمّد العجليّ الحلّيّ، فقيه الشيعة: كان من فضلاء فقهاء الشيعة والعارفين بأصول الشريعة». تلخيص مجمع

الحلّة وحامل لوائها، وله الفضل في فتح باب الاجتهاد، فقد كانت مدرسته الأكثر شهرة بعد مدرسة صاحب الزّمان (ع).

كتب ابن إدريس الحلّي، كتابه (منتخب التبيان في تفسير القرآن) وهو مختصر لكتاب التبيان في تفسير القرآن لشيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) في مدرسته أعلاه سنة (٦٤٠هـ/ ١٠٤٢م)، توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الآستانة الرضوية بمشهد المقدسة برقم (٨٥٨٦)، وتوجد نسخة منه نسخت على نسخة الأصل في مكتبة السيّد المرعشي في قم المقدّسة برقم (٤١٨) (١).

وكتب كتاب (منتخب منهاج الصلاح في اختيار المصباح) وهو كتاب

الآداب في معجم الألقاب، لابن الفوطي: ج ٣، ص ٣٠٨. وقال الذهبي: «العجلي، رأس الشيعة، العلامة أبو عبد الله محمد بن إدريس الحلّي، صاحب التصانيف، منها كتاب (الخواص لتحرير الفتاوى)، وكتاب (السرائر)، وكتاب (خلاصة الاستدلال)، ومناسك وأشياء في الأصول والفروع، وكان له بالحلّة شهرة كبيرة وتلاميذ». سير أعلام النبلاء: ج ٢١، ص ٣٣٢. وقال الصفدي: «فقيه الشيعة محمد بن إدريس بن أحمد بن إدريس الشيخ أبو عبد الله العجلي الحلّي فقيه الشيعة وعالم الرافضة في عصره، كان عديم النظر في الفقه، وكتاب (السرائر) وهو كتاب مشهور بين الشيعة...، وغير ذلك في الأصول والفروع، وله تلامذة وأصحاب ولم يكن في وقته مثله ومدحه بعض الشعراء بقصيدة فضله فيها على الشافعي». الوافي بالوفيات: ج ٦، ص ٣٥٦. وقال ابن حجر العسقلاني: «محمد بن إدريس الحلّي فقيه الشيعة وعالمهم، كان وحيد عصره وفريد دهره، له تصانيف في فقه الإمامية، ولم يكن للشيعة في وقته مثله، مات سنة ٥٩٧هـ». لسان الميزان: ج ٥، ص ٦٥ رقم ٢١٥، ينظر ترجمته: أمل الآمل، للحر العاملي: ج ٢، ص ٢٤٣. لؤلؤة البحرين، للشيخ يوسف البحراني: ص ٢٧٩. جامع الرواة، لمحمد علي الأردبيلي: ج ٢، ص ٦٥. نقد الرجال، للتفريسي: ج ١، ص ٢٩١. رياض العلماء، للميرزا عبد الله أفندي: ج ٥، ص ٣١. الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمي: ج ١، ص ٢٣٠. إيضاح المكنون، لإسماعيل الباباني: ج ١، ص ٢٧. معجم المؤلفين، لعمر كحالة: ج ٨، ص ٢٢٩. من مشاهير أعلام الحلّة، لثامر الخفاجي: ١٨٦ رقم ١٠٨.

(١) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية، لثامر الخفاجي: ج ٢، ص ٣٢٩.

في الدُّعاء، ألّفه ابن إدريس في هذه المدرسة، ونسخه الشيخ مهنا بن علي بن عطف بن سليمان بن مختار الحلّي في نفس المدرسة أعلاه في شهر صفر سنة (٦٤٠هـ / ١٠٤٢م)، توجد منه نسخة في مكتبة الأستاذة الرضوية في مشهد المقدّسة برقم (٨٥٨٦)^(١).

تمّ نسخ كتاب (معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم) وهو كتاب في التراجم لابن شهر آشوب، محمّد بن علي المازندراني الحلّي (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م - ٥٨٨هـ / ١١٩٢م) وهو أحد شيوخ ابن إدريس الحلّي، نسخه الشيخ محمّد علي بن حماد الحلّي البرعوتي في الثاني عشر من ذي القعدة سنة (٦٨٦هـ / ١٢٨٧م) في مدرسة ابن إدريس الحلّي، توجد منه نسخة في مكتبة المشكاة في إيران برقم (٣٥٢٠)^(٢).

وتمّ نسخ نفس الكتاب في هذه المدرسة من قبل الشيخ علي ابن الحاج قوام الدين بن محمود العاقولي الليثي الحلّي يوم الثلاثاء الخامس من ذي الحجة سنة (٩٨٣هـ / ١٥٧٥م) توجد منه نسخة في مكتبة السيّد المرعشي في قم المقدّسة برقم (٦٨٧٧م)، ونسخة أخرى توجد في مؤسسة كاشف الغطاء في النّجف الأشرف برقم (١٥٩٧) رقم القرص (٦٢)^(٣).

قال كمال الدين: «قبر الشيخ محمّد بن إدريس في مدرسته التي تهدّم سورها، ولم يبقَ من آثاره شيء»^(٤).

(١) معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ٢، ص ٣٣٠.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٩٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) فقهاء الفيحاء، للسيد هادي آل كمال الدين: ج ١، ص ٨٧.

تقع هذه المدرسة الكبيرة في وسط الحلة، وبالقرب منها محلة المهديّة المشهورة بعلمائها، وهي مدرسة ومدفن الشيخ قدس سرّه والتي تسمّى اليوم باسمه^(١).

٣- مدرسة يحيى بن سعيد الحلّي (ت ٦٩٠هـ / ١٢٩١م)^(٢).

كتب في هذه المدرسة كتاب: (الاعتقادات) في علم الكلام، تأليف: المحقّق الحلّي، أبي القاسم الحسن بن جعفر (٦٠٢هـ / ١٢٠٥م - ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م)، وكتبت في هذه المدرسة نسخة خطية من الكتاب، يوم الثاني من ربيع الأوّل سنة (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) توجد منه نسخة في مكتبة مجلس الشورى في طهران برقم (٤٠١٣)، ونسخة أخرى نسخت في الأوّل من ربيع الأوّل سنة

(١) ينظر: المراقد والمقامات البهيّة في الحلة السيفيّة، لثامر الخفاجي: ١٠١ رقم ٨١.
(٢) الفقيه البارع أبو زكريا نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الشهير بـ (يحيى بن سعيد منسوباً إلى جدّه الأعلى) وهو ابن عم المحقّق الحلّي (ت ٦٧٦هـ) ولد في الحلة سنة (٦٠١هـ) ذكره المترجمون مقروناً بكثير من التّجليل والتّكريم والإشادة بمكانته الرفيعة التي كانت له بين علماء عصره وفضلاء زمانه، له كتاب (الجامع للشرائع)، و(نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه والنظائر)، و(المدخل في أصول الفقه)، و(قضاء الفوائت)، و(الفحص والبيان عن أسرار القرآن)، و(كشف الالتباس عن نجاسة الأرجاس)، و(كتاب السفر)، قال الذهبي: «الفاضل، نجيب الدين الهذلي، الحلّي، المستعلم، بقية قدامي الشيعة، لغوي، أديب، حافظ للأحاديث في رأسه، ولد بالكوفة سنة إحدى وستمئة، وسمع من ابن الأخضر، كذا قال ابن الفوطي، وقال: مات ليلة عرفة، وكان بصيراً باللغة والأدب، كتب عنه ابن الفوطي في إجازة». تاريخ الإسلام: ج ١٥، ص ٦٤٨. وقال السيوطي: «يحيى ابن أحمد بن سعيد الفاضل نجيب الدين الحلّي الشيعي». بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ج ٢، ص ٣٣١. ينظر ترجمته: أمل الآمل، للحر العاملي: ج ٢، ص ٢٩٩، نقد الرجال، للتفريشي: ج ٥، ص ٢٤، روضات الجنات، للخوانساري: ج ٤، ص ٢٢٨، هدية العارفين، لإسماعيل الباباني: ج ٢، ص ٥٠٠، معجم المؤلفين، لعمر كحالة: ج ١٣، ص ١٦٤، معجم رجال الحديث، لأبي القاسم الخوئي: ج ١٩، ص ٢٣٣ رقم ١٣١٣٨، من مشاهير أعلام الحلة، لثامر الخفاجي: ١٤١ رقم ١٥٩.

(٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) في نفس المكان، توجد منه نسخة نسخت بيد علي بن محمد ابن مهدي في مكتبة ملك في طهران برقم (١٦٣٢)^(١).

وكتب في هذه المدرسة نسخة من كتاب (إثبات المعدوم) تأليف: المحقق الحلي جعفر بن حسن (٦٠٢هـ / ١٢٠٥م - ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م)، توجد نسخة أصل في مكتبة بادلين أكسفورد إنكلترا، نسخ أحمد بن حسين أبي القاسم بن العودي الحلي، لم يذكر فيها سنة النسخ، توجد منها نسخة في مكتبة السيد المرعشي في قم المقدسة برقم (١١٠٤)^(٢).

وكتب في نفس المدرسة كتاب (أجوبة المسائل العزية) كتبها: المحقق الحلي، ونسخها محمد علي كاشاني، يوم الاثنين من شوال سنة (٨٧٦هـ)، توجد منها نسخة مخطوطة في مكتبة ملك في طهران برقم (١١٢٧)^(٣).

تقع هذه المدرسة في مركز الحلة ضمن محلة الطاق^(٤)، قال حرز الدين: «دفن في داره إلى جانب مدرسته الدينية»^(٥).

واليوم تعرف هذه المدرسة بمراقدة العلماء الأربعة في شارع الإمام علي عليه السلام بعد توسعة مدينة الطاق القديمة^(٦).

٤ - المدرسة الزينية:

تُعدُّ هذه المدرسة من المدارس الحليّة الشهيرة بسبب وجود مجموعة من

(١) ينظر: معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ١١٦.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ٣٩.

(٣) المصدر السابق: ج ١، ص ٥٥.

(٤) وهي محلة في مركز الحلة مجاورة إلى محلة الجامعين.

(٥) مراقدة المعارف، لمحمد حرز الدين: ج ١، ص ٦٠.

(٦) ينظر: مراقدة المقامات البهية في الحلة السيفية، لثامر الخفاجي: ١٠٥ رقم ٨٥.

الأساتذة الفقهاء الذي كان لهم الدور الكبير في نشر العلوم فيها، ومنهم: العلامة جمال الدين ابن فهد الحلبي (ت ٨٤١هـ / ١٤٣٧م)^(١)، وقد بقي مدة مدرساً في المدرسة الزينية في الحلة، ثم انتقل إلى كربلاء المقدسة وبقي فيها، وأسس حوزتها العلمية، وازدهرت بانتقاله الحركة العلمية في كربلاء وأصبحت إحدى المراكز العلمية المهمة كالنجف والحلة وبغداد^(٢)، ومنهم: عضد الدين ابن نفيع الحلبي (... كان حياً سنة ٨٣٩هـ / ١٤٣٦م)^(٣)، كتب بخطه نسخة من

(١) أبو العباس الحلبي، أحمد بن محمد بن فهد الأسدي، كان من أكابر مجتهدي الإمامية، متكلياً، مناظراً، عالماً بالخلاف، ولد في مدينة الحلة سنة (٧٥٧هـ)، درس بالمدرسة الزينية بالحلة، والتفت حوله الطلبة، وصنف، وأفتى، وأفاد، وناظر، حتى اشتهر اسمه، وصار فقيه الإمامية في زمانه، من مؤلفاته: (المهذب البارع في شرح المختصر النافع)، و(المختصر من شرح المختصر)، و(التحصيل في صفات العارفين من العزلة والخمول)، و(عدة الداعي ونجاح الساعي)، و(في آداب الدعاء)، و(الأدعية والختوم)، و(شرح الألفية في فقه الصلاة)، و(التواريخ الشرعية عن الأئمة المهديّة)، وله رسائل كثيرة طبع منها عشر رسائل في كتاب سمي (الرسائل العشر)، توفي رحمه الله سنة (٨٤١هـ)، ودفن في كربلاء المقدسة بالقرب من مخيم الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، وقبره مزور متبرك به، ينظر ترجمته: أمل الآمل، للحر العاملي: ج ٢، ص ٢١، وروضات الجنات، للخوانساري: ج ١، ص ٧١، إيضاح المكنون، لإسماعيل الباباني: ج ٤، ص ٩٥، أعيان الشيعة، لمحسن أمين العاملي: ج ٣، ص ١٤٧، الذريعة، لأغا بزرك الطهراني: ج ١٥، ص ٢٢٨ رقم ١٤٩١، معجم رجال الحديث، لأبي القاسم الخوئي: ج ٢، ص ١٨٩ رقم ٧٥٤.

(٢) ينظر: من ذخائر التراث، مجلّة تراثا العدد الرابع: ص ٣٥٥.

(٣) عضد الدين محمد بن محمد بن نفيع الحلبي، كان من علماء المدرسة الزينية بالحلة، العالم الورع التقى الذكي من العلماء المجتهدين، وقد نقض كتاب يوسف بن مخزوم الواسطي الأعور في الرد على الشيعة وإنكار فضائل آل الرسول صلى الله عليه وآله، فاستجاب له الجبلرودي، وألف كتاب (التوضيح الأنور)، وكان ابن نفيع أديباً شاعراً. ينظر ترجمته: أعيان الشيعة، لمحسن أمين العاملي: ج ٦، ص ٣٢٣، ج ٩، ص ٤١٣، طبقات أعلام الشيعة، لأغا بزرك الطهراني: ج ٤، ص ١٣٤، تراجم الرجال، للسيد أحمد الحسيني: ج ٢، ص ٥٤٦ رقم ١٠١٨.

(مصباح المبتدي وهداية المقتدي في فقه الصلاة) لأحمد بن محمد بن فهد الحلّي،
ثمّ قابله وصحّحه، واستظهر الطهراني أنّه من تلامذته^(١).

وكتب في المدرسة أعلاه كتاب (عدّة الداعي) لابن فهد، وكتب في نهاية
نسخته أنّها كتبت سنة (٨١٣هـ / ١٤١٠م) في المدرسة الزينية في الحلة السيفيّة،
أي: في عصر المؤلّف^(٢).

قال العاملي: «(التوضيح الأنور بالحجج الواردة لدفع شبه الأعور) وهو
ردّ لكتاب الشيخ يوسف بن مخزوم الواسطي الأعور الذي ألّفه في الردّ على
الشيعة حدود سنة (٧٠٠هـ / ١٣٠٠م) فألّف المترجم التوضيح الأنور في
الردّ عليه بالحلّة السيفيّة سنة (٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) وهو كتاب حسن جداً كثير
الفوائد وقد حذا حذوه في ردّ كتاب الأعور الشيخ الجليل عزّ الدين حسن
ابن شمس الدين محمد بن علي المهيلي الحلّي بكتاب (الأنوار البدرية في ردّ شبه
القدرية)^(٣)، الذي ألّفه سنة (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) كتاب لطيف نفيس إلّا أنّ

(١) ينظر: طبقات أعلام الشيعة، لأغا بزرك الطهراني: ج ٤، ص ١٣٤.

(٢) وهي نسخة محفوظة في مكتبة جامعة طهران، وهي الكتاب الثاني في المجموعة رقم ١٨٧٩،
والمذكورة في فهرسها: ج ٨، ص ٤٨٥، ينظر: معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي:
ج ١، ص ٤٥٥.

(٣) ردود على شبهات الشيخ يوسف بن مخزوم الأعور المقصودي الواسطي التي أوردها بزعمه
على عقائد الشيعة في رسالته (الردّ على الإمامية) المؤلّفة نحو سنة (٧٠٠هـ) وهو بعنوان
(قال الناصب - أقول) التزم الحلّي أن لا يستدلّ من المنقول عن النبي ﷺ إلّا ما ثبت من
طريق الخصم، فاستشهد بأحاديث رويت في صحاح أهل السنة ومسانيدهم المعتمدة لديهم،
ألّفه بأمر من جمال الدين أحمد بن فهد الحلّي (٨٤١هـ)، وأتمّه يوم السبت سادس جمادى
الآخرة سنة (٨٤٠هـ)، توجد منه نسخة بمكتبة السيّد المرعشي بقم المقدّسة رقم (١٨٠٩٢)
وناسخها أحمد بن حسن بن أحمد الأسترابادي في ربيع الآخر سنة (٨٦٩هـ) في مدينة الحلة.
ينظر: معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ١٦١.

الذي ألّفه الشيخ خضر أحسن وأتمّ وأفيد وعن كشف الحجب أنّه فرع من التّوضيح الأنور في ٢٦ صفر سنة (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) وكأنّه اشتباه بتاريخ تأليف (الأنوار البدرية) قال المؤلّف رسالة الأعور التي ردّ عليها المترجم بكتابه التّوضيح الأنور اسمها (رسالة المعارضة في الردّ على الرافضة) ورأيت نسخة من هذا الرد في كرمانشاه عام (١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م) في مجلّد كبير ننقل شيئاً من خطبته لما فيه من الفوائد أوّله: الحمد لله الذي نسخ بمحكم كتابه سنة الجاهلين إلى أن قال: أمّا بعد فيقول العبد المفتقر إلى الله الولي المتمسك بالكتاب المبين والعترة الطاهرة بعد النبي ﷺ خضر بن محمّد بن علي الرازي الحبلرودي الملازم لخزانة المشهد الشريف الغروي إنّني لما عزمت على زيارة الأربعين في سنة (٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) ووصلت إلى المدرسة الزينية مجمع العلماء والفضلاء بالحلة السيفيّة الفيحاء معدن الاتقياء والصلحاء أراني أعزّ الأخوان عليّ وأتمّمهم في المودة والإخلاص لديّ المستغني عن إطناب الألقاب بفضل المتين محمّد بن محمّد بن نفع عضد الملة والدين أدام الله إشراق شمس وجوده وأغناه وإيّانا عمّا سواه بجلوه رسالة مشحونة بأنواع الشبه والردّ على طريقة الأبرار مرقومة بالأساطير والأباطيل لواسطي أعور أعمى القلب ينكر فضائل آل الرسول ﷺ ويبطلها بالتّغيير والقلب، إلى أن قال: فحدّثني عند ذلك أدام الله توفيقه وجعل سعادة الدارين رفيقه على نقض ما فيها من الشبهات ودحض الحجج الباطلة بقاطع البينات فسارعت إلى مقتضى طلبته؛ لأنّ ذلك من أعظم الطاعات ملتزماً حكاية مقاصده بعين عباراته مقتصراً على محصل الأحاديث وزبدة الأخبار ودقائق الحقائق ورائق الأشعار روماً للاختصار، ثم أخذ في نقل كلامه في الأمانة وغيرها والرد عليه^(١).

(١) أعيان الشيعة، لمحسن أمين العاملي: ج ٦، ص ٣٢٣.

وكتب في هذه المدرسة كتاب (معرفة المنازل) وهو كتاب في علم النجوم، تأليف: ابن فهد الحلّي (٧٥٧هـ/١٣٥٦م - ٨٤١هـ/١٤٣٧م)، ونسخة كتبت بخط السيّد عبد المحمود بن محمّد بن علي الحسيني الحلّي يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر شوال سنة (٨١١هـ/١٤٠٨م) توجد هذه النسخة الخطيّة في المتحف البريطاني في لندن برقم (M1313) ونسخة أخرى بنفس الناسخ والتاريخ في مكتبة السيّد المرعشي في قم المقدسة برقم (١١١٩)^(١).

وكتب في هذه المدرسة كتاب (أجوبة المسائل الشامية) كتبها: ابن فهد الحلّي، ونسخها في نفس هذه المدرسة زين الدين علي بن فضل بن هيكّل الحلّي، يوم الاثنين ٢٦ صفر سنة (٨٣٤هـ/١٤٣٠م)، توجد منها نسخة في مكتبة السيّد المرعشي برقم (٩/١٤١١٧)^(٢).

ونسخت في نفس المدرسة بالحلّة نسخة من كتاب: (الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد)، تأليف: أبي عبد الله المقداد بن عبد الله السيوري الحلّي (ت ٨٢٦هـ/١٤٢٢م)، وهو كتاب شرح مختصر بعناوين (قال - أقول) على رسالة (واجب الاعتقاد) للعلامة الحلّي (ت ٧٢٦هـ) الذي هو في الاعتقادات وشيء من الواجبات الشرعية، نسخها: محمّد بن محمّد بن مهنا في الخامس عشر من شوال سنة (٨٢١هـ/١٤١٨م)، توجد منه نسخة في مكتبة مجلس الشورى في طهران برقم (١٠٧٠٦)^(٣).

وكتب كتاب (الألفية في فقه الصلاة اليومية) للشهيد الأول، محمّد بن مكي

(١) ينظر: معجم المخطوطات الحلّيّة، لثامر الخفاجي: ج ٢، ص ٣٠٨.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ٦٦.

(٣) المصدر السابق: ج ١، ص ١١٧.

(٧٣٤هـ/٧٨٦هـ)، تاريخ التأليف: سنة (٧٧٠هـ/١٣٦٨م)، ونسخت في نفس المدرسة نسخة من الكتاب، بتاريخ ذي القعدة سنة (٧٢٥هـ) من غير ذكر الناسخ، توجد منه نسخة في مكتبة الحوزة العلمية في مدينة آشتان الإيرانية، ونسخت في نفس المكان بيد الناسخ: زين الدين علي بن فضل بن هيكल الحلّي من القرن التاسع، توجد منه نسخة في مكتبة السيّد المرعشي برقم (١٤١١٧)^(١).

ونسخ كتاب (نَيّات الحج) لابن فهد الحلّي، في هذه المدرسة من قبل السيّد عبد الحمود بن محمّد بن علي الحسيني الحلّي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شوال سنة (٨١١هـ/١٤٠٨م) في زمن المؤلّف، ونسخته موجودة في مكتبة السيّد المرعشي برقم (١١١٩)^(٢).

ونسخ كتاب (الوجيزة في واجبات الحج) لابن فهد الحلّي، في هذه المدرسة من قبل السيّد عبد الحمود بن محمّد بن علي الحسيني الحلّي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شوال سنة (٨١١هـ/١٤٠٨م) في زمن المؤلّف، ونسخته موجودة في مكتبة السيّد المرعشي برقم (١١١٩)^(٣).

وكتبت في المدرسة الزينية بالحلة نسخة من كتاب: (الأنوار الجلالية للفصول النصيرية) تأليف: المقداد السيوري الحلّي، في علم الكلام، توجد منها نسخ في مكتبة السيّد المرعشي في قم المقدسة برقم (١٠٨٣١م)، وناسخها: سالم ابن سلامة اللزياوي، سنة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م)^(٤).

(١) معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ١٢٩.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٥٣٦.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٥٢٤.

(٤) المصدر السابق: ج ١، ص ١٦٣.

وكتب نسخة أخرى من هذا الكتاب سنة (٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) في نفس المدرسة، وتوجد نسخة خطية في مكتبة السيّد المرعشي برقم (٨٠٤٧) واسم ناسخها: حسان بن عطية في شهر جمادى الآخرة^(١).

وكتبت في نفس المدرسة بالحلّة نسخة من كتاب: (إيضاح المنافع في شرح مشكلات الشرائع) كتاب في الفقه، تأليف: المقداد بن عبد الله السيوري الحلّي (ت ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م)، توجد منها نسخ في مكتبة الأستانة الرضوية بمشهد المقدسة برقم (١٢٢٥م) والناسخ: حسن بن محمّد بن عبد العزيز، نسخها في المدرسة الزينية بالحلّة سنة (٩١٨هـ / ١٥١٢م)^(٢).

ومن هذا النسخ الأخير يظهر أنّ هذه المدرسة بقيت إلى ما بعد القرن العاشر الهجري أي: إلى حين انتقال الحوزة إلى كربلاء المقدّسة، لم أقف على مكان هذه المدرسة ولكن هناك إشارات بأنّها بالقرب من مقام صاحب الزمان عليه السلام.

٥- المدرسة المريسية:

لم أجد إشارة إلى هذه المدرسة إلّا عبر كتاب (كنز العرفان للمقداد للسيوري) إذ رأيت نسخة خطية من هذا الكتاب في مدينة قزوین الإيرانية بمكتبة الإمام الصادق عليه السلام برقم (٤٢٤) جاء فيها: نسخت هذه النسخة في المدرسة المريسية في الحلّة السيفية، كتب لخزانة الشيخ شكر القناقوسي وقابله وصحّحه هذا وأتمّ ذلك يوم الخميس سابع رجب سنة (٩١١هـ / ١٥٠٥م)^(٣).

(١) معجم المخطوطات الحليّة، لثامر الخفاجي: ج ١، ص ١٦٤.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ١٨٧.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ج ٢، ص ٨٨. وفهرس التراث، لمحمد حسين الجلاي: ص ٧٥٥.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

أولاً: المصادر:

- ١- ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ: دار صادر، بيروت، (١٣٨٦هـ).
- ٢- الإربلي، علي بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة: دار الأضواء، بيروت، ٢، (١٤٠٥هـ).
- ٣- الأردبيلي، محمد بن علي (ت ١١٠١هـ / ١٦٨٩م)، جامع الرواة وإزاحة الشبهات عن الطرق والأسناد: مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة، (١٤٠٣هـ).
- ٤- الأفندي، عبد الله الأصبهاني (ت ١١٣٠هـ / ١٧١٧م)، رياض العلماء وحياض الفضلاء: مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة، (١٤٠٣هـ).
- ٥- ابن بطوطة: محمد بن عبد الله اللواتي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٥هـ).
- ٦- التفريشي، مصطفى بن الحسين الحسيني (ق ١١)، نقد الرجال: تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، مطبعة مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، (١٤١٨هـ).
- ٧- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، لسان الميزان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (١٤٠٦هـ).
- ٨- ابن أبي الحديد، عز الدين: أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة: تحقيق: حسن تميم، مكتبة الحياة، بيروت، (١٩٦٣م).
- ٩- الحر العاملي، محمد بن الحسن بن علي (ت ١١٠٤هـ / ١٥٩٥م)، أمل الآمل: مكتبة الأندلس، بغداد، (١٣٨٥هـ).
- ١٠- ابن داود، الحسن بن داود الحلي (ت ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م)، الرجال: المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، (١٩٧٢م).
- ١١- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام: تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٠٧هـ).
- ١٢- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الدكتور محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٩، (١٤١٣هـ).

- ١٣- ابن إسفنديار: بهاء الدين محمد بن حسن (ت ق ٦)، تاريخ طبرستان: تحقيق: عباس إقبال، طهران، (١٩٤١م).
- ١٤- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (١٣٨٤هـ).
- ١٥- ابن شهر آشوب، محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، إيران، (١٣١٧هـ).
- ١٦- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات: تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (١٤٢٠هـ).
- ١٧- ابن طاووس، علي بن موسى الحسيني الحلبي (ت ٦٦٤هـ / ١٢٤٦م)، الشّريف بالمنن في التعريف بالفتن في ظهور الغائب المنتظر عليه السلام، نشر كلبهار أصفهان، (١٤١٦هـ).
- ١٨- ابن طاووس، فرج الهموم في تاريخ علماء النجوم: المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، (١٣٦٨هـ).
- ١٩- عماد الدين الطبري، محمد بن أبي القاسم علي بن محمد الآملي (ت ق ٦)، بشارة المصطفى لشيعه المرتضى: تحقيق: جواد الفيومي، مؤسسة النشر التابعة لجامعة المدرسين في قم المقدسة، (١٤٢٠هـ).
- ٢٠- ابن عنبه: أحمد بن علي الحسيني (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: تصحيح: محمد حسن آل الطالقاني، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ٢، (١٣٨٠هـ).
- ٢١- ابن الفوطي الشيباني، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م)، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب: تحقيق: مصطفى جواد، دمشق، (١٩٦٧م).
- ٢٢- ابن الفوطي الشيباني، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، إيران، (١٤١٦هـ).
- ٢٣- المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م)، بحار الأنوار: تحقيق: يحيى العبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، (١٤٠٣هـ).
- ٢٤- ابن نجا، أبو البقاء هبة الله بن نجا بن علي بن حمدون محمد الحلبي (ت ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م)، المناقب المزيديّة في أخبار الدولة الأسديّة، تحقيق: محمد عبد القادر وصالح موسى، مؤسسة الرسالة الحديثة، عمان، (١٩٨٤م).

ثانياً: المراجع:

- ٢٥- الأميني: عبد الحسين أحمد النجفي (ت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م)، الغدير في الكتاب والسنة

- والأدب: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، (١٣٩٧هـ).
- ٢٦- بحر العلوم، مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م): الفوائد الرجالية، تحقيق وتعليق: محمد صادق بحر العلوم، حسين بحر العلوم، مكتبة الصادق، طهران، (١٣٨٣هـ).
- ٢٧- البغدادي، إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: مكتبة المثنى، بيروت، (د.ت).
- ٢٨- إسماعيل البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: مكتبة المثنى، بغداد، أوفست على طبعة المعارف، استنبول، (١٩٥١م).
- ٢٩- حرز الدين، محمد (ت ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م)، مرآة المعارف: تحقيق: محمد حسين حرز الدين، مطبعة سعيد بن جبير، قم المقدسة، (١٣٨٠هـ).
- ٣٠- د. الحكيم، حسن عيسى (معاصر)، مدرسة الحلة العلمية: المكتبة الحيدرية، مطبعة شريعت، إيران، (١٣٤١هـ).
- ٣١- الخاقاني، علي (ت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٦م)، شعراء الحلة: مطبعة دار الأندلس، بيروت، (١٣٨٣هـ).
- ٣٢- الخفاجي، د. ثامر كاظم (معاصر)، المراقدة والمقامات البهية في الحلة السيفية: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدسة، (١٤٣٤هـ).
- ٣٣- د. ثامر كاظم الخفاجي، معجم المخطوطات الحلية، دار الكفيل للطباعة، كربلاء المقدسة، (١٤٣٦هـ).
- ٣٤- د. ثامر كاظم الخفاجي، من مشاهير أعلام الحلة الفيحاء، مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة، (١٤٢٨هـ).
- ٣٥- الخوانساري، محمد باقر الموسوي (ت ١٣١٣هـ / ١٨٩٤م)، روضات الجنات: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، (١٤٣١هـ).
- ٣٦- الخوئي، أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م)، معجم رجال الحديث، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط ٥، (١٤١٣هـ).
- ٣٧- الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م)، الأعلام: دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، (١٩٨٤م).
- ٣٨- السبحاني، جعفر (معاصر)، موسوعة طبقات الفقهاء: تحقيق: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، مطبعة مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم المقدسة، (١٤١٩هـ).
- ٣٩- صدر الدين، السيد حسن هادي (ت ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥)، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: مطبعة ذوي القربى، قم المقدسة، (١٣٩١ ش).
- ٤٠- صدر الدين، السيد حسن هادي، وفيات الأعلام: تحقيق: د. ثامر كاظم الخفاجي، مطبعة

- الغدير، قم المقدّسة، (١٤٢٩هـ).
- ٤١- الطباطبائي، عبد العزيز (ت ١٤١٦هـ / ١٩٩٥)، مكتبة العلامة الحليّ: إعداد: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، مطبعة مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، قم المقدّسة، (١٤٤١هـ).
- ٤٢- الطهراني، محمّد محسن بن علي (ت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: دار الأضواء، بيروت، ط ٣، (١٤٠٣هـ).
- ٤٣- الطهراني، محمّد محسن بن علي، طبقات أعلام الشيعة: تحقيق: علي نقوي منزوي، إسماعيليان، إيران، (د.ت).
- ٤٤- القمي: عباس محمّد رضا (ت ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م)، الكنى والألقاب: مطبعة الصدر، طهران، (د.ت).
- ٤٥- العاملي، محسن بن عبد الكريم الأمين (ت ١٣٧٢هـ / ١٣٩٠م)، أعيان الشيعة: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (١٤٠٦هـ).
- ٤٦- كحالة: عمر رضا (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، معجم المؤلفين: دمشق، (١٩٥٧م).
- ٤٧- كركوش، يوسف الحليّ (ت ١٩٧٠م / ١٣٩٠م)، تاريخ الحلة: المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، (١٩٦٥م).
- ٤٨- كمال الدين: هادي حمد (ت ١٩٧٠م / ١٣٩٠م)، فقهاء الفيحاء: مكتبة المعارف، بغداد، (١٩٦٢م).
- ٤٩- المامقاني، عبد الله (ت ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م)، تنقيح المقال: المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف، (١٣٥٠هـ).
- ٥٠- النوري، حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م)، خاتمة المستدرک: تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، قم المقدّسة، (١٤١٦هـ).

ثالثاً: المجلّات والدورات:

- ٥١- مجلّة تراثنا، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، قم المشرفة، العدد (٤)، السنة (١٤)، (١٤١٩هـ).

المؤسَّسات العلمية عند الإمامية

أ.د. حسن عيسى الحكيم

لقد كان القرن الخامس الهجري في العراق أحد عصور التحول السياسي والفكري، وفيه تم انتقال السلطة والحكم من البويهيين إلى السلاجقة في ظل الخلافة العباسية، وكان بينهما اختلاف بارز في الثقافة والمذهب الفقهي والممارسات السياسية.

وقد امتاز العصر البويهي في العراق (٣٣٤-٤٤٧هـ) بالتمتع بالحرية الفكرية العقلية بعد أن اجتاز المجتمع الإسلامي صراعاً فكرياً عنيفاً بين أرباب المدارس الفقهية والكلامية منذ أيام المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ) الذي اتَّسم عهده بالترزمت والانحياز الواضح نحو السلفية المتشددة، وقد تعرض العقليون من الشيعة والمعتزلة إلى الاضطهاد، وكذلك كلُّ من له نزعة إلى التوفيق بين أحكام العقل وأحكام الشرع^(١) ويمكن اعتبار دخول البويهيين بغداد عام ٣٣٤هـ بداية مرحلة جديدة في الأوضاع الفكرية الحرة. البعيدة عن التزمت؛ لأنَّهم سلكوا سبيلاً وسطاً تجاه جميع الميول والاتجاهات والفرق، واتبعوا سياسة التسامح مع جميع السكان^(٢). وكان من نتائج هذه السياسة أن هدأت الأحوال واستقرت الأمور في أغلب الأحيان، وانصرف الناس إلى العمل من أجل ترقية الحياة المادية والروحية وعادت بغداد من جديد كعبة العلم والثقافة على النحو الذي كانت عليه في العصر العباسي الأوَّل (١٣٢-٢٣٢هـ) وبخاصة في أيام خلافة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) حيث كان الناس يتناظرون في مختلف الموضوعات^(٣) والسبب يعود كما قلنا إلى الحرية التي هي من أهم أسباب الرقي

(١) المسعودي، مروج الذهب: ص ٤، ص ٨٦.

(2) The Buwhyhid Dynasty of Baghdad p.212.Mafizullah Kabir.

(3) Muir.Sir Willam, The Celphate Its Rise Decline and Fall. P.504.

العلمي لأنّها تفتح القرائح، وتقوي المدارك، وتحفز العلماء على البحث والنظر. والواقع أنّ المجتمع الإسلامي خطا في العصر البويهي خطوات واسعة في مضمار التقدم العلمي وما زالت آثاره باقية حتى الوقت الحاضر، ولهذا عدّ «من أزهر العهود للثقافية في هذه البلاد لإطلاق الحرية الدينية، والحرية الفكرية، والحرية القلمية»^(١)، وقد لعب عضد الدولة البويهي (٣٦٧-٣٧٢هـ) دوراً مهماً بهذا الخصوص ذلك أنّه كان عاقلاً فاضلاً، حسن السياسة، كثير الإصابة. شديد الهيبة بعيد المهمة، ثاقب الرأي، محباً للفضائل وأهلها باذلاً في مواطن العطاء، ومانعاً في أماكن الحرم، ناظراً في عواقب الأمور^(٢) يحب العلم والعلماء. ويجري الجرايات على الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين والمفسرين والنحاة والقراء، والنسايين، والأطباء، والحساب، والمهندسين^(٣):

وكان يؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء^(٤) ولذا أصبح من أشهر ملوك آل بويه «وأوسعهم سلطاناً وأقواهم سطوة، وكان مشاركاً في عدّة فنون من الأدب»^(٥) ويعزو الدكتور مصطفى جواد هذا التقدم العلمي والفكري في العهد البويهي إلى الحرية الكاملة التي كان يتمتع بها العلماء في ذلك العهد وذلك بالاعتراف «بسلطان العقل، فنفيذ حكم المعقول في المنقول، وكان المنقول قبل ذلك مقدساً، كائنة ما كانت حقيقته من حيث الصحة والاختلاف والإمكان

(١) مصطفى جواد، أبو جعفر النقيب: ص ٥.

(٢) ابن العربي، تاريخ مختصر الدول: ص ١٧٢.

(٣) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج ١، ص ٤٦.

(٤) الثعالبي، يتيمة الدهر: ج ٢، ص ٢١٦.

(٥) زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية: ج ٢، ص ٢٢٧-٢٢٨.

والاستحالة»^(١).

وكان الكثير من رجال العلم والأدب في عهد الدولة البويهية في مأمن من الفوضى والاضطرابات ففي عام ٣٦٩هـ «أفرد في دار عضد الدولة لأهل الخصوص، والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه وهو الحجرة التي يختص بها الحجاب فكانوا يجتمعون فيها للمفاوضة آمين من السفهاء ورعاع العامة»^(٢) وعلى العموم كان عهد آل بويه قد امتاز بالخصب العلمي والأدبي بتأثيرهم الخاص أو بتأثير وزرائهم. وكان بيت الوزير يمثل مدرسة بل جامعة تحتوي ألواناً مختلفة من الثقافة وضروباً من العلم والأدب»^(٣) وكانوا «لايستوزرون أو يستكتبون إلا العلماء والشعراء والكتّاب»^(٤). وهذا هو السرُّ في كثرة من نبغ من الأدباء والكتاب والعلماء في بغداد في القرن الخامس الهجري؛ لأنهم تولوا إلى جانب مهامهم السياسية مهمة تعضيد الحركة الفكرية وتنشيطها، وذلك بتأسيس دور العلم، والمكتبات، والمدارس، وغيرها من المؤسسات الفكرية ويمكن تقسيمها على النحو الآتي:

أولاً: دور العلم:

تحتوي دور العلم على خزانات كبيرة للكتب. كما يخصص جزء منها للنسخ، وتكون بمنزلة منتدى يقصده العلماء والأدباء والباحثون، وما يدور في أوساطهم من نقاش وبحوث، أو يخصص بعض جوانبها لإسكان الطلبة

(١) مصطفى جواد، مقالة في مجلة المجمع العلمي العراقي: مج ٤، ج ٢، ص ٥٠٩.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم: ج ٦، ص ٤-٨.

(٣) الزهيري، الأدب في ظل بني بويه: ص ١٢٧.

(٤) زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية: ج ٢، ص ٢٢٧.

والوافدين، وتخصيص أرزاق لهم بغية التفرغ كلياً للدراسة والبحث، ودور العلم الإمامية في بغداد هي:

١ - دار العلم السابورية: شيد هذه الدار الوزير البويهى أبو نصر سابور بن أردشير، وقد بناها لأهل العلم ببغداد^(١) عام ٣٨١ هـ «وحمل إليها كتب العلم من كلّ فن، وسماها دار العلم، وكان فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد، ووقف عليها الوقوف»^(٢)، وكانت تحتوي على كتب لأصناف العلوم، وتضم مائة مصحف بخطوط بني مقلّة. ولم تكن في الدنيا أحسن كتباً منها كلها بخطوط الأئمة المعتمدة وأصولها المحررة^(٣) وكانت هذه الدار على غرار بيت الحكمة الذي شاده الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ) وغذاه من بعده ولده المأمون (١٩٨-٢١٨ هـ). وكان يتردد على دار العلم السابورية عدد من العلماء والأدباء والفلاسفة والباحثين على اختلاف أجناسهم^(٤)، وتقع هذه الدار في الكرخ من بغداد في محلة بين السورين، ويقول ابن الجوزي إنّ سابور بن أردشير «عمّرها ويبيّضها وسماها دار العلم» ووقفها على أهله، ونقل إليها كتباً كثيرة ابتاعها وجمعها وعمل لها فهرساً، وردّ النظر في أمورها ومراعاتها، والاحتياط عليها إلى الشريفين أبي الحسين محمد بن الحسين بن أبي شيبة، وأبي عبد الله محمد بن أحمد الحسيني، والقاضي أبي عبد الله الحسين بن هارون الضبي، وكلّف الشيخ أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمي فضل عناية بها^(٥) وكانت لهذه الدار موارد

(١) المعري، شروح سقط الزند: السفر الثاني، ق ٣، ص ١٢٤٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم: ج ٨، ص ٢٢. الذهبي، مختصر تاريخ الذهبي: ورقة ٩٩.

(٣) ياقوت، معجم البلدان: مج ١، ص ٧٩٩.

(٤) مصطفى جواد، وأحمد سوسة: دليل خارطة بغداد، ص ١٤٦.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم: ج ٧، ص ١٧٢.

وأوقاف تصرف على شؤونها «ومن المحتمل أنَّ قسماً من وارد الوقف المذكور يصرف لأغراض تعليمية لأنَّ الأصل في الوقف أن يكون لأغراض دينية وإنَّ تعليم علوم آل البيت ﷺ وتعلُّمها يقعان في صميم الأغراض المذكورة»^(١).

وهذا يعني أنَّ مؤسسة سابور هذه كانت مؤسسة فكرية علمية «ذات صلة بالتعليم شأنها شأن مثيلاتها من دور العلم أمثال دار علم الشريف الرضي وغيرها»^(٢) ويقول ابن كثير: إنَّ دار العلم هذه أوَّل مدرسة وقفت على الفقهاء، وكانت قبل النظامية بمدة طويلة^(٣) ومن الثابت أنَّ المدرسة النظامية افتتحت عام ٤٥٩هـ في حين أنَّ دار العلم تأسست عام ٣٨١هـ، والنص الذي أورده ابن كثير تأكيد بأنَّ دار العلم السابورية كانت تؤدي وظيفة تعليمية إضافة إلى كونها مؤسسة فكرية وذلك لورود عبارة (المدرسة) أولاً، ومقارنتها (بالنظامية) ثانياً، ومن الصعب تحديد نشوء أوَّل مدرسة ببغداد لكن من المتفق عليه وجود مؤسسات مشابهة قبل عهد نظام الملك مؤسس المدرسة النظامية، منها مؤسسة سابور العلمية^(٤).

كانت دار العلم ملتقى الأدباء والباحثين، وامتدَّى العلماء والمفكرين يُشدُّ إليها الرحال من كلِّ مكان، وإليها كان الشاعر العربي الكبير أبو العلاء المعرِّي (٣٦٣-٤٤٩هـ) يتردد أيام مكوثه ببغداد، حيث أثر الإقامة بها، وكان مجيئه إليها عام ٣٩٩هـ، وأقام بها سنة وسبعة أشهر ثم عاد إلى وطنه في معرّة

(١) فياض، تاريخ التربية عند الإمامية: ص ٩٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية: ج ١١، ص ٣١٢.

(٤) خدابخش، الحضارة الإسلامية: ص ١٧٣.

النعمان^(١)، وله فيها قصيدة معروفة منها:

وغنّت لنا في دار سابور قينة من الورق مطراب الأصائل ميهال^(٢)

والمقصود من هذه القينة «حمامة سمعها تهدل على شجرة مزهرة من أشجار دار العلم المذكورة»^(٣) تطرب بالعشيات^(٤)، وكان من موظفي هذه الدار ومكتبتها الكبيرة يومذاك فتاة سوداء كانت تعير الكتب للنساخ، وقد أشار أبو العلاء المعري عن لسانها وهي تقول: «أنا توفيق السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان أبي منصور محمّد بن علي الخازن، وكنت أخرج الكتب إلى النساخ»^(٥) وبقي أبو العلاء يحنُّ إلى دار العلم بعد مغادرته بغداد، ويتذكر أجواءها العلمية، وما كان يدور في رحابها من آراء ومناقشات، وقد كتب مذكراته في رسائله، وقد أرسل من معرّة النعمان إلى أبي بكر محمّد ابن أحمد الصابوني البغدادي يقول: «وشوقي إليه وإلى الجماعة الذين عرفتهم بمدينة السلام كالنسيم لا يجمد، ونار فارس ليست تخمد»^(٦) ومما يبدو أنّ جانب الكرخ من بغداد كان يحتوي على مؤسسات فكرية عديدة عدا (دار العلم) فيقول ابن الجوزي: «وجمعت الكرخ منازل عجيبة بديعة البناء وفيها درب الزعفران وفيه الدار العجيبة ودرب رباح وشارع ابن أبي عوف وباب

(١) ابن الجوزي، المنتظم: ج ٨، ص ١٨٤. أبو الفداء، المختصر: ج ٢، ص ١٧٦.

(٢) المعري، شروح سقط الزند: السفر الثاني، ق ٣، ص ١٢٣٩.

(٣) مصطفى جواد، مقالة في مجلّة المجمع العلمي العراقي: مج ٤، ج ٢، ص ٥٠٤.

(٤) المعري، شروح سقط الزند: السفر الثاني، ق ٣، ص ١٢٣٩.

(٥) المعري، رسالة الغفران: ص ٢٧٩.

(٦) المعري، رسائل أبي العلاء: الرسالة ١٥، ص ٤٥.

محول، وكان في سور الحلاويين خزانة كتب فيها اثنا عشر ألف مجلد^(١)، ويبدو أن كل منطقة من محلات الكرخ هذه أو معظمها، تضم مكتبة، أو دار علم، أو مؤسسة فكرية من نوع آخر، وقد ذكر أبو العلاء في إحدى رسائله عن الكرخ يقول: «ولو قدرت لم أقدح إلا بمرخ، ولا سكنت بلداً غير الكرخ»^(٢)، ومن شدة حنينه إلى دار العلم الشهيرة ببغداد كتب إلى خازنها أبي منصور يقول: لقد طربت من اللوعة لا من الجذل حتى قال أخو العذل، أمن جهل أم حلم. طربك إلى دار العلم:

فو الله ما أدري إذا ما ذكرتها أثنتين صليت الضحى أم ثمانية^(٣)
ومن الجدير بالذكر أن الشريف الرضي أنشأ مؤسسة فكرية ببغداد أسماها (دار العلم) وقد ورد في بعض النصوص التاريخية إشارة إلى دار العلم دون توضيح عائديتها: أكانت لسابور بن أردشير، أم للشريف الرضي، سوى أن بعض الباحثين والمؤلفين أهديت نتاجاتهم العلمية لخزانة كتب (دار العلم) فذكر ياقوت عند ترجمته لأحمد بن خيران الكاتب، المتوفى عام ٤٣١ هـ أنه: «سلم إلى أبي منصور الشيرازي رسول ابن النجار إلى مصر من بغداد جزأين من شعره، ورسائله، واستصحبهما إلى بغداد، ليصرفهما على الشريف المرتضى أبي القاسم وغيره، ممن يأنس به من رؤساء البلد، ويستشير في تخليدهما دار العلم»^(٤)، كما أن جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع المتوفى عام ٣٩٦ هـ، أوقف

(١) ابن الجوزي، مناقب بغداد: ص ٢٧-٢٨.

(٢) المعري، رسائل أبي العلاء: الرسالة ١٦، ص ٤٧.

(٣) المصدر السابق: الرسالة ١٩، ص ٥٢.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ج ١، ص ٥-٦.

نسخة على دار العلم ببغداد^(١)، وذكر ياقوت في ترجمة علي بن فضال المجاشعي المغربي أنّه كان يدرس النحو في دار العلم ببغداد^(٢) ولكنّ في أغلب الظن أنّ دار العلم هذه هي دار علم سابور بن أردشير البويهّي، ومما يؤيد ذلك أنّها انتقلت بعد وفاة مؤسسها عام ٤١٦ هـ إلى رعاية الشريف المرتضى حيث عيّن عليها أبا عبد الله بن أحمد مشرفاً^(٣) وبقيت تؤدي دورها في خدمة العلم والثقافة حتى عام ٤٥١ هـ حيث «احتترقت فيما أحرق من محال بغداد»^(٤) على يد السلاجقة، وذلك عند احتلال بغداد على يد طغرل بك للمرة الثانية وقضائه على حركة البساسيري، وقد عرض التراث الإسلامي إلى الضياع وعرضوا بعض رجاله إلى الخطر، وإزاء هذه الموجة العاتية انبرى بعض الغيارى لحفظ قسم من هذا التراث، ففي عام ٤٥٢ هـ أوقف أبو الحسن محمّد بن هلال الصابي «دار كتب بشارع ابن أبي عوف من غربي مدينة السلام ونقل إليها نحو ألف كتاب»^(٥)، وذلك خوفاً من ضياع العلم بعد إحراق مؤسسة دار علم سابور بن أردشير^(٦). ولا بد من الإشارة إلى أنّ سابور بن أردشير كان نفسه أديباً فنياً^(٧)، من أهل العلم، عفيفاً عن الأموال كثير الخير، سليم الخاطر^(٨)، جمعت فيه الكفاية

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: ج ١، ص ١٤٦.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ج ١٤، ص ٩٨.

(٣) المصدر السابق: ج ٦، ص ٣٥٩.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: مج ٤، ص ٢٥٥.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم: ج ٨، ص ٣١٦.

(٦) المصدر السابق: ج ٨، ص ٢١٦.

(7) Margoliouth MA: Litters of Abaof Maarat AL - Nauman, P.23.

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية: ج ١٢، ص ١٩.

والدراية^(١) ويقول مارجليوث: إنَّ سابور كان على رأس الحركة الأدبية والفنية^(٢).

٢- دار علم الشريف الرضي: أنشأ الشريف الرضي (٣٥٩-٤٠٦هـ) داراً أسماها (دار العلم)^(٣)، وقد خصص لطلبتها «جميع ما يحتاجون إليه»^(٤)، وقد كانت دار علم ودراسة، وسكن للطلاب، وهي أشبه بالمدرسة ذات الأقسام الداخلية في الوقت الحاضر، ومما يؤيد ذلك أنَّ أحد الطلاب احتاج يوماً إلى زيت للسراج لإضاءته، ولم يجد الخازن المسؤول، فاقترض زيتاً من حانوت مجاور، ولما علم الشريف الرضي بذلك أمر أن يتخذ في الحال مفاتيح لعدد الطلبة، ويدفع إلى كلٍّ منهم مفتاحاً ليأخذ حاجته دون انتظار الخازن^(٥) ولسعة هذه المؤسسة الفكرية أطلق عليها نكلسن اسم (الأكاديمية)^(٦)، على اعتبار أنَّها مؤسسة تعليمية عالية يجد الطالب فيها المقام والمأوى والدرس. ويقول عواد لم تكن دار علم الشريف الرضي: «مدرسة حسب، بل كان يتبعها مخزن فيه جميع ما يحتاجه الطالب من الأمور المادية، وإلى جانب ذلك خزانة كتب حافلة عرفت بخزانة دار العلم وقد كانت هذه الخزانة في مصافِّ الخزائن الكبرى ببغداد، منظمة تنظيماً حسناً»^(٧)، ويذكر مارجليوث: «أنَّ الرضي قد اتخذ بيتاً

(١) ابن خلكان، وفیات الأعيان: ج ٢، ص ٩٩.

(2) M.A. Litters of Abul-Ala-of Maarrat AL- Nnman. Margliouth, P.23.

(٣) ابن عنبه، عمدة الطالب: ص ١٩٩.

(٤) المصدر السابق نفسه. متز، الحضارة الإسلامية: ج ١، ص ٣١٢.

(٥) الخوانساري، روضات الجنات: ص ٥٧٥.

(٦) نكلسن، تاريخ الأدب العباسي: ص ٩٢.

(٧) كوركيس عواد، خزائن الكتب: ص ٢٣١.

خاصّاً يجتمع فيه الدارسون والمعجبون»^(١) ولم تسعفنا المصادر عن الكتب التي كانت تضمها دار العلم هذه.

وقد لعبت دور العلم ببغداد دوراً في إنهاء الحركة الفكرية، وقد أسهمت «بعملية التعليم بجانب الأمانة التقليدية أمثال المساجد ومنازل العلماء وكانت المؤسّسات الجديدة هذه أصلح للتعليم من المساجد بالنسبة للإمامية خاصة، فدور العلم أصلح للتعليم من المساجد العامة لوجود الكتب ووسائل المطالعة الأخرى وربما السكن والعيش فيها من جهة، ولأنّ الإمامية لم يكونوا في الغالب، أحراراً في تعليم قواعد مذهبهم في المساجد المذكورة من جهة أخرى»^(٢)، ولكن وجدوا الحرية النسبية في ظلّ الحكم البويهي في العراق حيث كان مجلس الشيخ المفيد (٣٣٨-٤١٣هـ) يناظر فيه في كلّ المذاهب الإسلامية^(٣) بحريّة تامة. فالجو الفكري المشبع بالأصالة والإبداع في أثناء الحكم البويهي كان من جملة الأسباب التي دفعت العلماء للهجرة إلى بغداد للإفادة والاستفادة، وكان من جملة هؤلاء الشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) الذي استفاد كثيراً من محيط بغداد العلمي، بما احتك به من علماء ومكتبات، ودور علم وسائر فرص الاستزادة من المعرفة بفروعها المختلفة.

ثانياً: المكتبات؛

لقد اشتهرت بمدينة بغداد مكتبتان عظيمتان: الأولى: مكتبة سابور بن أردشير الوزير البويهي، وقد أشرنا إليها عند التحدث عن دار العلم، والثانية:

(1) Litters of Abul-Ala. P.23.

(٢) فياض، تاريخ التربية: ص ٩٥.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية: ج ١٢، ص ٥٣.

مكتبة الشريف المرتضى:

أنشأ الشريف المرتضى (٣٥٥-٤٣٦هـ) مكتبة كبيرة ببغداد، تحتوي على ثمانين ألف مجلد^(١)، ويقول أبو القاسم التنوخي وهو صاحب الشريف المرتضى: «حصرنا كتبه فوجدناها ثمانين ألف مجلد من مصنفاته ومحفوظاته ومفرداته»^(٢)، وقد أصبحت هذه المكتبة ملتقى العلماء والباحثين، ومن النادر «أن يجتمع نظيرها عند أحد غيره»^(٣) إضافة إلى أن داره كانت دار علم ومناظرة^(٤) يختلف إليها الباحثون والدارسون. وقد سعى الشريف المرتضى إلى تنمية الحركة العلمية والفكرية ببغداد، والحفاظ على استمراريتها إذ أوقف «قرية على كاغد الفقهاء»^(٥)، وقد كان يجري على تلامذته رزقاً فكان للشيخ الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن، أيام قراءته عليه اثنا عشر ديناراً. وللقاضي ابن البراج عبد العزيز بن تحرير المتوفى عام ٤٨١هـ، ثمانية دنانير، في كل شهر^(٦)، وبالجملة أن الشريف المرتضى كان «يجري على سائر تلامذته كل بنسبته»^(٧)، والواقع أنه كان يجري هذا العطاء حتى على الذين يتفرغون لطلب العلم من أهل الذمة أيضاً^(٨) وذكر ابن بسام أن الشريف المرتضى «إمام أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق

(١) ابن عنبه، عمدة الطالب: ص ١٩٥.

(٢) الحسيني، الدرجات الرفيعة: ص ٤٦٣.

(٣) كوركيس عواد، خزائن الكتب: ص ٢١٤.

(٤) ابن حجر، لسان الميزان: ج ٤، ص ٢٢٣.

(٥) الأفندي، رياض العلماء: ج ٣، ورقة ٣٣٢.

(٦) الخوانساري، روضات الجنات: ص ٣٨٣. الحسيني، الدرجات الرفيعة: ص ٤٦٠.

(٧) البحراني، لؤلؤة البحرين: ص ٢٩٥.

(٨) السماهيجي، الإجازة: ورقة ٣٧ أ.

إليه فزع علماؤها، وعنه أخذ عظمائها، صاحب مدارسها، وجماع شاردها»^(١) وهذا يعني أنّه كان صاحب مدرسة عظيمة جامعة لمختلف المذاهب والطوائف الإسلامية، وقد أُملى بعض دروسه على طلابه بكتابه (الغرر والدرر).

وكان الأتقياء من الناس، ذوو اليسار منهم، من عشاق العلم «ينشئون المدارس ويوقفون عليها بعض أملاكهم لسدّ حاجات المدرسين والطلبة»^(٢).

ثالثاً : بيوت العلماء :

كان كبار علماء الإمامية يتخذون بيوتهم مراكز للتعليم. ومجالس للنظر، فكان للشيخ المفيد دار «بدرب رباح يحضره كافة العلماء»^(٣)، وكان لابن أشناس الحسن بن محمّد (٣٥٩-٤٣٩هـ)، مجلس بداره في الكرخ يحضرها الشيعة^(٤). وقد قرأ الشيخ الطوسي بعض دروسه على ابن حمويه البصري «ببغداد في دار الغضائري يوم السبت النصف من ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وأربعمائة»^(٥)، ومن الجدير بالذكر أنّ دار الغضائري بقيت مكاناً للدرس بعد وفاة صاحبها الحسين بن عبيد الله عام ٤١١هـ، حيث تولى الإشراف عليها ولده أحمد بن الحسين الغضائري، وكان لابن مهدي عبد الواحد بن محمّد دار في درب الزعفراني ببغداد معدة للتدريس^(٦) وقد قرأ الشيخ الطوسي على أستاذه الوكيل

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج ٣، ص ٣. اليافعي، مرآة الجنان: ج ٣، ص ٥٦.

(٢) خدابخش، الحضارة الإسلامية: ص ١٧٣.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم: ج ٨، ص ١٢.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: مج ٧ ص ٤٢٦.

(٥) الطوسي، الأمالي: ج ٢، ص ١٣.

(٦) الطوسي، الأمالي: ج ١، ص ٢٦٣.

علي بن شبل في منزله في الربض بباب محول وهي من محال الكرخ ببغداد^(١) وحضر كذلك دروس أستاذه المعدل علي بن محمد بمنزله في رجب عام ٤١١هـ^(٢) ودروس أستاذه ابن مخلص محمد بن محمد (٣٢٩-٤١٩هـ) بداره بدرب السلولي في القطيعة^(٣) وقد علل أستاذنا الدكتور الفياض هذا الأسلوب من التعليم في البيوت بأنه كان «خوفاً من رقابة السلطان» وتعرض شيوخ الإمامية، ما عدا الفترة البويهية لرقابة مشابهة لتلك التي تعرض لها الأئمة، لذا فقد آثروا الابتعاد، خاصة في الأماكن التي تشتد فيها الرقابة، عن المساجد ليقوموا بتدريس علومهم دون مضايقة^(٤).

رابعاً: المساجد:

اتخذ بعض المشايخ في بغداد المساجد مكاناً للتدريس والإملاء، فيقول الشيخ الطوسي: «حدثنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس الحافظ إملاء في مسجد الرصافة جانب الشرقي ببغداد في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وأربعمائة»^(٥) ومن الجدير بالذكر أن ابن أبي الفوارس من شيوخ أهل السنة^(٦) كما أنه استمع إلى ابن الصلت أحمد بن محمد الأهوازي بمسجده بشارع دار الرقيق في ربيع الأول من سنة تسع وأربعمائة^(٧) وكان نظام الحلقات هو النظام

(١) الطوسي، الأمالي: ج ٢، ص ١٩.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٣.

(٤) فياض، تاريخ التربية: ص ٧٩.

(٥) الطوسي، الأمالي: ج ١، ص ٣١٣.

(٦) العلامة الحلي، الإجازة الكبيرة. بحار الأنوار: مج ٢٦، ص ٢٨.

(٧) الطوسي، الأمالي: ج ١، ص ٣٤٠.

السائد في التعليم بالمساجد، وكانت المناظرات السمة البارزة في هذه الدراسة.

وكان مسجد المنصور قد أعدّ للتدريس، وكان الشيخ أبو عبد الله الحسين ابن أحمد البزار (ت ٤٤٧ هـ) يلقي محاضراته فيه^(١) وإنّ أبرز مساجد الشيعة في بغداد في العصر العباسي هو (مسجد برatha) وقد أعدّ لتدريس الفكر الإمامي، ويقع في منطقة الكرخ، وقد أشار إليه الخطيب البغدادي بقوله: «وكان في الموضع المعروف برatha مسجد يجتمع فيه قوم ممن ينتسب إلى التشيع، ويقصدونه للصلاة والجلوس فيه، فرفع إلى المقتدر بالله (الخليفة العباسي) بأنّ الرافضة يجتمعون في ذلك المسجد، فأمر بكبسه يوم الجمعة وقت الصلاة، فكبس وأخذ من وجد فيه فعوقبوا وحبسوا حبساً طويلاً، وهدم المسجد حتى سوي بالأرض، وعفى رسمه ووصل بالمقبرة التي تليه، ومكث خراباً إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة»^(٢) ويستفاد من هذا النص أنّ السلطة لم تراع حرمة الجامع وقديسيته، ولم تكتفِ بتهديمه، بل منعت الصلاة فيه، واعتقال المصلين، وقد أسهم الخليفة بنفسه على هذا الإجراء التعسفي، ولكن يبدو أنّ تجمع الشيعة في مسجد برatha كان يشكل قلقاً للسلطة، وقد أشارت المصادر إلى الفقيه الشيخ أبي العباس أحمد بن محمّد بن سعيد المعروف (بابن عقدة) والمتوفى عام ٣٣٣ هـ كان يلقي دروسه ومحاضراته في مسجد برatha.

خامساً: المدارس:

لم تسعفنا المصادر في تحديد نشوء المدارس عند الإمامية ببغداد خلال القرن

(١) القمي، الكنى والألقاب: ج ١، ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١، ص ١٠٩.

الخامس الهجري، سوى أنَّ المؤسَّسات الفكرية، كدار علم سابور بن أردشير التي تطوَّرت بما يشبه المدرسة بما كانت تقوم به من وظيفة تعليمية وقد أشرنا إلى ذلك، ويعلل الدكتور الفياض هذا الفراغ في المؤسَّسات الفكرية «إلى الضعف العام الذي حلَّ بحركة التشيع نتيجة للهجمات التي شنَّها السلاجقة على التشيع على الصعيدين الفكري والسياسي معاً»^(١).

توزَّعت المؤسَّسات العلمية والثقافية عند الإمامية في بغداد في العصر العباسي على محال منطقة الكرخ، التي هي «من أحسن محال بغداد وأعمرها»^(٢). وقد حدد المؤرخ ابن الجوزي مواضع هذه المؤسَّسات من منطقة الكرخ وهي^(٣):

١- درب الزعفران.

٢- درب رباح.

٣- شارع ابن أبي عوف.

٤- باب محول.

٥- سور الحلاويين.

وذكرت المصادر التاريخية والبلدانية أنَّ في درب الزعفران (الدار العجيبة) وأنَّ في سور الحلاويين خزانة كتب تحتوي على اثني عشر مجلداً، وعند دخول الشاعر أبي العلاء المعرِّي إلى مدينة بغداد عام ٣٩٩هـ، اختار السكن في منطقة الكرخ فيقول: «ولا سكنت بلداً غير الكرخ»^(٤). ووصف مجالس النظر والجدل في المسائل العلمية والعقائدية بقوله: «ومجتمع أهل الجدل، وموطن

(١) فياض، تاريخ التربية: ص ١٠١.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٧٩٩.

(٣) ابن الجوزي، مناقب بغداد: ص ٢٧-٢٨.

(٤) أبو العلاء المعرِّي، الرسائل: ص ٤٠.

بقية السلف»^(١). وقد وقفنا على مؤسسات بغداد العلمية والثقافية ووجدناها تتركز في المؤسّسات الآتية:

- ١- دور العلم.
- ٢- دور العلماء.
- ٣- المكتبات.
- ٤- المساجد والمشاهد.
- ٥- المجالس.

وقد أسهمت هذه المؤسّسات في الحركة النهضة العلمية التي شهدتها مدينة بغداد في القرن الرابع الهجري، والنصف الأوّل من القرن الخامس الهجري وهي على النحو الآتي:

١- دار علم الوزير أبي نصر بن سابور:

شيّد الوزير البويهبي أبو نصر بن سابور (٣٣٦-٤١٦هـ) داراً للعلم في بغداد، وأصبح لها إسهامة في إنعاش الحياة العلمية والفكرية والثقافية، وقد أضافت إلى مشاريعها، مهمة تعليمية، وكان مؤسسها قد جمع بين الدراية والكفاية، وقد قصد هذه الدار جماعة من رجال العلم والفكر والأدب، وأصبحت محطة للشعراء والأدباء^(٢). وقد بنيت دار العلم عام ٣٨١هـ، ووضع فيها مؤسسها عشرة آلاف مجلد، ووقف عليها الوقوف، وضمتّ مائة مصحف

(١) طه حسين، تعريف القدماء بأبي العلاء.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٩٩. ابن كثير، البداية والنهاية: ج ١٢، ص ١٩.

Litteres OF Abul - ALa OF Maarat AL- Numan, P.23, Margoliouth M. A

بخطوط بني مقلّة^(١). ويقول ياقوت الحموي: لم تكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كلّها بخطوط الأئمة المعتمدة، وأصولها المحررة^(٢). وقد أشرف على هذه الدار أعلام وأشرف وقضاة وهم:

- ١ - الشريف أبو الحسين محمد بن الحسين بن أبي شيبة.
- ٢ - الشريف أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسين.
- ٣ - القاضي أبو عبد الله الحسين بن هارون الضبي.
- ٤ - الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي.

ويقول المؤرخ ابن كثير: إنّ دار العلم السابورية هي أوّل مدرسة وقفت على الفقهاء، وكانت قبل المدرسة النظامية بمدة طويلة^(٣). وقد أعطى هذا النص لدار العلم السابورية صفة المدرسة عند مقارنتها بالمدرسة النظامية التي تأسست عام ٤٥٩هـ؛ لأنّها كانت تؤدي وظيفة تعليمية، فضلاً عن كونها مؤسسة فكرية وعلمية، وإنّه من الصعب تحديد نشوء أوّل مدرسة بمدينة بغداد، ولكن من المتفق عليه وجود مؤسسات مشابهة قبل عهد الوزير نظام الملك، مؤسس المدرسة النظامية ومنها مؤسسة الوزير سابور^(٤). وكانت مقصداً لرجال العلم والفكر والأدب ومنتدى العلماء والباحثين، وقد تردد عليها الشاعر الكبير أبو العلاء المعريّ (ت ٤٤٩هـ) أثناء مكوثه في مدينة بغداد، وله في هذه الدار قصيدة منها^(٥):

(١) ابن الجوزي، المنتظم: ج ٨، ص ٢٢. السيوطي، تاريخ الخلفاء: ص ٤١٢.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٧٩٩.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية: ج ١١، ص ٣١٢.

(٤) خدابخش، الحضارة الإسلامية: ص ١٧٣.

(٥) أبو العلاء المعريّ، شروح سقط الزند: السفر الثاني، القسم الثالث، ص ١٢٣٩.

وغنّت لنا في (دار سابور) قينة من الورق مطراب الأصائل ميهال والمقصود بالقينة، حمامة سمعها تهدل على شجرة مزهرة من أشجار دار العلم السابورية، وكانت تطرب بالعشيات^(١). وقد أقام أبو العلاء المعري في هذه الدار سنة وسبعة أشهر، ثم عاد إلى وطنه (معرة النعمان)^(٢). وبقيت ذكريات الدار السابورية عالقة في ذهن أبي العلاء، وقد دوّنها في كتابه (رسائل أبي العلاء) ومنها المناقشات الجدلية والمحاججات الكلامية، فأرسل إلى أبي بكر محمد بن الصابوني البغدادي رسالة جاء فيها: «وشوقي إليه وإلى الجماعة التي عرفتهم بمدينة السلام كالنسيم لا يجمد، ونار فارس ليست تخمد»^(٣). ولم ينس أبو العلاء (توفيق السوداء) التي كانت تخدم في دار العلم السابورية، فذكرها بقوله: «أنا توفيق السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان أبي المنصور محمد بن علي الخازن، وكنت أخرج الكتب إلى النساخ»^(٤). وكشف أبو العلاء عن حنينه إلى بغداد ولعلمائها الذين ضمتهم دار العلم، فكتب إلى أبي منصور الخازن قائلاً: «ولو قدرت لم أقدح إلّا بمرخ، ولا سكنت بلداً غير الكرخ» ويقول: «لقد طربت من اللوعة لا من الجذل حتى قال أخو العذل، أمن جهل أم حلم طربك إلى دار العلم»^(٥).

فوالله ما أدري إذا ماذكرتها أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا

(١) أبو العلاء المعري، الرسائل (الرسالة الخامسة عشر)، ص ٤٥.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم: ج ٨، ص ١٨٤. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر: ج ٢، ص ١٧٦.

(٣) أبو العلاء المعري، الرسائل (الرسالة الخامسة عشر)، ص ٤٥.

(٤) أبو العلاء المعري، رسالة الغفران: ص ٢٧٩.

(٥) أبو العلاء المعري، الرسالة (١٦)، ص ٤٧، والرسالة (١٩)، ص ٥٢.

وعند وفاة الوزير سابور بن أردشير (مؤسس دار العلم) سنة ٤١٦هـ تولى الشريف المرتضى الإشراف عليها، وعيّن أبا عبد الله بن أحمد تدبير شؤونها^(١). وبقيت تؤدي دورها العلمي حتى عام ٤٥١هـ، فأحرقت عند دخول القائد السلجوقي طغرل بك مدينة بغداد، بعد قضائه على حركة البساسيري، ويقول ياقوت الحموي: «وقد احترقت فيما احرق من محال بغداد»^(٢). وقد التهمت النيران الخزائن الهائلة المحفوظ من التراث الإسلامي في دار العلم، وأصبحت الكتب التي أودعها الباحثون والمؤلفون والتي كانت تسمى (التخليد) أي: (الإيداع) في الوقت الحاضر^(٣). تحت ألسنة النار، وتعرض رجال العلم والفكر والأدب للقتل والتشريد، وأن وصمة العار التي لحقت بالسلطة السلجوقية في بغداد، تلتقي بأهداف وصمة العار الأيوبية في القاهرة، فقد دفع الحقد الطائفي الأسود أصحاب النفوس المريضة إلى إتلاف موارد العلم والثقافة، دون مراعاة حرمة المصاحف الشريفة وكتب الحديث الكريمة، وعصارات الذهن ونتائج الفكر التي أودعت في الكتب والرسائل والردود والإجابات وغيرها.

٢ - دار علم الشريف الرضي:

أسس الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦هـ) دار علم في بغداد، وخصّص لطلبتها جميع ما يحتاجون إليه^(٤). ويقول السيّد ابن عنبه الداودي: إنّ الشريف الرضي أمر أن يتخذ لخزانة الدار مفاتيح بعدد الطلبة،

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ج ٦، ص ٣٥٩.

(٢) المصدر نفسه: ج ٤، ص ٢٥٥.

(٣) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام: ص ١٣٠.

(٤) آدم متمر، الحضارة الإسلامية: ج ١، ص ٣١٢.

ويدفع إلى كلّ منهم مفتاحاً ليأخذ منها ما يحتاج إليه، ولا ينتظر خازنها يعطيه^(١). وقد كانت هذه الخزانة في مصافّ الخزائن الكبرى ببغداد، منظمة تنظيمًا حسنًا^(٢). ويقول المستشرق مرجليوث: كان الشريف الرضي قد اتخذ بيتاً خاصاً يجتمع فيه الدارسون والمعجبون^(٣). ويذكر الشيخ النجاشي: أنّ شيخه أبا الحسين بن المهلوس العلوي الموسوي كان يحدث في مجلس الشريف الرضي، وقد استمع إليه، وبحضور الشيخ المفيد^(٤). وهذا له دلالة على أنّ دار العلم، وبيت الرضي، كانا للدراسة وسكن الطلبة، ومما يؤيد ذلك أنّ الوزير أبا محمد المهلبى دفع للشريف الرضي مبلغاً مقداره ألف دينار يوم ولد له مولود، فرد الشريف المبلغ لصاحبه، ولكن الوزير أرجعه إليه على أن يفرقه على ملازميه من طلاب العلم، فجمع الشريف الرضي طلابه وقال لهم: فليأخذ كلّ واحد ما يريد، فقام رجل منهم وأخذ ديناراً فقرض من جانبه قطعة، وأمسكها وردّ الدينار إلى الطبق، فسأله الرضي عن ذلك فقال: إنّي احتجت إلى دهن السراج ليلة فلم يكن الخازن حاضراً، فاستقرضت من فلان البقال دهناً للسراج، فأخذت هذه القطعة لأدفعها إليه عوض دهنه، فلما سمع الشريف الرضي ذلك، أمر في الحال، مفاتيح للجميع، لكي يسهل الأمر لجميع الطلاب^(٥).

وورد في بعض المصادر اسم (دار العلم) دون تحديد اسم صاحبها وإنّما الاكتفاء بالقول: أهدى بعضهم نتاجاته العلمية خزانة الكتب (دارالعلم)

(١) ابن عنبه، عمدة الطالب: ص ١٩٨-١٩٩.

(٢) كوركيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق: ص ٢٣١.

(3) Litters OF Abul ALa.P.23.

(٤) النجاشي، الرجال: ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٥) ابن عنبه، عمدة الطالب: ص ١٩٨. الخوانساري، روضات الجنات: ص ٥٧٥.

وذكر ياقوت الحموي عند ترجمته لأحمد بن خيران الكاتب، المتوفى عام ٤٣١هـ أنه سلم إلى أبي منصور الشيرازي رسول ابن النجار إلى مصر من بغداد جزأين من شعره ورسائله، واستصحبهما إلى بغداد ليصرفهما على الشريف المرتضى أبي القاسم وغيره، ممن يأنس به من رؤساء البلد، ويستشير في تخليدها دار العلم ببغداد^(١). وأوقف جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع المتوفى عام ٣٩٦هـ، نسخة على دار العلم ببغداد^(٢). وذكر ياقوت الحموي عند ترجمته لعلي بن فضال المجاشعي المغربي، أنه كان يدرس النحو في دار العلم ببغداد^(٣). ويحتمل أن المقصود بالنصوص التي أوردناها أن دار العلم هذه هي دار سابور بن أردشير والتي أشرف عليها الشريف المرتضى بعد وفاة مؤسسها ويبدو أن أبا الحسن محمد بن هلال الصابي بعد حادثة احتراق دار العلم السابورية بعام واحد أوقف نحو ألف كتاب على دار كتب تقع في شارع ابن أبي عوف من غربي مدينة السلام، وذلك في عام ٤٥٢هـ^(٤). وقد جاء عمل هذا تعويض مدينة بغداد مما تلف من تراثها على يد السلاجقة الغزاة، وضياع العلم من مؤسساتها. ويبدو أن مؤسسة دار العلم الرضوية قد اكتسبت الصفة الجامعية الأكاديمية وفق مفاهيم عصرنا، إذ إن طالب العلم يجد المقام والدرس والمكتبة والسكن، ويقول الأستاذ كوركيس عواد: لم تكن دار علم الشريف الرضي مدرسة فحسب، بل كان يتبعها مخزن فيه جميع ما يحتاجه الطالب من الأمور المادية، وإلى جانب ذلك خزانة كتب حافلة عرفت بخزانة دار العلم، وقد كانت

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ج ١، ص ٥-٦.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: ج ١، ص ١٤٦.

(٣) ياقوت، معجم الأدباء: ج ١٤، ص ٩٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم: ج ٨، ص ٢١٦.

هذه الخزانة في مصافّ الخزائن الكبرى ببغداد، منظمة تنظيمياً حسناً^(١). ويقول المستشرق (مارجليوث): إنّ الشريف الرضي قد اتخذ بيتاً خاصاً يجتمع فيه الدارسون والمعجبون^(٢).

وقد أشار الشريف الرضي في كتابه (المجازات النبوية) إلى أعلام مدينة بغداد الذين تتلمذ عليهم، وحلقة أستاذه الشيخ المفيد، وكان هؤلاء الأعلام يشكلون أطياف الفكر الإسلامي وهم:

- ١- أبو الفتح عثمان بن جني النحوي.
- ٢- أبو الحسن علي بن عيسى الربعي.
- ٣- أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى.
- ٤- أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني.
- ٥- القاضي عبد الجبار البغدادي.
- ٦- أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي.
- ٧- عمر بن إبراهيم المقرئ.
- ٨- أبو حفص الكناني.

وكانت حلقة الشيخ المفيد، وحلقة الشيخ السيرافي أكبر حلقات الدرس في مدينة بغداد، وقد تولّى الشريف الرضي رعاية المدرسة البغدادية بعد وفاة شيوخه، وقد تحلّق حوله أعلام الفكر الإسلامي ومنهم:

- ١- الشيخ جعفر بن محمد الدورستاني.
- ٢- عبد الرحمن النيسابوري.

(١) كوركيس عواد، خزائن الكتب: ص ٢٣١.

٣- سبط بشر الحافي عبد الكريم بن محمد الديباجي.

٤- أحمد بن الحسين الخزاعي.

وكان أهل الذمة بمدينة بغداد في رعاية الشريفيين الرضي والمرضى وحظي أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي باهتمام وتقدير عندهما ولما توفي أبو قرة ثابت الحراني، رثاه الشريف الرضي بقصيدة منها:

أعلمت مَنْ حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي
جبل هوى لو خرَّ في البحر اغتدى من وقعه متتابع الإزباد
ما كنت أعلم قبل حطّك في الثرى أنّ الثرى يعلو على الأطواد
وقد تحرر الشريف الرضي من التعصّب الديني والمذهبي، وكان موضوعاً في تقييم العلماء والعظماء، ولم تمنعه موضوعيته من رثاء الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز بقوله:

يابن عبد العزيز لو بكت العين فتىً من أمية لبكيتك
أنت نزهتنا عن السبِّ والشتم فلو يمكن الجزاء لجزيتك
وقد أورد الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي (ت ٩٦٦هـ) في كتابه (منية المريد في آداب المفيد والمستفيد) أخباراً مهمة عن الشريف الرضي منها: إنّ أحدهم أراد تقديم هدية للشريف الرضي بمناسبة مولود جديد له، فرفض الهدية، وقد مازحه الخليفة العباسي الطائع بالله بقوله: «أظنك تشم رائحة الخلافة» فأجاب: «بل رائحة النبوة» وقد أراد بذلك إنّ الإمامة هي امتداد للنبوة في واجباتها الدينية.

٣- مكتبة الشريف المرتضى:

أسّس الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ) مكتبة كبيرة في مدينة بغداد، ضمّت ثمانين ألف مجلد، وأشار إليها أبو القاسم التنوخي بقوله: «حصرنا كتبه فوجدناها ثمانين ألف مجلد من مصنفاته ومحفوظاته ومفرداته»^(١). وكانت المكتبة تتسلّم كتباً من الباحثين، فذكر ياقوت الحموي: أن كتباً من مصر أهديت لمكتبة الشريف المرتضى^(٢). وقد أصبحت ملتقى الأدباء العلماء والأدباء، حتى قيل إنّها كانت دار علم ومناظرة^(٣). وقد أراد السيّد المرتضى الحفاظ على استمرارية مكتبته، فإنّه أوقف قرية على كاغد الفقهاء^(٤). وهذا مما جعل مدينة بغداد مبادء العلم الوحيدة، بل حاضرة الثروة والرفاهية والمدنية^(٥). ويقول الأستاذ كوركيس عواد: إنّ مكتبة الشريف المرتضى من النادر أن يجتمع نظيرها عند أحد^(٦). وكان يقصدها أهل العلم من مسلمين وغيرهم، وكان السيّد المرتضى يجري عطاءً للجميع وحتى لأهل الذمة الذين يتفرغون لطلب العلم، وكان يعطي لتلاميذه رزقاً حسب منازلهم العلمية، فكان للشيخ الطوسي اثنا عشر ديناراً في الشهر، وللشيخ ابن البراج ثمانية دنائير في الشهر^(٧).

وقد توسعت هيمنة السيّد المرتضى على طلاب العلم في بغداد بعد وفاة أستاذه الشيخ المفيد عام ٤١٣هـ، فنهض بأعباء المرجعية الدينية العليا، وقيادة المجتمع

(١) ابن عنبه، عمدة الطالب: ص ١٩٥. الحسيني، الدرجات الرفيعة: ص ٤٦٣.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ج ١، ص ٥-٦.

(٣) ابن حجر، لسان الميزان: ج ٤، ص ٢٢٣.

(٤) الأفندي، رياض العلماء: ج ٣ ورقة ٣٣٢.

(٥) محمّد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية: ج ٢، ص ٤٢.

(٦) كوركيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق: ص ٢٣٤.

(٧) الحسيني، الدرجات الرفيعة: ص ٤٦٠. البحراني، لؤلؤة البحرين: ص ٢٩٥، وص ٣١٧.

بما يتناسب مع مقامه العلمي والفقهية، فضلاً عن مقامه الاجتماعي، بوصفه نقيب العلويين في عهده، فتهافت عليه طلاب العلم من إماميين ومسلمين ومن مذاهب متعددة وأهل الذمة، وكانت مناقشاته الكلامية قد أسهمت في تطور الحركة العلمية في بغداد، وقد برزت كتب (النقض) في المجتمع البغدادي، وقد أدت إلى اتساع آفاق المعرفة فكتب الشيخ أبو الحسن سليمان الصهرشتي (تلميذ السيد المرتضى) كتاب (النصير في نقض كلام صاحب التفسير) ويقصد بذلك القاضي أبا يوسف القزويني وأشارت المصادر إلى أن الشيخ الصهرشتي قد جلس في مجلس أستاذه السيد المرتضى.

٤ - مسجد نفطويه النحوي:

كان مسجد نفطويه النحوي مركزاً علمياً في مدينة بغداد، ويقول الشيخ النجاشي: «كنت أتردد إلى المسجد المعروف بمسجد اللؤلؤي، وهو مسجد نفطويه النحوي أقرأ القرآن على صاحب المسجد، وجماعة من أصحابنا يقرأون كتاب الكافي»^(١). وبقي كتاب (الكافي) للشيخ الكليني المتوفى عام ٣٢٩هـ حتى عهد الشيخ النجاشي، المتوفى عام ٤٥٠هـ يدرس في هذا المسجد لأهميته في علم الحديث.

٥ - مسجد الرصافة:

أشار الشيخ الطوسي إلى مسجد الرصافة ومكانته العلمية بقوله: «حدثنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس إملاء في مسجد الرصافة، في الجانب

(١) النجاشي، الرجال: ص ٢٦٧.

الشرقي ببغداد في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وأربع مائة^(١). وكان الشيخ ابن أبي الفوراس من شيوخ أهل السنة^(٢). وإنّ استماع الشيخ الطوسي لعلم من أعلام أهل السنة له دلالة على انفتاح الفكر الإمامي على مذاهب المسلمين من دون أن تكون المذهبية عائقاً في تلقي العلم.

٦- مسجد أبي الحسن أحمد بن محمد الأهوازي:

يقع مسجد الشيخ أبي الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت الأهوازي (ت ٤٠٩ هـ) في شارع دار الرقيق ببغداد، وقد استمع فيه الشيخان النجاشي والطوسي على أستاذهما الشيخ ابن الصلت الأهوازي^(٣). وكان الشيخ الأهوازي من علماء أهل السنة في بغداد^(٤). وقد استمع إليه الشيخ الطوسي في ربيع الأوّل عام ٤٠٩ هـ^(٥)، أي: في السنة التي توفي فيها الشيخ الأهوازي، ويروي الشيخ الطوسي عنه وهو في طريقه لابن عقدة أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني الكوفي، المتوفى عام ٣٣٣ هـ^(٦).

٧- مسجد شارع دار الرقيق:

استمع الشيخ الطوسي إلى ابن الصلت أحمد بن محمد الأهوازي في مسجده

(١) الطوسي، الأمالي: ج ١، ص ٣١٣.

(٢) العلامة الحلي، الإجازة الكبيرة، (بحار الأنوار): ج ٢٦، ص ٢٨.

(٣) الطهراني، طبقات أعلام الشيعة: القرن الخامس، ص ٢٦.

(٤) العلامة الحلي، الإجازة الكبيرة (بحار الأنوار): ج ٢٧، ص ٢٨. النوري، مستدرک

الوسائل: ج ٣، ص ٥٠٩.

(٥) الطوسي، الأمالي: ج ١، ص ٣٤٠.

(٦) الحرّ العاملي، أمل الآمل: ج ٢، ص ٢٧.

الواقع بشارع دار الرقيق في ربيع الأوّل من سنة تسع وأربعمئة^(١). وكان الشيخ الطوسي قد دخل مدينة بغداد عام ٤٠٨هـ، ويبدو أنّه كان يتنقل بين المؤسّسات العلمية في بغداد، والاستماع لشييوخها، وقد خصّصت المساجد بعقد المناظرات الكلامية.

٨- دار الشيخ ابن أشناس:

تقع دار الشيخ ابن أشناس الحسن بن محمّد (ت ٤٣٩هـ) في منطقة الكرخ ببغداد ويحضرها رجال الشيعة^(٢). وقد قرأ فيها الشيخ الطوسي على أستاذه ابن أشناس.

٩- دار الغضائري:

أعدّ الشيخ أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري (ت ٤١١هـ) داراً للدرس والمناظرة وكان الشيخ ابن حمويه البصري يدرس فيها، وقد استمع إليه الشيخ الطوسي في يوم السبت، النصف من ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وأربعمئة^(٣). وهذا يدل على أنّ دار الغضائري بقيت تؤدي دورها العلمي بعد وفاة صاحبها، وكان ولده أحمد بن الحسين الغضائري يتولى الإشراف عليها، ويبدو أنّ الشيخ أبا عبد الله الحسين الغضائري قد احتل موقعاً علمياً كبيراً في بغداد، حتى أطلق عليه لقب شيخ الشيعة^(٤). وقد تتلمذ عليه الشيخان النجاشي والطوسي وأجازهما بجميع رواياته^(٥). ويقول السيّد الخوانساري:

(١) الطوسي، الأمالي: ج ١، ص ٣٤٠.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ٧، ص ٤٢٦.

(٣) الطوسي، الأمالي: ج ٢، ص ١٣.

(٤) الطريحي، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٢٤.

(٥) الطوسي، الرجال: ص ٤٧٠. ابن داود، الرجال: ق ١، ص ١٢٤. العلّامة الحلّي، الرجال:

إنَّه كان بمنزلة الشيخ المفيد في وقته وأوانه^(١). ويقول ابن حجر: إنَّه من كبار شيوخ الشيعة وكان زاهداً ورعاً حافظاً، وإنَّه كان من أحفظ الشيعة بحديث أهل البيت عليهم السلام^(٢).

١٠ - دار الوكيل علي بن شبل:

أعدَّ الشيخ الوكيل علي بن شبل داره الواقعة بباب محول في منطقة الكرخ ببغداد مكاناً للدرس، وقد قرأ فيها الشيخ الطوسي على أستاذه الشيخ الوكيل. في صفر عام (٤١٠ هـ) كما تتلمذ عليه الشيخ النجاشي أيضاً^(٣).

١١ - دار المعدل علي بن محمد:

حضر الشيخ الطوسي دروس أستاذه المعدل علي بن محمّد في منزله في شهر رجب عام ٤١١ هـ^(٤).

١٢ - دار ابن مخلد محمّد بن محمد:

تقع دار الشيخ ابن مخلد محمّد بن محمّد (ت ٤١٩ هـ) في درب السلوي في القطيعة، وقد أعدّت للدرس، وحضر الشيخ الطوسي دروس أستاذه ابن مخلد في هذه الدار، وذلك في ذي الحجة عام ٤١٧ هـ^(٥).

ص ٥٠. ابن حجر، لسان الميزان: ج ٢، ص ٢٨٩.

(١) الخوانساري، روضات الجنات: ص ١٨٣.

(٢) ابن حجر، لسان الميزان: ج ٢، ص ٢٨٩.

(٣) الطوسي، الأمالي: ج ٢، ص ١٩. الأفتدي، رياض العلماء: ج ٥، ورقة ٢٤٦.

(٤) الطوسي، الأمالي: ج ٢، ص ٨.

(٥) الطوسي، الأمالي: ج ٢، ص ٣.

١٣ - دار هارون بن موسى التلعكبري:

أشار الشيخ النجاشي إلى دار الشيخ هارون بن موسى التلعكبري بقوله: «كنت أحضر في داره مع ابه أبي جعفر والناس يقرأون عليه»^(١).

١٤ - دار أبي عمرو عبد الواحد الفارسي:

تقع دار الشيخ أبي عمرو عبد الواحد الفارسي (ت ٤١٠هـ) في درب الزعفران في منطقة الكرخ ببغداد، وإنَّ درب الزعفراني يوصل إلى (رحبة بن مهدي) وهو جد الفقيه الفارسي، وقد استوطن درب الزعفراني علماء وتجار^(٢). وكان الشيخ الفارسي من علماء أهل السنة، وقد استمع إليه الشيخ الطوسي^(٣).

١٥ - مشهد العتيقة:

أشار الشيخ النجاشي إلى لقائه بالشيخ أبي الحسين محمد بن علي الشجاعى الكاتب في مجلس أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني، المعروف بأبي زينب وهو يقرأ عليه كتاب الغيبة في مشهد العتيقة^(٤). وقد قرأ الشيخ النجاشي كتاب (الصيام) في المشهد المذكور عن ابن الزبير^(٥).

المصدر: مدرسة بغداد العلمية وأثرها في تطور الفكر الإمامي، أ.د. حسن عيسى الحكيم: ط ١، ١٣٩٢هـ.

(١) النجاشي، الرجال: ص ٣٠٨.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٥٦٢. البغدادي، مرصد الإطلاع: ج ٢، ص ٥٢٠.

(٣) الطوسي، الأمالي: ج ١، ص ٢٦٣. العلامة الحلي، الإجازة الكبيرة لبني زهرة (بحار الأنوار): ج ٢٦، ص ٢٨.

(٤) النجاشي، الرجال: ص ١٨٣.

(٥) المصدر السابق نفسه.

**عمارة المدارس الدينية
في مدينة النجف الأشرف
مدرسة اليزدي أنموذجاً**

م.م مؤمل سليم مرزة

الخلاصة :

مهّد الباحث بحديث مختصر عن تاريخ النجف العلمي ونشأة المدارس الدينية في النجف ثم استعرض أشهر المدارس كمدرسة الصحن الشريف ومدرسة السلطان محمد خدابنده، ومدرسة المقداد السيوري ومدرسة الملا عبد الله اليزدي ومدرسة الصدر الأعظم ثم مدرسة السيّد اليزدي وهي موضع الدراسة، وأشار إلى أنّها أكبر المدارس الدينية في النجف عمارة وزخرفة وبين موقعها داخل المدينة وتاريخ تأسيسها (١٣٢٥ - ١٣٢٧هـ / ١٩٠٤ - ١٩٠٦م) من قبل المرجع الديني في عصره السيّد اليزدي، ثم تحدث الباحث تفصيلاً عن تخطيط المدرسة في طابقها الأرضي وطابقها الأوّل ولم يغب عنه الحديث عن مسجد المدرسة وسرايها التي تعبّر عن الظاهرة التي تميزت بها أرض النجف الأشرف، وقد بذل جهداً خاصاً لتوثيق بحثه عن المدرسة فوتوغرافياً.

لا يستبعد أن يكون تاريخ قيام المدارس في النجف يتدبّر مع تاريخ الدراسة وإن لم تكن لهذه المدارس بناية خاصّة تسمّى باسمها، ويكفي في ذلك أن يكون اجتماع بقصد تلقي الدرس والوعظ والمناقشة. وهذا ما كان يحدث في الأسواق كسوق عكاظ وسائر أسواق العرب وسوق المربد في البصرة ومسجد النبي ﷺ في الحجاز.

وعلى هذا كان قيام أوّل مدرسة نجفية مرتبطاً بقيام أوّل دراسة للعلوم اللسانية والعقلية والدينية في النجف وتأريخ هذه المدرسة قديم جداً^(١)، فكم من معاهد أدبية توارثت الحركة الفكرية معهداً بعد معهد مثل (عاقولا) الواقعة

(١) الخليلي، محمد، مدارس النجف القديمة والحديثة، موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف،

حول الكوفة أو الكوفة في الزمن القديم^(١).

لقد كانت (عاقولا) مدرسةً سريانية، وبقيت إلى عهد الرومان في العراق وقد انتقلت إليها دراسات يونانية ولما اندرست (عاقولا) نهضت الحيرة. فكانت واجهة كبرى للأدب، ترى فيها كثير من الأفكار المبثوثة بين العاصمة الحيرة وما حولها من الديارات، وانتقل ما في الحيرة إلى الكوفة ثم انتقل ما في الكوفة إلى النجف^(٢).

إذ يعدُّ المشهد الحيدري الشريف أوّل مدرسة علمية ودينية عرفت في مدينة النجف الأشرف، قبل تأسيس المدارس ومعاهد العلم، وبقي المعهد الشريف يؤدي دوره التعليمي حتى الوقت الحاضر. وقد صدرت أوّل إجازة علمية من مدينة النجف عام ١٤٠٠ هـ^(٣).

وهي تسويغ في رواية الحديث عن المجيز، وعلى ذكر الكتب والمصنفات التي صدر الأذن بروايتها عن المجيز إجمالاً وتفصيلاً. والإجازة في حقيقتها بمثابة الشهادة التي يمنحها الشيخ أو المدرس تلميذه تخوله حقّ الرواية والتدريس لما درس عليه واتفق عليه يديه^(٤).

ويعد صدور الإجازة العلمية من مدينة النجف الأشرف حدثاً علمياً

(١) الحديثي، نزار، ملاحظات أولية عن مدرسة العلم في الكوفة: مجلّة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول، ٢٠٠١، ص ٣٠.

(٢) الشرقي، علي، الأحلام: جمع وتحقيق موسى الكرباسي، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٨، ص ٤١.

(٣) النجاشي، أبو القاسم محمد بن علي (ت ٤٥٠ هـ)، الرجال: طهران، لا، ت، ص ٥٤.

(٤) معروف، ناجي: علماء النظاميات ومدارس الشرق الإسلامي، ط ١، بغداد، ١٣٩٣ هـ، ص ٢٣٨.

جديداً في تاريخها العلمي. وقد اتسع منح الإجازات العلمية في القرن الخامس الهجري^(١). وبخاصة بعد هجرة الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي^(٢) إلى النجف عام ٤٤٨هـ ومنحه جملة من الإجازات العلمية لطلابه^(٣) وقد اقترنت رحلة شيخ الطائفة الطوسي الكبير إلى النجف بنشاط علمي وتعليمي كبيرين^(٤).

ويعطي كتابه (الأمالي) صورة واضحة على انتظام الوضع الدراسي في مدينة النجف الأشرف على يديه^(٥)، فقد كان الشيخ الطوسي يجتمع بتلاميذه ويملي عليهم معارفه في التفسير والفقه والأصول والحديث والرجال وعلم

(١) يتزامن هذا التاريخ مع تاريخ بدايات ظهور المدارس المستقلة في الإسلام مما يعطي الاصاله لهذه المدرسة.

(٢) وهو من رجالات العلم وجهابذته المبرزين - المعروف بشيخ الطائفة، ولد في طوس في شهر رمضان عام ٣٨٥هـ، وهاجر إلى العراق وحطّ رحله ببغداد عام ٤٠٨هـ وهو في الثالثة والعشرين من عمره وعند وصول الشيخ الطوسي إلى بغداد لازم الشيخ المفيد وتلمذ على يديه وبقي معه حتى سنة ٤١٣هـ حيث لبي علم الطائفة الشيخ المفيد نداء ربه فانتقلت الزعامة إلى الشريف المرتضى حيث لازم الشيخ الطوسي أستاذه علم الهدى السيّد المرتضى، وكان موضع اهتمام وعناية من لدن أستاذه الشريف علم الهدى السيّد المرتضى. بحر العلوم، السيّد محمد، الدراسة وتاريخها في النجف. جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف: ج ٢، ص ٢٣. أمّا عن معرفة أسباب هجرة الشيخ الطوسي من بغداد واختياره مدينة النجف الأشرف فينظر المصدر نفسه ص ٣١-٣٤.

(٣) الحكيم، حسن، الجذور التاريخية لنشأة مدرسة النجف: مجلّة الرابطة، السنة ٢، ١٩٧٥، ص ٣٩.

(٤) فياض، عبد الله، تأريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عصري الصادق والطوسي: مطبعة أسعد، بغداد، ١٣٩٢هـ، ص ٧٣.

(٥) الحكيم، حسن، الشيخ الطوسي (محمد بن الحسن ٣٨٥ - ٤٦٠هـ): ط ١، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٥، ص ٤٠.

الكلام وغيرها من العلوم، حيث إنَّ بعض تلاميذه قرأ عليه جميع تصانيفه في مدينة النجف، وفي مشهد الإمام علي عليه السلام ^(١) وتعدُّ الأمالي من أعلى رتب التعليم، وكيفيته أن يملئ العالم أو الأستاذ في مجلس أو عدَّة مجالس تعقد له في الجامع أو المدرسة على طلبة العلم ما توصَّل إليه في بحوثه واستنباطاته العلمية فتكتب عنه.

وتعدُّ مدرسة الشيخ الطوسي في النجف بداية التنظيم الدراسي عند الإمامية في العراق، إذ لم نعهد بوجود مدرسة سلكت هذا التنظيم من قبل ^(٢). وقد عدَّ الدكتور ناجي معروف مدرسة النجف في عهد الشيخ الطوسي من المدارس المسجدية، وليس من المدارس المستقلة عن الجوامع ^(٣). وقد أراد بذلك مشهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذلك المشهد الشريف الذي بقي رغم التطور العلمي الذي حصل على المدارس من حيث البناء والتصميم والتطور العمراني الواسع للمؤسسات العلمية يؤدي دوره التعليمي حتى الوقت الحاضر، وبقيت حجرات الصحن الشريف مأوى لرجال العلم إلى وقت ليس ببعيد ويقول السيّد محسن الأمين العاملي: «كان الشيخ محمد تقي الكلبايكاني النجفي المتوفى عام ١٢٩٨ هـ

(١) منتجب الدين، علي بن عبيد الله (ت بعد عام ٥٨٥ هـ) الفهرست طبع مع كتاب (بحار الأنوار)، طبع حجري، ١٣١٥ هـ، ص ٤. الطبري، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم (من علماء القرن السادس الهجري)، بشارة المصطفى لشيعه المرتضى، ط ٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٣ م، ص ٧٩.

(٢) الحكيم، حسن، الشيخ الطوسي (محمد بن الحسن ٣٨٥ - ٤٦٠ هـ): ط ١، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٥، ص ٤٢.

(٣) معروف، ناجي: علماء النظاميات ومدارس الشرق الإسلامي، ط ١، بغداد، ١٣٩٣ هـ، ص ١٤١.

يكن من زاوية من زوايا المشهد العلوي في الطبقة العليا^(١). وأقام الشيخ محمد حسن المامقاني النجفي المتوفى عام ١٣٢٣ هـ في مدرسة الصحن الشريف يوم كانت حجرات الصحن مكتظة بالأعلام^(٢). وأقام الشيخ زين العابدين ابن إسماعيل النجفي، المتوفى عام ١٣٤٠ هـ في مدرسة الصحن الشريف وكان شريكاً في الدرس مع الشيخ محمد حرز الدين الذي أقام معه عدة سنين في هذه المدرسة^(٣).

ومن المعلوم أنَّ النجف في هذه المدة كانت تضم مدارس علمية كثيرة منتشرة في أرجائها ففي عام ١٣١٤ هـ - ١٨٩٦ م أشارت سالمانه بغداد (المدارس في مدينة النجف وطلبة العلوم الدينية فيها من مختلف البلدان)^(٤).

وتتشابه مدرسة النجف العلمية مع مدرسة الأزهر الشريف في مصر لاستقطابها طلاب العالم الإسلامي من مختلف أرجائه^(٥). ففي المدرسة النجفية يلتقي الطالب العربي (العراقي بالبناني والسوري والسعودي) بالمسلمين من

(١) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة: ط ١، مطابع الإيتقان والإنصاف، بيروت، لا.ت، ص ١٢٥.

(٢) الحكيم، حسن، الشيخ الطوسي (محمد بن الحسن ٣٨٥-٤٦٠ هـ): ط ١، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٥، ص ٤٢.

(٣) حرز الدين، محمد، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء: علق عليه محمد حسين حرز الدين، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٤، ج ١، ص ٢٣٤.

(٤) البياتي، فاضل مهدي، التعليم في العراق في العهد العثماني، دراسة تاريخية في ضوء السالنامات العثمانية: مجلة المورد، المجلد ٢٢، العدد ١، لسنة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، ص ٢٩ نقلاً عن سالمانه بغداد لسنة ١٣١٤ هـ، ص ٢٩٢، لسنة ١٣١٨ هـ، ص ٤٧٦-٤٧٢، لسنة ١٣٢٤ هـ، ص ٢.

(٥) المظفر، عبد الصاحب، مدينة النجف الكبرى، دراسة في نشأتها وعلاقاتها الإقليمية: ص ١٨٥.

إيران والهند وتركيا وأفغان وباكستان وبادكوبيا والقفقاز وغيرهم من أقطار عربية وإسلامية وكان بعض الطلبة على اختلاف جنسياتهم وقومياتهم يسكنون مدرسة واحدة، في حين أنَّ هنالك مدارس تشترط في طلابها قومية واحدة^(١). وتؤدي المدرسة النجفية غرضين أساسيين هما: الدراسة والسكن. ويتولَّى مراجع الدين الصرف عليها، ولبعضها أوقاف في النجف أو غيرها ويصرف واردها على الطلبة^(٢).

وعند الحديث عن المدارس في النجف الأشرف منذ تأسيس الحوزة العلمية فيها يعود بنا الحديث إلى قدم تأريخي، ربَّما أنَّ كثيراً من المدارس لم تؤرخ عند البناء أو التأسيس لكن نقرب من بعض النصوص التي تؤشر ذلك^(٣)، وهذه المدارس هي:

مدرسة الصحن الشريف:

عند تخطيط الصحن الحيدري الشريف وفق تصميمه الحالي الذي يعود إلى العهد الصفوي^(٤) أي: أواخر القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي

(١) ومن هذه المدارس مدرسة (الأيرواني) الخاصّة بالطلاب الأتراك ومدرسة (العاملين) الخاصّة باللبنانيين ومدرسة الهندي الخاصّة بالطلاب الهنود. الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة - قسم النجف: ج ٢، ص ١٢٠.

(٢) مغنية، محمد جواد، دول الشيعة في التاريخ: مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٤ هـ، ص ٢٢.
(٣) سوف نقوم باستعراض سريع لتأريخ المدارس قبل القرن العاشر الهجري أي: ما قبل مدّة بحثنا من أجل التمهيد لدراسة أهم مدرستين موجودتين ضمن المدّة المقررة في بحثنا العهد العثماني الأخير.

(٤) من أجل معرفة المزيد عن المرحلة الصفوية وتاريخ حكمها ينظر العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين: بغداد، ١٩٤٧ م، ج ٣، ص ٣٤٦. وكذلك:

Stephen H. Longrigg, four centuries of modern Iraq, 22.p, 1925, London

أنشئت معه مدرسة دينية عرفت باسم (مدرسة الصحن). وتنسب إلى الشاه عباس الأول الصفوي وتقع في الجهة الشمالية من الصحن، وبابها في الإيوان الثالث من تلك الجهة أقرب إلى الجهة الشرقية^(١).

ويقول الشيخ علي الشرقي: «إنَّه في عام ١٩١٣م كانت في النجف (٥٣) مدرسة بين قديمة وحديثة أعتقها المدرسة المعروفة بمدرسة الصحن»^(٢)، ونحن لدى دراستنا للمدارس لم نصل إلى هذا الرقم الذي ذكره الشيخ الشرقي في تلك الحقبة إلَّا إذا أضفنا المدارس التي أنشئت في النجف بعد ١٩١٣م فقد يصل الرقم إلى أكثر مما ذكره، ويذهب الشرقي إلى رأي يبعد فيه مدرسة الصحن عن العصر الصفوي بقوله: «إنَّ طراز هذه المدارس مغاير للعمارة الصفوية الماثلة في الصحن والرواق، ويظهر أنَّ عمارة المدرسة أقدم وأقدم» فالعمارة الصفوية للصحن الشريف خططت بشكل مدرسة تدور عليها خلوات وإيوانات في الطبقة السفلى ومثلها في الطبقة العليا، وأمامها بهو (قاعة) للتدريس والاجتماع وهكذا كانت الخلوات مشحونة بالطلاب الغرباء ورواد العلم وما زالت بعض الخلوات والحجر تعرف بأسماء العلماء الذين كانوا يقطنونها مثل حجرة الأردبيلي في الطبقة العليا^(٣).

وإذا أخذنا برأي الشيخ علي الشرقي فإنَّ مدرسة الصحن هذه ربما هي التي ذكرها الرحالة ابن بطوطة عند زيارته لمدينة النجف عام ٧٢٧هـ وقد وصفها بقوله: «إنَّه حول مرقد الإمام علي عليه السلام المدارس والزوايا والخوانق

(١) محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها: ط ٢، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٨م، ص ١٢٧.

(٢) الشرقي، علي، الحالة العلمية في النجف: مجلَّة لغة العرب، ج ٦، السنة (٣)، ١٣٣٢هـ -

١٩١٣م، ص ٣٢٩.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٣.

معمورة أحسن عمارة وحيطانها مزدانة بالقاشاني وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة»^(١).

وربما هذه المدرسة تعود إلى زمن أبعد، وقد يصل إلى القرن الرابع الهجري^(٢) فقد بنى عضد الدولة البويهى عام ٣٧١هـ الرواق العلوي الذي بقي إلى عام ٧٥٣هـ^(٣). وقد اتخذ الطلاب مكاناً للدرس ويقول الأستاذ محمد عبد الرحيم غنيمه: «أمّا مدينة النجف أصبحت عاصمة التدريس للفقهاء الجعفري وعلوم الدين منذ عصر آل بويه بعد إعمارهم المرقد العلوي وإجزال الصلات والرواتب للمقيمين له»^(٤).

ومن المحتمل أنّ طلاب الشيخ الطوسي الذين رافقوه من بغداد إلى النجف عام ٤٤٨هـ قد اتخذوا هذه المدرسة مكاناً للدرس والسكن وأشار الشيخ محمد السماوي إلى هذه المدرسة بقوله^(٥):

(١) ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩هـ)، رحلة ابن بطوطة (المسألة تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م، ص ١٢٧.

(٢) إذا سلمنا بصفة هذا التاريخ فإننا نلاحظ أنّ هذه المدرسة قد سبقت مدارس بغداد بقرن واحد. وإذا اختلفنا معه فإننا نلاحظ أنّ هذه المدرسة قد تزامنت مع مدارس بغداد في القرن الخامس الهجري.

(٣) ابن عنبه، جمال الدين بن علي بن الحسين (ت ٨٢٨هـ)، عمد الطالب في أنساب آل أبي طالب: مطبعة الديواني، بغداد، لا، ت، ص ٨.

(٤) غنيمه، محمد عبد الرحيم، تأريخ الجامعات الإسلامية الكبرى: دار الطباعة المغربية، تطوان، ١٩٥٣م، ص ٤٩.

(٥) السماوي، محمد، عنوان الشرف في وشي النجف: ط ١، مطبعة الغري، النجف، ١٣٦٠هـ، ص ٥٨.

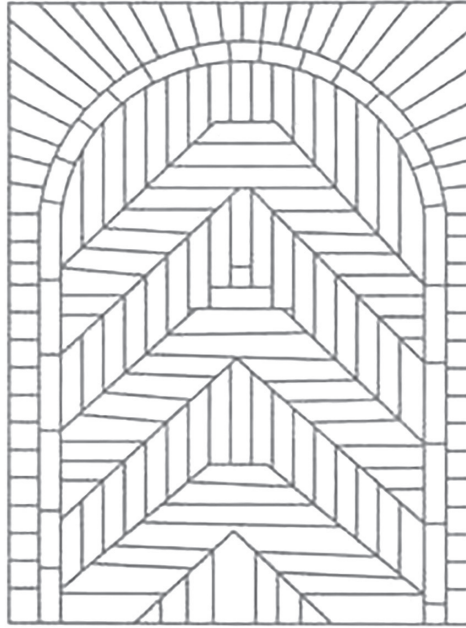
وفي الغري لذوي العلوم مشيدة من حجرات وغرف
ومن ثلاث واثنين وجهه أشهرها مدرسة الصحن السني
مدارس معلومة الرسوم من أربع جهات صفافاً فوق صف
أو حجرات أفردت للترفيه قد بنيت للدارسين إذ بني
ويقول الشيخ جعفر محبوبة: «وقفت على كتاب (أصول الكافي) مخطوطاً
وفي آخره هذه العبارة، تمت كتابة أصول الكافي على يد الفقير إلى الله الغني
يوسف بن الحسين النجفي الشهير بالصلنباوي في المدرسة الغروية على مشرفه
أفضل الصلاة والسلام، يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من رجب المرجب سنة
١٠٦٩هـ»^(١). ويشير هذا التاريخ إلى أن الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن موسى
المغربي كتب مشيخة كتاب (الاستبصار) في المدرسة الغروية، ويقول الشيخ
محبوبة: «ورأيت نسخة من كتاب الاستبصار في آخره: كتب فرج الله بن فياض
الجزائري النجفي سنة ١٠٤٣هـ في المدرسة الرومية بكنف القبة الغروية،
والظاهر هي هذه المدرسة»^(٢). ومن المحتمل أن لفظ الرومية هذا جاء من
هيمنة السلطة العثمانية على هذه المدرسة. وقد اعتاد بعض الكتاب إطلاق لفظ
(الروم) على العثمانيين، ويبدو أنه حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري لم
تكن في مدرسة النجف سوى هذه المدرسة الملاصقة للصحن الشريف، ويقول
الشيخ علي الشرقي: «كان رواد العلم وطلابه يسكنون على الأغلب المدرسة
العلوية الكبرى (الصحن) ومنهم المقيم في غيرها من المدارس والدور الخاصة،

(١) محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها: ط ٢، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٨م، ص ١٢٧.

(٢) المصدر السابق نفسه: ص ١٢٨.

وكان لهم نقيب ينظم شؤونهم، وكانت في المدرسة العلوية خزانة كتب نفيسة تجمعت مما يحمله المهاجرون وكانوا بعدما يتزودون ب زاد العلم ويعتزمون العودة إلى أوطانهم يتركون ما حملوه من نفائس الكتب وما أَلَّفوه من رسائل»^(١).

ونستنتج من النص السابق نفسه أنَّ مدرسة الصحن هي المركزية في تلك الحقبة الزمنية إذ بقيت مدرسة الصحن الحيدري الشريف تسير الزمن فهناك كتاب (آداب البحث والمناظرة والتعليم) للمولى محمَّد بن عبد الله القومشلي فرغ المؤلف من تسديده يوم السبت في الثاني من شعبان بمدرسة الصحن الشريف سنة ١٢٥٢هـ^(٢).



شكل رقم (١): طريقة رصف الآجر داخل الدخلة في مدخل مدرسة اليزدي

(١) الشرقي، الأحلام: ص ٥٨.

(٢) الأمين، محمد، الآثار المخطوطة في النجف، مجلَّة العدل، ج ٢، السنة ٢، ١٣٨٦هـ، ص ١٣.

واكتسبت هذه المدرسة عام ١٢٨٩ هـ طابعاً رسمياً بعد أن أعلنت الحكومة العثمانية فرض التجنيد الإجباري، وعيّنت مدرساً خاصاً لهذه المدرسة وانتسب إليها كثيرٌ من طلبة العلم، وسنّت الحكومة قانوناً خاصاً لها، فإذا أدّى رجل الدين الامتحان بنجاح فإنّه يعفى من الجندية، ويقول الشيخ محبوبه: «عُيّن الشيخ قاسم آل قسام مدرساً رسمياً في هذه المدرسة، اتخذ الطابق الأعلى من الصحن الشريف مكاناً وقررت الحكومة يومئذ أن من انتمى إلى مدرسته وحصل على الشهادة منه يعفى من التجنيد الإجباري بعد أداء الامتحان، فكانت حوزته حافلة بطلاب العلوم الدينية»^(١).

وبقيت إدارة هذه المدرسة بيد الحكومة حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، فقد تهدمت حجراتها وسدّ بابها، وفي عام ١٣٥٠ هـ تقدم السيّد هاشم الزيني النجفي لعمارتها، وأصبحت مأوى للزائرين والواردين إلى مدينة النجف الأشرف^(٢).

وأشار الشيخ محمّد السماوي إلى بناء المدرسة بقوله^(٣):

ثم التي في الجانب الشمالي وهذه صيرت الآن محل
وبابها في الصحن ذي العلامي للزائرين حين وفر العلم قل
ويبدو أنّ مدرسة الصحن هذه كانت في بدء أمرها في الطابق العلوي من
الصحن الشريف، ثم اتخذت مكانها الأخير في الطابق الأرضي، وهو الذي
(١) محبوبه، جعفر، ماضي النجف وحاضرها: ط ٢، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٨ م، ج ٣، ص ٨٩.
(٢) شمس الدين، محمّد رضا، حديث الجامعة الدينية: المطبعة العلمية، النجف الأشرف،
١٣٧٣ هـ، ص ٤٥.

(٣) السماوي، محمد، عنوان الشرف في وشي النجف: ط ١، مطبعة الغري، النجف، ١٣٦٠ هـ، ص ٥٩.

تصدّى لبنائه السيّد هاشم زيني، وبقي في رعاية الشيخ قاسم آل قسام حتى وفاته عام ١٣٣١هـ - ١٩١٣م. وقد تتلمذ على يد الشيخ وتخرج من المدرسة جهابذة من طلاب الحوزة العلمية كالسيد محسن الحكيم والسيّد حسين الحماشي والشيخ عبد الرسول الجواهري والشيخ عبد الكريم الماشطة وآخرين كثر.

مدرسة السلطان محمد خدابنده:

شيّد السلطان المغولي محمد خدابنده المتوفى في نهاية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وابنه السلطان أبو سعيد مدرسة وخانقاه (تكية)^(١) للصوفية في مدينة النجف الأشرف^(٢). وقد أعدّت هذه التكية مقراً للغرباء من الصوفية وبخاصة فرقة البكتاشية^(٣).

(١) الرباط، الزاوية، الخنقا والتكية... كلمات مترادفة تطلق على نوع من العمارات الدينية الخيرية التي أقيمت في الأقاليم العربية والإسلامية للإقامة بها لأغراض العبادة والتزهد. الدراجي، حميد محمد حسن، الربط والتكايا البغدادية في الفترة العثمانية (٩٤١-١٣٣٦هـ / ١٥٣٤ - ١٩١٧م) تخطيطها وعمارها: رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦م، ص ٥.

(٢) محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها: ط ٢، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٨م، ج ٣، ص ٤٦.

(٣) البكتاشية: اسم لفرقة صوفية تركية تنسب إلى السيّد محمد بن إبراهيم آغا، الشهير بالحاج بكتاش. وهو ولي تركي من أتباع الشيخ أحمد اليسوي، قدم إلى الأناضول من خراسان في القرن الثالث عشر الميلادي. وشرع في الدعوة إلى طريقته التي هي خليط من الطرق التي تقدمتها وهي (القلندرية، اليسوي والحيدرية). وللحاج بكتاش كتاب عربي اسمه (مقالات) يبدو منه أتباع صاحبه فكرة (الاثني عشرية والتولي والتبرئة) وكثر أتباع البكتاشية وبخاصة في البيئات التي لم تتأثر بالثقافة واتصلت بعد ذلك بفرقة الإنكشارية ثم صارت الإنكشارية تابعة للبكتاشية. ماهر، سعاد، مشهد الإمام علي (عليه السلام) في النجف وما به من التحف والهدايا: ص ١٥٦. محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها: ط ٢، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٨م، ج ٣، ص ٩١.

وخصّص لها جراية من غلّة إقطاعية زراعية قريبة من مدينة الكوفة وعيّن عليها موكلاً بالصرف^(١). وكان الدراويش على مرّ الزمان يسكنونها ويدفنون موتاهم بها، ثمّ استخدمت مخزناً لأثاث الروضة الحيدرية، ويبدو أنّ هذا الموقع كان مدرسة ومسكناً في آن واحد، وأنّ المدرسة قد خصّصت للصوفية مع سكن هذه الجماعة^(٢). ومن المؤسف أنّ هذا الأثر التاريخي التراثي الذي يعود إلى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) قد امتدت إليه يد التخريب عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م وتحول إلى مضيف في عهد الحكومة السابقة ولم يستغل مضيفاً حتى كتابة هذه الأسطر.

وكان الأجدر أن يبقى هذا الأثر التاريخي بمبناه التراثي وكان يضم مقابر للصوفية قديمة ومكتبة عامرة ومستلزمات الدراويش التي يستخدمونها، ويقول الدكتور حسن الحكيم: «وقد وقفت على عملية التهديم فرأيت اختلاط الكتب القديمة والمصاحف الثمينة ترفع مع الأتربة والحجارة»^(٣).

مدرسة المقداد السيوري (السليمية):

أسّس العلامة الكبير الشيخ جمال الدين أبو عبد الله المقداد بن عبد الله ابن محمّد بن الحسن بن محمّد السيوري الحلّي النجفي المتوفى (عام ٨٢٨هـ)

(١) الشرقي، الأحلام: ص ٦٨.

(٢) لا يذهب إلى هذا الرأي كون هذا الموقع مدرسة سوى الدكتور الحكيم. إذ إنّ الشيخ جعفر محبوبية والأستاذ محمّد الخليلي كتبا عن مدارس النجف لم يذكرا أيّ تكية بكتاشية، كانت مدرسة بكتاشية ونحن نؤيد أنّ التكية كانت مدرسة. حيث إنّ عند اجتماع فرق الصوفية فلا بد من أنّه كانت تجري بينهم المناظرات والمناقشات وهذا ما يحققه الغرض الدراسي.

(٣) الحكيم، حسن عيسى، الفصل في تاريخ النجف: مخطوط محفوظ في مكتبة الدكتور حسن الحكيم، ورقة ١٩٩. وهو كتاب قيّم ومهم وقد يصل إلى (٢٢) جزءاً.

مدرسة عرفت باسمه. وقد أصابها الخراب وتقع هذه المدرسة على المنطقة الشرقية الشمالية من المرقد الشريف، وهجرها طلابها ثم شيّدتها ثانية سليم خان الشيرازي عام (١٢٥٠هـ - ١٨٤٣م) فنسبت إليه وعرفت باسم المدرسة السليمية^(١).

وأخطأ الأستاذ الهلالي بقوله: «إنّ هذه المدرسة أسّسها سليم خان الشيرازي عام ١٣٥٠هـ»^(٢). وفي الحقيقة أنّ سليم خان هو مجدد المدرسة. ولعل عام ١٣٥٠هـ هو تصحيف من عام ١٢٥٠هـ. وما زالت هذه المدرسة قائمة في سوق المشراق وبابها في الزقاق المؤدي إلى شارع الإمام زين العابدين عليه السلام، قبالة مسجد السقاية^(٣)، وقد أغلقت وهجرها طلاب العلم، ويقول الشيخ محبوبة: «عند حدود سوق المشراق تحوّلت بعض غرف المدرسة إلى دكاكين ووقفت على أن تُصرف وارداتها في حاجيات المدرسة غير أنّه اغتصبها أولياء الوقف»^(٤).

مدرسة الملا عبد الله اليزدي:

وهي آخر مدرسة يعود تاريخها للمدة التي نحن بصدددها (ما قبل منتصف القرن العاشر الهجري) أسّسها الفقيه والمنطقي الكبير الملا عبد الله اليزدي النجفي المتوفى عام ٩٨١هـ. وهي مدرسة في طرف المشراق وتقع في (حارة آل كمونة) وهي اليوم من بعض الدور، وتعرف في بعض الصكوك بالمدرسة (١) محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها: ط ٢، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٨م، ج ٣، ص ١٢٦.

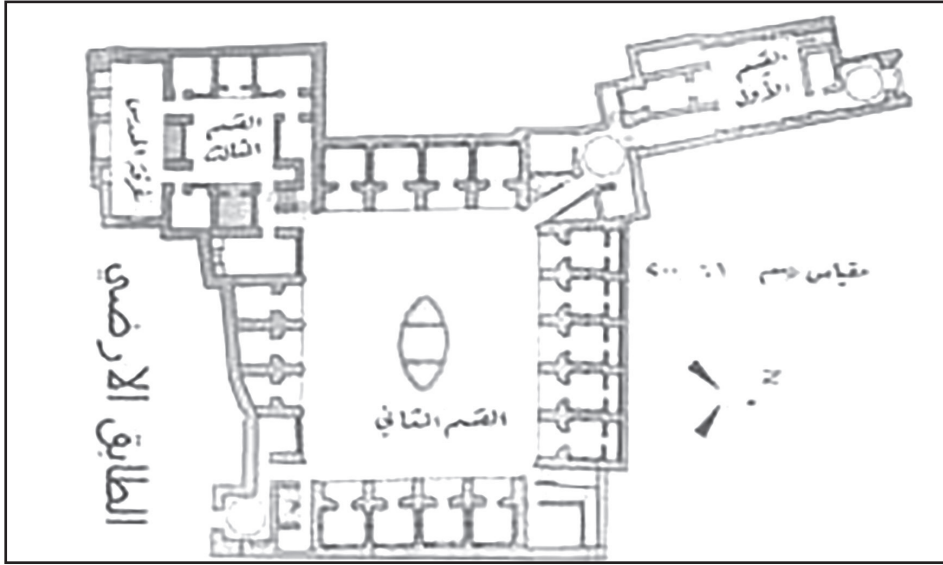
(٢) الهلالي، محمود، معجم العراق: بغداد، ١٩٦٧، ج ٢، ص ٩١.

(٣) حاولت الدخول ومشاهدة أطلال هذه المدرسة ولكنني لم أوفق حيث إنّ مدخلها اليوم أصبح محلاً تجارياً وذلك لوقوع المدرسة في موقع تجاري مهم.

(٤) محبوبة، المصدر السابق، ص ١٢٧.

القديمة^(١). ويقول الشيخ محمد حرز الدين: «إنَّ هذه المدرسة أنشأها الشاه عباس الصفوي المتوفى عام ١٠٣٧هـ للمولى عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدي وسَمَّاهَا مدرسة الآخوند»^(٢).

ويقول الشيخ علي الشرقي: «إنَّها اندرست ونهضت بمكانها عمارة أخرى مثل دار الملا شاکر الواقعة في طرف المشراق، ويعود تاريخ اندراس المدرسة إلى عام ١٢٩٥هـ»^(٣).



شكل رقم (٢): المخطط العام للطابق الأرضي لمدرسة اليزدي

وكانت مدرسة الملا عبد الله أهلة بطلبة العلم في عهد الشيخ المقدس أحمد الأردبيلي المتوفى ٩٩٣هـ، وتولاها بالرعاية العلماء بعده ووقف الشيخ محبوبة (١) شمس الدين، محمد رضا، حديث الجامعة الدينية: المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٣٧٣هـ، ص ٤٥.

(٢) حرز الدين، معارف الرجال: ص ٥.

(٣) الشرقي، الحالة العلمية في النجف: ص ٤٦.

على صكٍّ مؤرخ عام ١٢٧٣ هـ فيه بيع دار لآل الملاي لأحد أبناء أسرة آل معلّة، ويحدد الدار الخبرة المعروفة بالمدرسة القديمة وهي الخبرة التي تعود لبعض الأشراف من السادة العلويين^(١). ويبدو أنّ هذه المدرسة قد اندمجت بالبيوت المجاورة لها عن طريق الاستحواذ.

مدرسة الصدر الأعظم^(٢) :

وهي تمثل المرحلة الثانية من مدارس النجف الدينية أي: مرحلة ما بعد (منتصف القرن العاشر الهجري). وقد أسّسها الحاج حسين خان العلّاف الأصفهاني المتوفى عام ١٢٣٩ هـ وسميت بـ (الصدر الأعظم) نسبة إلى المنصب الذي كان يشغله وهو (الصدارة)^(٣) للسلطان فتح علي شاه القاجاري وقد شرع ببناء سور النجف الأخير مع المدرسة عام ١٢٢٦ هـ، وقد بلغت تكاليف المدرسة (٩٤) ألف تومان أشرفي، وهو يساوي يومذاك ليرة ذهبية عثمانية، وقد أوقف الوقوف على هذه المدرسة وخصّص لطلابها طعاماً في ليالٍ من الأسبوع وفي أيام من الشهور^(٤). ونقل الشيخ جعفر محبوبة عن فرهاد ميرزا صاحب كتاب (جم جم) قوله: «إنّ تكاليف بناء السور والمدرسة بلغت (٩٥) ألف

(١) محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها: ط ٢، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٨ م، ج ٣، ص ١٢٦.

(٢) تعدّ مدرسة الصدر الأعظم من المدارس المهمة في النجف وذلك كونها أقدم مدرسة باقية ومشيدة اليوم في النجف. إذا ما اعتبرنا أنّ مدرسة الصحن الشريف وأواوين الصحن الحيدري هي تابعة للصحن، وقد شجّعني الدكتور حميد محمّد حسن على دراستها، والذي عمل على مسح الأبنية التراثية في مدينة النجف الأشرف عام ١٩٨٦ م مع الدكتورة سليمة عبد الرسول. حيث إنّّه قال إنّّه لم يتمكن من الدخول إلى هذه المدرسة ودراساتها.

(٣) الصدارة تعني الوزارة. ينظر: الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوظائف على الآثار: القاهرة، ١٩٥٧ م، ج ١، ص ٥٧.

(٤) بحر العلوم، الدراسة وتأريخها في النجف: ص ١٣٦.

تومان، وإنَّ الصدر الأعظم قد تبرع بالباب الفضي الأوَّل الواقعة في إيوان الذهب أيضاً»^(١).

وتقع مدرسة الصدر الأعظم في السوق الكبير، قرب (باب السيف) وتطلُّ على شارع الإمام زين العابدين عليه السلام. وبنى صاحبها في المدرسة مقبرة لنفسه وسقاية الماء على السوق الكبير^(٢). وكنا نستقي منها الماء البارد ثم أغلقت بعد ذلك وأوقف للمدرسة الخان الكبير المعروف (بسياف بلال) من ابن المؤسس أمين الدولة عبد الله خان بن الحاج محمد حسين خان الصدر المتوفى عام ١٢٦٣هـ، وجعله لإطعام الطعام في ليالي الجمعة وسقي الماء بالمسقى والمعروف بـ (السَّقَّخانة)^(٣).

وفي عام ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م اقتطعت بلدية النجف من المدرسة بدءاً من السقاية حتى حدود المدرسة من جهة الميدان وأضيفت إلى حوانيت الأوقاف، وقد هُدمت عددٌ من المقابر في هذه المنطقة، وقد احتجَّ الإمام السيِّد أبو القاسم الموسوي الخوئي على هذا الإجراء لكن بدون جدوى^(٤).

وتعدُّ مدرسة الصدر الأعظم من مدارس النجف الدينية الكبيرة وتضم على ما يزيد على ثلاثين غرفة في طابق واحد، وقد قام العلَّامة الشيخ نصر الله

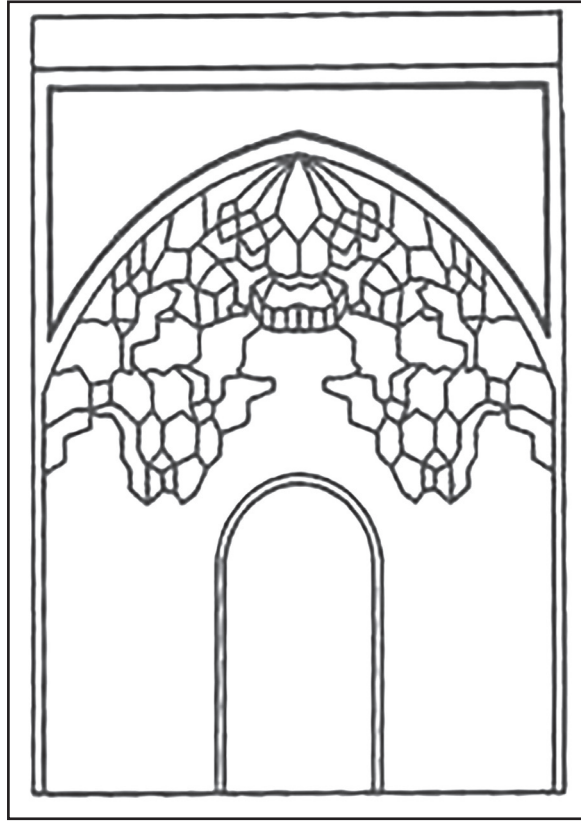
(١) محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها: ط ٢، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٨م، ج ٣، ص ١٢٨.

(٢) الأسدي، حسن، ثورة النجف: دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥م، ص ٣٦.

(٣) الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة - قسم النجف: ج ٢، ص ١٣٧.

(٤) كان اعتراض السيِّد الخوئي قدس سره بسبب أنَّ ولاية ومسؤولية المدرسة تعود إليه حيث إنَّه كان المرجع الأعلى في زمانه على الرغم من أنَّ التولية في بعض المدارس لا تعود إلى المرجع الأعلى بل حسب طريقة التولية أو الوقف لكن في الأغلب أنَّ معظم المدارس الدينية ترجع توليتها من مرجع إلى آخر.

الخلخالي بإصلاح المدرسة وتشيد بعض جوانبها من جديد^(١) وعند هيمنة المرجع الديني الكبير السيّد محمّد الصدر على المدارس الدينية في النجف أطلق عليها اسم (مدرسة الإمام موسى الكاظم عليه السلام) وكانت مدرسة الصدر الأعظم تعقد فيها الاحتفالات الدينية والتأبينية لأعلام النجف ويصدر طلابها منشورات توجيهية في المناسبات الدينية، وعند وفاة الإمام السيّد محسن الحكيم عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م نظم طلاب المدرسة موكباً كبيراً وضمت المدرسة مكتبة عامرة، لكنها اليوم غير موجودة.



شكل رقم (٣): مخطط توضيحي لواجهة الإيوان الموجودة في غرفة الضيوف - مدرسة الزيدي

(١) الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة - قسم النجف: ج ٢، ص ١٣٧.

مدرسة اليزدي الكبرى:

تعدُّ هذه المدرسة من أشهر المدارس الدينية في النجف الأشرف عمارة وزخرفة وفخامة، وكانت تعد أكبر مدارس النجف الواقعة في داخل السور، فتقع في طرف الحويش^(١) في الزقاق^(٢) المفضي إلى شارع الرسول من جهة الشرق وإلى سوق الحويش من جهة الغرب، ويقول الشيخ جعفر محبوبة: «لا نظير لها في فخامة البناء والسعة وكثرة الغرف»^(٣).

وقال فيها الخليلي: «وقد بنيت بناءً بديعاً وفي هندسة رائعة كانت في وقتها ولا تزال حتى اليوم مضرب المثل»^(٤).

وكانت أرضها مبلطة بالرخام الصقيل وجدرانها مكسوة بألواح الكاشاني البديع، فيها من فنِّ الهندسة والرياسة ما جعلها محطَّ أنظار السواح والزائرين^(٥).

(١) طرف الحويش: هو أحد الأطراف الأربعة المكونة لمدينة النجف القديمة (البراق، المشراق، العمارة، الحويش) وهو يطلُّ على الزاوية الشمالية الغربية من الصحن الحيدري الشريف، وكلمة حويش ناتجة من تصغير لكلمة (حوش) أي البيت، وقد وردت لفظة (حوش) في هذا الطرف وفي المنطقة القريبة من طرف العمارة كحوش منو جهر بيك، وحوش الحرم ويبدو أنَّ فقراء هذه المنطقة كانوا يعيشون في بيوت صغيرة مما أطلق على مساكنهم (حويش) قبالة تلك البيوت الكبيرة الواقعة قرب الصحن الشريف. الحكيم، المفصل في تاريخ النجف: ص ٤٣. محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها: ط ٢، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٨م، ج ٣، ص ٥١٠.

(٢) وقد عرف هذا الزقاق أيضاً بـ (عكد اليزدي أو زقاق مدرسة اليزدي) حيث شهرة المدرسة طغت على تسمية الزقاق.

(٣) محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها: ط ٢، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٨م، ج ٣، ص ١٣٩. الأسدي، ثورة النجف: ص ٣٨.

(٤) الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة - قسم النجف: ج ٢، ص ١٥٣.

(٥) في أثناء دراستنا الميدانية لهذه المدرسة شاهدنا أكثر من مرّة محاولة دخول بعض السيَّاح

وتقدر مساحة المدرسة (٧٥٠م)^(١) وفي المدرسة مكتبة عامرة بالمصادر والمخطوطات. ولها أوقاف وعمارات ومبانٍ للصرف عليها. وقد كان المباشر لتعميرها والساعي في إدارتها وتنظيمها السيّد محمّد اليزدي نجل الحجة السيّد محمّد كاظم اليزدي.

أمّا بالنسبة إلى تأسيسها فيعود الفضل في ذلك إلى الإمام السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي المتوفى عام ١٣٣٧هـ حيث شرع بتأسيس المدرسة في شهر صفر عام (١٣٢٥هـ - ١٩٠٤م)، وتمّ بناؤها عام (١٣٢٧هـ - ١٩٠٦م) وقد أرّخ بناءها بعد اكتماله بعض الأدباء وكتب التاريخ بالكاشاني على جهة الباب وهو:

قد أبهَجَ المصطفى وعترته يا طالبِي فقهنَا وحكمتنا
مدارس الدين أرخوا بذا وقالوا شيدت دعائنا
دونكم هذه معالمنا (لكم جددها للعلوم كاظمنا)

وأرّخ الشيخ علي المازندراني النجفي بناء المدرسة بقوله^(٢):

أسسها بحر العلوم والتقى وفي بيوت أذن الله أتى
محمد الكاظم من آل طبا تأريخها (لكن بحذف ما ابتداءً)

والزائرين للمدينة إلى هذه المدرسة من أجل التمتع بريازتها وعمارتها.

(١) محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها: ط٢، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٨م، ج٣، ص١٣٩. الأسدي، ثورة النجف: ص٣٨. الهلالي، محمود، معجم العراق: بغداد، ١٩٦٧، ج٢، ص٩١.

(٢) محبوبة، المصدر السابق: ص١٣٩.

أي بحذف الواو التي ابتدأ بها الآية، فإنَّ التاريخ يزيد مع الواو ستة بحساب الجمل لدى المؤرخين ولذلك أشار المؤرخ إلى حذف الواو ليصحح التاريخ.

ومن سكان هذه المدرسة شيخ جاء النجف طالباً للعلم وهو شاب لم يبلغ الثامنة عشرة فمكث في هذه المدرسة ستين سنة ولم ينل الاجتهاد، وقد توفي في العقد الرابع من القرن الماضي وكان مضرب المثل للمتأخرين في الدراسة، وعلى عكس هذا فقد خرجت المدرسة جهابذة ومراجع الحوزة العلمية في النجف كالإمام الراحل السيّد الخوئي وكذلك الشيخ محمّد تقي آل راضي ومجموعة كبيرة من العلماء الأفاضل^(١).

تخطيط المدرسة :

تحتفظ مدرسة اليزدي صفاتها ومنشآتها التخطيطية وعناصرها العمرية والزخرفية كافة فلم يجر عليها أيُّ تغيير أو تخريب إلى حدِّ كتابة هذه السطور سوى بعض أعمال الصيانة اليسيرة والتي لم تؤثر في هيكلها الأصلي أو عناصرها العمرية والزخرفية. وقد يعود السبب في ذلك إلى اهتمام العلماء ومراجع الدين الخاص بهذه المدرسة، إذ كان هناك موقفٌ للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء عندما كان يتقلد أمور المرجعية في عصره، ففي عام ١٩٥٢م، كانت البلدية تشرع بفتح شارع الرسول الأعظم ﷺ في مدينة النجف القديمة أو ما يعرف بشارع القبلة، وإنَّ امتداد هذا الشارع كان يقتص من المدرسة فبعث الشيخ إلى المتصرف وقال له: «يوجد في النجف صحنان واحد لأمر المؤمنين ﷺ والآخر

(١) من لقاء خاص مع أحد طلبة الحوزة العلمية في النجف وهو الشيخ عباس وزيري وهو من الطلبة القدامى في المدرسة.

صحن مدرسة اليزدي، فإمّا أن تحرف الشارع أو تبني مدرسة أخرى مثل مدرسة اليزدي»^(١).

مما أدّى إلى حرف شارع القبلة الذي هو الآن ليس باتجاه القبلة، ونسجّل هذا الموقف للشيخ الذي حفظ لنا هذا المبنى التراثي^(٢) المهم في مدينة النجف الأشرف، لذلك سنتعمق في التفاصيل التخطيطية للمدرسة من أجل المحاولة في توثيقها.

تتألف المدرسة من واجهة ضيقة لا تتجاوز الأربعة أمتار يتوسطها باب خشبي كبير عرضه نحو (٢م) غائر عن مستوى الجدار (٥٠ سم) (لوح ١) ويتألف من مصراعين ويزين إطاره العام فصوص خشبية على هيئة المسبحة وتوجد فيه مطرقتان من النحاس على هيئة عقد ذي خمسة فصوص، وقد ثبتت في وسط الباب والعمود الخشبي الذي في وسط الباب ثبت فيه خمسة مسامير كبيرة على هيئة قبة متراجعة وتاج في أعلاه وتحفُّ بهذا الباب من الجانبين زخارف نباتية على هيئة أزهار وأوراق وأغصان تنطلق من القاعدة باتجاه الأعلى، وتعلو الباب كتابة بيضاء على مهاد أزرق نصها: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» كما في (اللوحة رقم ٢) يحفُّ بها من الجانبين كتابة على الجانب الأيمن

(١) لم أجد في المصادر التي ذكرت المدرسة ما يشير إلى هذه القصة وإنّا تمكّنت من الحصول عليها عبر لقاء مع نجل الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من مواليد ١٩٣٦م. وذكر لي الشيخ اسم المتصرف في ذلك الوقت وهو (مكي الجميل) وذكر لي حادثة أخرى أو موقفاً آخر للشيخ مشابهاً إلى هذا الموقف هو في خان حسن باشا في كربلاء.

(٢) صنفت الهيئة العامة للآثار والتراث (دائرة التراث) مبنى مدرسة اليزدي من المباني التراثية ذات المستوى (أ) وذلك في أثناء مسحهم للمباني التراثية في مدينة النجف عام ١٩٨٦م، وكان رقم المبنى ٤٣ / ٦٧ ضمن استمارة كشف الأبنية التراثية.

(عبد الله) وعلى الجانب الأيسر (ضع التولية)، وأسفل الكتابة الوسطية تاريخ (١٣٢٧هـ) ويعلو الزخرفة والباب عقد مدبب زُين باطنه بزخارف نباتية متنوعة وكذلك واجهة العقد^(١). حيث توجد كتابة نصها (السيد كاظم) وفي الجانب الآخر (الطباطبائي) أيضاً باللون الأبيض، وعند قمة العقد تاريخ الانشاء (١٣٢٥م) (اللوحة رقم ٣) إذ نلاحظ عجز البيت الشعري الذي يذكر تاريخ المدرسة، وتاريخها رقم مثبت في واجهة المدرسة داخل إطار زخرفي يضيوي الشكل نوعاً ما وأيضاً كتب باللون الأبيض على مهاد أزرق، ويحف بالباب والزخرفة والعقد زخرفة مماثلة تقع داخل إطار مستطيل وفي الجانب الأيمن منها كتابة (يا علي) وفي أسفلها وعلى مسافة نحو (١م) (أدركني) ويوجد ما يماثلها في الجانب الآخر وكل هذه الزخارف كانت معمولة بوساطة القراميد الخزفية.

ويعلو الباب الخشبي والواجهة في الزقاق (سوبات)^(٢) وبعد اجتياز الباب الرئيس تصل إلى مجاز أوّل مستطيل الشكل أبعاده نحو (٢ × ٣م) وقد ازدانت جوانبه على دخلتين في كلّ جهة بعمق (٥ سم) وارتفاع (٥, ٢م) من مركز

(١) لم أتمكن من تصوير الواجهة بشكل جيد وذلك لضيق الزقاق.

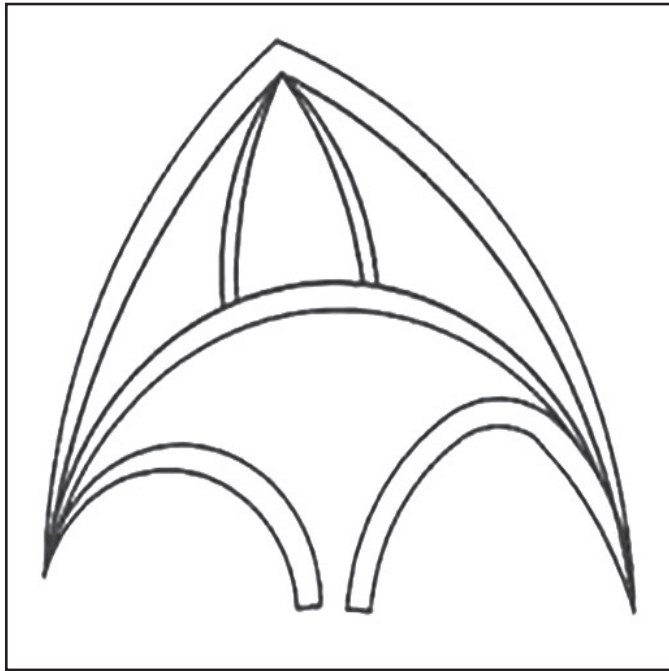
(٢) السوبات أو السابات: وهي تسمية محلية لمعالجة معمارية مهمة ودقيقة في البيوت والمباني التراثية حيث يعمل عبرها المعمار على استغلال الفضاء الموجود في الزقاق أمام الواجهة وذلك عبر مدّ جسور خشبية بارتفاع سقف الطابق الأرضي ثمّ البناء فوقها وضّمّ الفضاء الموجود إلى الطابق الثاني، مثلما حصل الآن في مدرسة اليزدي حيث استغلت الواجهة في بناء غرفة كبيرة. وعندما تكون واقفاً في هذه الغرفة تمرّ السابلة من أسفلك في الزقاق ولهذا الغرفة فوائد عديدة فإنّها تشرف بسبب تصميم نوافذها على الشارع مباشرة فهي تعمل بذلك عمل الشناشير في المعالجات المناخية، وكذلك في الدور الأمني للمبنى وسوف تأتي على شرح ذلك في أثناء دراسة الطابق الثاني.

العقد وعرض (١م) وكذلك على جانبي الباب حيث عرض الدخلة (٤٠ سم) وعمقها (٢٠ سم) وارتفاعها (٢م). ويعلو كل دخلة من هذه الدخلات عقد نصف دائري، أمّا في داخل الدخلة فقد رصف الطابوق بطريقة هندسية جميلة لاسيما عند نهاية العقد (شكل ٣ لوح ٤) ويعلو هاتين الدخلتين في الجوانب عقد قليل التدبب (منفرج) ثمّ عقد آخر يعلوه بنصف متر ملموم إلى الداخل لتجلس عليه نهايات القبة الضحلة التي سُقّف بها المدخل وهي منخفضة نوعاً ما ذات شكل مضلّع تحيط بها المقرنصات بهيأة مثلثات كروية وقد غلفت مقرنصاتها بالقراميد الزخرفية^(١) المتكونة من لونين فقط البني والأصفر وكان زخرفها على شكل أغصان لولبية كما في (اللوح ٥)، أمّا مركز القبة فقد اعتمد المعمار فيه على التفنن بوضعيات الأجر ورصفها بطريقة تشبه عظام السمك أو سعف النخيل، وبعد تجاوز المدخل والاتجاه نحو اليسار ثم اليمين (وهذا يعني أنّه من المداخل المنكسرة)^(٢)، يأتي دهليز مسقف على شكل قبو نصف أسطواني

(١) سنعمد تسمية القراميد في طيات بحثنا كونها تمثل التسمية العلمية لهذه المادة. حيث عرفت تسميات أخرى لهذه المادة البنائية مثل القاشاني نسبة إلى مدينة قاشان والتي اشتهرت في صناعتها في القرن السادس الهجري، وهذه التسمية مشهورة في النجف، وكذلك الكاشي الكربلائي وتسميات أخرى. ولكن الباحث فاروق محمّد علي أرجع صناعة القراميد في العراق إلى القرن الثاني الهجري مما يعكس عراقية هذه الصناعة في العراق لذلك سوف نستخدم تسمية القراميد الخزفية على الأجزاء المغلفة بشكل كامل والقراميد الآجرية على الجدران المزدانة بقسم منها. ينظر: علي، فاروق محمد، القراميد العمارة في العراق إلى نهاية القرن السادس عشر: رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩م، ص ٤.

(٢) معظم المباني التراثية تكون مداخلها مزورة والشائع أنّ المدخل يقع على محور يتعامد مع الساحة المكشوفة، ولمعرفة المزيد عن فائدة المدخل المزور. ينظر عبد الرسول، المباني التراثية في بغداد دراسة ميدانية لجانب الكرخ: ص ٢٥.

أو نصف برميلي بعرض (١م) وارتفاع (٣م) من مركز العقد وطوله (٢م) ونلاحظ أن هناك اختلافاً في مستوى ارتفاع عقدي واجهة الدهليز، حيث إنَّ العقد الأوَّل يكون مستواه أقل من ارتفاع العقد الثاني قرابة نصف متر وسبب ذلك يعود إلى حكم سقف المدخل أي: المثلثات الركنية حيث يجب أن تكون متساوية من الجهات الأربع من أجل حمل القبة.



شكل رقم (٤): الركنية التي تنتهي إليه القبة في مدرسة اليزدي

وعلى يمين الداخل في هذا الدهليز يوجد باب قديم لغرفة بعرض (٨٠سم) وارتفاع (١,٧٠ سم) وتبلغ مساحة الغرفة (٢ × ٢م) وهي مرتفعة بمقدار (٣٠ سم) عن مستوى أرض المبنى وقد ازدان جانبا الغرفة ومن أرضيتها حتى ارتفاع (٦٠ سم) بالقراميد الخزفية ذات اللون الواحد وهو الأزرق، ويوجد

في نهاية هذه القراميد شريط أصفر اللون بعرض (٥ سم)، كما ازدانت الغرفة بدخلات على شكل رفوف يستدل على أنَّها غرفة للإدارة^(١)، أمَّا واجهة الغرفة والتي تطلُّ على الصحن المكشوف فقد زُيّنت بشباك خشبي ينتهي بعقد مدبب (لوح ٦) يتميز بالزخارف الهندسية على شكل معينات صغيرة وهذه الزخارف من الداخل مثلما هي من الخارج.

ويؤدي الدهليز إلى ساحة أو صحن مكشوف مربع الشكل (٤ × ٤ م)، ينظر المخطط الأرضي العام للمدرسة كما في (الشكل ٤)^(٢). يتصدرها إيوان يكون بمواجهة الداخل للصحن يرتفع عن سطح الأرض (٣٠ سم) وللايوان عقد مدبب (شكل ٥) زُيّن باطنه بالمقرنصات، فهدف المقرنصات هنا هو زخرفي بحت، وليس عماري كما في شرفات المآذن وغيرها، ويتصدر الإيوان حجرة يُدخَل إليها عبر باب خشبي قديم مؤلف من مصراعين واهتمَّ بهذا الإيوان بصورة لافتة للنظر حيث زين باطنه بستَّ حطّات من المقرنصات غاية في الجمال من النوع المعقد كما في (لوح ٧ أ - ب) تشبه إلى حدٍّ ما مقرنصات القصر العباسي غير أنَّ الأولى خالية من الزخارف الآجرية النباتية^(٣) وكذلك المقرنصات التي ظهرت في مباني الحقبة العثمانية.

(١) وهي قد تمثل ما يشبه غرفة الاستعلامات اليوم، وذلك من أجل المحافظة على سلامة المدرسة، وهي فعلاً تؤدي هذا الدور اليوم في المدرسة.

(٢) سنعمل على تقسيم وهمي للمخطط على شكل ثلاثة أقسام من أجل سهولة فهمه.

(٣) لمعرفة المزيد عن زخارف القصر العباسي ينظر: عبد الرسول، سليمة، الأصول الفنية

لرُخارف القصر العباسي ببغداد: بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٣. ويعتقد الباحث الدكتور كامل

حيدر أنَّ القصر العباسي هو المدرسة الشراعية في بغداد ويثبت ذلك عبر عدَّة أدلة ومقارنات.

حيدر، كامل، العمارة العربية الإسلامية - نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر

العباسي: دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥ م، ص ٦١.

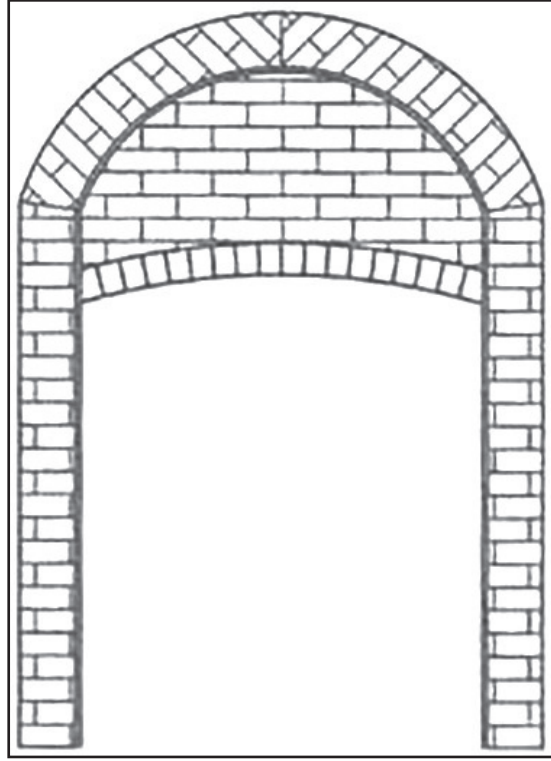
كذلك زُيّنت جنبتا جداري الإيوان بزخارف هندسية جميلة ذات لون أزرق (لوح ٨) وكذلك أطباق نجمية في واجهة الإيوان ذات لون أزرق وأبيض وأسود أساسها القراميد الآجرية. وربما يعود سبب الاهتمام البالغ بهذه الغرفة لكونها قد استخدمت غرفة للضيوف حيث نشاهد اليوم لوحة صغيرة كتب عليها (غرفة الضيوف).

وعلى يمين الداخل إلى الساحة هناك سُلمٌ يفضي إلى الطابق الثاني من (القسم الأول) للمدرسة وتطلُّ غرف هذا الطابق وشبابيكه على الساحة مباشرة وبعضها على طارمة مكشوفة تتقدمها، ويحيط بالفناء المكشوف من الطابق الأول محجّر من الخشب^(١) (لوح ٩). وقد زخرفت جدران الطابق الأول والأرضي بطاقات ذات عقود مدببة ومنبטה ونصف كروية كما في (الشكل ٦، لوح ١٠) كما زخرفت بواطن العقود وأعلاه بزخارف من القرميد الملون (الأزرق والأسود والأصفر والأبيض) وبشكل زخرفي على هيئة أشكال هندسية معينة ومربعات وخطوط متقاطعة وقد فصل شريط زخرفي بعرض (٣٠ سم) بين هذه الزخارف ليجعلها تتكون من طابقين.

ونلاحظ أنَّ المعمار قد اهتم اهتماماً خاصاً بهذه الجدران وإظهارها بصورة رائعة حيث دأب زخرفتها من الأرضية وصعوداً بارتفاع الطابقين والذي يبلغ

(١) تعلل الدكتورة سليمة عبد الرسول بروز الممرات والمماشي بقولها: «إنَّ بروز الممرات والمماشي عن مستوى أوجه جدران الطابق الأرضي حول الساحة يساعد بدوره في إبعاد هذه الواجهة عن التعرض للأمطار، كما تؤدي بدورها إلى تقليل تساقط أشعة الشمس المباشرة إلى أرضية الساحة وتزيد مساحة المناطق المظلمة فيها حول الساحة. عبد الرسول، سليمة، الأصول الفنية لزخارف القصر العباسي ببغداد: بغداد، ١٩٨٠، ص ٦٠.

(٧, ٨٠ سم) وزودها وقطعها على شكل عقود وطاقات صمّاء كما ذكرنا، ونعتقد أنّ السبب في ذلك يعود إلى أنّ هذه الجدران تقع في مدخل المدرسة فعمد المعمار إلى ذلك من أجل إضفاء الهيبة والرهبة عند الدخول إلى المدرسة ليضفي عليها مزيداً من القدسية.



شكل رقم (٥): العقد المستقيم الذي يعلو مدخل المجاز - مدرسة اليزدي

وعلى يمين الداخل إلى باب الإيوان يوجد باب لحجرة ثانية وعلى يسار الداخل من الساحة مجاز أبعاده (١ × ٥ م) مقبى بعقد نصف أسطواني ينزل منه بوساطة سلمتين إلى ساحة مقبأة بقبة يتوسطها شباك متكون من اثني عشر ضلعاً طول كل ضلع (٣٥ سم) وقطر هذا الشباك (١٠, ١ م) كما

في (لوح ١١) وتتخلله قضبان حديدية، ولهذه النافذة السقفية دور مهم في عملية تنظيم مناخ المدرسة وإنارتها حيث إنّها تقع فوق تلاقي ممرين رابطين للقسم الأوّل من المبنى والثاني ومن خلال تلاقي تيارات الحمل^(١) واختلاف الضغط من خلال اختلاف درجات الحرارة^(٢) سوف تعمل هذه النافذة عمل الساحة الكهربائية (مفرغة الهواء) في عصرنا الحاضر، لذلك نلاحظ أنّ المعمار قد جعل الغرفة التي تعلوها في الطابق الثاني مكشوفة ومن دون سقف.

وقد استندت القبة من الأطراف الأربعة إلى زخرفة المقرنصات بهيئة مثلثات كروية، لكن طريقة تصميم هذه المثلثات تختلف عن كلّ ما شاهدناه في المدرسة حيث عمل المعمار على تكوين هذه المثلثات من خلال التقاء نهاية العقدین الدائريين حيث يختار طرفاً واحداً من كلّ عقد ثم ينشئ أرجل العقد الجديد، كلّ رجل على طرف مع إبرازه إلى الأمام باتجاه النافذة السقفية والعقد هو على شكل نصف دائري كما في (الشكل ٧ لوح ١٢) ثم يعلوه عقد مدبب منطلق من نفس الأرجل، ونعتقد أنّ المعمار قد استخدم هذه الطريقة لوجود مدخلين في هذه الغرفة حيث نلاحظ جعله المنافذ أسفل العقود، وقد زُيّنت هذه المقرنصات بالقراميد الخزفية وكانت زخارفها عبارة عن أشكال نباتية اعتمدت في تكوينها على مبدأ التناوب^(٣) حيث يلتف كلّ شريط بشكل حلزوني على الآخر وقد استخدم اللون الأبيض على قاعدة بنفسجية اللون في هذه الغرفة.

(١) الدراجي، أثر المناخ على العمارة وتخطيط البيت العراقي: ص ٨٢. حسن، فتحي، العمارة العربية الحضرية في الشرق الأوسط: مطبعة دار الأحد، بيروت، ١٩٧١م، ص ١٤-١٥.

(٢) الياور، طلعت رشاد، المناخ وأثره في فن البناء في (العمارة الأثرية): وقائع ندوة العمارة والبيئة، منشورات المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٣م، ص ١٠.

(٣) المهدي، عنايات، روائع الفن والزخرفة الإسلامية: القاهرة، ١٩٩٢، ص ٧٧.

وفي هذه الساحة باب يؤدي إلى سرداب ويتميز هذا الباب عن أبواب المدرسة أنَّ نهايته على شكل عقد نصف دائري (لوح ١٣) وكذلك باب يؤدي إلى الحجرة وهو بمواجهة المدخل وعلى يسار الداخل باب لحجرة أخرى. ويتم اجتياز هذه الساحة بواسطة مجاز مقبى بعقد مستقيم (شكل ٨، لوح ١٤) أبعاده (١ × ٤م) وعند نهايته وعلى يمين الداخل باب لسلم يؤدي إلى الطابق الأول ويفتح بجانبه باباً يؤدي إلى السرداب حيث تكون السلم واحداً فوق الآخر بشكل لولبي، وعلى اليسار هناك مدخل واسع (١ × ٥, ٢م) وداخله باب صغير يفضي إلى غرفة مثلثة الشكل ناتجة عن الزيادة في الزوايا وهي مستخدمة اليوم غرفة (خدمية) من أجل خدمات المدرسة. يؤدي المجاز إلى ساحة المدرسة الواسعة وهي تشكل (القسم الثاني) من المبنى.

يتوسط هذا القسم صحن (فناء مكشوف) مستطيل الشكل أبعاده (٨٠, ١٣ × ٨٠, ١٦م) يتوسطه حوض ماء بيضوي الشكل مقسم إلى ثلاثة أقسام^(١) الوسط ذو شكل مستطيل مملوء بالماء والجانبان بنهايات مدورة مزروعة ببعض الأشجار. (لوح ١٥).

وتطل على البناء المكشوف أربع أجنحة بنائية ممتدة في الجانب الشمالي بخمسة حجرات ويتوسط واجهة كل حجرة باب خشب مزدوج من الداخل وتعلوه كتيبة خشبية مزججة على شكل عقد مدبب وهي مزججة بألوان مختلفة^(٢).

(١) توجد هذه الأحواض في معظم المدارس الدينية في النجف وعلى أشكال مختلفة ولا بد من أنَّ لهذه الأحواض دوراً مهماً في عملية التنفيس عن كرب طالب العلم خصوصاً أنَّه يقضي أوقات طويلة داخل المدرسة وكذلك لها دور في عملية الوضوء والتغسيل.

(٢) استخدم الزجاج المعشق مع عدّة مواد بنائية منها الجص والخشب وتعدّ الحقة المملوكية في القاهرة، تحتوي على أكبر قسم لهذه القطع الحية وكذلك الفترة العثمانية في العراق. ينظر

وتكون هذه الزجاجات على أشكال مختلفة، شكل بيضوي وآخر شبه دائري تحيط بها إطارات خشبية رشيقة (لوح ١٦) وعند شروق أشعة الشمس أو تسليط أي إنارة على هذه الزجاجات سنرى جواً هادئاً وجميلاً داخل الغرفة مما يخلق للطالب الذي يسكنها أجواء تساعد في عمله العلمي وهي بذلك تشبه القماري في اليمن^(١).

وعند الدخول إلى إحدى الغرف في المجنبة والتي مساحتها (٢٠، ٢ × ٢م) وارتفاعها (٥، ٣م) من مركز القبو نلاحظ أنَّ جداريها على يمين الداخل وعلى يساره قد قسما إلى ثلاثة دخلات عمق كل واحدة (١٠ سم) وتنتهي بعقود نصف دائرية وكل من هذه الدخلات مقسمة إلى قسمين لتكون رفوفاً يستفاد منها في خزن الكتب ونلاحظ عقدين نصف دائريين آخرين على يمين الباب وعلى يساره، أيضاً قد قسمها إلى ثلاثة أجزاء أبعاد كل جزء (٤٠ × ٤٠ سم) كما في (اللوحة ١٧) وقبل الوصول إلى الجدار الخلفي للغرفة بـ (٦٠ سم) هنالك قاطع من الحجر في الغرفة ويتوسطه باب مزدوج أيضاً يشابه باب الغرفة الرئيس بأبعاده (٧٠ سم × ٢م) وهو منخفض عن سقف الغرفة بـ (٥٠ سم) يكون لنا هذا القاطع مخزناً صغيراً داخل الغرفة عرضه نفس عرض الغرفة وطوله (٦٠

لود، فبر باري، شبابيك الزجاج المعشق نظرة تاريخية: أعمال الندوة التاريخية الأولى حول الحرف اليدوية في العمارة الإسلامية مع التركيز على آفاق تنمية المشرييات والزجاج المعشق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٢٦.

(١) القماري هي عبارة عن ستائر رخامية شفافة تسمح بنفاذ الضوء من خلالها ليعطي ضوءاً يشبه ضوء القمر وقد استخدمت في الجزء العلوي من نوافذ اليمن، أمّا الجزء السفلي فقد سُدت فتحاته بقطع من الزجاج الملون. ينظر، محمد، غازي رجب، تأثير الظروف البيئية في تصميم المباني في اليمن: المجلة القطرية للتاريخ والآثار، العدد (١)، بغداد، ٢٠٠١، ص ١٩٢.

سم) وأيضاً مقسّم إلى عدد من الرفوف وبالتأكيد يستخدم لحزن الملابس من أجل عدم إظهارها للعيان كما هو الحال في الوقت الحاضر.

وفتح في وسط الجدار الخلفي للغرفة قرب أرضيتها فتحة مستطيلة الشكل أبعادها (٣٥ × ٤٥ سم) وهذه الفتحة تمثل مركز التهوية في الغرفة، حيث إنّها قد فتحت على التجويف^(١) الصاعد في الجدار من السرداب إلى الطابق الأرضي ثم الأوّل ثم السطح وقد زوّدت بباب خشبي صغير على شكل قلاب يفتح ويسد عند الحاجة وينطبق الكلام السابق على الغرف الأربع الباقية.

وقد سُقّفت الغرف على هيئة قبو نصف أسطواني معقود بالآجر على شكل حصيري^(٢). ويتقدم كلّ غرفة إيوان صغير أبعاده (١ × ٢٠, ٢م) وارتفاعه (٥, ٣م) من مركز العقد وتعلوه نصف قبة ويتقدمه عقد مدبب وقد أسندت نصف القبة بالمقرنصات الركنية بهيئة مثلثات كروية من أجل تحويل الشكل المربع إلى مدور (لوح ١٨). وقد كُسي السقف والجوانب وواجهة العقد بالقراميد الخزفية والتي حملت زخارف نباتية متنوعة تنطلق من القاعدة على شكل زهرية جميلة تحيط بها من جانبيها أشكال حيوانية على هيئة أسود (لوح ١٩) وتخرج منها أغصان وأوراد على أشكال مختلفة ثم تأتي زهرية أخرى تخرج منها أغصان أفعوانية الحركة تخرج منها أنصاف مراوح نخيلية ثلاثية الفصوص تلتف حول نفسها لتملأ الفراغ المتكون من حركة الغصن الأفعواني الذي يمتاز بوجود تقعر واسع في داخله بحيث يبدو للناظر وكأنّها غصنان يسيران بشكل متواز، أمّا كوشتا العقد فقد زينت زخارف نباتية متناظرة من التوريق العربي

(١) تسمّى هذه التجاويف أيضاً بالملاقف الهوائية وأيضاً تسمّى البادكير.

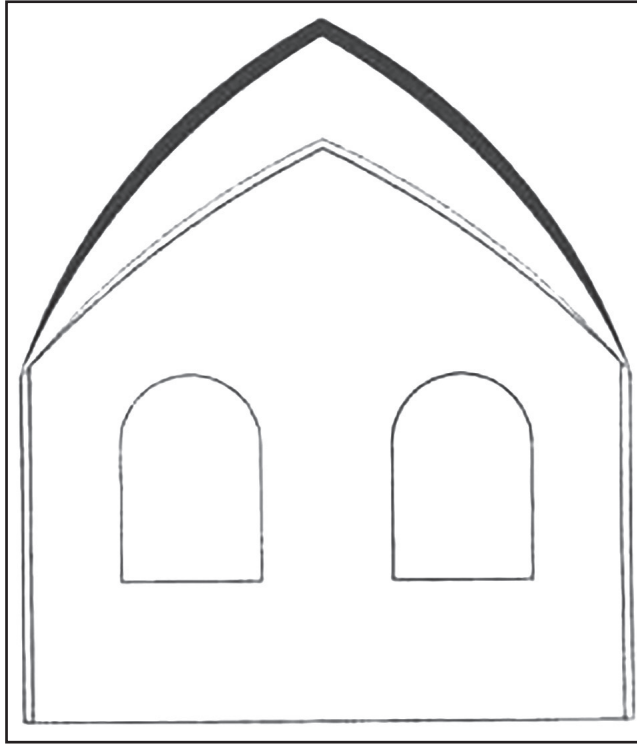
(٢) تعدّ الزخارف الحصيرية من الزخارف الهندسية ولها جذور عراقية.

(الأرابيسك)^(١). يبدأ موضوعها الزخرفي بمحور من التناظر التمثيلي، ثم تمتد على ميمنته وميسرته الأغصان وما ينبثق من عناصر بشكل متناظر. ويتوج تلك الأغصان من الأعلى عنصر كأسّي ثلاثي الفصوص يمتاز بوجود تقعر واسع داخل فصوصه (شكل ٩، لوح ١٨).

ونلاحظ أنّ الفنان قد أطر المثلثات الكروية الحاملة لأنصاف القباب بأشرطة زخرفية بارزة على شكل خطوط مقطعة ذات لونين أسود وأصفر وبنفس الطريقة أطر بوابة الغرفة وعقدها وكذلك واجهة الإيوان. حيث جعل هذه الأطر جميعها بارزة عن سمت الزخرفة حوالي (٥ سم) (لوح ١٨)، وهي على شكل مسنن في واجهة الإيوان، واستخدمت ألوان عديدة في هذه الزخارف منها الأصفر والأزرق والأحمر والبنفسجي والأبيض والأسود والشذري، وينطبق هذا الكلام على الإيوان الأوّل والخامس بالنسبة إلى الزخرفة، أمّا الإيوان الثاني والثالث والرابع فإنّ زخارفهم تختلف إلى حدّ ما عن سابقتها حيث تكون الزخارف محصورة داخل أطر هندسية شبه بيضوية كأنّها عمودان يحملان عقدين نصف دائريين واحد في الأعلى والآخر في الأسفل، وتتكون الوحدة الزخرفية داخل هذا الإطار من شريطين يمتدان بشكل أفقي بحركة لولبية مكونة أثناء حركتها أشباه دوائر مطولة شغلت بزخارف نباتية اعتمدت في تكوينها على مبدأ التكرار والتناوب قوامها أنصاف مراوح نخيلية ثنائية

(١) إنّ فن (الأرابيسك) هو فن عربي إسلامي أصيل ولمعرفة المزيد عن أحواله وكيفيته ينظر: كمال، صفوت، الأرابيسك والتلازم مع تراث العمارة الإسلامية: الندوة الدولية الأولى حول آفاق تنمية فنون الزخرفة في حرف العالم الإسلامية اليدوية، (الأرابيسك)، دمشق، ١٩٩٧م، ص ٨٩.

الفصوص يلتف فُصُّها الأوَّل على نفسه بشكل حلزوني بينما يستطيل فُصُّها الثاني لينقسم إلى فصين آخرين ينتهيان بالتفافه حلزونية، وقد جاء اختيار الفنان لأنصاف المراوح النخيلية لما تمتاز به من القابلية الكبيرة من الانشطار والتفرغ والتكرار^(١) وذلك لملء الفراغ وإحداث نوع من التوازن بين الفراغات التي تحدثها الخطوط المنحنية فعمل على تكيفها بشكل بديع مما شكَّل مساحات في وضع متجانس^(٢). (لوح ٢٠).



شكل رقم (٦): مخطط للعقود التي تعلو الدخلات في المدخل الثاني لمدرسة اليزدي

(1) Hameed, A., The Stucco Ornaments of Samarra, Vol. 1, 1962, Ph. D. Thesis University of London. p. 135.

(٢) المهدي، عنايات، روائع الفن والزخرفة الإسلامية: القاهرة، ١٩٩٢، ص ٧٨.

وتحيط بإطار البوابة لكل غرفة في هذا الجناح شريط كتابي ويعلوها حتى قمة الكتيبة (عقد الباب) (لوح ٢١)، وقد نقشت الكتابات القرآنية والتذكارية والحكم والأمثال والأبيات الشعرية على جدران الأبنية وأعلى الأبواب والشبابيك، لا يقصد منها التبرك بالآيات القرآنية والعبارات الدعائية أو تخليد ذكرى أشخاص أو تحديد التاريخ فحسب، وإنما كانت تستخدم كعنصر زخرفي ابتكره الفنان المسلم واكتسب أهميته حتى أصبح ميزة مهمة من ميزات الفنون الإسلامية^(١).

وقد تمكنت من قراءة بعض هذه النصوص التي زينت بها أبواب هذا الجناح حيث كان المكتوب عند قمة العقد هو آية قرآنية وعلى جانبي الباب أحاديث نبوية شريفة ومن الآيات قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) الإيوان الأول، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٣) الإيوان الثاني، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٤) الإيوان الخامس.

أمّا بالنسبة إلى الأحاديث النبوية الشريفة وفيما يخص هذا الجناح فجاء في مدخل الإيوان الثالث، قول سيد الأنبياء ﷺ: «والعلم ودیعة الله في أرضه والعلماء أمناء فمن عمل بعلمه أدى أمانته ومن لم يعمل بعلمه كتب في ديوان الخائنين»^(٥).

(١) حسن، زكي محمد، فنون الإسلام: القاهرة، ١٩٤٨م، ص ٢٣٤.

(٢) سورة الزمر: الآية ٩.

(٣) سورة التوبة: الآية ١١.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

(٥) المازندراني، المولى محمد صالح، شرح أصول الكافي: بيروت، ١٩٧٥م، ج ٢، ص ٣١.

وفي واجهة الغرفة أحياناً يكتب أكثر من حديث حسب طول وقصر الحديث. وقد بنيت الحجر والأواوين على ارتفاع (٥٠ سم) من أرضية الفناء فوق السرداب الذي يبرز منه نحو الفناء أسفل كل إيوان شباك صغير من الخشب لغرض الإضاءة والتهوية ما عدا الجناح الغربي لا توجد فيه شبايك لأن ليس له سرداب أسفله.

وتعلو الغرف والأواوين غرف وأواوين مماثلة إلا أن بواطن الأواوين مجردة من الزخرفة التي شاهدناها في الطابق الأرضي. أمّا الجانب المقابل وهو الجنوبي فمماثل للجانب الشمالي باستثناء الإيوان الأول والأخير من كل طابق من الطابقين حيث سُدت بأربعة شبايك خشبية (لوح ٢٢) وكل شباك متكون من ثلاث نوافذ مزججة يتم فتحها من خلال رفع النوافذ إلى الأعلى والأسفل، ويوجد أمام كل نافذة كتيبة خشبية بحجم النافذة ولا يتم فتح النافذة إلا برفع هذه الكتيبة للأعلى وقبل غلق النافذة يتم إنزال الكتيبة للأسفل أي إنّها من النوع المنزلق مما يعطي عزلاً تاماً لهذه النافذة وتتكون كل نافذة في هذا الشباك من أربع قطع زجاجية، أبعادها (٢٠ × ٢٠ سم) حصرت داخل قواعد خشبية، أمّا الكتيبة المتحركة فأبعادها (٥٠ × ٦٠ سم) تضم في وسطها طرة زجاجية ملونة معينة الشكل ونلاحظ أن الشباك قد غطى واجهة الإيوان كلها.

وقد ازدانت الشبايك بالزخارف الهندسية حيث تعلوها زخرفة خشبية بارزة قوامها أشكال نجمية رباعية تشغل شريطاً يمتد على طول العقد المدب وينزل قليلاً من الأسفل وتتوسط هذا الشريط أشكال معينة مثبتة بشكل رأسي (لوح ٦ و ٢٢) ويبدو أن السبب الذي دفع الفنان إلى استخدام هذا النوع من

الزخرفة يعود إلى سهولة تنفيذها على الخشب، حيث إنَّها تعتمد على لصق أجزاء الخشب ببعضها ببعض^(١).

أمَّا بالنسبة لنوافذ الطابق الثاني والتي تعلو النافذتين السابقتين كما مبين في اللوح السابق فإنَّهما متكونتان من جزء واحد حيث تفتح النافذة الزجاجية مباشرة وهي أيضاً متكونة من ثلاث نوافذ ونلاحظ أنَّ زخرفة النافذة من مركز العقد حتى بداية النوافذ الزجاجية متكونة من خطوط متوازية مقسمة إلى أجزاء مربَّعة، وقد وضع داخل كلِّ جزء طرة خشبية صغيرة على شكل معيني. وقد خلت هذه الزخارف من الشريط الزخرفي أسفل العقد كما في شبابيك الطابق الأرضي.

والغرف من الداخل في هذا الجناح تتشابه مع الجناح الشمالي باستثناء الجدار الخلفي حيث لا وجود لجدار عازل أو مخزن صغير في هذه الغرف وذلك لوجود تداخل أو قص صغير في الجدار الخلفي حيث إنَّ هذا الجدار غير منتظم في هذا الجزء من المدرسة كما هو واضح في المخطط (شكل ٤) وهذه صفة تتميز بها الأبنية التراثية في العراق عموماً حيث تكون أشكالها وأبعادها من الداخل منتظمة أمَّا من الخارج فتكون متداخلة في بعض الأحيان مع أبنية أخرى وهذا ما يعرف بالبناء الخلوي^(٢).

(١) عبد الحسين، علاء ياسين، الفنون الزخرفية في العمارة العراقية: مجلَّة آفاق عربية، العدد ٢، ١٩٩٥م، ص ٤٢.

(٢) من لقاء مع الدكتور المهندس لطف الله جنين أستاذ العمارة الإسلامية دائرة الأوقاف والشؤون الهندسية. وكذلك ينظر: العباسي، سيف الدين إبراهيم، الدور البغدادية والتراث السكني: مجلَّة التراث والحضارة، العدد ٨ و ٩ لسنة ١٩٨٦-١٩٨٧، بغداد، ١٩٨٧، ص ٢٥٩.

حيث نلاحظ أنَّ هناك ثلاث غرف في هذا الجناح تكون جدرانها بشكل اعتيادي من الخلف أمَّا الغرفة الرابعة فيوجد فيها مخزن صغير وأيضاً زودت بباين كما في الجناح الشمالي، أمَّا الخامسة فهي تستخدم مسجداً سنأقي على شرحه فيما بعد، وهذا يعني أنَّ الجدار الخلفي للمبنى ليس على استقامة واحدة. ونلاحظ في هذا الجناح أنَّ أسفل سقوف الأواوين الثلاثة الوسطى في الطابق العلوي تتدلى منها مقرنصات على شكل دلايات كبيرة تشابه مقرنصات إيوان غرفة الضيوف.

ونلاحظ في الجهة المقابلة أنَّ أسفل سقوف الأواوين قد شغلت بمثلثات كروية وبذلك تفقد أواوين الواجهتين في الطابق العلوي صفة التشابه^(١)، أمَّا في الطابق السفلي حيث ازدانت الأواوين بالقرايميد الخزفية فإنَّ زخارفها تتناظر مع تفاصيل زخارف أواوين الجناح الشمالي باستثناء الأحاديث النبوية الشريفة، ففي الشريط المحيط ببوابة الغرفة الثانية قول أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: «يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق، ويا كميل مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر»^(٢).

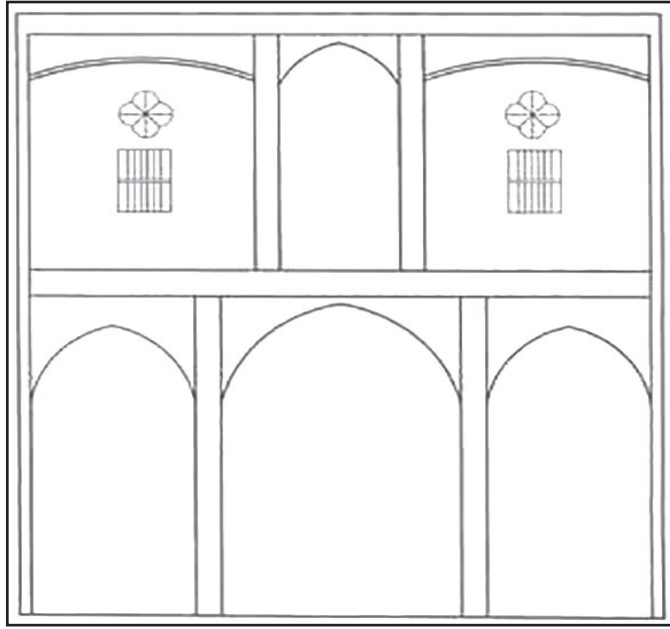
وفي الباب الآخر قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة وزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء»^(٣).

- (١) حاولت معرفة ما إذا كانت زخارف أحد الجناحين مجددة لكنه تبين أنَّها كلها من أصل البناء.
- (٢) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ)، الخصال: صححه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٦م، ص ١٢٨.
- (٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٧٧٣هـ)، الجامع الصغير في أحاديث البشير والنذير: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، بيروت، ١٤٠١هـ، ص ٧٦٣.

أمّا بالنسبة للجناح الشرقي فهو متكون من أربع حجر أبعادها مساوية لغرف الجناح الشمالي غير أنّها من دون قواطع أو غرف خزن في مؤخرتها، وكذلك فإنّ عمق الدخلات والرفوف أرشق من السابق كذلك سدّت فتحته الداخلية الموجهة لباب الدخول بباب صغير ذي مصراعين أبعاده (٤٠ × ٦٠ سم) كي يستفاد منه في حفظ الأشياء الثمينة، وقد توج كلّ دخلة عقد نصف دائري ويوجد في كلّ جهة دخلتان عدا المدخل ونلاحظ أنّ واجهات الأوابين وبطون العقود قد زينت تماماً بالقراميد الخزفية.

واستخدم الفنان الزهرية قاعدة لانطلاق زخارفه النباتية التي صممت على أساس التناوب بين عنصرين نباتيين هما المروحة النخيلية وكيزان الصنوبر من جهة، ومن جهة أخرى أزهار ووريدات متكونة من أكثر من بتلة منطلقة من الأغصان، وإنّ اعتماد الزخرفة على تناوب العناصر النباتية بشكل أشرطة زخرفية له أصوله الفنية التي ترجع بجذورها إلى الفن العراقي القديم وصولاً إلى الفن الإسلامي الذي اقتبس منه فنانون الحقب المتأخرة معظم أعمالهم؛ لأنّه موروث فني أصيل^(١).

(١) استخدم الفنان العراقي القديم مثل هذه الأشرطة الزخرفية بشكل كبير في تنفيذ زخارفه، وقد وجدت أمثلة عديدة لهذه الزخرفة منها على سبيل المثال تلك الطنفسة الآشورية التي وردت منحوتة على لوح من الرخام الموصلية عند إحدى بوابات مدينة خورسباد الآشورية والآن محفوظة في متحف اللوفر بباريس. حميد، عبد العزيز، الطنافس صناعة عراقية وعربية قديمة: سومر، مج ٤٦، ١٩٨٩-١٩٩٠، ص ٢٣٥. وكذلك ما يماثلها في الرسوم الجدارية المنفذة على الجص في قصر (تكاركلي نورتا) والعائد للعصر الآشوري القديم، مورتكات، الفن في العراق القديم: ص ٣٤٤، شكل (٨٩). أمّا في العصر الإسلامي فخير مثال لدينا تلك الأشرطة الزخرفية المنفذة على الخشب والعائدة للقرن (الثالث الهجري - التاسع الميلادي) والمحفوظة في متحف المتروبوليتان في نيو يورك. شافعي، فريد، الأخشاب



شكل رقم (٧): المخطط العام للطابق الأرضي لمدرسة اليزدي

ونلاحظ في هذا الجناح أنَّ الإيوان الأوَّل والرابع متشابهان تماماً في الزخارف، الإيوان الثاني والثالث متشابهان أيضاً ونلاحظ في هذين الإيوانين لا وجود للزخارف الكتابية التي تحيط بأبواب المدخل حيث استعاض عنها الفنان بشريط لولبي أزرق اللون بعرض (١٠ سم) وجعله يدور حول الباب وهو يشبه العقد المضفور (لوح ٢٤). وكانت الكتابة في الإيوان الأوَّل (الجهة الشرقية) هي حديث قدسي^(١)، قول رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فليُنظر إلى المتعلمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف

المزخرفة في الطراز الأموي: مجلَّة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ١٤، ١٩٥٢م، ص ٨٨، لوح ٩.

(١) تمكنت من قراءة جميع الأحاديث والآيات القرآنية التي زينت واجهة الأبواب والمداخل وكان عددها ثمانية عشر حديثاً وتسع آيات قرآنية لكنني ذكرت نماذج منها في كل مجنة.

إلى باب العالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى الله له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الأرض وهي تستقر ويمسي ويصبح مغفوراً له^(١). وعند قمة العقد فوق المدخل كتبت آية قرآنية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢).

من الواضح أنَّ الهدف من هذه الأحاديث حثُّ الطالب على مواصلة العلم والمعرفة وقد نجح الفنان في اختيار مواضيع هذه الأحاديث والآيات القرآنية حيث وضعها عند المداخل وبشكل لافت للنظر وبخط ثلث جميل بلون أبيض على مهاد أزرق، فكلما يدخل الطالب للغرفة تكون في مواجهته، وقطعاً سيقراها فيتأثر بها وتشجعه على الصبر ومواصلة الدرس.

ونلاحظ في هذه الواجهة بعض أعمال الصيانة البسيطة داخل الإيوان الأوّل والثاني من الطابق الثاني كما في (اللوحة ٢٤) حيث عملت بواطن الأواوين على شكل مثلثات كروية من أجل إسناد أنصاف القبة. وتماثل هذه المجنبة تماماً المجنبة الغربية سوى أنَّ غرف المجنبة الغربية تبدأ فيها فتحات التهوية (الملاقف الهوائية) من أرضية الغرفة حتى السطح ذلك لعدم وجود سرداب أسفل هذا الجناح. وأيضاً ازدانت واجهة المداخل عند الغرف بالآيات القرآنية والأحاديث ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، أمّا بالنسبة للأحاديث فقول النبي ﷺ: «من طلب العلم فهو كالصائم نهاره والقائم ليله وإنَّ باباً من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن يكون له أبو قبيس

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٨٨، ص ٩٨.

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٣) سورة الزمر: الآية ٩.

ذهباً فأنفقهُ في سبيل الله^(١).

وعند مراكز العقود في الطابق الأول شريط زخرفي يدور حول الصحن وبعرض (٣٠ سم) وقد حصر داخل إطارين رشيقين قوامها زخارف هندسية تشبه أسنان المنشار ويضم هذا الشريط في داخله عناصر زخرفية كمثرية الشكل وأشكالاً بيضوية تأتي بالتناوب تنحصر فيما بينها أغصان لولبية، وقد مثل هذا الشريط الحد الفاصل بين الطابق الأرضي والأول. ونلاحظ شريطاً آخر لكنه كتابي^(٢) وبعرض (٤٠ سم) يدور حول الصحن عند نهاية الطابق الثاني وأيضاً قد حصر داخل إطارين زخرفيين حيث نلاحظ أنَّ الإطار الذي عند نهايته ذو لون واحد هو الأزرق وقد تكون من قراميد خزفية مستقلة تشبه الشرفات المسننة^(٣) بارزة عن سمت الجدار (٤ سم) ويمثل هذا الشريط سورة قرآنية واحدة هي سورة الدهر (لوح ٢٥) وعند بداية الشريط ونهايته في الزاوية الجنوبية الغربية نلاحظ تأريخ بناء المدرسة واسم بانيها، وإلى جوارها وعند دعامة الإيوان الثالث في الجهة الجنوبية كتابة وسط الزخرفة هي: (يا كاظم الغيظ) وفي الدعامة الأخرى (يا عافياً عن الناس) (لوح ٢٦) وهذه الظاهرة في هذا الإيوان فقط.

ونلاحظ أيضاً جميع أرضيات الأواوين في هذا الصحن قد كسيت بالمرمر الرمادي اللون وعلى ارتفاع (٥٠ سم) وهو من أصل البناء في المدرسة.

(١) البخاري، أبو عبد الله بن إبراهيم الجحفي (ت ٢٥٦هـ)، كتاب التأريخ الكبير: مراجعة الدكتور محمد عبد السعيد خان، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٢٨٨.

(٢) إنَّ عوامل الاندثار والتقدم على هذا الشريط أدت إلى صعوبة قراءته.

(٣) الشُرْفَة: أعلى شيء وهي ما يوضع على أعالي القصور والمدن والجمع شُرَف، وشَرَّف الحائط جعل له شُرْفَة. ابن منظور، المصدر السابق، مادة (شرف).

وتشغل زوايا هذا الصحن فتحات تؤدي إلى بعض المرافق البنائية لا تقل في عمارتها وزخرفتها عما ذكرنا، ويعلو كل فتحة عقد مدبب (لوح ٢٧) وهذه الفتحات والعقود جعلت من الصحن ذي الشكل الرباعي شكلاً مثنياً ذا أربعة أضلاع كبيرة وأربعة صغيرة.

في الزاوية الشمالية الغربية يقع المدخل الرئيسي المؤدي إلى الصحن الكبير، وفي الزاوية الجنوبية الشرقية يقع المدخل الآخر للمدرسة وقد سُدَّ منذ مدَّة طويلة وهو مطلٌّ على زقاق ضيق يفضي إلى شارع الرسول وهو يشابه المدخل الأوَّل وهو مربع الشكل (٥ م × ٥ م) وأيضاً ازدانت جدرانها بدخلات بواقع دخلتين في كلِّ جهة تعلوها عقود نصف دائرية ثمَّ يعلو العقدان النصف دائريين عقد مدبب (شكل ١٠) واحد متقدم عن الجدار بشكل تدريجي مكوناً بذلك المثلثات الكروية التي سندت القبة وقد زينت بواطن الدخلات بزخارف هندسية بواسطة التلاعب بوضعيات الأجر مثلما وجد في المدخل الأوَّل. وقد كُسي باطن القبة في هذا المدخل بشكل كامل بالقراميد الخزفية ليس كما في المدخل الأوَّل حيث زخرفت كلها باللون الأصفر وعلى شكل أغصان لولبية ذات فروع صغيرة على مهاد بلون بني وكذلك المثلثات الكروية (شكل ١١)، (لوح ٢٨ أ - ب) وهي تشابه الزخارف النباتية الموجودة في المدرسة المستنصرية حيث نلاحظ عقد السيقان وفروعها الرئيسة تخرج من تلك الأغصان وفروعها وأوراقها باتجاهات مختلفة لتملأ الحشوة أو المساحة المخصصة للزخرفة^(١) كما في (الشكل ١٢).

(١) الأعظمي، خالد خليل حمودي، الزخارف الجدارية في آثار بغداد: دار الرشيد للنشر، بغداد،

وهذا المدخل أيضاً من النوع المنكسر وقد فتحت فيه فتحة مستحدثة تؤدي إلى بناء جديد ملحق بالمدرسة يستخدم حالياً مطبخاً، وعلى يمين الداخل من الفتحة السابقة درج صاعد إلى الطابق العلوي وعلى يسار الداخل باب خشبي ذو قضبان حديدية مدورة يؤدي إلى سرداب ونلاحظ نفس الحالة تتكرر عند الزاوية الشرقية الشمالية حيث إنَّ المعمار قد جعل داخل هذه الزوايا وحدات خدمية مثل وضعه للسلام والمداخل وعمد على استغلالها.

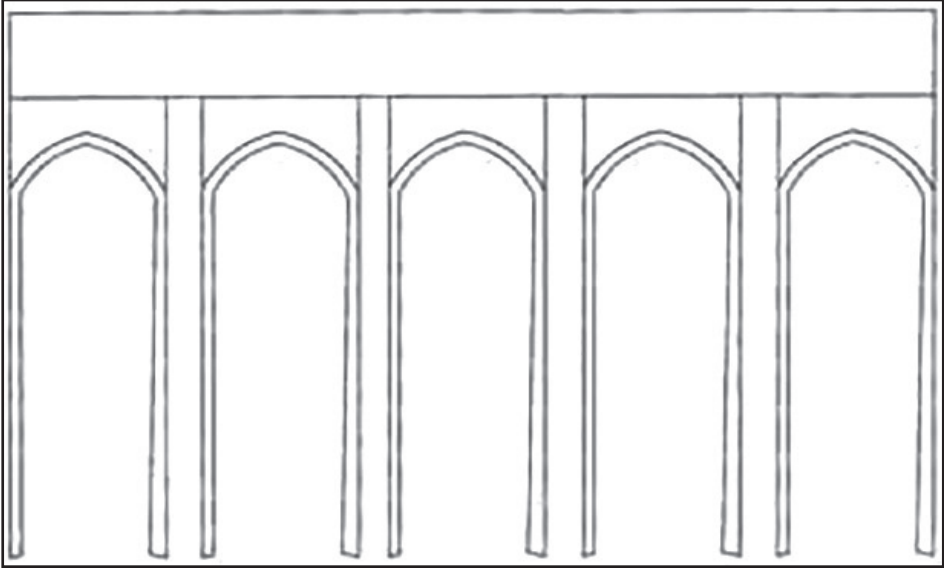
ونلاحظ في هذه الزاوية من المدرسة كيف استغل المعمار دوران السلام الصاعدة إلى الأعلى وجعل أسفلها غرفة صغيرة وسطية وكذلك غرفة أخرى أسفلها عند السلام النازلة للسرداب وبذلك تكون المدرسة في هذا الجزء مؤلفة من أربعة طوابق.

وفي الزاوية الجنوبية الشرقية يتمُّ الدخول إلى القسم الثالث للمدرسة وهو في غاية الجمال والروعة، فعلى يمين الداخل سُلَّم يؤدي للطابق العلوي وبجواره وبزاوية (٩٠) سُلَّم آخر أسفلهُ يؤدي إلى السرداب وعلى يسار الداخل وفي نهاية الممر مدخل المسجد وبعد الاتجاه نحو اليمين عبر مجاز أبعاده (١ × ٥, ٢م) يفضي بنا إلى فناء مكشوف مستطيل الشكل أبعاده (٥ م × ٥, ٥ م) تحيط به المرافق البنائية بطابقين، الجانب الشمالي يشتمل في طابقه الأرضي على حجرة يتقدمها إيوان سُدَّت فتحته نافذة خشبية وهي ذات شكل وزخارف مماثلة للسابقة (نافذة الجناح الجنوبي في القسم الثاني) وبجانبه فتحة عرضها (٩٠سم) تؤدي إلى باب الحجرة وباب آخر يقابله يؤدي إلى الحجرة التي سُدَّت واجهاتها بالنافذة الخشبية كما في (اللوحة ٢٩) وتعلو هذه المرافق في الطابق

العلوي غرفتان يتوسط واجهتهما المطلّة على الفناء شباكان تعلو كلُّ منهما نافذة على شكل وردة ذات أربعة فصوص مزدانة بمشبك حديدي ونلاحظ بعض آثار الترميم قرب النوافذ ويتوسطهما ممرٌ يعلوه في مقدمته عقد مدبب (شكل ٣١، لوح ٢٩) ويطل عليه وفي مؤخرته بابا الغرفتين، ويتقدم هاتين الغرفتين طارمة مكشوفة يتقدمها محجر من الخشب والحديد يطلُّ على الفناء مباشرة. ونلاحظ أنَّ الفنان قد عمد على تزيين واجهات هذه الغرف بزخارف هندسية ضمن قطع الآجر المرصوف استخدمت داخل عقود مبطوحة وهي تشابه بذلك زخارف الواجهات في مدخل المدرسة^(١).

أمَّا الجانب الغربي فيشتمل على حجرة ذات باب مماثل تطلُّ على إيوان قليل العمق (٦٥ سم) ويحفُّ بالباب من الجانبين نافذتان شكلهما مستطيل (٤٠ × ٨٠ سم) ونلاحظ أنَّ الباب قد توجَّها عقد نصف دائري أمَّا الإيوان والنوافذ فعقودها مدببة كما في (اللوح ٣٠). وتعلو الحجر والإيوان غرفة ذات واجهة خشبية مربعة الشكل مزججة ذات زخارف هندسية قوامها معينات وأشكال نجمية والواجهة الشرقية تماثل الواجهة الغربية وإنَّ أبعاد الغرف في هذه الواجهات الثلاث هي (٢ × ٢م) ما عدا واحدة أبعادها (٣ × ٢م) كما في مخطط هذا القسم وارتفاع السقف في هذه الغرفة هو (٥, ٣م) على شكل قبو نصف أسطواني.

(١) تنتشر هذه الطريقة من الزخارف في المباني التراثية لاسيما في المناطق الوسطى والجنوبية من العراق، حيث يعمل الفنان على جعل إحدى واجهات آجراته مزججة وذات لون واحد كأن يكون الأزرق أو الأسود أو الأصفر ثمَّ يرصفها بطريقة حسابية غاية في الدقة مما يولد أشكالاً زخرفية متنوعة. حسن، البيت العراقي في العصر العثماني: ص ١٤٨.



شكل رقم (٨): مخطط الواجهة المطلّة على الطارمة والتي تعلو غرفة المدرس

وشغل الجانب الجنوبي من هذا الجناح حجرة كبيرة مستطيلة الشكل أبعادها (٣ × ٩,٥ م) وهي تمثل غرفة (المدرس) في المدرسة يُدخَل إليها من مدخلين بُعد كل واحد (٩٠ سم × ٢ م) وتتوسطهما نافذة بعرض (٥,٢ م) ذات عقد مدبب وهي تشابه النافذة في المجنبّة الشماليّة ولكن واجهتها المطلّة على غرفة المدرس وفي قسمها الأعلى كانت على شكل عقد نصف دائري نتيجة لطريقة التسقيف التي كانت على شكل قبة نصف دائري (لوح ٣١) أمّا المداخل فقد ازدانت بعقود مبطوحة أسفل العقود المقوسة ولهذا النوع من العقود فوائد إنشائية فهو يساعد على الحدّ من ارتفاع المدخل، كما لحظنا ذلك عند عقد ممرّ الجناح الثاني (شكل ١٤) وبالتالي إحداث موازنة في أبعاده من جهة وتخفيف الثقل على العتبة العليا وذلك بتوزيعه على جانبي الإطار من جهة أخرى^(١).

(١) الجمعة، أحمد قاسم، مدخل مزار كف (بنجة) الإمام علي في الموصل: مجلّة آداب الرافدين،

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ البدايات الأولى لظهور مثل هذا النوع من العقود وحسبما أظهرته الاكتشافات الأثرية كان في العمارة العراقية القديمة^(١).

ونلاحظ أيضاً أنَّ هذه العقود أعطت للواجهة قيمة جمالية حيث إنَّها تبدد الملل الذي يحسُّ به الناظر إلى الجدران^(٢). وقد تمَّ شغل هذه النافذة من أسفل العقد وعلى مسافة متر واحد بزخارف خشبية مخرمة على شكل أشربة نباتية حلزونية غاية في الدقة منفذة على خلفية زجاجية (لوح ٣١) تعمل على نقل الإنارة الهادئة إلى هذه الغرفة، وقد زينت جدران الغرفة بمجموعة من الدخلات استخدمت دواليب للكتب حيث سُدَّتْ بأبواب خشبية ذات مصراعين وتمثلت هذه الدخلات على نفس هيئة مداخل الغرفة بشكل متناظر كما في (اللوحة ٣٢) وتعلوها كتائب زجاجية يتقدمها نقش مخرَّم منتهية بعقود نصف دائرية وقد كتب عليها (الله، محمد، علي، يا فاطمة، يا حسن، يا حسين) (اللوحة ٣٣)، وقد سقفت هذه الغرفة بقبو نصف أسطواني على طول المسافة ولم نَرِ عقوداً تحمله رغم طول المسافة ونعتقد أنَّ السبب يعود في ذلك لقرب الأضلاع التي تحمله من بعضها^(٣) (م٣).

ولم تستخدم هذه الغرفة (المدرّس)^(٤) للسكن وإنَّما كانت ومازالت قاعة

العدد (١٩)، ١٩٨٩، ص ١٠١.

(1) Damerji, M. S. The Development of the Architecture of Doors and Gates in Ancient Mesopotamia. Tokyo.B. Fig. 45. p. 121, 1987.

(٢) مرزوق، محمّد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر الإسلامي: الحياة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٧٣.

(٣) الخطيب، محمّد عقيل صادق، خصائص تصميم الشكل الخارجي للمسكن في العراق: رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٦م، ص ٩٦.

(٤) يوجد استخدام آخر لهذه الغرفة فهي اليوم مكتبة تحتوي على العديد من مصنفات الكتب

يُجتمع فيها طُلاب المدرسة أو من يأتي من خارج المدرسة من أجل عقد حلقة دراسية مع أستاذهم وهي بذلك تؤدي عمل الإيوان في المدرسة المستنصرية^(١).

وقد ازدانت مداخل هذه الغرفة في أعلى العقود بعدة زخارف ومنها زخارف كتابية حيث كتب عند المدخل (أنا مدينة العلم وعليُّ بابها) باللون الأبيض عند واجهة عقد المدخل (لوح ٣٤). ويعلو هذه الغرفة طابق آخر يُوصَل إليه عبر ممرٍ ضيقٍ من فوق الجناح الشرقي ونلاحظ وجود أربع غرف فوق غرفة المدرّس وقد قسمت واجهاتها على خمس دخلات عرض كلّ واحدة (١م) ويعلوها عقد مدبب (شكل ١٥، لوح ٣٥) ونلاحظ أنّ العقد الذي في الوسط هو مدخل لغرفتين، أمّا الغرفتان الباقيتان فواحدة مدخلها عند بداية الممرّ الضيق والأخرى يكون في واجهة الداخل، ونلاحظ أنّ تقسيم الرفوف داخل الغرف قد اختلف بعض الشيء عن الطابق الأرضي عمّا ذكرناه سابقاً.

ويتقدم هذا الطابق طارمة مكشوفة على مسافة (٢م) ويتقدمها محجر من الحديد والخشب، وقد ازدانت الواجهات المطلة على هذا الجزء بدخلات تعلوها عقود مبطوحة وقد زين داخلها بزخارف هندسية تشبه زخارف الصلبان المعقوفة^(٢) (لوح ٣٦). وبذلك تكون جميع الواجهات في هذا القسم وبواطن وجوانب وسقوف العقود قد زُيّنت وازدانت بالقرايمد الخزفية الملونة والمزخرفة بأشكال نباتية مختلفة وزهريات تنبثق منها أغصان نباتية وأوراد على الرغم من وجود مكتبة قديمة في المدرسة في الطابق الأعلى في إحدى الغرف لكنها قد أهملت.

- (١) حيدر، العمارة العربية الإسلامية نشوء المدارس وخصائصها في العصر العباسي: ص ٧٨.
- (٢) وهي زخارف هندسية متكونة من صليبين متداخلين ولعرفة المزيد عن أصول هذه الزخارف ينظر: الجنابي، كاظم، حول الزخارف الهندسية: سومر، مج ٣٤، ١٩٧٨م، ص ١٤٣.

متفتحة تتجه يساراً ويميناً. وتنتهي تلك الأغصان بنصف مروحة نخيلية ثنائية الفصوص نحو الأسفل فيما يتجه الفص الآخر نحو الأعلى بهيأة حلزونية (لوح ٣٧)، وإنَّ استخدام الفنان للمروحة النخيلية في تنفيذ الزخرفة أمر طبيعي وذلك لما يتسم به هذا العنصر من رقة وانسيابية^(١) وقابلية كبيرة على الانشطار والتفرع والتكرار^(٢). وتمتاز زخارف هذا القسم عن السابق بالفصل بين الوحدات الزخرفية على شكل تكرار الزهرية الحاملة لهذه الوحدة. فضلاً عن هذه الزخارف نشاهد الكتابات التي تمتدُّ على شكل أشرطة وهنا الشريط الذي يعلو جدران الطابق العلوي ويدور حول الصحن بعرض (٤٥ سم) وكتب فيه جزء من سورة النور (لوح ٣٨) ونفذت باللون الأبيض على مهاد بني تعلوه بروزات آجرية على هيئة الصنجات الخشبية والتي نشاهدها بكثرة لاسيما في البيوت البغدادية^(٣).

وقد كسيت الجدران وعلى ارتفاع (٦٠ سم) وكذلك أرضية الأواوين بالمرمر أمّا أرضية الصحن فقد كسيت بالفرشي أبعاده (الآجر المربع) (١٥×١٥ سم). وفي هذا الجزء من المدرسة لا وجود للسرداب حيث تبدأ فتحات الملاقف الهوائية من أرضية الغرفة صعوداً إلى الطابق الأعلى ثم السطح عبر ممرات ضيقة شقت في الجدران الخلفية للغرف أمّا الارتفاع الكلي للواجهات المطلة على الصحن فهو (٨,٢٠ م) وبذلك يقل (٦٠ سم) عن ارتفاع الصحن في

(١) أحمد، عائدة حسين، الوحدات التصميمية للمنسوجات في رسوم الواسطي: أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ١٩٩٦م، ص ١٥٤.

(٢) حميد، عبد العزيز، الزخرفة في الآجر، حضارة العراق: بغداد، ١٩٨٥م، ج٩، ص ٤١٥.

(٣) صكر، قدوري عراك، النحت على الأبواب وكتائب دور بغداد في الفترة العثمانية: أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ١٩٩٧م، ص ١٥٣.

القسم الثاني الذي يبلغ ٨٠, ٨م).

الطابق الأول للمدرسة :

لا يختلف تخطيط الطابق الأول للمدرسة عن الطابق الأرضي خصوصاً في القسم الثاني^(١) من المدرسة كما هو واضح من المخطط لهذا الطابق (شكل ١٦) وذلك من حيث واجهات الأواوين المطلة على الصحن إذ إنَّ أبعادها متشابهة باستثناء الزخارف حيث إنَّ بواطن العقود لم تزين بالقرايميد الخزفية كما ذكرنا وإنَّما زينت بالمقرنصات والمثلثات الكروية، وأهم ما يميز هذا الطابق صفة العزل الموجودة فيه، إذ لا يمكن للصاعد الدوران حول الغرف وإنَّما يُنزل من نفس السُّلَّم الذي صُعدَ منه، وهذه صفة جيدة تهيبُّ الأجواء الدراسية المناسبة. ويُصعدُ إلى هذا الطابق بوساطة أربع سلالم في الزوايا الأربع لهذا الصحن كما ذكرنا وتتميز هذه السلام أنَّه عند الصعود وبعد اجتياز أربع أو خمس مِرْقاة يُستدار بزاوية (٩٠) ثمَّ استدارة أخرى وهذه صفة ملازمة للسلام في الأبنية التراثية وذلك من أجل استغلال أكبر قدر ممكن من مساحة البناء وأيضاً توفر هذه الصفة عدداً من (الكنادين)^(٢).

ويُوصَل إلى الغرف الثلاث الأولى في الجناح الجنوبي من الطابق الثاني بوساطة ممرٍّ ضيق (٨٠ سم) وتشتمل كُلُّ غرفة على باب خشبي ذي مصراعين بعرض (٧٠ سم) مقابل للباب الذي في واجهة الغرفة. أمَّا الغرفة الرابعة والخامسة في

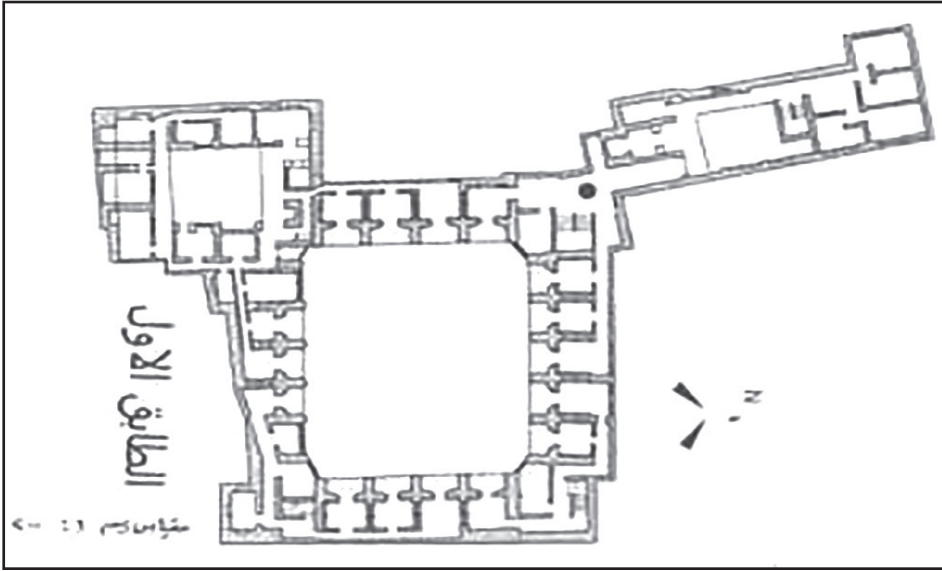
(١) سنعمل على بيان تخطيط الطابق الثاني للقسم الأول والثاني فقط لأنَّ شروحات القسم الثالث قد وردت ضمن الطابق الأرضي.

(٢) جمع كندوج وهي الخزانة الصغيرة أو الخلية أو شبه مخزن من بناء أو خشب وهي معربة من الفارسية. البستاني، محيط المحيط: ص ٧٩٣.

هذا الجناح فيدخل إليها بعد صعود السلّم الموجود في الزاوية الجنوبية الشرقية وبعد الانتهاء من هذا السلّم المشابه للسلّم الذي سبقه تأتينا غرفة مربعة الشكل (٢ × ٢م) وفي الجهة المقابلة لفتحة السلّم هناك مدخل لغرفة مثلثة الشكل تقع فوق الزاوية الجنوبية الشرقية لصحن المدرسة وبجوار مدخلها هناك ممر ضيق يفضي إلى مدخلي الغرفتين الباقيتين واحد على يمين الداخل إلى الممر والآخر بمواجهة الداخل إلى الممر، وهذان المدخلان مشابهان للمداخل السابقة، وبجوار فتحة السلّم الصاعد للطابق الثاني فتحة لسلّم بشكل مستقيم يؤدي للسطح وعلى يمينه ممر يؤدي إلى ثلاثة مداخل لثلاث غرف في المجنبه الشرقية، أمّا الغرفة الرابعة فيوصل إليها من الزاوية الأخرى للمدرسة (الشمالية الغربية) وينطبق هذا الشرح تماماً على المجنبتين الآخرين المقابلة لهما وتكون المساحات في هذه الغرف مطابقة لمساحات غرف الطابق الأرضي باستثناء ما قطع منها للممرات، حيث لا وجود لجزء التخزين في هذه الغرف مثل الطابق الأرضي، فقد اقتطع هذا الجزء وأصبح ممراً يوصل إلى مداخل الغرف.

ونلاحظ أن الأبواب المطلة على الأواوين والمساحات داخل الأواوين تعمل عمل (البالكون) في الوقت الحاضر، وكذلك عمل النافذة، فقد أصبحت هي المنفذ الوحيد لدخول أشعة الشمس وهذه الأبواب تشابه تماماً ما موجود في الطابق الأرضي حيث يعلوها عقد مدبب مزدان بالزجاج الملون وهو متكون من جزأين واحد زجاجي والآخر خشبي (لوح ١٦)، وبذلك نلاحظ كيف الفنان وظّف عناصره المعمارية بشكل يحقق جمالية بين الشكل والمضمون لتلك العناصر^(١).

(١) عبد الرسول، سليمة، الشكل والمضمون للعناصر المعمارية في الدور التراثية: سومر، مج ٤٦،



شكل رقم (٩): المخطط العام لمدرسة اليزدي (الطابق الأول)

أمّا الطابق الأوّل من القسم الأوّل فيُصعَد إليه من منفذين الأوّل السُلّم الموجود في ضمن الزاوية الشمالية الغربية وهو نفس نظام السلام الأربعة التي شُرِحت ويفضي هذا السُلّم إلى غرفة مربعة الشكل أبعادها (٥, ٢ × ٢, ٥ م) وهي غير مسقفة وتقع فوق الفتحة المضلعة الموجودة في سقف الغرفة الناقلة للحركة، ويتميز هذا الجزء من المدرسة عن باقي المدرسة باستخدام الفنان طريقة جديدة في زخرفة الجدران (لوح ٣٩)، حيث عمل المعمار على رصف قطع الآجر المنتظمة بأوضاع متباينة تؤلف أشكالاً هندسية مبسطة تشبه في تكويناتها حياة الحصير^(١) أو عظام السمك أو سعف النخيل حصرت داخل إطارات آجرية بارزة عن سمت الجدار (شكل ١٧) وهي بذلك تشابه الواجهة

١٩٨٩، ص ٢٦٠.

(١) الأعظمي، الزخارف الجدارية في آثار بغداد: ص ٧٢.

المطلة على النهر في المدرسة المستنصرية، وبجوار فتحة السُّلَم تماماً هناك فتحة لسُّلَم يؤدي إلى السطح وعلى يمين الداخل إلى هذه الغرفة مدخل لدهليز يؤدي إلى مدخل الغرفة الأولى في المجنبه الغربية.

ويقابل هذا الممرُّ مجاز مقبى بقبو نصف أسطواني وأبعاده (١ × ٣م) يؤدي إلى الطابق العلوي للقسم الأول حيث ينتهي المجاز بطارمة بعرض (٢م) تطلُّ عليها غرفتان مساحتهما متساوية (٢ × ٢م) وقد زينت واجهتهما بالقراميد الخزفية الزرقاء اللون على هيئة أشكال هندسية (لوح ٤٠).

وينتقل من هذا الجزء بوساطة ممشى عبر الصحن أبعاده (١ × ٤م) وهذه المعالجة المعمارية اتسمت بها الأبنية التراثية^(١) وذلك عن طريق غرس روافد معدنية أو خشبية في الجدار بغية الحصول على ممرات للحركة لكننا نلاحظ أنَّ هذا الممرَّ قد غُلِّف تماماً في أسفله بألواح خشبية عملت بطريقة جميلة (لوح ٩) وفي وسط هذا الممرِّ وعلى اليسار هنالك فتحة لسُّلَم يؤدي إلى السطح وهذا السُّلَم يختلف عن باقي السلالم فإنَّه مستقيم (لوح ٤٠). وعند نهاية الممرِّ أو الممشى هناك فتحة للسُّلَم الذي يؤدي للصعود إلى السطح وهذا الجزء من سطح المبنى لا يمكن الصعود إليه إلا من هذا السُّلَم إذ إنَّ الصحن الموجود في هذا القسم يعمل على حجز هذا الجزء من سطح المدرسة من جميع جهاته.

وبجوار فتحة السُّلَم سُلَم آخر ينزل منه إلى الطابق الأرضي ويطلُّ على الصحن (صحن القسم الأول للمدرسة). وبعد تجاوز هذين السلمين عبر مجاز (١ × ٢م) يتم الدخول إلى فناء مكشوف (٥ × ٢, ٥ × ٣م) تطلُّ عليه جميع

(١) عبد الرسول، المباني التراثية في بغداد: ص ٦٥.

مداخل ونوافذ الغرف ونلاحظ «القدرة العالية للمعمار العراقي على استيعاب خصائص الأرض والبيئة والمتطلبات والوظيفية للمبنى»^(١).

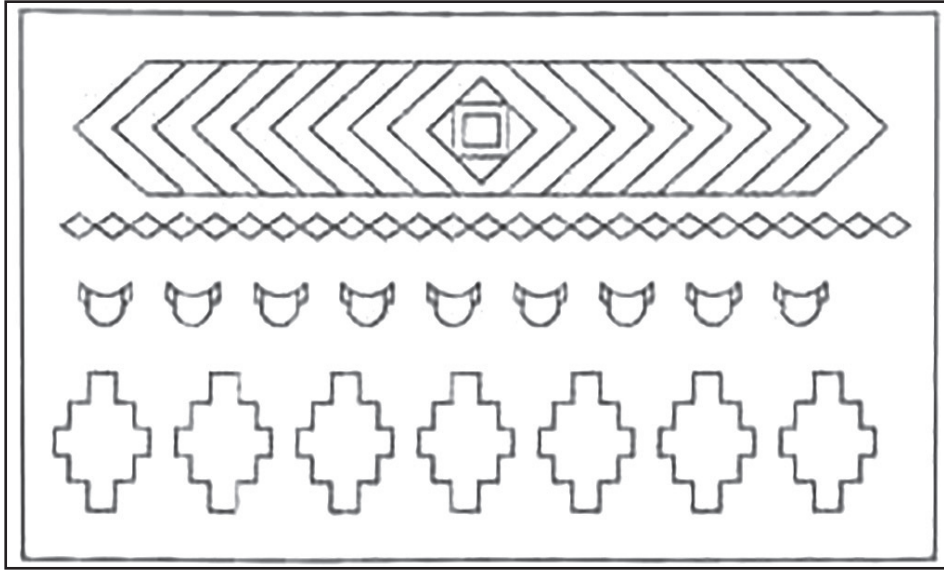
ونرى ذلك عبر استغلال المعمار للفضاء الموجود^(٢) أمام المدرسة فأنشأ فيه ثلاث غرف وجعل في الغرفتين المظلتين على الشارع نافذة تشبه في عملها عمل (الشناشيل)^(٣) والجدير بالذكر أن عمل هذه الشناشيل يتطلب دقة ومهارة وخبرة عالية، ممّا يترتب عليه تدخل نجار مختص حاذق في صنعته، حيث يتطلب العمل جهداً كبيراً ودقة متناهية، وإنّ هذا النجار لا ينفذ عمله إلّا بعد مشورة المماري الذي يقوم بتحديد المكان المناسب لها، كما يتطلب دراية كاملة بطبيعة البلاد وظروفها المناخية، وذلك كون الخشب من أكثر المواد تأثراً بتلك

(١) عبد الرسول، سليمة، الفناء الداخلي معالجة مناخية متواصلة في عمارة السكن العراقي: وقائع ندوة العمارة والبيئة، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٣م، ص ٧٣.

(٢) لا يعود السبب إلى استخدام هذا الفضاء من أجل إنشاء أكبر قدر ممكن من الغرف إنّما لأسباب أمنية أيضاً حيث نلاحظ أنّ هذه الغرف متروكة في الوقت الحاضر وذلك لعدم تهوى الأجواء الدراسية فيها حيث إنّها تقع فوق مرور السابلة.

(٣) وهي كلمة معربة من (شاه نشين) أي مجلس الملك أو خير مجلس. العسكري، أبو هلال، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: عني بتحقيقه عزة حسن، دمشق، ١٩٦٩م، ج ١، ص ٢٦٢. وقد اختلف الباحثون والدارسون للعمارة العربية حول تسميتها فقد أطلق عليها في مصر وبعض الأقطار العربية تسمية (مشربيات) والتي اشتقت من كلمة (مشربة) بمعنى المكان الذي يشرب منه الماء، وذلك كون تلك المشربيات التي تنفذ في واجهات البيوت كان فيها خارجات صغيرة مستديرة تركب خارج المشربية وتوضع عليها القلل لتبريدها. حسن، فنون الإسلام، ص ٤٧٠. شافعي، العمارة الإسلامية في مصر الإسلامية، ص ٢٨٩. في حين ورد اسمها في المصادر التاريخية والأدبية بـ (الروشن) والتي معناها الضوء. جواد، مصطفى، مفازة نظر في مباحث سومر: سومر، مج ٣٢، ١٩٦٨م، ص ٣٢٤. وينظر كذلك الياور، طلعت، الروشن (الشناشيل) في عمارة البيت العراقي، وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين، منشورات المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠١م، ص ١٦١-١٧٦.

الظروف، من حيث التمدد والتقلص والتأثر بالرطوبة ودرجة المقاومة، لذا فإنَّ المتجول في أزقة مدينة النجف القديمة يجد أن معظم البروزات الخشبية قد صفحت من الخارج بالمعدن وذلك بغية حمايتها من الظروف المناخية.



شكل رقم (١٠): زخارف هندسية تشبه عظام السمك وسعف النخيل - مدرسة اليزدي

إنَّ عمل مثل تلك الشناشيل جاء لما تؤديه من وظائف عمرارية وفنية مختلفة، فضلاً عن الجمالية التي تضيفها على واجهة المبنى الخارجية، حيث تخلق نوعاً من التوازن بين الداخل والخارج^(١)، فإنَّها تعمل على توسيع رقعة البناء في الطوابق العليا، وهي معالجة ذكية من قبل المعمار للقضاء على الخلل الحاصل في وجود المساحة المتوفرة للمبنى، فزاد بذلك من مساحتها في تلك الطوابق^(٢).

(١) لمعي، مصطفى صالح، المشربية والقمرية كعناصر تشكيلية في العمارة المصرية المعاصرة: أعمال الندوة الدولية الأولى حول الحرف اليدوية في العمارة الإسلامية مع تركيز حول آفاق تنمية المشربيات والزجاج المعشق، القاهرة، ١٩٥٥، ص ١٦.

(٢) الأشعب، خالص، الأثر الوظيفي في طراز البيت العربي، مجلَّة الكتاب، ١٩٧٥، ص ٧٦.

أمّا من ناحية التأثيرات المناخية فقد عملت تلك الشناشيل على توفير إضاءة وتهوية كافية داخل تلك الغرف المقامة فيها، وفي الوقت نفسه تعمل على تقليل حدة شعاع الشمس وحرارته المنبعثة في فصل الصيف^(١)، وذلك عبر وضع المظلات الخاصّة على النوافذ المفتوحة بتلك الشناشيل والتي يطلق عليها (كاسرات الشمس)^(٢)، يضاف إلى ما تقدم ذكره فلهذه الشناشيل فائدتها الاجتماعية أيضاً، حيث تعمل في المحافظة على خصوصية المبنى وذلك عبر إرباك الرؤية بسبب التقابل بين الوحدات الصغيرة والكبيرة، وتدرج الضوء من المبهر جداً إلى الإعتام إلى الإظلام^(٣)، وبذلك تحافظ على حرمة أهل الدار من أنظار الغرباء.

وقد ازدانت هذه النوافذ في المدرسة والمصنوعة من الخشب بزخارف هندسية بارزة نتجت عن تجميع قطع خشبية رتبت بشكل شعاعي من مركز وسطي وكذلك خطوط متقاطعة، وقد ثبتت تلك الزخارف بشكل متسلسل أعلى وأسفل النوافذ المفتوحة.

ونلاحظ في هذا الجزء من المدرسة (الطابق الأول القسم الأول) أنّ جميع مداخل الغرف قد فتحت بطريقة مزورة أي: لا يمكنك الدخول إلى الغرفة

(١) جودة، جبر عطية، المعالجة المناخية في طراز البيوت العراقية، مجلّة كلية الآداب، العدد ٥٥، ٢٠٠١، ص ٣٠٤.

(٢) فتحي، حسن، المنزل العربي في الوسط الحضري بين الماضي والحاضر والمستقبل: مجلّة الفكر العربي، العدد (٣٠) السنة (٤)، ١٩٨٢، ص ٦٢. شافعي، المصدر السابق: ص ٢٨٩.

(٣) لويكوك، رونالد، العوامل التقليدية في المشربية ومدى توافقها مع ظروف الحداثة: أعمال الندوة الدولية الأولى حول الحرف اليدوية في العمارة الإسلامية مع تركيز حول آفاق تنمية المشربيات والزجاج المعشق، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٦٥.

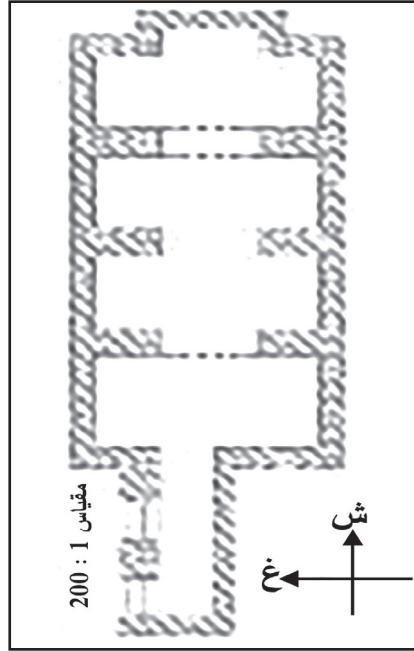
بشكل مباشر وهذه صفة وجدناها في كثير من مداخل الطابق الأول ولم نجدها في الطابق الأرضي، وقد يعود السبب في ذلك إلى أن مداخل الطابق الأرضي في أغلبها داخل أوابين مما يعطيها جزءاً من العزلة والحرمة في حين أن مداخل الطابق الأول تقع مباشرة على الفناء أو على المماشي وهذه صفة إيجابية تحسب للمعمار^(١).

وقد سقفت جميع غرف هذا الطابق بشكل مستوٍ بوساطة مدّ جسور خشبية ثلاثة أو أربعة حسب حجم الغرفة وتكون مزينة في بعض الأحيان بخطوط متقاطعة محفورة داخل اللوح الخشبي (لوح ٤١) وقد تكون هذه الألواح مغلفة بصفائح خشبية عرض الواحدة (٥ سم) مرصوفة بطريقة شيطانية^(٢) (لوح ٤٢)، وهي ذات لون بني ومن الواضح أن المعمار لجأ إلى هذه الطريقة في

(١) استخدمنا كلمة معمار في ثانياً بحثنا وقد يتبادر إلى الذهن أن هذا المعمار هو عمله عمل المهندس المعماري في الوقت الحاضر (المصمم) وفي الحقيقة كلاً، ليسا متشابهين، ويتأكد كلامنا عبر لقاء مهم مع الحاج (أبو يوسف المعمار) من مواليد ١٩٢٦م وهو من أقدم البنائين في مدينة النجف وهو مشرف اليوم على أعمال تطوير الحضرة العلوية الشريفة (الأعمال التي تخص عناصر العمارة الإسلامية) وعبر جلسات عديدة مع الحاج أبي يوسف فهتمت منه أن مراحل البناء في المدّة الزمنية التي نؤرخ لها تبدأ عبر حفر الموقع إلى أعماق موعلة ثم تفصيل الموقع (أي تخطيطه) ثم البدء بعملية البناء وتكون الأسس هي نفس الدعامات الضخمة التي تبدأ من السرداب ثم الطابق الأرضي والثاني واستغلال المساحات المتداخلة كافة ثم كنس المبنى عند الخاتمة وكلّ هذه الأعمال يقوم بها شخص واحد هو (الأسطة) وأهم ما يذكر أن والد الحاج أبي يوسف قد اشترك في بناء مدرسة اليزدي.

(٢) وهي نوع من أنواع الزخارف الهندسية تستخدم في الآجر والخشب دائماً وهي عبارة عن معينات متدرجة من المركز وحتى الخارج. البهنسي، صلاح أحمد، التصميمات الزخرفية على العمائر الإسلامية اللببية في العصر العثماني الأول والعصر القرمانلي أعمال الندوة الدولية الأولى حول آفاق تنمية فنون الزخرفة في حرف العالم الإسلامي اليدوية (الأرابسك)، دمشق، ١٩٩٧، ص ١٥٣.

التسقيف من أجل تخفيف الثقل على الأسس^(١)؛ إذ نلاحظ استخدامه للآجر في عمل قبوات سقوف الطابق الأرضي، لكن واجهات الأواوين ظلت معقودة بالآجر ومستندة إلى الأكتاف الصاعدة من الطابق الأرضي.



شكل رقم (١١): مخطط السرداب الذي أسفل المجنبه الشرقية في مدرسة اليزدي

أمّا بالنسبة إلى سطح المدرسة فيُصعد إليه من ستة منافذ أربعة منها تشغلها السلالم الموجودة في الزوايا الأربع للصحن الرئيس ثلاثة منها بشكل لولبي يدور واحد فوق الآخر من السرداب ثمّ الطابق الأرضي ثمّ الطابق الأوّل ثمّ السطح، والأخير توجد به مرحلة انتقالية عند الطابق الأول، أمّا السُلّمَان الباقيان فواحد يبدأ من الطابق الأرضي عند صحن القسم الأوّل للمدرسة

(١) عبد الوهاب، حسن، البناء بالطوب في العصر الإسلامي: بحث مستل من مجلّة العمارة الإسلامية، مصر، بدون تاريخ، ص ٤٥.

مقابل غرفة الضيوف (لوح ٤٣) وهو على النظام السابق للسلام، أمّا السُّلَم الأخير فهو السُّلَم الوحيد الذي يبدأ من الطابق الأوّل للمدرسة ويتجه بشكل مستقيم نحو السطح، وهو ناتج عن معالجة معمارية^(١) رائعة حيث استغل انحراف الحائط المجاور للمدرسة (أي حائط الجيران) لذلك نلاحظ عرض هذا السُّلَم جاء متفاوتاً بعض الشيء فعند بداية الصعود يكون (٥٠ سم) وعند النهاية (٩٠ سم) يتسع تدريجياً (لوح ٦٥).

وقد بلط السطح بالطابوق الفرشي أبعاده (١٠ × ١٠ × ٣ سم) وهي أنجح محاولة لإكساء السطوح وتغليفها في مدينة النجف وذلك لارتفاع درجات الحرارة العالية في فصل الصيف وانخفاضها العالي في فصل الشتاء، ونظراً لقوة تحمل الآجر والطابوق للتقلبات الجوية والظروف المناخية المختلفة أصبح مادة البناء المفضلة حتى الوقت الحاضر فالآجر يمكن صناعته من التربة الرسوبية الجيدة المتوفرة في منطقة الوسط والجنوب العراقي، وهو مادة لها قابلية الاحتفاظ بالحرارة لفترة طويلة وهذا يحدّ من برودة الطقس شتاءً لكون الآجر مصدر إشعاع حرارة داخل المبنى وخارجه في الليل مما يؤدي إلى اعتدال درجة الحرارة، وكذلك يمتاز الآجر بظاهرة الإيصال البطيء للحرارة فيعالج الحرارة المرتفعة صيفاً ويعمل على تأخير تسربها إلى داخل مرافق البناية^(٢).

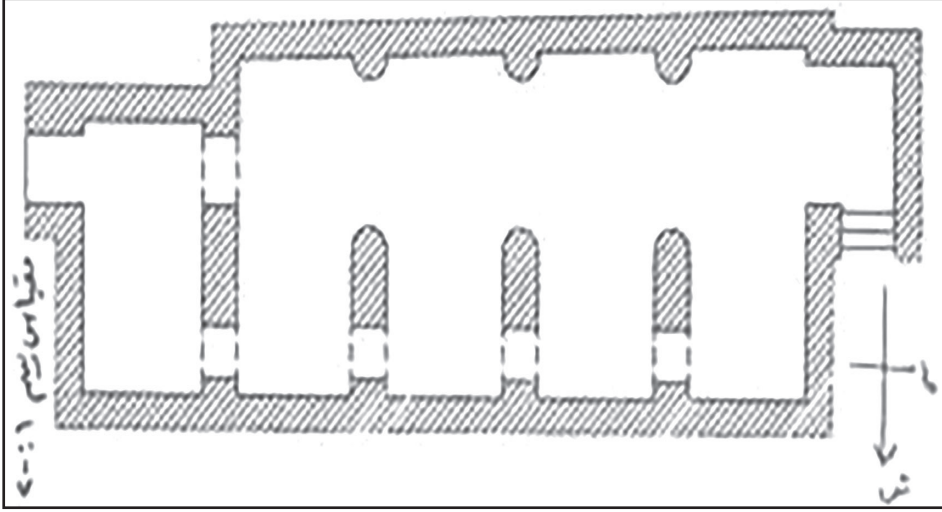
إنَّ صغر حجم الآجرة أو الطابوقة الفرشية المستخدمة في إكساء السطوح

(١) يوسف، شريف، البيت البغدادي القديم: مجلّة التراث الشعبي، العدد (٦)، ١٩٧٥، ص ١٨.

(٢) حمودي، خالد خليل، العمارة البغدادية ومعالجة الظروف المناخية: وقائع ندوة العمارة والبيئة،

مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٣م، ص ٩٣.

يوفر المزيد من الفراغات فيما بينها مما يساعد في خفض تأثير عوامل التمدد^(١).
كلُّ هذه العوامل ساعدت على استخدام هذه الطريقة في إكساء السطوح في
المباني التراثية وكذلك المباني الحديثة في مدينة النجف.



شكل رقم (١٢): مخطط السرداب الذي أسفل المجنبه الجنوبيه في مدرسة الزيدي

ونلاحظ في سطح مدرسة الزيدي ارتفاع مستوى أرضية السطح عند
واجهة كلِّ إيوان من أواوين الصحن الرئيس، ويعود السبب في ذلك إلى طريقة
تسقيف غرف الطابق الأول، حيث أصبح السقف المستوي أقل ارتفاعاً من
واجهة الإيوان التي عقدت بالآجر واستخدمت المثلثات الكروية في داخلها
من أجل تحويل الجزء المربع إلى دائري^(٢)، وكان هذا الارتفاع ناتجاً من الفرق

(١) سلمان، زين العابدين، تركيب المباني: بغداد، ١٩٨٨م، ص ٥٢.

(2) Doris, Behrens-Abouseif, Islamic Architecture in London, Cairo, 1989, p. 80.

وكذلك ينظر، شافعي، المصدر السابق: ص ١٦٩، شكل ١٠٩.

بين الإرتفاعين (١م).

ونلاحظ أيضاً في السطح فتحات التهوية (الملاقف الهوائية) وهي على نوعين الأول مرتفع عن أرضية السطح (١,٥٠م) وبارز عن الجدار كما في (اللوحة ٤٤)، وهذا النوع يصعد من السرداب كما ذكرنا سابقاً وقد قسمت فتحاته على جزأين جزء باتجاه الشرق وآخر باتجاه الغرب، ونعتقد أن في ذلك حكمة تتفق مع إتجاهات هبوب الرياح في مدينة النجف من أجل خلق توازن في الضغط مع تيارات الحمل التي تعمل على نقل الهواء الساخن الذي يرتفع للأعلى بطبيعته ليحلّ محله هواء بارد^(١).

وأما النوع الآخر فهو بمستوى الجدار (ضمن الجدران المحيطة بالسطح) وهي مستطيلة الشكل (٢٠ × ٤٠ سم) وقد ازدانت بمشبكات حديدية من أجل منع دخول الأشياء الغريبة وعدد هذه الفتحات بعدد الغرف في كلّ مجنبه. عدا غرفة المدرس فيوجد بها ثلاث فتحات لغرض واحد، وهذا يعطينا دليلاً واضحاً على الفهم الكامل للمعمار لمناخ مدينة النجف الذي يمتاز بارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف لذلك نلاحظه قد زاد من عدد الفتحات الهوائية في الغرف الكبيرة وهذه المعالجات المناخية لها الدور الرئيس في ديمومة المبنى^(٢).

(١) الياور، المناخ وأثره في فن البناء في (العمارة الأثرية)، ص ١٦. محمد، غازي رجب، ملاقف الهواء (البادكير) معالجة بيئية في البيوت التراثية، وقائع ندوة العمارة والبيئة، منشورات المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٣م، ص ٢٤.

(2) Rapoport, Amos, House Form and culture, USA, 1969, P.83-87.

المسجد:

يقع مسجد المدرسة في ضمن الجناح الجنوبي لصحن المدرسة الرئيس وهو متكون من إيوان أبعاده (٣٠, ٢ × ٥ م) وهو بذلك يكون مستطيل الشكل ويشغل موقعه الإيوان الأول في المكنبة الجنوبية وقد سُدت واجهة الإيوان بكتيبة خشبية ذات عقد مدبب تمتلك نوافذ زجاجية سبق بيان تفاصيلها، ويدخل للمسجد من مدخل جانبي يقع في ضمن ممر الزاوية الجنوبية الغربية للمدرسة، ويدخل إليه عبر صعود درجتين ارتفاع الواحد (٢٥ سم) وعرض هذا المدخل (٦٠ سم) وإرتفاعه (٢ م) وقد ازدان بعقد نصف دائري هو والباب الخشبية التي تسد فتحته (لوح ٤٥) وعند دخول باحة المسجد نلاحظ أن جدران المسجد وعلى ارتفاع (٥٠ سم) قد كسيت بالبلاطات الخزفية ذات لون واحد وهو الأزرق الفاتح ورصفت بطريقة شيطانية وتعلوها ثلاثة أشرطة زخرفية كما في (اللوح ٤٦) سمك الواحد (٥ سم) وقد احتوى الأول على زخارف نباتية مصغرة تشبه زخارف المدرسة والثاني كتابات لآيات قرآنية وأحاديث نبوية كلها تحث على طلب العلم والمعرفة وقد خطت باللون الأزرق على مهاد أبيض ونلاحظ رشاقة الخط نظراً لضيق المساحة أمّا الشريط الثالث فقد شغل بزخارف هندية باللون الأسود والأخضر على شكل أنصاف عقود مفصصة تشابه الزخارف التي توظف المثلثات الكروية داخل الأواوين.

ونلاحظ في جدار القبلة المحراب وقد كُسي بالقراميد الخزفية الزرقاء على ارتفاع (٢ م) وعرض (١ م) وكتب فوقه بطريقة زخرفية رائعة بخط الثلث^(١) قال

(١) خط الثلث: من الخطوط الأساسية التي نشأت في العصر الأموي واستمرت حتى الوقت الحاضر. وخط الثلث يُعرف بقلم الثلث أيضاً؛ لأن التسمية جاءت من عرض قطعة قلمه،

النبي ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (لوح ٤٧) وهي تشابه الكتابة الموجودة فوق مدخل المدرسة، ويوجد على جانبي المحراب دخلتان كل واحدة بعمق (٤٥ سم) وارتفاعهما بمستوى المحراب وقد ازدانا بعقدين نصف دائريين، وكذلك في جانبي المدخل هناك دخلات مماثلة. وقد سقف المسجد بقبو نصف أسطواني ويبلغ ارتفاع هذا السقف (٥, ٣م) من مركز القبو وهو مساوٍ لباقي سقوف الأواوين في المدرسة.

وواجهة المسجد من الداخل قد ازدانت بنافذة خشبية ارتفاعها بارتفاع السقف لذلك أصبح عقد هذه النافذة من الأعلى نصف دائري تناغماً مع القبو في حين أنه في الواجهة المطلّة على الصحن مدبب نظراً لأنّ العقد الذي يحويه مدبب وهنا مرة أخرى نلاحظ كيف أنّ المعمار قد عالج الأحكام البنائية بدقة غاية في الروعة والذكاء^(١).

وقد ازدانت نافذة المسجد من الداخل في قسمها العلوي الملاصق للسقف بزخارف خشبية مخرمة على خلفيات زجاجية ملونة^(٢)، كانت غاية في الدقة

وقد شهد تطورات متلاحقة وكان له حضور مميز في شعبي الخط الكبيرتين (الخطوط الموزونة) و(الكتابة المنسوبة) بل هو الأساس والمنطق في الخطوط المنسوبة. ذنون، يوسف، خط الثلث والمخطوطات: مجلّة المورد، المجلد (٢٩)، العدد (٢)، بغداد، ٢٠٠١م، ص ١٠٨. أدولف، كروهان، النسخ والثلث: ترجمة غانم محمود، مجلّة المورد، العدد (٤)، بغداد ١٩٨٦م، ص ١١٣.

(١) بكداش، هشام، خصائص وتصميم البيت العربي التقليدي في لبنان: أعمال الندوة الدولية الأولى حول الحرف اليدوية مع التركيز حول آفاق تنمية المشريات والزجاج المعشق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٢٩.

(٢) عويني، عادل يحيى، العلاقة الحتمية بين التصميم والزخرفة الإسلامية، أعمال الندوة الدولية الأولى حول آفاق تنمية فنون الزخرفة في حرف العالم الإسلامي اليدوية (الأرابسك)،

والجمال وهي تقترب وتشابه الزخارف الموجودة في النافذة الموجودة في غرفة المدرّس.

سراييب المدرسة :

تمتلك مدرسة اليزدي عدداً مميزاً من السراييب، فسراييب المدرسة مضرب المثل في العمارة النجفية القائمة تحت الأرض فقد قال الخليلي فيها: «للمدرسة عدّة سراييب محكمة جميلة باردة الهواء، وأرض هذه السراييب والجدران مكسوة بالحجر الكاشاني، وتُعدُّ هذه السراييب المبنية طابقاً فوق طابق من أغرب العمارات وأفخمها تحت الأرض، يزورها في كلّ سنة عدد من السّيّاح فيعجبون بهذه العمارة القائمة تحت الأرض»^(١).

وعدد السراييب في الوقت الحاضر^(٢) أربعة سراييب، أهمها السرداب الذي يقع أسفل الجناح الجنوبي من القسم الثاني للمدرسة والذي يقابله سرداب الجناح الشمالي، وهناك سرداب آخر أسفل الجناح الشرقي.

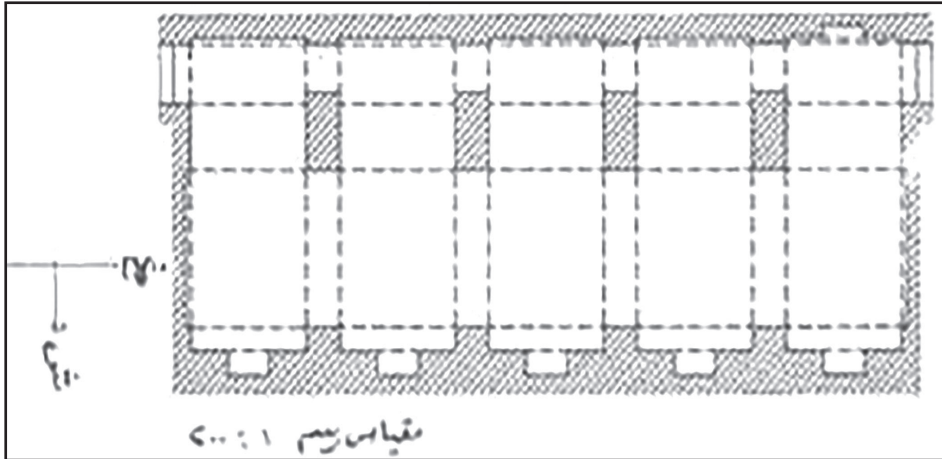
ويُنزَل إلى هذه السراييب عبر سلالم منكسرة بشكل متعامد موجودة في الزوايا الأربع لصحن المدرسة الرئيس، وفي الزاوية الجنوبية الشرقية يقع سلّم السرداب الذي يقع أسفل المجنبة الشرقية وهو سرداب قليل الانخفاض عن

دمشق، ١٩٩٧، ص ٣٥٨.

(١) الخليلي، الدراسة وتأريخها في النجف: ص ١٥٢.

(٢) تمتلك المدرسة في أصل بنائها سبعة سراييب وذلك حسب ما روي لي من عدد من الطلبة القدماء في المدرسة والذين كانوا يشغلون هذه السراييب في فصل الصيف. لكن بسبب ارتفاع مناسيب المياه الجوفية ردمت السراييب التي هي على أعماق موهلة أي (سراييب السن) والتي هي موجودة مداخلها إلى يومنا هذا.

مستوى الأرض إذ يبلغ ارتفاعه الكلي (٣م) وقد حورت أوأوينه وسُدَّت واجهاتها كي يصبح اليوم المرفق الصحي والخدمي للمدرسة (لوح ٤٨) وتخطيطه يشابه المجنبه الشرقية (شكل ١٨) وقد سقف بقبو طولي كبير عقد بالآجر والحص وأسند إلى خمسة عقود عرضية مدببة^(١)، حيث بلغت مساحته (٣،٥ × ١٠م) وهذا السقف يذكرنا بطريقة تسقيف السرداب الأول في مدرسة الصدر الأعظم.



شكل رقم (١٣): مخطط السرداب الذي أسفل المجنبه الشمالية في مدرسة اليزدي

(١) استُخدم القبو الطولي وهو ينقسم إلى عقود عديدة متوالية وبصرف النظر عن قطاع الأقبية (مدبب أو مقوس) في عمارت العصر الأموي في بادية الشام مثل قصير عمره وحمام الصرخ، شافعي، العمارة العربية في مصر: ص ١٦٤-١٦٥. ويشير شافعي أن هذه الطريقة ترجع إلى أصول ساسانية حيث لم يعثر على مثال لها في العراق في العصر العباسي الأول، لكن هذا القول يفقد للصحة، حيث إن التنقيبات الأثرية التي أجريت في تل الرماح والذي يعود تأريخه إلى نهاية الألف الثالث (ق.م) ولاسيما في مجمع المعابد كشف عن وجود حجرة دفن مقنطرة وسلسلة من العقود النصف الدائرية تدعم شرفة القنطرة. ينظر: فان بيك، ك، و، العقود والأقبية في الشرق الأدنى القديم: مجلة العلوم، م ٤، عدد ٤، الكويت، ١٩٨٨م، ص ١٠.

ومن هذا السرداب وعلى يسار الداخل إليه هناك مدخل لسرداب آخر وهو السرداب الذي يقع أسفل المجنبية الجنوبية للمدرسة حيث يُنزل إليه عبر سُلمٍ متكون من إحدى عشرة مرقاة وبعرض (٩٠ سم) وهو سرداب جميل يأخذ مساحة المجنبية الجنوبية تقريباً إذ إنّه مستطيل الشكل كما في المخطط (شكل ١٩) أبعاده (٤ × ١٤,٥ م) توجد فيه أربع دعائم ضخمة جداً (٩٠ × ١٨٠ سم) ثلاث منها متشابهة وتكون مستطيلة الشكل لكن في إحدى نهاياتها تكون على شكل عمود مندمج وفي جزئه العلوي الذي أسفل عقد السقف (أي تاج العمود) ثلاث حطّات من المقرنصات البسيطة (لوح ٤٩) ونلاحظ أنّ هذه الطريقة في استخدام الأعمدة المندمجة والتي تعلوها المقرنصات هي شائعة في مدينة النجف ولاسيما في سراديبها فنلاحظها مستخدمة في بعض عمارتها مثل البيوت والجوامع ومنها جامع الجواهري وكذلك دار الحاج كاظم صبي (لوح ٥٠)^(١).

أمّا الدعامة الرابعة فهي مستطيلة الشكل خالية من العمود المندمج والمقرنصات وهي بمواجهة الداخل للسرداب بعد السُلم مباشرة، ويبلغ ارتفاع كلّ دعامة (٥,٤ م) وارتفاع السرداب بنحو (٥ م) من مركز العقد، وتتميز الدعائم بكبر حجمها وضخامتها وذلك لأنّها تمثل أساس بناء المدرسة حيث إنّها تتحمل ثقل الطابقين الذين يعلوانها، حيث تقابل هذه الدعائم دعائم أخرى مندمجة مع جدران السرداب وقد استند عقد نصف دائري إلى دعائمين فنلاحظ أنّ نظام العقود كان بشكل عمودي وأفقي مع الدعائم حيث إنّ كلّ

(١) يمثل هذا اللوح توثيق لبعض أعمدة سراديب بيوت المدينة القديمة وطريقة عقادتها واستخدام العقود، وهي تتعرض في الوقت نفسه لأعمال الهدم والإزالة.

دعامة من الدعامات أسندت إليها أرجل عقد من الأمام ومن الخلف ممّا سبب في تقاطع العقود مع بعضها (لوح ٥١).

أمّا المساحات المحصورة بين كلّ عقدين فقد شغلها المعمار بقبو عرضي يسير بين الدعامتين أو الجدارين ويرتفع مركزه فوق قمتي العقدين اللذين يحصرانه وتتقاطع تقبيته في خطّ وسطي^(١)، ونلاحظ أنّ المعمار قد رصف صفوف الآجر في قمّة المساحة المعقودة ثمّ الانفتاح نحو الخارج ضمن إطار هندسي محسوب (لوح ٥٢)، فقد جعل هذا الإطار على شكل مستطيل تتفاوت أحجامة كلما اتسع نحو الخارج.

ويوجد في هذا السرداب مدخل آخر وهو في الجهة المقابلة للمدخل الأوّل أي: في الجهة الشمالية ويدخل إلى هذا المدخل عبر سلالم مشابهة لسابقتها، وبذلك أصبح يمكننا النزول من زاوية وسلّم والصعود من زاوية وسلّم آخر للمدرسة وهذه معالجة معمارية غاية في الأهمية عبر توظيف المعمار المنافذ الخدمية بوساطة ربط منشأ معين مع آخر^(٢) ولا سيما في أماكن مثل السرايب فنلاحظ اليوم على هذه السرايب المحافظة على هيكلها كما أنّها إلى اليوم تنعم باستخدام جيد وخاصة في فصل الصيف.

(١) ظهرت مثل هذه الطريقة في التسقيف في العراق القديم ففي مدينة الحضر عملت تغطية المسافة بين قوسين بأحجار معترضة تمثلت في غرفتين فوق الجناح الشمالي لمجموعة الأواوين الشمالية. الشمس، ماجد عبد، أساليب التسقيف القديمة في محافظة نينوى: ندوة دور الموصل في التراث العربي، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، مطابع التعليم العالي في الموصل، ١٩٩٠م، ص ٧١.

(٢) كمونه، حيدر، الخصوصية التراثية لتصميم المسكن العربي: مجلّة التراث والحضارة، العدد ٧٠٦ لسنة ١٩٨٤-١٩٨٥، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٢٦.

أمّا سرداب الجناح الشمالي فيتم الوصول إليه عبر سُلم يقع في الزاوية الشمالية الشرقية من صحن المدرسة وهو بعرض (١م) وبعد الولوج به واجتياز ثلاث مراقي والاتجاه نحو اليمين بزاوية (٩٠) تقابلنا بوابة لغرفة صغيرة تقع على يمين السُلم وهي ناتجة عن ضرورة عمارية نتيجة دوران السُلم وبذلك تكون المدرسة في هذا الجزء مكونة من خمسة طوابق حيث تعلو هذه الغرفة غرفة أخرى في الطابق الأرضي وواحدة أخرى في أثناء صعود السُلم للطابق العلوي والأخيرة في الطابق العلوي.

وهذا السرداب مشابه للذي سبقه باستثناء دعاماته الأربع فهي على شكل مستطيل كامل كما هو واضح في المخطط (شكل ٢٠) وكذلك تميز هذا السرداب بوجود فتحات للتهوية (الملاقف الهوائية) وسط كل أيوان من أوالين السرداب وبذلك أصبح عددها خمساً على عدد الغرف التي تعلوها (لوح ٥٣) وتعلو هذه الفتحات عقود نصف دائرية وهي على ارتفاع (١م) من أرضية السرداب وبعرض (٨٠ سم) وهناك أنواع أخرى من هذه الفتحات كما في بعض المباني المدنية في مدينة النجف وتكون هذه الفتحات حسب الحاجة إليها فمنها ما تكون شاقولية في الجدار أو عرضية أي بأتساع أكبر وعمق أقل، ويوجد في هذا السرداب مدخل يقع في الجهة الأخرى من السرداب قرب فتحة السُلم الآخر لكنه مغلق في الوقت الحاضر فقد بُني هذا المدخل وكذلك السرداب الذي أسفله.

وأهم ما يميز به هذان السردابان (الجنوبي والشمالي) وجود رواق صغير نتج عن تقارب دعامتي السرداب والذي تبلغ سعته (١م) وقد حملت هذه

الدعامة عقوداً ارتكز عليها سقف الرواق وعلى ارتفاع (٢م) ممّا ولد عقوداً ضخمة وهي أكثر انخفاضاً من مستوى السقف (لوح ٥٤) والمسافة بين عقد وآخر هي نفس المسافة بين دعامتي الغرف في الطابق الأعلى وهي (٥, ٢م). وتلعب هذه العقود دوراً مهماً في إسناد الدعامات وإمسакها وكذلك توزيع الثقل على الدعامات وفي جميع الاتجاهات^(١).

أمّا السرداب الأخير أو الرابع فهو يقع أسفل القسم الأوّل من المدرسة وبالتحديد أسفل غرفة الضيوف وما جاورها ويدخل إليه من سلّم موجود على يمين الداخل إلى الغرفة الموزعة للحركة بعد الانتهاء من المجاز وهذا السرداب على عمق (٧٠, ٩م)^(٢) لكنني للأسف لم أتمكن من دراسته وذلك لأنّ مدخله غلق بسبب استخدامه مخزناً للمدرسة لجمع معظم الأثاث القديم التابع للمدرسة، وعبر وصف بعض الطلبة فإنّه عميق جداً وسُلّمه يدور بشكل مربع ملاصق للجدران وفيه بئر وزودت جدرانه بدخلات عديدة وحملت سقفه عدداً من العقود على الأرجح هي مشابه لما سبقتها.

(١) حلمي، هشام عبد الستار، روافع السقوف - الأعمدة والأكتاف - في العمارة العباسية في العراق (١٣٢هـ - ٦٥٦هـ) (٧٥٠م-١٢٥٨م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦م، ص ١٤٤.

(٢) تمكنا من قياس عمق السرداب عبر إدخال أداة القياس (الفيتة) عبر نافذة التهوية التابعة للسرداب وهي مربعة الشكل أبعادها (١×١م) وبوساطة النظر إليها نلاحظ أنّ هناك نوافذ جانبية عديدة مطلّة عليها، وتقع هذه النافذة مقابل غرفة الضيوف في الصحن الأوّل للمدرسة.



لوح (١): واجهة مدرسة اليزدي تتخللها البوابة الخشبية المتكونة من مصراعين



لوح (٢): جزء من واجهة مدرسة اليزدي وفيها نص كتابي يعلوه عقد مدبب



لوح (٣): عجز البيت الشعري وتأريخ البناء الذي يعلو مدخل مدرسة اليزدي



لوح (٤): الدخلات والعقود التي تعلوها في مدخل مدرسة اليزدي



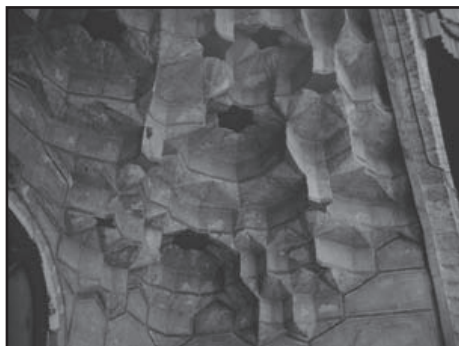
لوح (٥): سقف مدخل المدرسة وفيه المثلثات الكروية المكسية بالقراميد الخزفية والقبة المضلعة



لوح (٦): النافذة الخشبية المطلة على الصحن الأول لمدرسة اليزدي والتي يعلوها عقد مدبب



لوح (٧-أ): المقرنصات التي تشغل الجزء العلوي من إيوان غرفة الضيوف مدرسة اليزدي



لوح (٧-ب)



لوح (٨): الزخارف الهندسية الموجودة على جانبي جداري الإيوان في غرفة الضيوف - مدرسة اليزدي



لوح (٩): الممر الذي في الطابق الأول ويحيط به المحجر الخشبي - مدرسة اليزدي



لوح (١٠): واجهة الجدار الموجود في الفناء المكشوف من القسم الأول وتظهر عليه العقود وهو بارترفع الطابقين - مدرسة اليزدي



لوح (١١): النافذة المضلعة الواقعة في وسط قبة غرفة الحركة - مدرسة اليزدي



لوح (١٢): الحنايا الركنية والتي تعلوها المثلثات الكروية - مدرسة اليزدي



لوح (١٣): بوابة السرداب التي يعلوها عقد نصف دائري - مدرسة اليزدي



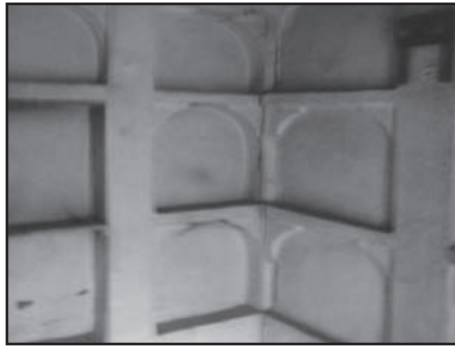
لوح (١٤): العقد المستقيم الذي يعلو مدخل المجاز - مدرسة اليزدي



لوح (١٥): حوض الماء الموجود في الفناء المكشوف - مدرسة اليزدي



لوح (١٦): الزجاجات الملونة التي تعلو الأبواب - مدرسة اليزدي



لوح (١٧): جدران الغرفة وهي مقسمة إلى رفوف



لوح (١٨): إيوان الغرفة من الداخل وهو مكسو بالقراميد الخزفية بشكل كامل وتظهر فيه المثلثات الكروية الحاملة لسقف الإيوان والزخارف النباتية والإطارات المقطعة التي تصل بين كل جزء



لوح (١٩): الزهرية في الواجهة الإيوان وتحيط بها الأسود



لوح (٢٠): الزخارف النباتية داخل إطارات هندسية في الإيوان الثاني والثالث والرابع



لوح (٢١): الكتابات التي تحيط بأبواب الغرف



لوح (٢٢): واجهة المجنبه الجنوبية المطلة على الصحن الكبير - مدرسة اليزدي



لوح (٢٤): واجهة المجنبه الشرقيه وتظهر عليها أعمال الصيانة والشرائط المظفورة - مدرسة اليزدي



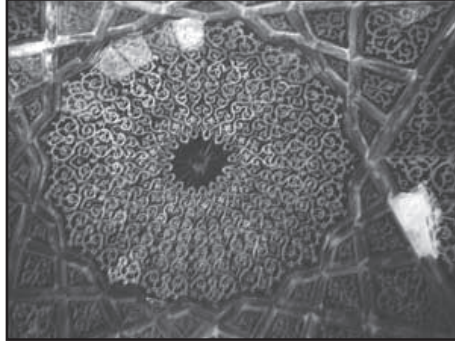
لوح (٢٥): الشريط الكتابي الذي يعلو الطابقين في الصحن الكبير وفيه تاريخ المدرسة وبجواره سورة الدهر وهو يدور حول الصحن - مدرسة اليزدي



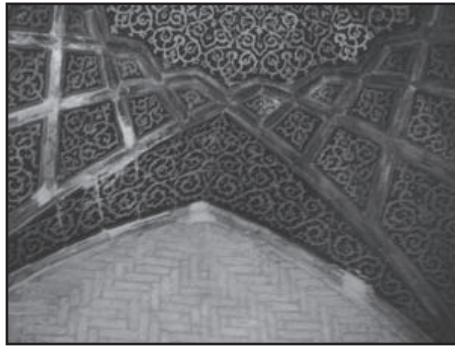
لوح (٢٦): الكتابة الموجودة في واجهة دعامة الإيوان في الطابق الأول لمدرسة اليزدي



لوح (٢٧): العقد الذي يعلو المداخل في الزوايا الأربعة للصحن الكبير في مدرسة اليزدي



لوح (٢٨-أ): القبة التي تعلو المدخل الثاني والعقود الحاملة لها - مدرسة اليزدي



لوح (٢٨-ب)



لوح (٢٩): واجهة المجنبه الشماليه المطله على الفناء المكشوف في القسم الثالث لمدرسة اليزدي



لوح (٣٠): واجهة المجنبه الغربيه المطله على الفناء المكشوف في القسم الثالث لمدرسة اليزدي



لوح (٣١): واجهة النافذة المطلّة على غرفة المدرس في مدرسة اليزدي وتظهر عليها الزخارف الخشبية المخرمة



لوح (٣٢): بوابات المكتبة داخل غرفة المدرس في مدرسة اليزدي



لوح (٣٣): العقد النصف دائري الذي يعلو أبواب المكتبة والزخارف الزجاجية وعليها الكتابة في مدرسة اليزدي



لوح (٣٤): الكتابة الزخرفية التي تعلو مداخل غرفة الدرس



لوح (٣٥): الواجهة الجنوبية للطابق الأول والمطلة على الطارمة والتي تعلو غرفة الدرس



لوح (٣٦): الزخارف الهندسية في الواجهة المطلة على الطارمة من الجانبين والتي تعلو غرفة الدرس



لوح (٣٧): الزهريات المكونة للوحدات الزخرفية في القسم الثالث لمدرسة اليزدي ونلاحظ انطلاق الأغصان والأوراد المتكونة من أكثر من بتلة



لوح (٣٨): الكتابة القرآنية التي تحيط بالفناء المكشوف في القسم الثالث لمدرسة اليزدي (سورة النور)



لوح (٣٩): الزخارف الآجرية وهي تشبه عظام السمك - مدرسة اليزدي



لوح (٤٠): الزخارف الهندسية التي تزين الجدران المطلّة على الفناء في الطابق الأول، والسُّلّم الذي يفضي إلى السطح بشكل مستقيم



لوح (٤١): الخطوط المتقاطعة التي تزين الروافد الخشبية - مدرسة اليزدي



لوح (٤٢): طريقة رصف ألواح السقوف بالطريقة الشيطانية - مدرسة اليزدي



لوح (٤٣): السُّلَمُ الموجود عند الصحن الأوّل لمدرسة اليزدي مقابل غرفة الضيوف



لوح (٤٤): فتحات الملاقف الهوائية (البادكير) في مدرسة اليزدي



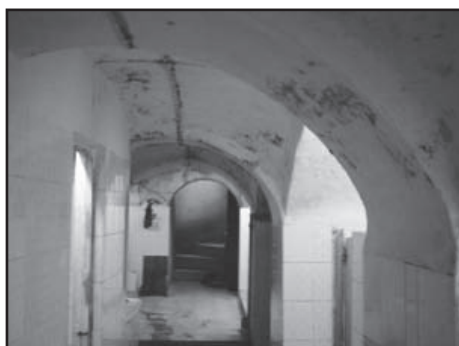
لوح (٤٥): البوابة الخشبية الموجودة في مدخل مسجد مدرسة اليزدي



لوح (٤٦): الأشرطة الزخرفية التي تزدان بها جدران مسجد مدرسة اليزدي



لوح (٤٧): الكتابات التي تعلو المحراب في مسجد مدرسة اليزدي



لوح (٤٨): السرداب أسفل المجنبية الشرقية في مدرسة اليزدي



لوح (٤٩): العمود المندمج والمقرنصات التي تكون تاجه في سرداب مدرسة اليزدي



لوح (٥٠): الأعمدة المندمجة في سراديب مدينة النجف في محلة البراق



لوح (٥١): العقود المتقاطعة التي تحمل سقوف السرايب في مدرسة اليزدي



لوح (٥٢): طريقة رصف الحجر في سقف سراديب مدرسة اليزدي



لوح (٥٣): فتحات الملاقف الموجودة في السرداب الشمالي لمدرسة اليزدي



لوح (٥٤): الرواق الموجود في السرداب الشمالي ويمثله آخر في السرداب الجنوبي لمدرسة اليزدي

المصدر: مجلّة تراث النجف: العدد (١) ربيع الأول ١٤٣٠ هـ.



**الشيرازي ودوره
في تأسيس حوزة سامراء العلمية**

أ.م.د. ريم هادي مرهج الذهبي

م.د. غفران محمد عزيز الدعيمي

المقدمة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على رسوله الأمين سيد المرسلين وخاتم النبيين، وعلى آله المنتجبين الغرّ الميامين.

لا يخفى علينا ما للحوزة العلمية من دور كبير على مستوى التاريخ، في معالجة جميع المشاكل الحياتية، وإيجاد الحلول المناسبة للوقائع المختلفة، ومن بين تلك الحوزات حوزة سامراء العلمية التي لها دور ريادي كبير في معالجة العديد من الأزمات التي مرّت بالأمة الإسلامية، فضلاً عن دورها في الجوانب العلمية والثقافية والمسائل الفكرية والعقائدية والعبادية والأخلاقية، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتي يرجع الفضل في وضع البذرة الأولى للحوزة في سامراء، المجدّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي (أعلى الله مقامه) الذي هو مؤسسها.

تنطلق الدراسة من الوقوف على الأسباب والنتائج وراء قدوم المجدّد الشيرازي إلى حوزة النجف المقدسة والانتقال إلى سامراء ثم الاستقرار فيها وتأسيس الحوزة فيها وإصدار الأحكام والفتاوي منها.

وتصب الدراسة في عرض موضوع المجدّد الشيرازي ودوره في تأسيس حوزة سامراء واشتمل البحث على مطلبين تعلّق المطلب الأوّل بسيرته الشخصية والعلمية والعملية. أمّا المطلب الثاني تناولنا فيه، تأسيس حوزة سامراء، منطلقين من أهم الأسباب والدوافع التي كان لها الأثر في الانتقال

من مدينة النجف إلى مدينة سامراء والاستقرار فيها والقيام بأعمال عديدة على الجانب الاقتصادي والثقافي والعمراني في مدينة سامراء كما كان له أيضاً مواقف كبيرة في المجالين الاجتماعي والسياسي، ثم خاتمة البحث التي نعرض فيها ما توصلنا له من نتائج، ثم قائمة المصادر المعتمدة لدينا.

المطلب الأول

المجدد الشيرازي: سيرته الشخصية والعلمية والعملية

١ - سيرته الشخصية :

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه :

السيد أبو محمد معز الدين الميرزا محمد حسن بن ميرزا محمود بن محمد إسماعيل بن فتح الله بن عابد بن لطف الله بن محمد مؤمن الحسيني، المنتهي نسبه إلى الإمام الحسين (عليه السلام)^(١).

لقبه :

وقد اشتهر بالميرزا الشيرازي^(٢)، كما عرف بالمجدد الشيرازي^(٣).

(١) آغا بزرگ الطهراني، محمد محسن، ميرزا شيرازي: ط ٢، طبع وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران ١٣٦٣ هـ، ص ٢٢.

(٢) العاملي، محسن الأمين، أعيان الشيعة: بيروت - لبنان، دار التعارف، ١٤٠٣ هـ، ج ٥، ص ٣٠٤.

(٣) الشيخ آغا بزرگ الطهراني، نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة)، مطبعة سعيد، مشهد، ١٤٠٤ هـ، ج ١، ص ٤٣٦.

مولده ونشأته :

ولد محمد حسن الشيرازي في مدينة في مدينة شيراز^(١) في ١٥ جمادى الأولى عام (١٢٣٠هـ)، وفيما يتعلق بنشأته لم تعطينا المصادر معلومات وافية في مرحلة الطفولة واكتفت بالإشارة إلى أنه كان يتيماً، وتولى رعايته خاله المرحوم السيد ميرزا حسين الموسوي، الذي كان بمثابة والده؛ لأنه فقد والده المرحوم السيد محمود وهو طفل صغير^(٢)، وكان بيته معروفاً بشيراز، وله في ديوان دولة شيراز شأن^(٣).

أسرته :

لم تسعفنا المصادر كثيراً عن أسرته سوى ما وقع بين أيدينا بأن والده السيد محمود الشيرازي الذي كان من رجال الدين، وإنه توفي فتولى تربيته خاله الميرزا حسين الموسوي المعروف بمجد الأشراف^(٤)، وتزوج بنت عمه، فأنجبت له ولداً باسم علي وبتاً، توفيت زوجته الأولى سنة ١٣٠٣هـ، وكان له زوجة أخرى، وله منها ابنٌ باسم محمد وبنت^(٥).

(١) شيراز: قصبة بلاد فارس، شُبهت بجوف الأسد لأنه لا يحمل منها شيء إلى جهة من الجهات ويحمل إليها لذلك سميت شيراز. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ - ١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ج ٣، ص ٣٨٠-٣٨١.

(٢) آغا بزرگ الطهراني، محمد محسن، ميرزا شيرازي: ص ٣٠.

(٣) العاملي، محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٥، ص ٣٠٤.

(٤) آغا بزرگ الطهراني، محمد محسن، ميرزا شيرازي: ص ٣٠.

(٥) المدني، السيد محمود، الميرزا الشيرازي؛ احياكر قدرت فتوا، التعريب: محيي قدرة الفتوى، ط ١، مركز الإعلام الإسلامي للنشر والطباعة، قم، ١٣٧١هـ، ص ٣٨.

٢- سيرته العلمية :

بداية تحصيله العلمي :

نشأ المجدد الشيرازي نشأة علمية منذ نعومة أظافره فقد كان خاله الميرزا حسين الموسوي شديد الحرص في توجيه الوجهة الصحيحة حيث أراد خاله أن ينشئه خطيباً، فوجهه إلى ذلك، فدخل الكتاتيب لتعلم القرآن الكريم، ودرس الأدب الفارسي في الرابع من عمره وخلال سنتين أتم ذلك، ثم انكبَّ على دراسة الصرف والنحو، وفي الثامنة أكمل دروس مقدمات الحوزة^(١)، والظاهر أنَّ السيّد كان يتمتع بقابلية جيدة من الذكاء والفطنة، مما ساعده على تقبل هذه العلوم وتلقيها بصورة أهّلتَه لدراسة كتاب شرح (اللمعة الدمشقية) وهو في الخامسة عشرة من سنه^(٢).

ثم بدأ بدراسة الفقه وأصوله، وفي الثانية عشرة من عمره حضر درس الشيخ محمد تقي الشيرازي، وكان من كبار شراح اللمعة في شیراز، كما - وبوصية من أستاذه - توجه لتكميل دراسته إلى أصفهان^(٣) وهو حينذاك عمره الثامنة عشرة^(٤)، حتى إذا أكمل دراسة الكتب الأولية المقررة للدراسة الحوزوية وهي ما تسمّى بـ (السطوح) انتقل إلى أصفهان عام ١٢٤٨ هـ؛ لأنّها

(١) آغا بزرگ الطهراني، محمد محسن، ميرزا شيرازي: ص ٢٧.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧٤. الروزدری، علي، تقريرات آية الله المجدد الشيرازي، تحقيق:

مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط ١، د.ت، ج ١، ص ١٥.

(٣) أصفهان: وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وهي اسم للإقليم بأسره، وهي من نواحي الجبل لا في آخر الإقليم الرابع. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم

البلدان، ج ١، ص ٢٠٦-٢١٠.

(٤) آغا بزرگ الطهراني، نقباء البشر: ج ١، ص ٣٧٤.

كانت مركزاً مشهوراً لدراسة علوم الشريعة - حينذاك - لما تضم من أعلام الفقه ومدرسي الأصول، وقد وصفتها المصادر حينذاك بـ (دار العلم)^(١). فقرأ - هناك - على الشيخ محمد تقي، مؤلف حاشية المعالم، ثم حضر على مير السيد حسن البيدآبادي الشهير بالمدرس حتى حصلت له الإجازة منه قبل بلوغه العشرين من العمر^(٢)، كما حضر درس الشيخ محمد إبراهيم الكلباسي فترة من الزمن^(٣). وبعد أن أكمل الدراسات الأولية للعلوم الإسلامية، خاصة المتعلقة بالفقه والأصول، أصبح مؤهلاً لتحصيل الدراسات العليا، والتي تعتمد التلقي المباشر من الأستاذ دون واسطة كتاب، فقرر الانتقال إلى الجامعة النجفية، ففي عام ١٢٥٩هـ انتقل من أصفهان إلى النجف الأشرف متبركاً بالتشرف بزيارة مرقد الإمام علي عليه السلام، ثم التحق بدرس الشيخ محمد حسن النجفي^(٤) صاحب كتاب جواهر الكلام، والشيخ حسن كاشف الغطاء ابن الشيخ جعفر^(٥) مؤلف

(١) العاملي، أعيان الشيعة: ج ٥، ص ٣٠٤.

(٢) المصدر السابق نفسه: ص ٣٠٤.

(٣) المصدر السابق نفسه: ص ٣٠٤.

(٤) الشيخ محمد حسن النجفي الأصفهاني العاملي: من مراجع الشيعة ومجتهديهم في القرن الثالث عشر بعد الهجرة. وعرف بصاحب الجواهر. من أعلام الطائفة الإمامية وفقهاء الاثني عشرية. نبغ في النجف الأشرف، وانتهت إليه مرجعية الشيعة ورئاسة الطائفة. ولد الشيخ (صاحب الجواهر) حدود سنة (١١٩٢هـ) في دار والده المجاورة للصحن الحيدري الشريف. توفي صاحب الجواهر في غرة شعبان يوم الأربعاء عند زوال الشمس سنة (١٢٦٦هـ) في النجف الأشرف ودفن في مقبرته المعروفة والمجاورة لمسجده المشهور. للمزيد ينظر: آغا بزرگ الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بيروت، دارالأضواء، ١٤٠٣هـ، ج ٥، ص ٢٧٥؛ ج ١١، ص ٢١٤؛ ج ١٢، ص ٤٣؛ ج ٢٤، ص ٥٩.

(٥) الشيخ حسن ابن الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر كاشف الغطاء، وهو النجل الثالث للشيخ جعفر الكبير. ولد عام ١٢٠١هـ بمدينة النجف الأشرف، فكان إماماً رئيساً فقيهاً زاهداً صالحاً صدوقاً طاهر القلب، له نوادر ومداعبات، مواظباً على السنن والآداب، أديباً شاعراً،

كتاب أنوار الفقاهة، كما تتلمذ لفترة قصيرة على السيّد إبراهيم بن محمّد القزويني الحائري^(١) المقيم في كربلاء، صاحب كتاب (ضوابط الأصول)، غير أنّه استقر على ملازمة درس الشيخ مرتضى الأنصاري^(٢)، كان المجدّد من خواص تلامذة الشيخ الأنصاري، وفي خلال ملازمته لدرس الشيخ الأنصاري توطدت العلاقة بين الأستاذ وتلميذه إلى درجة أن أخذ الشيخ يعظمه بمحضر طلابه،

وجيهاً عند الولاية، توفّي تدرّجاً في الثامن والعشرين من شوال أو ذي القعدة ١٢٦٢ هـ، ودُفن بجوار مرقد أبيه في مقبرة الأسرة بالنجف الأشرف. ينظر: العاملي، أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٥.

(١) السيّد إبراهيم بن محمّد باقر الموسوي القزويني المعروف بصاحب الضوابط (١٥ سبتمبر ١٧٩٩-١٨٤٨) فقيه شيعي، ويعد من أشهر أعلام أسرة آل القزويني العلمية في كربلاء ولد في ذي الحجة ١٢١٤ هـ بمدينة قزوین في إيران. درس العلوم الدينية في كربلاء المقدّسة، ثمّ سافر إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته الحوزوية، ثمّ عاد إلى كربلاء واستقرّ بها، فتصدّى للتدريس والتأليف، وصار من العلماء البارزين بها. توفّي تدرّجاً عام ١٢٦٢ هـ بكربلاء المقدّسة، ودُفن في داره. انظر: الخوانساري، محمّد باقر الموسوي (١٣١٣ هـ-١٨٩٥ م)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٣٨؛ حرز الدين، محمّد حسين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، د.م، د.ت، ج ١، ص ١٨.

(٢) مرتضى بن محمّد أمين بن مرتضى بن شمس الدين بن محمّد شريف الأنصاري (المعروف بالشيخ الأنصاري) من كبار علماء الشيعة في القرن الثالث عشر. تسلّم المرجعية العامة بعد محمّد حسن النجفي صاحب كتاب جواهر الكلام، هو رجل دين وفقيه ومرجع شيعي إثنا عشري. لقب الشيخ الأنصاري بـ (خاتم الفقهاء والمجتهدين)، وأيضاً يُعرف الأنصاري في الأوساط الشيعية بلقب الشيخ الأعظم، وهو من قل له نظير وشبيه في دقته وبعد نظره، كما أنّ تجديده لبعض نواحي التفرّعات في علم الأصول أدّى إلى تطور في علم الفقه، ويُعدّ كتاباه: الرسائل والمكاسب من الكتب الأساسية في دراسة طلاب العلوم الحوزوية. والفقهاء الذين أتوا بعده تلامذته ومطوِّرون لمنهجه، ولأهمية آثاره؛ أُضيفت حواشي وتعليقات عليها، كان يضرب به المثل في الزهد والتقوى. توفي سنة ١٢٨١ ق، ودُفن في النجف الأشرف. مطهري، مرتضى، مجموعة آثار، د.م، د.ت، ج ١٤، ص ٤٣٧. <https://ar.wikipedia.org/wiki/٤٣٧>

وينوه بفضلله، ويعلي سمو مرتبته في العلم، كما أشار إلى اجتهاده أكثر من مرة، في حين لم يشر إلى اجتهاد أحد من قبل^(١).

فقد أشار إلى ذلك الشيخ الأنصاري ما ذكر أنه قال مراراً: بآني أباحث لثلاثة (أشخاص) المجدد حسن الشيرازي والميرزا حبيب الله الرشتي، والآغا حسن الطهراني^(٢) وبعد وفاة الشيخ الأنصاري. اجتمع تلامذة الشيخ الأنصاري في دار الشيخ الميرزا حبيب الله الرشتي، وكان ممن حضر الميرزا حسن الآشتياني، وحسن نجم آبادي وعبد الرحيم النهاوندي، وتدارسوا أمر المرجعية العامة، وترشيح من هو أهل لها، واتفقت كلمتهم على تقديم المجدد الشيرازي لرئاسة المرجعية لما له من المؤهلات والخصائص التي تجعله أن يكون المرشح الأكثر قبولاً لدى الأمة، وكان ذلك باقتراح من الميرزا حسن الآشتياني وكان المجدد الشيرازي في بداية الأمر مخالفاً لهذا الاختيار مقدماً حسن نجم آبادي لهذا المنصب، وكان يرى أنه أهل لذلك، ولكن في النهاية وبإلحاح من العلماء والفقهاء تسلّم مرجعية الشيعة^(٣).

مؤلفاته :

من أشهر مؤلفات المجدد الشيرازي هي:

١ - تحريرات في الأصول.

٢ - تحريرات في الفقه.

٣ - كتاب الطهارة.

(١) العاملي، أعيان الشيعة: ج ٥، ص ٣٠٤. آغا بزرك الطهراني، نقيب البشر: ج ١، ص ٤٨٣.

(٢) آغا بزرك الطهراني، نقيب البشر: ج ١، ص ٤٨٣.

(٣) المصدر السابق نفسه.

٤ - كتاب الصلاة.

٥ - رسالة الاجتماع في الأمر والنهي.

٦ - كرايس فيها السؤالات بخط سماحته.

٧ - حاشية على نجاة العباد.

٨ - رسائل عملية أخرى، إضافة إلى مجموعة من التقارير^(١).

مكانة العلمية وتلامذته :

ليس من شك في أن ما بذله المجدد الشيرازي من جهد علمي وسعي دؤوب في طلبه للعلم واللقاء بالعلماء والشيوخ والانتفاع بهم من معارف وعلوم عديدة لاسيما علوم القرآن وعلوم الحديث النبوي الشريف والفقه والأدب، فقد قال المرحوم الحجة المحقق السيّد حسن الصدر عنه: «أفضل المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء والمحدثين، والحكماء والمحققين من الأصوليين، وجميع المتفنين حتى النحويين والصرفيين فضلاً عن المفسرين والمنطقيين»^(٢)، ويتحدث المرحوم الحجة المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني عن المجدد الشيرازي، فيقول: «أعظم علماء عصره وأشهرهم، وأعلى مراجع الإمامية في سائر الأقطار الإسلامية بوقته»^(٣).

أما تلامذته فقد ذكر آغا بزرك الطهراني عدد أسماء (٣٧٢) شخصاً ممن تتلمذ على السيّد الإمام الشيرازي سواء في النجف الأشرف، أو سامراء^(٤).

(١) العاملي، أعيان الشيعة: ج ٥، ص ٣٠٥. آغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة:

ج ٤، ص ٣٧٢. ج ٦، ص ٢٢٧.

(٢) آغا بزرك الطهراني، نقباء البشر: ج ١، ص ٤٤٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٣٦.

(٤) العاملي، أعيان الشيعة: ج ٥، ص ٣٠٨. آغا بزرك الطهراني، ميرزا شيرازي: ص ٢١٢.

ومن أشهرهم:

- ١- السيّد إبراهيم الدامغاني الخراساني المتوفى عام ١٢٩١هـ.
- ٢- السيّد إبراهيم بن مير محمّد علي الدرودي الخراساني الكاظمي المتوفى عام ١٣٢٨هـ وكان من الملازمين لدرس السيّد حتى آخر عمره، وأقام أخيراً في الكاظمية.
- ٣- الميرزا إبراهيم الشيرازي.
- ٤- الميرزا إبراهيم بن مولى محمّد علي بن أحمد المحلاقي الشيرازي المتوفى بعد عام ١٣١٦هـ - من العلماء الأجلاء.
- ٥- ملاّ أبو طالب كزاي السلطان آبادي، المتوفى عام ١٣٢٩هـ، وصف بأنّه عالم فاضل متقي.
- ٦- ميرزا أبو الفضل ابن ميرزا أبي القاسم، المعروف بـ (كلان تري نوري طهراني)، من أهل الفضل والعلم والتاريخ والرجال والأدب، توفي عام ١٣١٧هـ.
- ٧- الشيخ إسماعيل الترشيدي المشهدي، المتوفى بعد عام ١٣٢٠هـ من العلماء الأجلاء.
- ٨- السيّد إسماعيل السيّد رضي الحسيني الشيرازي، المتوفى عام ١٣٠٥هـ، ابن عمّ سيدنا المترجم من العلماء الأجلاء، وكان من مستشاري السيّد الشيرازي، وكان له درس خاص عنده.
- ٩- الشيخ إسماعيل بن الملاّ محمّد علي المحلاقي النجفي المتوفى عام ١٣٤٣هـ، وبعد وفاة السيّد الشيرازي أقام في النجف وهو من العلماء الأجلاء.

١٠- الشيخ محمد باقر بن عبد الحسن الإصطهباناتي الشيرازي استشهد عام ١٣٢٦هـ في شیراز من أكابر وأعلام شیراز، ومن مبرزی طلاب السید جامع العلوم العقلية والنقلية.

المطلب الثاني

تأسيس حوزة سامراء

فلما وصلت إليه زعامة المذهب واستقر به المقام في النجف الأشرف، قرر التوجه إلى مدينة سامراء التي تضم مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري (عليه السلام)، وفيها غيب الإمام محمد المهدي الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت (عليه السلام)، ويقصدها على مدار السنة عدد غير قليل من المسلمين الإمامية من داخل العراق وخارجه لزيارة الإمامين العسكريين (عليه السلام)، والتبرك بمرقدهما الطاهر، وسكان هذه المدينة من المسلمين السنة منذ عهد العباسيين الذين أسسوها واعتبروها عاصمة لهم في عهد من عهودهم. وعندما رسخت مرجعية الإمام المجدد الشيرازي في الأقطار الإسلامية قرر الانتقال من النجف إلى سامراء، ولم يعلن عن تصميمه في بداية الأمر لأنه كان يخشى ضغط العلماء وهيجان الجماهير عليه مما يضطره لترك الفكرة، وهو مصمم على إنجازها لما فيها من مصلحة للأمة، وفي عام ١٢٩١هـ تشرف السيد المجدد الشيرازي إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في النصف من شعبان، وبعد الزيارة توجه إلى الكاظمية لزيارة الإمامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد (عليه السلام)، ثم توجه إلى سامراء فوردها أواخر شعبان، ونوى الإقامة فيها لأداء فريضة الصيام، ولئلا يخلو الحرم الطاهر للإمامين العسكريين من الزوار في ذلك الشهر، فإن الحرم

يغلق إذا جاء الليل ولم يكن فيه أحد من أمثاله ويحرم منه سائر الزوار، وكان يخفي قصده، ويكتم رأيه، وبعد انقضاء شهر الصيام كتب إليه بعض خواصه من النجف الأشرف يستقدمه ويسأله عن سبب تأخره، فعند ذلك أبدى لهم رأيه، وأخبرهم بعزمه على سكنى سامراء، فبادر إليه العلامة ميرزا حسين النوري، وصهره الشيخ فضل الله النوري، والمولى فتح علي السلطان آبادي، وبعض آخر، وهم أول من لحق به، وبعد أشهر اصطحب الشيخ جعفر النوري عوائل هؤلاء إلى سامراء أوائل عام ١٢٩٢هـ ثم لحق بهم سائر الأصحاب والطلاب والتلاميذ، فعمرت به سامراء، والكثير من المسلمين الشيعة الذين يرغبون في البقاء إلى جنب زعيمهم الديني المجدد الشيرازي، والتشرف بمجاورة مرقد الإمامين العسكريين عليه السلام، والاستفادة من فضله وتوجيهه والانضواء ضمن مرجعيته والانتظام بحوزته درساً وتدریساً ومتابعة^(١).

فعندما نقل المرحوم الشيرازي الكبير مقر زعامته وحلقة درسه إلى سامراء، كان لابد من أن تزدهر الحركة العلمية في هذه المدينة، وأن يتوفر لها جاذب قوي لكبار العلماء وأساتذة أجلاء، الذين بدؤوا يتوجهون إلى سامراء تبعاً، ويقيمون فيها حلقات دروسهم وأبحاثهم. وأخذت الأموال تتدفق عليه من جميع الأقطار الإسلامية^(٢) فقد ذكر بعض الفقهاء أقوال كثيرة في سبب هجرته إلى مدينة سامراء منها:

- يرى البعض أن السبب رغبته في الإعراض عن الرئاسة، وتخلصاً من

(١) آغا بزرك الطهراني، نقباء البشر: ج ١، ص ٤٣٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٣٩.

قيودها، وطلباً للانزواء والعزلة عن الخلق^(١) وقيل إنَّ سبب ذلك أنَّه لما صار الغلاء في النجف سنة ١٢٨٨ هـ وصار يدر العطاء على أهلها، ثم جاء الرخاء عن قريب جعل الناس يكثرّون الطلب عليه، وجعل بعض أعيان النجف يفتل في الذروة والغارب لينفر الناس منه، فتضايق من ذلك، وخرج إلى كربلاء في رجب سنة ١٢٩١ هـ، ثم توجه إلى الكاظمية فسامراء، ودخلها في شعبان من تلك السنة، وأقام فيها أياماً، ثم عزم على الإقامة فيها، وأرسل على كتبه، وأثائه، وتبعه أصحابه^(٢).

- أنَّه تضايق من وجود بعض الفرق الجاهلة فيها^(٣).

- أنَّ الباعث على الهجرة هو إرادة الانفراد لانحياز سامراء وبُعدها عن مجتمع العلماء ومن يدعي العلم، فيتم له فيها ما لا يتم له في غيرها.

- قد يكون العزم على الهجرة إرادة عمران البلد وتسهيل أمور الزائرين الوافدين إليها، ورفع ما كان يقع عليهم من المشقات، حيث كان في عهده قبل سكناه فيها بمنزلة قرية صغيرة، فلما سكنها عمُرت عمراناً فائقاً وبُنيت فيها الدور والأسواق وسكن فيها الغرباء ومن يطلب المعاش وكثر إليها الوافدون وصار فيها عدد من طلاب العلم والمدرسين لا يستهان به^(٤).

إنَّ للشخصيات الكبيرة الدور المهم في صنع التاريخ، وكلما كان نفوذ وتأثير الشخص قوي في أتباعه وأنصاره ومقلّديه سيؤدي لا محالة إلى ازدهار الحركة

(١) آغا بزرك الطهراني، نقباء البشر: ج ١، ص ٤٣٩.

(٢) العاملي، أعيان الشيعة: ج ٥، ص ٣٠٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٠٦.

(٤) المصدر السابق نفسه.

العلمية وتوفر الجذب القوي لكبار العلماء، وكان ذلك متمثلاً بتوجه الميرزا الشيرازي المجدد الكبير إلى سامراء، حيث كان ذلك عصر ازدهار الحركة العلمية في حوزة سامراء. وصار ينفق الأموال الطائلة في سامراء، وكسب قلوب شيوخ العشائر في المدينة، فقد شيد أكبر مدرسة دينية في العراق تعرف باسم (مدرسة الميرزا) كما بنى سوقاً كبيراً ودوراً وجسراً^(١).

ولم يقتصر على الجانب الاقتصادي والثقافي فحسب بل كان له مواقف كبيرة في المجالين الاجتماعي والسياسي، إذ امتنع المجدد الشيرازي من استقبال الشاه ناصر الدين القاجري^(٢) عند زيارة للعبات المقدسة في العراق ثم أرسل الشاه إلى العلماء مبالغ نقدية، فقبلت منه، إلا السيد الشيرازي فقد رفض قبولها مما اضطر الشاه أن يرسل وزيره حسن خان إليه معاتباً، وطالباً منه أن يزوره، فأبى السيد^(٣) وبعد الإلحاح الشديد عليه والوسائط المتعددة، قبل السيد أن يلتقي به في الحضرة الشريفة العلوية، وتم الاجتماع بينهما ولم يطلب السيد من الشاه شيئاً^(٤). وبذلك فقد كسر التقاليد السائدة لرجال الدين للخروج لاستقبال حكام المسلمين^(٥).

(١) العاملي، أعيان الشيعة: ج ٥، ص ٣٠٦.

(٢) ناصر الدين شاه تولى العرش (١٨٤٨-١٨٩٦) بلغت فترة حكمه (٤٨) عاماً شهدت فترة حكمه العديد من الأزمات الاقتصادية وبالتالي تزايد نفوذ الدول الكبرى في إيران لاسيما بريطانيا وروسيا، وحاول إجراء بعض الإصلاحات إلا أنها فشلت في تحقيق أهدافها. ينظر: المشايخي، علي خضير عباس، إيران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨-١٨٩٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٧م.

(٣) العاملي، أعيان الشيعة: ج ٥، ص ٣٠٦.

(٤) الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، طبع الدار العالمية، بيروت ١٩٨٥، ص ١٢٧. الروزدر، التقريرات: ج ١، ص ٢٣.

إخماد الفتنة الطائفية :

كان البريطانيون يتحينون الفرص لإيجاد موطئ قدم لهم في العراق الذي كان تحت الهيمنة العثمانية، وكانت ملامح الأيدي البريطانية تبين واضحة في أيّ نزاع طائفي، حتى وإن كان بين شخصين وسط السوق أو في أيّ مكان آخر. ومن جملة النزاعات التي كانت تحصل بين الشيعة والسنة، ما حصل من شجار بين رجل سنّي وعالم دين شيعي في سامراء، ولم تنتهِ المشكلة بسهولة، إنّما تطورت وجرت أعوان وأنصار من الجانبين، حتى بلغ الأمر لأن يقوم بعض المغرر بهم لأن يرشقوا بيت المجدّد الشيرازي بالحجارة والإساءة إليه، فشاع الخبر في أنحاء البلاد وكاد أن يتطور الموقف إلى نزاع مسلح وفتنة طائفية خطيرة، لولا حكمة وتبصّر السيّد الشيرازي وقيامه بتطويق الأزمة وتهدئة الخواطر بحنكة القائد والأب المصلح الذي يضع مصلحة الأمة والدين فوق كلّ اعتبار. فكان أوّل المتدخلين البريطانيون، فسارع القنصل البريطاني في بغداد للسفر إلى سامراء بمعية القنصل الروسي، لإعلان تأييد حكومتيهما للمجدد الشيرازي، بيد أنّهما لم يكسبا سوى الخيبة؛ لأنّ السيّد المجدّد رفض استقبالهما وأبلغهما بالواسطة أن ليس هناك ما يدعو للقلق لقد حصل شيء ما بين أبنائنا ونحن قادرون على تجاوزه بالحسنى ولسنا بحاجة لمساعدة أحد^(١).

وبغض النظر عن حجم التفاعل لدى أهالي سامراء مع مشروع التعايش الذي طرحه المجدّد الشيرازي، فإنّ المبادرة بسمتها الحضارية تحسب للحوزة

(١) للمزيد ينظر: الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، ص ١٢٩. الروزدي، التقريرات: ج ١، ص ٢٣. البازركان، علي، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، ١٩٥٤، ص ٤. حرز الدين، معارف الرّجال، ص ٢٣٥.

العلمية، وتمثل نقطة مضيئة في التاريخ، كما يمثل التنكّر لها وصمة عار وبداية انحراف خطير.

تحريم التنباك:

هذه القضية من أهم القضايا الساخنة التي تعرضت لها مرجعية الإمام الشيرازي، وكان موقفه الجريء يمثل انتفاضة عارمة ضد السلطة حينذاك، وأكدت أن: (سلطان الدين أقوى من كلّ سلطان)^(١).

ذكرت المصادر بأن ناصر الدين شاه القاجاري عقد اتفاقية مع شركة إنكليزية باحتكار (التبغ الإيراني)، وأثر هذا الامتياز للشركة الأجنبية على الحركة التجارية الداخلية والسوق المحلية، وكلّمّا حاول الأهالي إثناء الشاه عن عقد هذه الاتفاقية لم يجد نفعاً، وأصرّ على إبرامها وتنفيذها. وتنص هذه الاتفاقية على أن تتولى الشركة زراعة التبغ وبيعه وتصديره لمدة خمسين عاماً بدءاً من سنة ١٨٩٠ م، كما حدث في الهند^(٢).

وعلى أثر ذلك اندلعت انتفاضة شعبية عام ١٨٩٠ م بقيادة العلماء في إيران، وكان من أبرز المجتهدين في طهران الذين قادوا الانتفاضة آية الله الميرزا محمد حسن الآشتياني قدس سرّه، وأدرك علماء إيران أن توفير فرصة أكبر لنجاح الانتفاضة الشعبية من أجل إلغاء الاتفاقية يتطلب دعم وتأييد المرجع الأعلى للشيعة السيّد الشيرازي، فأرسل عدد منهم برقيات إليه طالبين منه دعمهم، فردّ عليهم طالباً منهم توضيحاً أكثر لمطالبهم^(٣).

(١) العاملي، أعيان الشيعة: ج ٥، ص ٣٠٦.

(٢) حرز الدين، معارف الرّجال، ص ٢٣٥.

(٣) الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، ص ١٢٩. المحلاتي، ذبيح الله،

كما أرسل السيّد الشيرازي - في الوقت نفسه - رسائل عديدة إلى الشاه يطالبه فيها بـ «الاستجابة للرعية في إلغاء الاتفاقية»^(١). غير أنّه عندما يؤس من إقناعه بإلغائها، أصدر فتواه الشهيرة^(٢). والتي كان نصّها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«استعمال التبناك والتتن حرام بأيّ نحو كان، ومن استعمله كمن حارب الإمام عبّال الله فرجه. محمّد حسن الحسيني الشيرازي»^(٣)، وتحدثنا المصادر بأنّ هذه الفتوى كانت بمثابة (القبلة) من حيث تأثيرها على المجتمع الإيراني فقد تم استنساخها بمائة ألف نسخة، وزعت في مختلف أنحاء إيران وتليت من على المنابر في المساجد والحسينيات^(٤).

إنّ جميع أهالي إيران تركوا التدخين، وكسروا (النارجيلات) وكلّ آلة تستعمل للتدخين في بلاد إيران، حتى إنّ نساء قصر الشاه كسرن آلات التدخين في القصر، وعرف الشاه هذه الحقيقة التي لم يتصورها لحظة ما، بأنّ قوة المرجع الديني أقوى من سلطته. إنّ الملايين من المتعاطين للتبناك - حينذاك - في إيران تركوا التدخين امتثالاً لأوامر الإمام الشيرازي، وكانت النتيجة المباشرة للفتوى والانتفاضة إرغام حكومة الشاه على إلغاء الاتفاقية، فإنّ نتائجها

مآثر الكبراء في تاريخ سامراء: النجف، ١٣٦٨هـ، ج ٢، ص ٧٧.

(١) علي الوردي، لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث ١٨٧٦-١٩١٤، د.م. د.ت، ج ٣، ص ٥٩.

(٢) آغا بزرگ الطهراني، ميزاي شيرازي: ص ٢٢٥. E.G.Brown, the Persia revolution. 1905-1909, New, Impression, London, 1966, p. 15

(٣) الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، ص ١٢٩.

(٤) علي الوردي، لمحات اجتماعية: ج ٣، ص ٥٩.

الفكرية والسياسية في إيران والعراق كانت بعيدة الأثر، وأدرك شاه خطورة الموقف الذي هدد عرشه إلى الإعلان رسمياً عن إلغاء الامتياز في ٢٦ كانون الثاني ١٨٩٢م، وأعلن انتهاء المناورات بين الحكومة والمعارضة^(١) ودفع ناصر الدين شاه خسارة الشركة^(٢).

وبالرغم من أن قضية (التبناك) قد حصلت في إيران، وإنَّ ما أسفر عنها من تفاعلات ونتائج أثرت بشكل أساسي في المجتمع الإيراني، فقد كان لها صدًى قوياً في العراق، ولا سيما في المناطق والمدن الشيعية، الذي كانت من بين أسبابه تشابك العلاقات بين هذه المناطق والمدن وإيران، وانعكاس الأحداث عليها، وكذلك بسبب التدخل للمرجع الأعلى - الذي مقره في العراق - في القضية، وتزعمه للانتفاضة وقد تابع العراقيون، وخاصة في المناطق الشيعية تلك الأحداث باهتمام كبير. وأمّا داخل الحوزات والحلقات والمدارس العلمية فإنَّها أثارت جدلاً فكرياً وسياسياً عاماً^(٣).

وهكذا مثلت الفتوى التي أصدرها الإمام الشيرازي، وتدخله المباشر في قضية التبناك، والانتفاضة المتولدة عنها، إحدى أهم المواقف والنشاطات الفكرية والسياسية للعلماء المسلمين الشيعة في العراق في أواخر القرن التاسع عشر، وشكّلت مظهراً رئيساً من مظاهر الاتجاه الثقافي الفكري السياسي الإسلامي الذي مهّد لقيام الحركة الإسلامية في العراق أوائل القرن العشرين^(٤).

(١) البديري، خضير مظلوم، إيران في ظل انتفاضة التبغ والتبناك، ١٨٩٠-١٨٩٢، دراسة في السياسة الداخلية، دار الضياء، النجف الأشرف، ٢٠٠٩، ص ١٤٣.

(٢) العاملي، أعيان الشيعة: ج ٥، ص ٣٠٧. المشايخي، إيران: ص ١٣٠.

(٣) الروزدر، التقريرات: ج ١، ص ٣٩.

(٤) الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، ص ١٣٠-١٣١.

ونستنتج من ذلك مهما كان دوافع وأسباب المجدد الشيرازي الانتقال إلى سامراء فإنه استطاع وبمدة وجيزة أن يحوّل سامراء من قرية صغيرة إلى مدينة عامرة ومزدهرة، فمدينة سامراء بتعدد طوائفها أعطت صورة واضحة للوحدة الإسلامية والتكاتف بين أبناء الطوائف الإسلامية وهذا ما يمثل نقطة قوة للإسلام والمسلمين. فقد استطاع المجدد الشيرازي أن يجعل من مدينة سامراء، مدينة العلم والتعلم، ومهبط أفئدة العلماء والدارسين. وكان لوجود المرجعية الدينية في مدينة سامراء الأثر الواضح في جميع المجالات العلمية منها والسياسية والاقتصادية والوحدة الوطنية.

واستطاع المجدد الشيرازي أن يثبت لجميع العالم كيف يستطيع الإسلام أن يبنى من مدينة بائسة - حين رحيله إليها - مدينة العلم والحضارة، ونشط فيها الدراسة الحوزوية ومنحها بعداً جغرافياً واسعاً.

وفاته:

توفي المجدد الشيرازي الكبير في مدينة سامراء المقدسة، عام ١٣١٢ هـ. وقد طيف بجثمانه الطاهر حول ضريح الإمامين العسكريين صلوات الله عليهما، وجدد به العهد بالسرداب المقدس لمولانا بقیة الله الإمام المهدي الموعود عليه السلام، ثم حمل جثمانه على الأيدي والأكتاف من سامراء المقدسة ومشياً على الأقدام إلى مدينة الكاظمية المقدسة^(١).

ثم شيع جثمانه الشريف عبر بغداد إلى مدينة كربلاء المقدسة، ثم إلى مدينة النجف الأشرف على الأيدي والأكتاف ومشياً على الأقدام، ووري الثرى في

(١) العاملي، أعيان الشيعة: ج ٥، ص ٣٠٥.

الصحن الشريف، وبعد موت المجدد الشيرازي الكبير، ومضي ٢١ سنة له في سامراء، انتقل ثقل الزعامة الدينية من جديد إلى النجف الأشرف، وكان طبيعياً أن تعقد الرئاسة والمرجعية الكبرى لزميله العالم الشيخ حبيب الله الرشتي، لكنه هو الآخر توفي في نفس السنة، ومن هنا تحولت الرئاسة والمرجعية العلمية لجملة من العلماء المجتهدين الكبار، منهم: العلامة محمد الشرياني، والعلامة الشيخ حسن المامقاني، وغيرهم^(١)، وحيث لا يوجد من يقوم مقام المجدد الكبير في إدارة شؤون المدينة فضلاً عن الحوزة العلمية، تعطلت على إثرها المدرسة، ولعل في السنين الأخيرة أشرفت على الخراب^(٢).

الخاتمة:

الميرزا محمد حسن الشيرازي الملقب بالشيرازي الأول، وبالمجدد الشيرازي قدس سره، كان يتمتع بقابلية جيدة من الذكاء والفطنة، إذا أكمل دراسة الكتب الأولية المقررة للدراسة الحوزوية ثم انتقل إلى أصفهان لإكمال دراسته الدينية وكان عمره ٢٩ سنة، وفي سنة (١٢٥٩هـ - ١٨٤٣م) قرر إكمال الدراسات العليا والتي تعتمد التلقي المباشر من الأستاذ دون وساطة كتاب، وهي ما تسمى في عرف الحوزويين بـ (بحث الخارج) فانتقل إلى حوزة النجف الأشرف، والتي كانت تزخر بأعلام الفقه والأصول.

وبعد أن اتفقت كلمة العلماء والفقهاء على تقديم الميرزا الشيرازي لرئاسة المرجعية لما له من المؤهلات والخصائص التي تجعله أن يكون المرشح الأكثر

(١) العاملي، أعيان الشيعة: ج ٥، ص ٣٠٥.

(٢) موقع شبكة كربلاء المقدسة: <http://www.holykarbala.net/books/tarikh/>

قبولاً لدى الأمة، تزعم الحوزة العلمية في النجف الأشرف ثم نقل المجدد الشيرازي مقر زعامته وحلقة درسه من النجف إلى سامراء، كان لا بدّ من أن تزدهر الحركة العلمية في هذه المدينة، وأن يتوفر لها جاذب قوي لكبار العلماء وأساتذة أجلاء، الذين بدؤوا يتوجهون إلى سامراء تبعاً، وقيمون فيها حلقات دروسهم وعمّر البلاد، وسهّل أمور الزائرين الوافدين إليها، ورفع ما كان يقع عليهم من المشقات، حيث كان في عهده قبل سكناه فيها بمنزلة قرية صغيرة، فلما سكنها عمّرت عمراناً فائقاً وبُنيت فيها الدور والأسواق، وسكن فيها الغرباء، ومن يطلب المعاش، وكثر إليها الوافدون وصار فيها عدد من طلاب العلم والمدرسين لا يستهان به، حيث ازدهرت على يده الحركة العلمية، وتوافدت إليها العلماء والطلبة، وعمّرت فيها المدارس الدينية، واستمرت إلى قرابة عشرين سنة، وهي في أوج حركتها العلمية في مختلف العلوم الدينية واستطاع إخماد الفتنة الطائفية وإعلان الوحدة الإسلامية مع مشروع التعايش الذي طرحه المجدد الشيرازي، فإنّ المبادرة بسمتها الحضارية تحسب للحوزة العلمية، وتمثل نقطة مضيئة في التاريخ.

كما استطاع أن يوقف التدخل الأجنبي في شؤون البلاد لاسيما بعد إعلان فتوى تحريم التبّاك إحدى أهمّ المواقف والنشاطات الفكرية والسياسية للعلماء المسلمين الشيعة في العراق في أواخر القرن التاسع عشر، وشكّلت مظهراً رئيساً من مظاهر الاتجاه الثقافي الفكري السياسي الإسلامي الذي مهدّ لقيام الحركة الإسلامية في العراق أوائل القرن العشرين ضد التدخل الأجنبي.

وبعد وفاته سنة (١٣١٢هـ - ١٨٩٤م) نقلت الزعامة الدينية إلى حوزة

Abstract:

Al-Mirza Muhammad Hassan Al-Shirazi, known as the first Shirazi, and the Majid Al-Shirazi (Qods Sarra), had a good ability of intelligence and discernment, if he completed the study of the primary books for the study of Al-Hawzawi and then moved to Isfahan to complete his religious studies. He was 29 years old and in (1259 AH) The completion of postgraduate studies, which depend on the direct receipt of the professor without the status of the book, which is called in the custom of the hawazis B (search abroad) moved to the estate of Najaf, which was full of flags of jurisprudence and assets.

After the scholars and jurists agreed to provide Mirza Shirazi to head the reference because of his qualifications and characteristics that make him the candidate most acceptable to the nation, claims the scientific estate in Najaf and the transfer of the Majid al-Shirazi headquarters of his leadership and a lesson from Najaf to Samarra, In this city, and to have a strong attraction to the great scholars and professors evacuated, who began to go to Samarra

successively, and stay in the seminars and the age of the country and facilitate the things of visitors coming to it, and raise what was the hardship, where he was in his reign before living there as well A small village. When it was inhabited, it was built by a distinguished age. The houses and markets were built in it. The foreigners lived there, and those who sought to live there, and many of them came to them, where there were a number of students of science and teachers, not insignificant, where the scientific movement prospered and the scholars and students came to it. To the end of twenty years, at the height of its scientific movement in various religious sciences and was able to quell the sectarian strife and the declaration of Islamic unity with the project of coexistence, which was introduced by the renewed Shirazi, the initiative of its cultural value is calculated for the scientific estate, and represents a bright spot in history.

He also managed to stop foreign interference in the affairs of the country, especially after the fatwa forbidding tabnak, one of the most important positions and intellectual and political activities of Shiite Muslim scholars in Iraq in the late nineteenth century. It was a major manifestation of

the Islamic political and intellectual trend that paved the way for the early Islamic movement in Iraq 20th century against foreign intervention.

After his death in (1312 AH - 1894 AD), the religious leadership was transferred to the Najaf Al-Ashraf estate.

المصادر العربية والأجنبية:

- آغا بزرك الطهراني، محمد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بيروت، دارالأضواء، ١٤٠٣.
- ميرزا شيرازي، ط ٢، طبع وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران ١٣٦٣هـ.
- نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة)، مطبعة سعيد، مشهد، ١٤٠٤هـ.
- البازركان، علي، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، ١٩٥٤م.
- البديري، خضير مظلوم، إيران في ظل انتفاضة التبغ والتبناك، ١٨٩٠-١٨٩٢، دراسة في السياسة الداخلية، دار الضياء، النجف الأشرف، ٢٠٠٩.
- حرز الدين، محمد حسين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، د.م، د.ت.
- الخوانساري، محمد باقر الموسوي، ١٣١٣هـ-١٨٩٥م، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، بيروت، د.ت.
- الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، طبع الدار العالمية، بيروت ١٩٨٥.
- علي الوردي، لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث ١٨٧٦-١٩١٤، د.م، د.ت.
- العاملي، محسن الأمين، أعيان الشيعة، بيروت - لبنان، دار التعارف، ١٤٠٣هـ.
- المحلاتي، ذبيح الله، مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، النجف، ١٣٦٨هـ.
- مطهري، مرتضى، مجموعة آثار، د.م، د.ت.
- المدني، السيد محمود، الميرزا الشيرازي؛ احياء قدرت فتوا، التعريب: محيي قدرة الفتوى، ط ١، مركز الإعلام الإسلامي للنشر والطباعة، قم، ١٣٧١هـ.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ-١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- موقع شبكة كربلاء المقدسة: <http://www.holykarbala.net/books/tarikh/>

haraka-ealmiya/11.html

- <https://ar.wikipedia.org/wiki>.

الرسائل الجامعية:

- المشايخي، علي خضير عباس، إيران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨-١٨٩٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٧ م.

المصادر الأجنبية:

- E.G. Brown, the Persia REVOLUTION 1905-1909, New Impression, London, 1966, p. 15.

المصدر: مجلّة مركز دراسات الكوفة: مج ٢، العدد (٦١)، ٢٠٢١ م، (عدد خاص).

المؤسَّسات الدينية - العلمية في كركوك

**في أواخر العهد العثماني
(دراسة تاريخية وثائقية)**

ماجد محمد يونس

الملخص:

كان القسم الجنوبي من كردستان في طليعة الرقع الجغرافية التي دخل إليها الدين الإسلامي بعد ظهوره أوائل القرن السابع الميلادي، وبدخول هذا القسم من كردستان إلى الدين الجديد ظهرت المساجد في كردستان كونها كانت الركيزة الأساسية ونقطة الانطلاق الأولى لنشر مبادئ الدين الجديد، فبُنيت المساجد بعد ذلك في كردستان رويداً رويداً وتعاظمت أهميتها الدينية والعلمية والثقافية وفق التطور الإنساني وبناء القرى والمدن وحسب الزيادة الحاصلة على نسبة السكان، وأصبحت لتلك المساجد والجوامع الكردية التاريخية مكانة علمية متميزة بين الأوساط العامة للمجتمع الكردي منذ تلك المدة وصولاً إلى حقب التاريخ الحديث ولغاية انهيار الدولة العثمانية بنهاية الحرب العالمية الأولى، ثم فقدت دور العبادة أهميتها العلمية إلى حدٍّ ما بظهور المؤسسات التعليمية الحديثة.

في هذه الدراسة سيبحث أهم المساجد والجوامع والتكايا في سنجق كركوك في أواخر العهد العثماني وفق ما جاء من معلومات وثائقية في دفتر أوقاف ولاية الموصل والتي كانت كركوك جزءاً منها إدارياً، وسيُناقش ما جاء فيها من معلومات تاريخية تخدم تاريخ الكرد الحديث في نهايات العهد العثماني وبخاصة من النواحي العلمية والاجتماعية وإبراز أسماء العلماء في سنجق كركوك، وأهم النتائج العلمية لتلك المساجد والجوامع، ثم تسليط الأضواء على عدد ممن أوقفوا أموالاً منقولة وغير منقولة على بعض تلك المؤسسات الدينية، ثم التطرق إلى التشعبات الإدارية التي سوف تظهر في الدراسة، ثم بيان طبيعة العلاقة بين الدولة العثمانية وأهالي كركوك عبر تلك المؤسسات الدينية

ومدى قيام العثمانيين بالواجبات التي كانت تقع على عاتقهم أمام أئمة وعلماء
ومساجد كركوك بوصفهم الدولة المهيمنة على عراق ذلك الزمن.

ABSTRACT:

The southern region of Kurdistan was among the first geographical areas to embrace Islam following its emergence in the early 7th century CE. With the arrival of the new religion in this part of Kurdistan, mosques began to appear, as they served as the cornerstone and starting point for spreading the principles of Islam. Gradually, mosques were built across Kurdistan, and their religious, scientific, and cultural significance grew in parallel with human development, the construction of villages and cities, and the increasing population. These Kurdish mosques and religious institutions gained a distinguished scholarly status within the Kurdish community from that period until the advent of modern history and the collapse of the Ottoman Empire at the end of World War I. Subsequently, with the rise of modern educational institutions, the scientific role of religious institutions diminished to some extent.

This study explores the most significant mosques,

religious schools, and Sufi lodges (takaya) in the Sanjak of Kirkuk during the late Ottoman period, based on documentary information from the Waqf registers of the Mosul province, of which Kirkuk was administratively a part. The research discusses the historical information provided in these sources, shedding light on modern Kurdish history during the late Ottoman era, particularly in terms of scientific and social aspects. The study also highlights the notable scholars of the Sanjak of Kirkuk and the key scholarly contributions of these mosques and religious institutions. Furthermore, it examines the endowments, both movable and immovable, dedicated by various individuals to some of these religious institutions. The research also delves into the administrative complexities that emerge during the study, and elucidates the nature of the relationship between the Ottoman state and the people of Kirkuk through these religious institutions, as well as the extent to which the Ottomans fulfilled their obligations towards the imams, scholars, and mosques of Kirkuk, given their role as the ruling authority in Iraq at that time.

المقدمة :

تعتبر المساجد والجوامع من أهم المؤسسات الدينية التي ظهرت بانتشار

الدين الإسلامي في كردستان، ولم تكن مجرد دور للعبادة بل كانت بمثابة صروح علمية قامت بدور نشر العلوم والثقافة منذ ظهوره، وملتقى لتبادل الأفكار والرؤى ودراسة الشؤون المتعلقة بحياة المجتمع لا بل منابر سياسية لنشر الوعي السياسي بين المسلمين ودراسة أوضاعهم العامة وتحديد المشاكل التي واجهت المجتمعات الإسلامية ومناقشة شؤون الحكم وتمييز الحكم الرشيد من غيره وما زالت إلى الوقت الحاضر إلى حدٍّ ما رغم تناقص أهميتها بمرور الزمن من النواحي العلمية بظهور المؤسّسات العلمية والدينية والسياسية والاجتماعية الحديثة المتنوعة في الوقت الحاضر كالمدارس الحديثة بمراحلها المختلفة والجامعات ومؤسّسات بمسميات مختلفة والتي حجمت من أهمية المساجد والجوامع في النواحي العلمية والسياسية لتبقى تحتفظ بقيمتها الدينية والروحية أكثر من النواحي الأخرى.

تأتي أهمية هذه الدراسة انطلاقاً من كونها تعتمد على دفتر أوقاف ولاية الموصل العثمانية والتي تحمل الرقم الأرشيفي ١٦٩/١^(١) والمكتوبة باللغة التركية العثمانية في ١٦٠ صفحة، وهي تعد من إحدى أهم السجلات العثمانية التي تبحث في المؤسّسات الدينية في الألوية العثمانية والتي يتم دراستها لأول مرة من قبل صاحب الدراسة، كما أنّ الدراسة تظهر جزءاً مهماً من تاريخ مساجد وجوامع كركوك والعلماء والفقهاء الذين كانوا يديرونها والتي تندر وجودها في مصادر أخرى كونها تُعتبر دراسة وثائقية معتمدة على مصدر أصيل من مصادر دراسة الأوقاف^(٢) في أواخر العهد العثماني.

(١) سيتم نشر محتوى الدفتر هذا كاملة على شكل كتاب من قبل الباحث.

(٢) الوقف لغة تعني (الحبس) عكس التخلية، أمّا إصطلاحاً فتعني التصدّق بشيء لا يورث ولا

وقع الاختيار على هذا الموضوع لأسباب منها: كونها وثائق عثمانية غير مطروق إليها سابقاً، ثم الإيمان بحتمية العثور على الجديد من المعلومات التاريخية فيها والتي تخدم تاريخ كركوك بشكل عام في فتراته الحديثة، وكذلك رغبةً في إبراز تاريخ حقل علمي ديني غير سياسي.

كان تهالك بعض أوراق الدفتر بسبب عامل الزمن والرطوبة والخزن غير الصحيح، وصعوبة فك الخطوط العثمانية المتشابكة جداً، وخلط الكتبه أحياناً بين اللغات التركية والعربية والكردية والفارسية في كتابة معلومات الجوامع والمساجد، وعدم الوضوح في التشعبات الإدارية لسنجق كركوك في أحيان أخرى من العراق التي واجهت الدراسة والتي سعى الباحث جاداً لإزالتها وتوضيح المبهم منها في محاولة لتقديم البحث بالصورة المثلى.

تعتمد الدراسة بشكل أساس على دفتر الأوقاف المشار إليها آنفاً والتي تنقسم في سطورها على عدد من الحقول، منها اسم الوقفية واسم الواقف واسم الشخص الذي كان يُدير المسجد أو الجامع في تلك الحقبة الزمنية، ثم الأموال أو الأملاك التي كانت موقوفة على بعض تلك المؤسسات إن وجدت، ثم تاريخ توثيق الوثيقة بالتواريخ الهجرية والتي حولها الباحث إلى التواريخ الميلادية موضوعة بين أقواس تميزاً عن المادة الأصلية للوثائق، ثم شروط الواقف في بعض الأحيان، ثم الملاحظات التي كانت من الضروري الإشارة إليها في عدد من المساجد والجامع، وعليه يجب التنويه هنا إلى أن العمود الفقري للدراسة هو الدفتر المذكور بما فيها من معلومات مع اعتماد جزئي على بعض المصادر

ذات الصلة والتي سيتم اللجوء إليها لتعريف بعض المناطق أو الشخصيات أو توضيح بعض النقاط المبهمة في الموضوع.

تم فرز الدراسة وتوزيع مفرداتها حسب الجوامع والمساجد بالدرجة الأساس، والجوامع كما هو معروف في العرف الإسلامي أكبر من المساجد من حيث الحجم، كما وتؤدي فيها الصلوات الخمس إضافة إلى صلاة الجمعة، بخلاف المساجد التي تكتفي بإقامة الصلوات الخمس فيها فقط دون صلاة الجمعة، وتم تقسيم الدراسة على مبحثين اثنين ومقدمة توضيحية وخاتمة بأهم الاستنتاجات التي تمخض عنها البحث، تحمل المبحث الأوّل منها عنوان (جوامع سنجد كركوك)، وفيها يتم التطرق إلى ما مذكور من جوامع واقعة في سنجد كركوك مع الأقضية والنواحي والقرى التابعة لها، وحسب الأسبقية التي اعتمد عليها دفتر أوقاف الولاية، أمّا المبحث الثاني والمسمى (مساجد وتكايا ووقفات سنجد كركوك)، فيها تم دراسة ما أشير إليها من مساجد وتكايا ووقفات سنجد كركوك والأقضية والنواحي والقرى التابعة لها.

تمهيد: كركوك في العهد العثماني:

يعود تاريخ تأسيس كركوك إلى عهود الكوتيين والكاشين في القرن السادس عشر قبل الميلاد وقد كانت ومنذ القدم مركزاً لتقاطع الحضارات والأمم، وهي مدينة تقع في سهل على نهر (خاصة صو)، على بُعد ٢٧٠ كم شمال شرق بغداد، ورد ذكرها في كتب الجغرافيين اليونان بصيغة (كرخورا) و(كوركورا) وفي العهود المسيحية سُميت بـ(كرخا بيث سلوخ)، ثم أطلقت

عليها اسم (كرخيني) في العهد الإسلامي^(١).

وقد انضمت كركوك إلى الحكم والإدارة العثمانية سنة ١٥١٦م وأصبحت مركزاً لأيالة شهرزور في القرن السابع عشر والثامن عشر وقاعدة عسكرية مهمة للعثمانيين وشن الحملات منها في أوقات الحروب، كما واستوطن العثمانيون فيها موظفون وأداريون أترك مع عوائلهم لإدارة شؤون الدولة الرسمية، وحظيت باهتمام بالغ نظراً لأنها كانت حلقة وصل للطرق التجارية الواقعة بين بلاد فارس والبحر المتوسط، إضافةً إلى أنها كانت مربوطة بشبكة واسعة من الطرق التي كانت تربطها مع المدن العراقية في الوسط والجنوب^(٢)، وفي زمن حملة السلطان سليمان القانوني للسيطرة على بغداد سنة ١٥٣٤ وإخراجها من سيطرة الصفويين، مرَّ السلطان بكر كوك وأسكن فيها عدداً من العوائل التركية لتعزيز الإدارة العثمانية فيها، وفي تلك الفترة كانت حدودها الإدارية كمركز لأيالة شهرزور تمتد من بغداد جنوباً إلى الموصل والعمادية شمالاً، وبلاد فارس شرقاً، وكانت تتبعها سناجق عديدة، ففي النصف الأول من القرن الثامن عشر وصلت عدد سناجقها إلى (٣٢) سناجقاً، علماً أنَّ هذه الأيالة كانت كسائر الأيالات في الدولة العثمانية مربوطةً بشكل مباشر بإستانبول، ويعين لها الوالي من هناك، وفي نهاية القرن السابع عشر تمكن البابانيون من السيطرة على عدد من سناجقها ومنها حرير، درنة، زنكنة، كويسنجق، أربيل، قرداغ، ثم تمكن البابانيون من إحكام قبضتهم على مدينة كركوك سنة ١٦٩٠^(٣)، وفي النصف

(١) د. نرmin أمين، كركوك الشواهد والمواقع في القرنين (١٨-١٩): ٢٠٠٩، ص ١٦١. د. منذر

الفضل، حقوق الإنسان والتنوع الإثني لسكان كركوك، ٢٠٠٩، ص ١٧٥.

(٢) محمد فاتح، كركوك ١٩٥٩، رويداوه كاني ١٤ ته موزى ١٩٥٩، ج ١، ٢٠١٩، ص ١٦.

سعدى عثمان حسين، كردستان الجنوبية في القرنين (١٧-١٨)، أربيل ٢٠٠٦، ص ٦١.

(٣) خليل علي مراد، العراق في العهد العثماني الثاني (١٧٥٠-١٥٣٨)، دراسة في الإدارة العثمانية

الثاني من القرن التاسع عشر حولت إلى أحد السناجق المهمة التي تألفت منها ولاية الموصل وفق تنظيمات مدحت باشا الإدارية في العراق (١٨٦٩- ١٨٧٢)^(١)، استمرت تبعيتها فيما بعد لنفس الولاية في التشكيلة الأخيرة لها في سنة ١٨٧٩ أواخر العهد العثماني، وقد اتبعتها أفضية كركوك ورواندوز وأربيل والصلاحية (كفري) وكويسنجق ورائية^(٢)، مع ١٧ ناحية و١٧١٢ قرية^(٣)، ثم أصبحت بعد تشكيل الدولة العراقية الحديثة مركزاً لمحافظة كركوك^(٤).

ورغم أن الدولة العثمانية لم تكن ترى في نفسها مسؤولية عن التعليم بشكل مباشر إلا أنها كانت تهتم بالمؤسّسات الدينية الوقفية والتي كانت قد احتوت الجوانب التعليمية وخاصة التعليم الديني في الجوامع والمساجد والتكايا والمحصورة للذكور دون الإناث^(٥)، وأصبحت الجوامع والمساجد مركزاً للتربية والتعليم والثقافة في كركوك شأنها شأن المناطق الأخرى^(٦)، غير أنها قامت ببناء مدرسة رشدية في مركز كركوك وفي كفري سنة ١٨٧٠، ثم مدرسة مهنية سنة ١٨٧١، وفي سنة ١٨٩٨ افتتحت ثلاث مدارس أخرى في أحياء (القورية والقلعة وكوبري باشي)^(٧).

والحياة الاقتصادية، ط١، بيروت ٢٠١٨، ٦٨-٦٧.

(١) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية عهد داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، بغداد ٢٠١٣، ص ٣٥٧-٣٥٨.

(2) Sezen, 2006, s300. Eroglu, 2012, s113

(3) marufoglu, 1998, s39.

(٤) جمال بابان، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية: بغداد ١٩٨٦، ص ٢٤٧.

(٥) گوران ئبراهيم ساله، ٢٠٠٧، كهركوك له سه رده مي ده وله تي عوسايندا له نيوان سالاني ١٨٧٦-١٩٠٩، ده زگاي حه مدي، سلياني، ص ١٤١.

(٦) مجموعة من الأكاديميين العراقيين، كركوك مدينة القوميات المتآخية، وقائع الندوة التي عقدها للبحوث والدراسات في لندن، ٢٠٠٠، ص ١٥٥.

(٧) بهروز، سمكو، ميژوي زمانه واني وگورانه روشنيري ه كانى ناوچه ي كهركوك، گوفاري

المبحث الأول:

جوامع سنجد كركوك

امتازت كركوك في العهد العثماني بجوامعها ومساجدها وتكاياها التي كانت قبلةً لطالبي العلم لتعليم القرآن الكريم والعلوم الدينية في حجرات الجوامع والتكايا، وكانت تُعقد فيها مجالس أدبية وثقافية وسياسية، أدّى ذلك إلى أن تُصبح موطناً للعلماء والشعراء والمتصوفين والشخصيات الأدبية والسياسية^(١).

احتوت كركوك والمناطق التي اتبعتها إدارياً على عدد لا بأس به من الجوامع قياساً بتلك الفترة الزمنية، والتي كان لها الدور الرئيس في التربية والتعليم ومحاربة الأمية قدر الإمكان، ورفد المجتمع بالعلماء كما ذُكر سابقاً، وقد ورد في (قاموس الأعلام) أنه كان هناك (٣٦) جامعاً ومسجداً في كركوك، مع (١٥) تكية وزاوية^(٢)، وقد وردت في دفتر وقف ولاية الموصل موضوعة الدراسة معلومات على أغلب جوامعها تقريباً مع معلومات تاريخية مهمة حولها، وخاصةً حول الأئمة والخطباء والمؤذنين والخدمّة ووظائف أخرى لا وجود لها في المؤسّسات الدينية في الوقت الحاضر، وقد عدت دفتر الوقف المذكور تلك الجوامع وما يخصها كما يأتي:

كهركوك، ژماره ١، سالی پینجهم، كهركوك ٢٠٠٣، ص ١٦٠.

(١) مصطفى صالح كريم، الحياة الأدبية والثقافية في كركوك، في: كركوك، مدينة القوميات المتآخية، ط ١، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل، ٢٠٠٩، ص ١٤٥.

(٢) سامي، ١٨٩٨، ٣٨٤٦.

١. جامع حضرة النبي دانيال ﷺ :

يُعتقد أنّ هذا الجامع هو من أقدم الجوامع التاريخية في كركوك لكونه مبنياً في قلعتها في القرن الخامس عشر الميلادي، والتي هي البقعة الإستيطانية الأولى في كركوك والتي منها بدأ الانتشار إلى المناطق الأخرى، وقد بنيت مأذنتها بالطابوق لتكون نقطة استدلال، وكانت تُدار من قبل علماء من قرية عسكر الكردية^(١)، وكان في الأصل ديراً بناه المسيحيون باسم دير دانيال، ثم بنيت على أنقاضها جامعاً بنفس الإسم في العهد الإسلامي^(٢).

جاء ذكرها في دفتر وقف ولاية الموصل في تسلسلها المرقم (٤٣١) وقد تمت الإشارة إلى أبرز أوقافها التي شملت حماماً إضافةً إلى محصولات الأرض الزراعية الواقعة خارج المدينة والحصلات الزراعية لقرية ال (تسعين) (الآن هي من أحد أحياء مركز مدينة كركوك)، كما ورد فيها أنّ سيد^(٣) عبد الفتاح وسيد محمود^(٤) لهما حق التصرف بأوقاف الجامع والإمامة فيها، كتب ذلك

(١) قرداغي، ٢٠٠٤، ص ١٠. العطية، ٢٠٠٩، ص ١٦٩.

(٢) صاري كهية، ٢٠١٥، ١٧.

(٣) هنا المقصود من كلمة (سيد) هو للإشارة إلى أنّه من الأسياد من حفدة ونسل الرسول الكريم ﷺ ولا تعني (السيد) باللف لام التعريف التي تُستخدم للتقدير والاحترام، وكانت ظاهرة (التسيّد) قد نفشت في الدولة العثمانية وخاصة في القرن السابع عشر، وأدعى الآلاف من المواطنين التسيّد وذلك لأنّ الأسياد كانوا معفونين من دفع الضرائب للدولة، لدرجة أصبحت معالجة هذه الظاهرة من أولى أولويات الإصلاح لدى العثمانيين لأنّها هدّدت الاقتصاد العثماني، واقترح عدد من المصلحين وعلى رأسهم (عزيز أفندي) سنة ١٦٢٩ للسلطان العثماني مراد الرابع ١٦٢٣-١٦٣٩ الوقوف ضد ظاهرة التسيّد للنهوض بالدولة العثمانية من جديد. للمزيد يُنظر: i.Kanunname-I Sultani li-aziz Efendi, Rhoads Murphey, (Harvard University: 1985), S 133-137

(٤) رغم أهمية الكتابات العثمانية للتاريخ بشكل عام، إلّا أنّها تحمل أحياناً بعض المساوئ

بتاريخ ٢٧ شوال سنة ٢٤٧هـ^(١)، (٢٩ آذار ١٨٣٢)^(٢)، ثم جاء تحت خانة الوقوعات^(٣) أن المومى إليهما توفيا وقد خلفهما في حق التصرف بالجامع وأوقافها والإمامة فيها المفتي سيد حسن سامح أفندي ابن الحاج عبد الغني بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ٣١٩هـ، (٣٠ حزيران ١٩٠١)، ثم جاء أن عائدات الحمام والأراضي المزروعة المذكورة وقف للجامع ما عدا الحاصلات الجديدة لقرية تسعين بل يتم الاكتفاء باستخراج الحصة القديمة للجامع من القرية المذكورة ويتصرف بها المومى إليه سيد حسن سامح أفندي^(٤) بإرادة عليّة^(٥)، في ٢٩ شعبان سنة ٣٢٨هـ، (٤ أيلول ١٩١٠). (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ٥٨).

وفي موضع آخر وصفحة أخرى من دفتر الوقف وتحت التسلسل (٤٦٨) ورد أن عبد الباقي أفندي وجوهر أفندي قد أوقفا نصف حصة العُشر لجامع النبي دانيال ﷺ في التاريخين ٢٥ جمادى الأولى سنة ٢٧١هـ، و ٢٩ جمادى الأولى سنة ٢٧٥هـ، (١٢ شباط ١٨٥٥ / ٣ كانون الثاني ١٨٥٩)، ثم تستمر الوثيقة

والأخطاء ومنها اكتفاء الكتبة العثمانيين غالباً بذكر الأسماء بشكل أحادي مقرونةً بلقب الأفندي، وأحياناً الثنائية للأشخاص ذات العلاقة بالموضوع، وهذا أدى إلى عدم التعرف على نسلهم من بعدهم.

(١) تم تدوين التواريخ في دفتر الوقف مكتفية بثلاثة أرقام فقط للمئات والعشرات والآحاد دون الإشارة إلى الألفية وذلك للاختصار.

(٢) تم تحويل كافة التواريخ الهجرية الموجودة في الدراسة إلى التواريخ الميلادية من قبل الباحث.

(٣) هذه الخانة أو الحقل من دفتر الوقف مخصص لحوادث الوفاة فقط وللأشخاص والموظفين ذات العلاقة بالأوقاف حصراً دون غيرهم.

(٤) الأفندي: المثقف الذي يجيد القراءة والكتابة في العهد العثماني، (الجميل، ١٩٩٩، ص ٣١).

(٥) بأمر من الدولة.

وتشير إلى أنّ الباب العالي وجهت وأعطت تلك المهمة لساقي أفندي ابن عبد الباقي أفندي بعد وفاة الأخير وقد تم تدوين هذا الأمر بتاريخ ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٣٢٤هـ، (١٧ آب ١٩٠٦)^(١) أمّا خَدَمَتُها فهم: جوهر أفندي حسين أفندي، وعلي أفندي بتوصية وتوجيه من النظارة (الوزارة)، وقد دُون ذلك بتاريخ ١٢ رمضان سنة ٣٣٣هـ، (٢٣ تموز ١٩١٥)، كما يتم صرف (١١) قرشاً شهرياً لخدام آخر باسم مُلا خليل بن محمّد علي بن رستم بأمر من الباب العالي في ١ رجب سنة ٣٢٥هـ، (٩ آب ١٩٠٧)، فيما خصص (١٩) للقنديلجي^(٢) في ٣٠ محرم سنة ٣٢٦هـ، (٣ آذار ١٩٠٨) وذلك في التسلسل (٤٦٩)، ثم وفي مكان آخر من الوقفية وتحديدًا في التسلسل المرقم (٥٠٩) جاء أنّه تم الإبقاء على خدام القناديل محمّد علي بن رستم بأمر من الباب العالي مقابل (١١) قرشاً بعلم من نظارة المالية الجليّة بتاريخ ١٥ رجب سنة ٣٢٥هـ، (٢٣ آب ١٩٠٧)، وأنّ السيّد درويش محمّد أفندي والسيّد درويش أحمد أفندي يعملان كواعظين وناصحين في الجامع^(٣) وقد دُون هذا بتاريخ ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٢٧٣هـ، (١٦ شباط ١٨٥٧). (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ٦٨، ٦٢).

٢. جامع الحاج حسين:

من الجوامع التاريخية في كركوك وتقع في مركزها، ورد في التسلسل المرقم

(١) يُلاحظ عدم تسلسل الكتابات زمنياً، وإنّ المعلومات الواردة في الدفتر فيها تقديم وتأخير على بعضها البعض، وحرصاً من الباحث على دراسة الوثائق كما هي وكما وردت فإنّه سوف يرتب ويسلسل الأحداث مثلما جاء دون المساس بها.

(٢) المسؤول عن الإنارة وإشعال القناديل في الجامع للإضاءة.

(٣) الواعظ يختلف عن الخطيب في أنّه كان يعرض الناس في أوقات غير محددة ولكن كان في أوقات العصر غالباً.

(٣٩٢) من دفتر وقف الولاية أنَّ الجامع المذكور يتبع أوقاف كركوك التابع لنظارة (لوزارة) الأوقاف وأنَّ سيد عبد الفتاح وسيد عبد الغني يتصرفان بأمور الجامع كواعظين وناصحين وذلك منذ تاريخ غرة شوال سنة ٢٧٠هـ، (٢٦ حزيران ١٨٥٤)، ويُصرف لهما (٦) آقجات^(١)، وقد تم وقف قرية الحاج إسحاق للجامع^(٢)، ثم يشير دفتر الوقف إلى أنَّ سيد عبد الغني مات وترك ابناً صغيراً، أمّا عبد الفتاح المذكور فقد توفي بلا ولد ولهذا سيُكلف الملا محمد ابن عبد الله لأداء الخدمة نيابة عنه وعن الصغير المذكور أيضاً بتوجيه وأمر من الدولة العلية، بتاريخ ٢٥ رمضان ٣٠٩هـ، (٢٢ نيسان ١٨٩٢)، ثم وفي التسلسل (٣٩٤) أُشير إلى أنَّ المؤذن في هذا الجامع هو لطف الله أفندي ابن يوسف ويصرف له آقجة واحدة يومياً من تاريخ ١٤ صفر ٣٢٥هـ، (٢٨ آذار ١٩٠٧)، وبعد وفاة المومى إليه خلفه في وظيفته مصطفى أفندي بإرادة عليّة وتوصية النظارة بتاريخ ٢٠ كانون الثاني سنة ٣٣٤هـ، (١٩١٥). (دفتر وقف

(١) كانت أصغر وحدات النقود الفضية العثمانية، وتعني البياض، ضربت أوّل نموذج لها في عهد السلطان أورخان سنة ١٣٢٨. للمزيد ينظر: د. أحمد الصاوي، النقود المتداولة في مصر العثمانية، ط١، (القاهرة: ٢٠٠١)، ص ٧٩.

(٢) الأراضي الوقفية هي الأراضي التي خصصت زراعتها ووارداتها للإنفاق على الجوامع والمساجد والمدارس والمراقد سواءً من قبل الدولة أو الأشخاص وأحياناً لجوامع ومؤسسات دينية بعيدة جغرافياً عن الأراضي، هذا، وللمثال لا الحصر تم وقف كامل أراضي قرية أوجوش في كركوك للحرمين الشريفين. (مراد، ٢٠١٨، ص ٢٢٠)، وجزء من عوائد الأراضي الوقفية كانت تُصرف كمُرتبات شهرية لبعض المدرسين فيهنّ وخاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بسبب الفقر وضيق العيش. (يوسف، ٢٠١٤، ص ٨١-٨٢)، جدير بالذكر أنَّ السلطان العثماني سليم الأوّل (١٥١٢-١٥٢٠) كان قد استولى على الحجاز وأصبح خادماً للحرمين الشريفين وخليفة للمسلمين بعد معارك مرج دابق ١٥١٦ والريدانية ١٥١٧. (هريدي، ١٩٨٧، ص ٥٤).

ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ٥٢).

٣. جامع الإمام قاسم:

من الجوامع التاريخية في كركوك، شُيّد في العهد العثماني وتحديدًا في سنة ١٦١٤ في حي الإمام قاسم على مساحة حوالي ٢٠٠٠ متر^(١)، وقد تمّ تعميره في سنة ١٠٣١ هـ^(٢)، وهذا ما ورد في أبيات شعرية كتبت على باب الحرم، ويحتوي الجامع على مقبرة دفن فيها الإمام القاسم المنسوب إلى الإمام القاسم بن موسى الكاظم بن جعفر عليه السلام رغم أنّ الإمام القاسم ابن موسى الكاظم مدفون في مدينة الحلة، وشخصيات تاريخية أخرى ومنهم القائد العثماني طوبال باشا^(٣)، وبخصوص هذا الجامع ورد ذكرها تحت التسلسل (٣٩٩) في دفتر الوقف موضوعه الدراسة، وفيها تمت الإشارة إلى أنّ الجامع تابع لأوقاف كركوك/ شهرزور^(٤) والتابع لنظارة الأوقاف، وأنّ جامع الإمام القاسم (قدس سره العزيز) يقع خارج قلعة كركوك^(٥)، وتم التأكيد على أنّ العالم الملا محمّد أفندي يقوم بوظيفة الإمامة في الجامع ويُصرف له (٤) آقجات يوميًا، دُوّن هذا بتاريخ ٢٥ شعبان سنة ٢٧٠ هـ، (٢٢ أيار ١٨٥٤)، وبعد أن توفي المومى إليه خلفه في الوظيفة عثمان أفندي بإرادة عليّة بتاريخ ٩ جمادى الآخرة سنة ٣١٢ هـ، (٧ ك ١

(١) ديوان الوقف السني، دليل المساجد التراثية، ص ٣٢٠.

(٢) يُصادف هذا التاريخ السنوات ١٦٢١-١٦٢٢ الميلادية.

(٣) انظر: صاري كهية، ٢٠١٥، ٢٨-٣٠. طوبال تعني الأعرج، من القادة العسكريين العثمانيين، ولد سنة ١٦٩٢ م، تدرج في المناصب حتى وصل إلى منصب الصدارة العظمى سنة ١٧٣١. (الدهان، ٢٠١٩، ص ١٣٥).

(٤) معلوم أنّ كركوك كانت مركزاً لولاية شهرزور.

(٥) تقع القلعة في مركز المدينة، وهي من أقدم أجزاء المدينة، ويرجع تاريخها إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ويضم قبور ثلاثة أنبياء وهم (دانيال وحُنين وعُزير عليهم السلام). (أوغلو، ٢٠١٥).

١٨٩٤)، ثم تم توجيه الإمامة إلى ابنه عبد القادر أفندي (ابن عثمان أفندي)، بإرادة عليّة في ٨ رجب سنة ٣٢١هـ، (٢٩ أيلول ١٩٠٣). (دفتر وقف ولاية رقم ١/١٦٩، ص ٥٤).

وفي موقع آخر من الدفتر وتحديدًا في التسلسلين (٤٧٧) و(٤٧٨) ورد أنّ جامع الإمام القاسم (قدس سره) يقع أمام قلعة كركوك، وهي تابعة لنظارة الأوقاف الهمايونية^(١)، وكانت وظيفتها له، كُتب هذا في ٨ رجب سنة ٣٢١هـ، (٢٩ أيلول ١٩٠٣)، ثم أعطيت الوظيفتان لابنه عثمان أفندي في ٦ صفر سنة ٣٢٤هـ، (٣١ آذار ١٩٠٦)، مقابل (٥٠) قرشاً^(٢) شهرياً، ثم وبعد وفاة عثمان أفندي أعطيت الوظيفتان لعبد القادر أفندي ابن عثمان أفندي ببراءة عالية وبخط همايوني (بأمر سلطاني) بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٢٦هـ، (٢٣ حزيران ١٩٠٨) بالنسبة للإمامة، في حين أنّ وظيفة الخطابة وجهت إليه في ٢١ رمضان سنة ٣٢٧هـ، (٥ ت ١ ١٩٠٩)، أمّا وظيفة صلاخوان (قارئ الصلاة) المدرج في التسلسل (٤٧٩) فتم تجديد قيدها باسم محمد أمين بن عمر بإرادة من الدولة العلية مقابل (٣٠) قرشاً شهرياً، كُتب هذا بتاريخ ٢٢ شوال سنة ٣٢٨هـ، (٢٦ ت ١ ١٩١٠). (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ٦٤).

(١) هنا عبارة نظارة الأوقاف الهمايونية تعني (وزارة الأوقاف السلطانية).
(٢) عملة عثمانية ضربت لأول مرة في عهد السلطان سليمان الثاني، والكلمة مأخوذة من كلمة غروشر العملة الألمانية، وكلُّ مائة قرش كانت تعادل ليرة ذهبية عثمانية. للمزيد ينظر: الباوي، المصدر السابق.

٤. جامع أبي بكر:

في التسلسل المرقم (٥٢١) ورد أنّ جامع أبي بكر يقع في قلعة كركوك في حي آغالق وهي تابعة للطريقة الرفاعية والشيخ أبي الهدى، ويجري بناؤها وإنشاؤها مجدداً، وقد جُدد توجيه وإعطاء وظيفة الخطابة فيها لمحمد رافع أفندي بالخط الهمايوني (بأمر سلطاني) بتاريخ ٢٣ رجب سنة ١٣٢٦هـ، (٢٠ آب ١٩٠٨). (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ٦٨).

ثم جاء تحت التسلسلين (٨٠٣)، (٨٠٢) على أنّها مسجلة ضمن أوقاف سنجق كركوك، وتقع في حي الآغالق التابع للقلعة وأنّ عبد الحميد أفندي مكفول بوظيفتي الإمامة والخطابة في الجامع بخط همايوني (بأمر سلطاني)، وراتب شهري مقداره (٧٠) قرشاً وقد دون هذا الأمر في ٣ ربيع الآخر سنة ١٣٣٢هـ، (٢٨ شباط ١٩١٤)، وفي خانة الملاحظات من الدفتر جاء أنّ الراتب الشهري لوظيفتي الإمامة والخطابة هو (٧٠) قرشاً بعلم من إدارة المحاسبات العمومية^(١) ومنذ تاريخ ٢٤ شوال سنة ١٣٢٩هـ، (١٧ ت ١٩١١)، بقرار أعضاء شورى الأوقاف بتاريخ ٣٠ كانون الثاني سنة ١٣٢٩هـ، (١٩١٤)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٠٤-١٠٥).

٥. الجامع الكبير:

من إحدى الجوامع القديمة في كركوك وحسب الدراسات الأثرية فإنّها بنيت على أنقاض كنيسة قديمة، ولهذا فإنّ الجامع يُسمّى بجامع السيدة مريم في بعض الأحيان، وهو يرجع إلى القرن الثالث عشر^(٢)، ويقع في حي الحمام في (١) هذه الإدارة مختصة بتتبع وتأكيد صحة النفقات في الدولة. (لومايزية، ٢٠٢٠، ص ٢٠٩). (٢) باقر؛ سفر، ١٩٦٥، ١١.

قلعة كركوك، وعلى مساحة ١٥٠٠م^٢، وقد أُسِّس فيها مدرسة دينية في العهد العثماني في سنة ١٦٥٧م وسميت بمدرسة الشاه يغازي الذي كان والياً على كركوك في تلك الفترة^(١).

وردت معلومات قليلة جداً في دفتر وقف الولاية بخصوص الجامع الكبير في كركوك، ففي التسلسل المرقم (٥٢٥) جاء أنَّ الملا محمَّد أفندي هو من يشغل وظيفة المؤذن فيها ومقابل ذلك يُصرف له (٨) آقجة فضية، وقد دُوِّنَ هذا بتاريخ ١١ صفر سنة ٢٧٧هـ، (٢٨ آب ١٨٦٠)، وبعد وفاة الملا محمَّد أفندي المذكور حلَّ محلَّه في أداء وظيفته ولده الكبير فخر الدين أفندي بأمر من الباب العالي بتاريخ ٢٣ محرم سنة ٣٢٧هـ، (١٣ شباط ١٩٠٩)، كما ورد أنَّ (١٢) حصة من واردات قرية التسعين الواقع بجوار كركوك وقف للجامع (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ٧٠).

٦. جامع الملا مصطفى:

يُعتبر من جوامع كركوك الأثرية، بُنيت في أواخر العهد العثماني في سنة ١٨٨٤-١٨٨٥م من قبل الملا الحاج مصطفى آل قيردار في منطقة السوق الكبير، ويضم قبره أيضاً إلى جانب قبر الحافظ الكبير الملا محمَّد الكركوكي^(٢)، ورد ذكر هذا الجامع في التسلسل المرقم (٨٠٦) محدداً موقعها الجغرافي على أنَّها تقع في حي المصلَّى في كركوك، مشيراً إلى أنَّ وظيفة الخطابة قد جُدد قيدها وتسجيلها باسم الملا أحمد أفندي شكوره بخط همايوني في ٤ ربيع الآخر سنة ٣٣٢،

(١) صاري كهية، ٢٠١٥، ٢٢-٢٣.

(٢) ديوان الوقف السني، دليل المساجد التراثية، ص ٣٢٢؛ صاري كهية، ٢٠١٥، ١٠٠-١٠٣.

(١ آذار ١٩١٤) براتب شهري قدره (٢٠) قرشاً بعلم من إدارة المحاسبات العمومية في ٢٨ شوال سنة ١٣٢٩هـ، (٢١ ت ١ ١٩١١)، وجاء تحت خانة الملاحظات أنّه يتم صرف (٧٠) قرشاً لمهمتي الإمامة والخطابة، (٢٠) قرشاً للخطابة والبقية وهو (٥٠) قرشاً للإمامة بقرار من شورى الأوقاف الصادر في ٢٨ كانون الأوّل سنة ١٣٢٩هـ، (١٩١١)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٠٤-١٠٥).

وفي موقع آخر من الدفتر جاء أنّ وظيفة المؤذن كانت قد وجهت إلى محمّد أفندي بتوجيه من النظارة (الوزارة) بقرار من دائرة المحاسبات العمومية براتب قدره (٤٠) قرشاً شهرياً، كُتب هذا في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٣٢هـ، (١٩ نيسان ١٩١٤)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٠٦).

٧. جامع الحاج حسين توقا تلي:

من الجوامع المشهورة في كركوك في أواخر العهد العثماني، ورد ذكرها على أنّها واقعة في حي بريادي بكر كوك، ويتم صرف مبلغ (٤٠) شهرياً (لم يتم الإشارة فيما إن كانت قروشاً أم آقجات) لوظيفة الإمامة في الجامع، و(٣٠) لوظيفة الخطابة، و(٣٠) لوظيفة المؤذن والخادم معاً وذلك تحت التسلسلات (٨٥٢، ٨٥١، ٨٥٠)، سُجل ذلك بتاريخ ٢١ نيسان سنة ١٣٣٠هـ، (١٩١٢)، من دون الإشارة إلى أسماء من كانوا يؤدون تلك الوظائف، وفي خانة الملاحظات ورد أنّه تم الحصول على سجلات وقفية الجامع هذا وبمقتضاها أوقف رجل باسم محمّد المقداد ثلث أمواله وخصصها للوظائف المذكورة بعلم مديرية المحاسبات العمومية، وقد أرّخ هذا الخبر في ٣ محرم سنة ١٣٣٣هـ، (٢٠ ت ٢٠٢).

١٩١٤)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١١٠-١١١).

٨. جامع فرهاد زاده:

من الجوامع التاريخية في كركوك، شَيَّده الحاج سليمان فرهاد سنة ١٨١٨ م^(١)، أخذ جامع فرهاد زاده والتي تقع عند مدخل سوق الصوابين^(٢) نصيباً وافراً من دفتر الوقف موضوعه البحث قياساً بغيرها من الجوامع، فقد ورد ذكرها في أكثر من مكان ضمن الدفتر المذكور وبمعلومات وافرة والتي تدل على أهميتها ودورها الديني والعلمي في كركوك، ففي التسلسل المرقم (٨٤٧) من دفتر الوقف جاء ذكر هذا الجامع على أنها أسست مع مدرسة من قبل فرهاد زاده الحاج سليمان جلبي بن الحاج إسماعيل أفندي وأخيه الحاج عبد القادر، وأنه تم وقف سائر منازل وعقارات فرهاد زاده وأخيه والمعلومة الحدود للجامع^(٣) وكان سليمان أفندي يقوم بتولي الأمور فيهما، ولما توفي أنيطت مهامه لابنه داوود أفندي بإشارة عليّة وتوصية من النظارة (الوزارة) في ٣٠ ربيع الأوّل سنة ١٣٣٣، (٤ شباط ١٩١٥)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١١٠-١١١)، ثم ورد في صفحة لاحقة وتحت التسلسل (٨٧٠) أنّ الجامع تقع في حي جيقور (حي تقع في منطقة الصوب الكبير في كركوك) بكركوك وأنّ مهام الخطابة فيها أعطيت لبهاء الدين أفندي بالخط الهمايوني (بأمر سلطاني) في ١٧ صفر سنة ١٣٣٣، (٣ ك ٢ ١٩١٥)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩،

(١) صاري كهية، ٢٠١٥، ٦٨.

(٢) أطلق التركمان في كركوك على هذا الجامع اسم (نقشلي مناره جامعي). يُنظر: أغلو، ٢٠٠٧،

ص ٩٤، ص ٥٨).

(٣) قد يكون سبب توقيفها لكافة أملاكها للجامع راجعاً إلى أنّها بلا نسل، أو ربّما بلا ذكور.

ص ١١٢-١١٣).

ثم وفي التسلسلات من (٩٩٢) وصولاً إلى التسلسل (١٠٠) وردت معلومات أخرى حول هذا الجامع، ففي التسلسلين (٩٩٢) و(٩٩٣) تمت الإشارة إلى أنّ القيد قد تم تجديده لبهاء الدين أفندي بخط همايوني (أمر سلطاني) كإمام وخطيب في ١٧ صفر سنة ٣٣٣هـ، (٣ ك ٢ ١٩١٥)، ويتم صرف (١٢٠) قرشاً شهرياً مقابل وظيفتي الإمامة والخطابة بعلم مديرية المحاسبات العمومية، وفي التسلسل (٩٩٤) ورد أنّ المدرس في هذا الجامع يأخذ مبلغ (١٠٠) قرش شهرياً دون الإشارة إلى اسم المدرس والذي قد يكون بهاء الدين نفسه في الأرجح، وفي التسلسلات (٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧) ذكر أنّ (٧٥) قرشاً يتم صرفها شهرياً لمن يشغل وظائف (المؤذن وصلا خوان - قارئ الصلاة والتساييح بعد الصلاة - وعشر خوان - قارئ القراءات القرآنية العشرة) دون الإشارة إلى اسمه أيضاً، وفي التسلسل (٩٩٨) تم التأكيد على أنّ خادم الجامع الشريف يأخذ مبلغ (٧٥) قرشاً شهرياً دون الإشارة إلى اسمه، وفي التسلسل الذي يليه ورد أنّ سليمان أفندي كان يقوم بتولي أمور الجامع، وفي خانة الوقوعات جاء أنّه عندما وافاه الأجل أخذ مكانه بتولية أموره ابنه داود أفندي بأمر من الدولة العلية وتوصية من النظارة، وأنّ الواقفين فرهاد زاده وأخاه عبد القادر قد أوقفوا جميع المنازل والعقارات المعلومة الحدود للجامع هذا.

وفي التسلسل رقم (١٠٠) جاء أنّ وظيفة الإمامة قد جُدد قيدها لبهاء الدين أفندي مقابل (٦٠) سنوياً (لم يرد فيما إن كانت (٦٠) قرشاً أم آقجات،

لكن الراجح هو أنَّ المبلغ هو آفجة كونها سنوية ومعلوم أنَّ الآفجة كانت أكثر قيمة من القروش)، دُوِّن في ١٦ محرم سنة ٣٣٤هـ، (٢٣ أيلول ١٩١٥)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ١١٦-١١٧).

٩. جامع الحاج إلياس:

يقع الجامع في شارع صلاح الدين في حي الصوب الكبير، لا يُعرف تاريخ تشييده، غير أنَّ دائرة الأوقاف والشؤون الدينية هدمت بنيته القديمة مع جامع ملاصق لها وشيّد مكانها جامعاً واحداً وبنفس الاسم^(١)، وهي من ضمن الجوامع التي حظيت بكمٍّ لا بأس بها من المعلومات في دفتر الأوقاف، فقد تم تحديد موقعها الجغرافي على أنَّها تقع بجوار قلعة كركوك وأنَّ الزاوية السفلى منها تضم المرقد الشريف لحضرة الإمام أحمد^(٢)، وإنَّ وظيفة الإمامة فيها تُدار من قبل مولوي شيخ محمد حمدي دده أفندي براتب قدره (٦٠٠) قرش سنوياً، دُوِّن هذا بتاريخ ٨ ربيع الآخر سنة ١٢٩٦هـ، (٣١ آذار ١٨٧٩)، ذُكر ذلك في التسلسل المرقم (١٠٤٨) من الدفتر المذكور، وفي التسلسل الذي يليه (١٠٤٩) تم التأكيد على أنَّ الشخص المومى إليه يقوم بتأدية وظيفة الخطابة أيضاً في هذا الجامع براتب سنوي قدره (٣٠٠) قرش، كُتِب هذا في ١٨ ربيع الآخر سنة ١٢٩٦هـ، (١٠ نيسان ١٨٧٩)، كما يتم صرف مبلغ (٣٠٠) قرش للمؤذن فيها دون الإشارة إلى اسمه، و(٣٠٠) قرشٍ للذي يقوم بوظيفة (قيّم وفرّاش - الخادم والمنظف) وذلك في التسلسلين (١٠٥٠) و(١٠٥١)، ثم جاء

(١) صاري كهية، ٢٠١٥، ١٩٢.

(٢) لم يوفق الباحث في ترجمة حياة الشيخ المذكور لعدم ذكر اسم أبيه في دفتر الوقف ولوجود الكثير من الشيوخ ممن يحملون هذا الاسم.

في خانة الملاحظات أنّه بعد وفاة دده أفندي خلّف بناته (كُبرى ومريم وفاطمة) اللاتي قررن إعطاء العهدة وتولية الأمور لمحمد بن محليّة بعد ثبوت أهليته شرعياً وبعلم من النظارة الجليلة. (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٢٢-١٢٣).

١٠. جامع السيّد عبد الرحمن أفندي:

حظي الجامع المذكور بمعلومات لا بأس بها في دفتر الوقف موضوعة الدراسة، فقد ورد في التسلسل المرقم (١٠٥٦) أنّ الجامع يقع في كركوك وفيه يتم إحياء الطريقة العلية القادرية بوجود مراقداً المشايخ الكرام الشيخ محمود والشيخ أحمد (قدس سرهما) فيها، وقد بني الجامع من قبل العالم عبد الرحمن أفندي، ويقوم بمهمة الخطابة فيها الشيخ علي أفندي ابن الشيخ عبد الرحمن أفندي، ثم جاء في حقل الوقوعات أنّ المومى إليه (الشيخ علي) قد وافاه الأجل فخلفه في مهامه ابنه محمد حبيب أفندي بخط همايوني (بأمر سلطاني) في ١٦ رمضان سنة ٣٣٣هـ، (٢٧ حزيران ١٩١٥)، ثم ورد في التسلسل (١٠٥٧) أنّ وظيفة الإمامة كانت قد وجهت بأمر من الدولة العلية وتوصية من النظارة إلى محمد حبيب ابن الشيخ علي في ٦ شعبان سنة ٣٣٣هـ، (١٨ حزيران ١٩١٥)، وبراتب شهري قدره (٢٠٠) قرش تُصرف من وقف الإمام (محمد الفضل) في بغداد، كما أنّ المومى إليه محمد حبيب مكفول بأداء مهامّ المؤذن والقيم (خادم ومنظف الجامع) مقابل (١٥٠) قرشاً شهرياً، أمّا وظيفة (تجاري خوان)، (لم نعرف ماهية هذه الوظيفة رغم البحث الجاد عنها، أو ربّما لم نوفق في قراءتها جيداً بسبب سوء الكتابة) فكان الشيخ علي أفندي ابن الشيخ عبد الرحمن أفندي

يقوم بأدائها منذ تاريخ ١٥ شعبان سنة ١٢٧٧هـ، (٢٥ شباط ١٨٦١) مقابل (١٠٠) قرش شهرياً، حسب ما جاء في التسلسل (١٠٦٠)، ولكن تم تكليف ابنه محمد حبيب بهذه المهمة أيضاً بعد وفاته، ثم جاء تحت خانة الملاحظات أن سائر رواتب ومصاريف الجامع تُصرف بعلم النظارة. (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٢٤-١٢٥).

١١. جامع الهندي:

من الجوامع التاريخية في كركوك، وكانت تقع في الصوب الكبير في الجهة الشمالية الغربية من قلعة كركوك، وبسبب الخراب التي تعرض لها قررت الحكومة العراقية في العهد الملكي باستملاكه باسم البلدية، ثم حولت قسم من أراضيه إلى حديقة عامة، وقسم إلى مخفر للشرطة ومستوصف للأطفال، وإبان عهد النظام السابق تم هدم كل الأبنية المذكورة وتم بناء مقر لحزب البعث مكانهن، وبعد سقوط النظام المذكور أصبح مركزاً لنادي سولاف الرياضي^(١)، ورد ذكرها في التسلسلين (١٢٠١، ١٢٠٠) بشكل مقتضب مختصر، فقد حدد موقعه الجغرافي على أنه يقع في مركز مدينة كركوك، وأن الشيخ محمد أفندي يقوم بتأدية وظيفتي الإمامة والخطابة فيها وفق خط همايوني (أمر سلطاني) وراتب شهري قدره (٣٠) قرشاً للخطابة و(٩٠) قرشاً للإمامة ليكون المجموع (١٢٠) قرشاً شهرياً وذلك بعلم من مديرية المحاسبات العمومية بعد موافقة مجلس شورى الأوقاف، وقد حرر الأمر في ١٢ أيلول سنة ١٣٣٢هـ، (١٩١٣). (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٤٢-١٤٣).

(١) صاري كهية، ٢٠١٥، ٣٣١.

١٢. جامع الحاج محمّد غوث:

من الجوامع والمدارس التاريخية في مدينة كركوك، يقع في حي الحلوجية في منطقة الصوب الكبير، شيّد من قبل القاضي والعالم الجليل محمّد غوث^(١) ابن علي سنة ١٧٥٩-١٧٦٠م، في الصوب الكبير، وقد تمّ تعميره سنة ١٩٦٥م^(٢)، أُشير إليها في التسلسل المرقم (١١١١) من دفتر الوقف أنّ السيدين درويش محمّد ودرويش أحمد ولدا السيّد لطف الله يقومان بمهمة التدريس في مدرسة المفتي المرحوم الحاج محمّد غوث، دُوّن ذلك في ٢٤ جمادى الآخرة سنة ٢٧٤هـ، (٨ شباط ١٨٥٨)، وأنّ ملاكي قرية (بزره)^(٣) قد تبرعوا بنصف حصّتهم للمدرسة هذه، وإنّ السيّد درويش محمّد قد وافاه الأجل فحلّ محلّه ابنه سليمان أفندي بإرادة من الدولة العلية وتوجيه من النظارة في ٢٥ تشرين الأوّل سنة ١٣٣١هـ، (١٩١٣)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٣٠-١٣١).

١٣. جامع الحاج حسن آغا:

من الجوامع الواردة ذكرها في دفتر وقف الولاية، ففي التسلسل المرقم (١١٤٠) جاء أنّ الجامع يقع في كركوك وفق مضبطة الأوقاف، وإنّ الإمام فيها يأخذ راتباً شهرياً قدره (٧٠) قرشاً، أمّا المؤذن فيصرف له (٥٠) قرشاً شهرياً وذلك في التسلسل الذي يليه، وفي التسلسل (١١٤٢) ورد أنّ الخادم يأخذ (١) يعتبر من علماء عصره وهو ابن العالم إسماعيل أفندي ومن قرية بلاوة، إلى جانب كونه عالماً دينياً كان مشهوراً بالشعر. (أوغلو، ٢٠٠٧، ٣١).

(٢) ديوان الوقف السني، دليل الجوامع والمساجد التراثية والأثرية، ص ٣٢٧؛ صاري كهية، ٢٠١٥، ٤٦-٤٧.

(٣) تسمّى الآن بقرية (بزلة)، وتقع في ناحية ليلان.

(٢٠) قرشاً بموافقة النظارة الجليلة بطلب من شورى الأوقاف في ٢٧ كانون الأوّل سنة ٣٣١هـ، (١٩١٣). (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٣٤-١٣٥).

١٤. جامع ووقف الإمام زين العابدين (عليه السلام) - داقوق:

تقع داقوق على بعد حوالي ٤٠ كم من كركوك على الجانب الأيسر من نهر روخانة^(١) وتضم مرقد زين العابدين (عليه السلام) رابع الأئمة الشيعة الاثني عشرية، ورد في التسلسل المرقم (٤٦٢) من دفتر الوقف موضوعه الدراسة أنّ الوقف الشريف للإمام زين العابدين (عليه السلام) يقع في قرية (الباعون) في ناحية داقوق التابع لكركوك، ووفق ما جاء في الوثيقة فإنّ حقّ القيام بتولية شؤون هذا الوقف قد أعطيت بقرار لأولاد الواقفين كلّ من: عبد الباقي أفندي وجوهر أفندي بتاريخ ٩ صفر سنة ٢٧٥هـ، (١٧ أيلول ١٨٥٨)، مقابل آقجة فضية واحدة (لم يرد في الدفتر فيما إذا كانت الآقجة تلك تصرف يومياً أو شهرياً)، ثم جاء في خانة الوقوعات أنّ المومى إليه عبد الباقي قد وافاه الأجل، ولهذا تم توجيه وإعطاء تولية الوقف إلى ابنه سيد ساقى بقرار من الباب العالي وذلك في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٣٢٤هـ، (١٧ آب ١٩٠٦)، كما أنّ المومى إليه جوهر أفندي قد توفي وقد خلفه في مهامه خادماه كلّ من: حسين أفندي وعلي أفندي بإرادة عليّة وتوصية من النظارة (الوزارة) في ١٢ رمضان ٣٣٣، (٢٣ تموز ١٩١٥)، وإنّ الأمر هذا صدر بناء على مسودة ٢٥٨٤/٣١ والمؤرخ في ١٢ تموز سنة ٣٣١هـ، (١٩١٣)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ٦٢). وهذا

يعني أنّ جوهر أفندي كان قد مات في التاريخ الأخير أي في ١٢ تموز ١٩١٣، وإنّ أمر تكليف السيدين حسين أفندي وعلي أفندي بمهامه قد صدر بعد ذلك في ٢٣ تموز ١٩١٥.

كما تم التبرع بمزارع أغليجة وقومليجة في ناحية داقوق لأوقاف الإمام زين العابدين (عليه السلام) وتحت تصرف جوهر أفندي وعبد الباقي أفندي، وقد سُجل هذا بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٢٧٨ هـ، (٢٩ تموز ١٨٦١)، وتم تكليف سيد ساقى بالأمر بعد وفاة والده عبد الباقي أفندي، ودوّن هذا بتاريخ ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٣٢٤ هـ، (١٧ آب ١٩٠٦)، بأمر من الباب العالي.

وفي التسلسل (٤٦٥) ورد أنّ زاوية (تكية) الإمام زين العابدين (عليه السلام) تدار أيضاً من قبل أولاد الواقفين عبد الباقي أفندي وجوهر أفندي (المشار إليهما أعلاه) منذ تاريخ ٢٣ جمادى الأولى سنة ٢٨٧ هـ، (٢٠ آب ١٨٧٠)، وإنّ الزاوية تقع في ناحية داقوق التابع لكركوك، ثم جاء أنّ محاصيل أراضي قرية ليلان (يلاحظ أنّ ليلان كانت قرية آنذاك، وهي مركز ناحية قره حسن في كركوك، سمّيت بهذا الاسم نسبة إلى عشيرة ليلان الكردية وهي اسم لجل بهذا الاسم)^(١)، هي وقف للزاوية هذه، وبعد وفاة عبد الباقي أفندي تم توجيه وإعطاء تولية أمور الزاوية إلى ابنه سيد ساقى بقرار من الباب العالي وذلك في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٣٢٤ هـ، (١٧ آب ١٩٠٦)، وبعد وفاة جوهر أفندي خلفه في مهامه خادماه كلّ من: حسين أفندي وعلي أفندي بإرادة عليّة وتوصية من النظارة في ١٢ رمضان ٣٣٣، (٢٣ تموز ١٩١٥). (دفتري وقف ولاية الموصل

(١) بابان، ١٩٨٦، ص ٢٧٠.

رقم ١/ ١٦٩، ص ٦٢).

وفي موقع آخر من دفتر الوقف وتحت التسلسلين (٨٢٤، ٨٢٣) جاء أنَّ الإمامة في جامع زين العابدين عليه السلام في داقوق قد أعطي للملا مصطفى أفندي مقابل (٦) آقجة يومياً وقد أوقف قرية (يتيكجة) من قبل أصحابها للجامع بتاريخ ٢٧ صفر سنة ٢٤٠هـ، (٢٠ ت ١٨٢٤)، ونصف الحصة كانت للملا مصطفى الذي يقوم بوظيفة الإمامة والخطابة فيها والذي أوكل بالمهمة بتاريخ ١٣ رمضان سنة ٢٨٠هـ، (٢٠ شباط ١٨٦٤)، كما أوقف كلٌّ من: أحمد أفندي وعبد الكريم أفندي ومحمد أفندي بنصف حصصهم للجامع، ثم يشير الدفتر إلى أنَّ الملا مصطفى قد وافاه الأجل وتم توجيه مهام الإمامة للسيد علي أفندي بإشارة عليّة وتوصية من النظارة في ٢ رجب سنة ٣٣٢هـ، (٢٦ أيار ١٩١٤)، كما تم تكليفه بمهام الخطابة بخط همايوني أيضاً في ٢٨ رجب سنة ٣٣٢هـ، (٢١ حزيران ١٩١٤)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ١٠٦-١٠٧).

١٥. جامع ناحية كوبري (بردى) :

كانت بردى مركز ناحية في أواخر العهد العثماني، وهي تقع على نهر الزاب الصغير، على الطريق بين أربيل وكركوك، ويسمى أيضاً باسم آلتون كوبري والتي تعني الجسر الذهبي في اللغة التركية^(١)، احتوت دفتر وقف الولاية على معلومات لا بأس بها حول جامع كوبري (بردى) وذلك تحت التسلسلين (٨٥٦، ٨٥٥)، مبيّناً على أنَّها واقعة في ناحية كوبري ضمن كركوك وإنَّ راتب ووظيفة الإمامة فيها كانت تبلغ (٧٢٠) قرشاً سنوياً فأضيفت إليها

(١) فرنسيس، ٢٠١٧، ص ١. بابان، ١٩٨٦، ص ٢٤-٢٥.

(٤٨٠) قرشاً آخر لتصبح المجموع (١٢٠٠) قرشاً، كما كانت تُصرف (٥٤٠) قرشاً لوظيفة الآذان في السنة فأضيفت إليها (١٨٠) قرشاً لتصبح المجموع (٧٢٠) قرشاً، ثم ورد في خانة الملاحظات أنّ المبالغ المذكورة تُصرف بوجه شرعي وبعلم وخبر مديرية المحاسبات العمومية في ١٧ و ١٨ تشرين الثاني سنة ٣٣٠ (١٩١٢) دون أن يشير الدفتر في الموقع هذا إلى أسماء الأئمة والمؤذنين في الناحية المذكورة، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ١١٠-١١١).

ثم جاء في التسلسلين (١٠٠٨) و (١٠٠٩) أنّ جامع آلتون كوبري واقع في قصبة آلتون كوبري في قضاء كركوك في سنجق شهرزور، وأنّ محمد سعيد أفندي يؤدي وظيفتي الإمامة بتاريخ ٤ ربيع الأوّل سنة ٢٩٤هـ، (١٨ آذار ١٨٧٧)، والخطابة أيضاً بتاريخ ٢٧ جمادى الأوّل سنة ٢٩٤هـ، (٨ حزيران ١٨٧٧) مقابل (٥٤٤) آقجة سنوياً وتُصرف من أموال العلماء والجوامع، ثم ورد في خانة الوقوعات من الدفتر أنّ المومى إليه قد وافاه الأجل وعليه تم تعيين ابنه محمد طاهر^(١) أفندي مكانه ليؤدي الوظائفين الإمامة والخطابة بإرادة من الدولة العلية وتوصية من النظارة وبخط همايوني بتاريخ ٢٠ ربيع الآخر سنة ٣٣٣هـ، (٦ آذار ١٩١٥)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ١١٨-١١٩).

١٦. جامع طوزخورماتو؛

من ضمن المناطق والمدن التي كانت تابعة لكركوك والواردة في دفتر وقف موضوعة الدراسة هي طوزخورماتو، وهي في الوقت الحاضر مركز

(١) وهو من أحد علماء الزنكنة ذوي الشهرة في كركوك، (القرداغي، ٢٠٠٧، ص ٦٨).

قضاء، تقع جنوب شرق كركوك بمسافة ٧٠ كم^(١)، جاء ذكرها على أنها كانت قصبة تابعة لسنجق كركوك، وأن جامعها هذا أنشئ من قبل خاقان مخلوع، وأن الشيخ طه أفندي يقوم بتأدية وظيفة الإمامة فيها بإرادة من الدولة العلية في ٤ صفر سنة ١٣٣١هـ، (١٢ ك ١٩١٣)، ورد هذا في التسلسل (٦٤٦)، كما أن وظيفة الخطابة قد تم توجيهها إلى المومى إليه طه أفندي بخط همايوني (بأمر سلطاني) في ٩ صفر سنة ١٣٣١هـ، (١٧ ك ١٩١٣)، وبراتب شهري قدره (٣٠٠) قرش تُصرف من أموال العلماء والجوامع للوظيفتين معاً وفق التسلسل (٦٤٧)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ٨٤).

١٧. جامع الصلاحية الكبير - كفري:

جاء اسم قصبة كفري في السالنامات العثمانية بـ (الصلاحية)^(٢)، وهي مركز قضاء أنشئ قبل حوالي القرنين من الزمن، وقد سميت بهذا الاسم لوجود مادة الكفر فيها الشبيهة بالقار أو الفحم الحجري^(٣).

جاء ذكر جامع باسم جامع قصبة الصلاحية الكبير في دفتر وقف الولاية في التسلسل المرقم (٧٤٣) على أنها تقع في قصبة الصلاحية (كفري) بلواء (سنجق) كركوك، وأن مهمة الإمامة كانت منوطة بالسيد مصطفى أفندي، وعندما وافاه الأجل انتقل ذلك المهام إلى كبير أولاده عبد الله أفندي بتوجيه وإرادة عليّة في غرة شعبان سنة ١٣٣١هـ، (٥ حزيران ١٩١٣)، كما تم توجيه مهمة الخطابة إلى ابنه المذكور أعلاه بخط همايوني وفق التسلسل المرقم (٧٤٤)

(١) بابان، ١٩٨٦، ص ١٩٥.

(2) Eroglu, 2012, s113.

(٣) بابان، ١٩٨٦، ص ٢٥٤.

وبراتب شهري قدره (١٥٠) قرشاً شهرياً للوظيفتين معاً تُصرف من أموال الجوامع والعلماء في ٥ شعبان سنة ٣٣١هـ، (١٠ حزيران ١٩١٣). (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ٩٦).

وفي موقع آخر من الدفتر ووفق التسلسل المرقم (١١٧٣) ورد ذكر الصلاحية بوصفها قضاءً تابعاً لسنجق كركوك، وورد فيها أن جامع قرية شيخ بابا واقعة في القضاء المذكور وقد تم تجديد قيد الإمامة لعبد الكريم أفندي بإرادة عليّة في ٢ آذار سنة ٣٣٢هـ، (١٩١٤)، ووفق التسلسل (١١٧٤) تم توجيه وظيفة الخطابة أيضاً للمومى إليه بخط همايوني (بأمر سلطاني) في ١٥ ربيع الآخر سنة ٣٣٤هـ، (١٩ شباط ١٩١٦)، وبراتب شهري قدره (١٣٠) قرشاً، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ١٣٨).

١٨. جامع دلي باش:

من الجوامع التاريخية في كركوك، ويقع في حي الإمام قاسم في منطقة الزوية، بني في عهد الدولة العثمانية سنة ١٦٣٣م من قبل شيخ السادة الملائية الملا محمود^(١)، وقد ورد ذكر جامع بهذا الاسم في دفتر الوقف، وذلك في التسلسلين المرقمين (١٠٩٥) و(١٠٩٦)، وبمقتضى ما جاء فإن زاوية قرية علياوة بكركوك (قرية في ناحية ليلان) وقف لجامع دلي باش ويقوم خضير علي بالتصرف بأمورها والإمامة فيها وفق إرادة عليّة وتوصية من النظارة (الوزارة)، ولما توفي المومى إليه وقعت عهدة الجامع بيد المدعو رفيق صغير أولاد المدعو عباس بتاريخ ٥ تشرين الثاني سنة ٣٣١هـ، (١٩١٢). ثم جاء أن

(١) ديوان الوقف السني، دليل المساجد التراثية، ص ٣١٨. صاري كهية، ٢٠١٥، ٣٨.

أصحاب قرية (بلاوة)^(١) التابع لقضاء شهرزور تبرعوا بالقرية كوقف للجامع هذا، (دفتري وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ١٢٨ - ١٣٠).

١٩. جامع أرسلان آغا :

يقع الجامع في حي شاطرلو بمركز كركوك، وقد تم تشييدها من قبل قاضي أوغلو عبد القادر سنة ١٧٨٤م، وقد جرى تعميرها سنة ١٩٨٦م^(٢)، وورد في دفتري وقف الولاية أن جامع أرسلان آغا تابع لكركوك وفق مضبطة الأوقاف وتحت التسلسلات (٦١٨، ٦١٧، ٦١٦)، وورد فيهم أن وظيفتي الإمامة والخطابة في الجامع يُداران من قبل عبد الرحمن أفندي^(٣) ابن ملا مجاز بإرادة عليّة وبخط همايوني (بأمر سلطاني) دُونَ ذلك بتاريخ ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٠هـ، و١٧ ذي القعدة سنة ١٣٣٠هـ، (٢٣ ت ١٩١٢ و ٢٧ ت ١٩١٢)، وفي السابق كانت تُصرف للوظيفتين معاً مبلغ (٦٠) قرشاً سنوياً فأضيفت إليها (٥٤٠) قرشاً ليُصبح المبلغ (٦٠٠) قرش، أمّا وظيفة الأذان فقد جُدد قيدها للملا محمود أفندي بأمر من الدولة العلية بتاريخ ٨ ربيع الآخر سنة ١٣٣١هـ، (١٦ آذار ١٩١٣)، وفي السابق كانت تُصرف للوظيفة هذا مبلغ (٤٠) قرشاً، فأضيفت إليها (٤٦٠) قرشاً ليُصبح المجموع (٥٠٠) قرش سنوياً. (دفتري وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ٨٠).

(١) تقع القرية الآن ضمن الحدود الإدارية لناحية يابجي غربي كركوك.

(٢) صاري كهية، ٢٠١٥، ٥٨.

(٣) توفي الملا عبد الرحمن خلال سنوات الحرب العالمية الأولى. (صاري كهية، ٢٠١٥، ص ٦٠).

المبحث الثاني:

مساجد وتكايا ووقفيات سنجد كركوك

أ- المساجد:

معلوم أنّ كلّ جامع يُعتبر مسجداً ولكن لا يجوز العكس إذ لا تعتبر المساجد جوامعاً، حيث يقتصر وظيفة المسجد بتأدية الصلوات الخمسة فيها إضافة إلى العبادات الأخرى، أمّا في الجوامع فتؤدى فيها الصلوات الخمسة مع صلاة الجمعة أيضاً والعبادات الأخرى، وبغض النظر عن الجوامع المار ذكرها في دفتر وقف الولاية فقد ورد فيها ذكر عدد من مساجد كركوك والأقضية والنواحي التابعة لها، وكالاتي:

١. مسجد حسن أفندي:

هناك قلة من المعلومات حول هذا المسجد في الدفتر موضوعه البحث، حيث ذكر في التسلسل المرقم (٥٣٨) أنّها واقعة في حي صاري كهية، (من المحلات الواقعة في منطقة القورية بمركز المدينة)^(١)، في داخل السوق بكركوك، وقد تم تجديد وظيفة الخطابة فيها للملا محمّد أفندي بالخط الهمايوني (بأمر سلطاني)، بتاريخ ٩ ربيع الأوّل سنة ١٣٢١هـ، (٤ حزيران ١٩٠٣). (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ٧٠).

(١) قرداغي، ٢٠٠٤، ص ١٦٢.

٢. مسجد حاجي خضر:

يقع هذا الجامع في جانب الصوب الكبير، وقد بناها المدعو الحاج خضر سنة ١٨٦٠م، ثم جرى تعميرها من قبل الحاج خضر بن يونس سنة ١٩٦٢، ويحتوي على عدد من القبور ومنها قبر العالم والمرشد الديني الملا طاهر المتوفى سنة ١٣٥٨هـ^(١)، وهي من ضمن المساجد التي جاء ذكرها في دفتر أوقاف الولاية هي مسجد حاجي خضر، فقد ورد تحت التسلسلات المرقمة (٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧) أن المسجد هذا تقع في حي العرب (عربلر محلسنده)، وقد احتل هذا المسجد التسلسلات (٥٦٨، ٥٦٧، ٥٦٦، ٥٦٥) في صفحات دفتر وقف الولاية، ويبدو من المعلومات الواردة حول هذا المسجد أن شخصين فقط كانا يشغلان أربعة وظائف فيها، فبعد الإشارة إلى أن مسجد حاجي خضر يقع في حي العرب في كركوك تمت الإشارة إلى أن وظيفة الإمامة أضيفت إلى الوظائف الأخرى في المسجد وإن حاجي ملا طاهر أفندي ابن ملا محمد مكلف بتأدية هذا الوظيفة بتاريخ ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٠هـ، (٧ حزيران ١٩١٢)، مقابل إضافة مبلغ (١٠٠) قرش شهرياً للوظيفة هذه بأمر رسمي وإرادة عليّة منذ تاريخ ٢٣ جمادى الأوّل سنة ١٣٢٩هـ، (٢١ أيار ١٩١١)، وحسب ما جاء في خانة الملاحظات من الدفتر فإنّ محمد سعيد أفندي مكلف بوظيفتي المؤذن والخدام مقابل (٥٠) قروش، ثم أشار كاتب الوثيقة إلى أن تولية أمور المسجد أيضاً تم توجيهها إلى حاجي طاهر ابتداءً من تاريخ ١ حزيران سنة ١٣٣٢هـ، (١٩١٤). (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ٧٤-٧٥).

(١) صاري كهية، ٢٠١٥، ٨٧-٨٨.

٣. مسجد قرية دبرلو؛

في التسلسل المرقم (٧٧٨) من دفتر الوقف وردت معلومات قليلة عن مسجد واقع في قرية من قرى كركوك باسم قرية دبرلو^(١) ومن ضمن تلك المعلومات هو أنّ ذلك المسجد واقع في القرية المذكورة ضمن أوقاف كركوك، وإنّ الملا علي ابن الملا موسى يقوم بواجب الإمامة في المسجد، وقد دوّن هذا بتاريخ ٢٢ رجب سنة ٢٨٣هـ، (٢٢ ت ١٨٦٦)، ثم ورد في خانة الوقوعات من الدفتر أنّ المومى إليه الملا علي ابن الملا موسى قد توفي وحل محله في الإمامة زميله شكور أفندي بتوصية من النظارة (الوزارة) بتاريخ ٥ شوال سنة ٣٣١هـ، (٦ أيلول ١٩١٣). (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ١٠٠-١٠١).

ب- الزوايا والتكايا؛

لاشك في أنّ التكايا كانت من المراكز العلمية والثقافية في كركوك في العهد العثماني، ومع الدور الإرشادي لهذه التكايا فإنّها قدّمت خدمات علمية أيضاً، لأنّ الكثير من شيوخ التكايا كانوا علماء في الوقت نفسه، فقدموا النصح والإرشاد والثقافة والمعارف وتمكنوا من تكوين علماء مميزين^(٢).

وقد جاء ذكر عدد من الزوايا والتكايا^(٣) في كركوك والمناطق التابعة لها في دفتر وقف الولاية، وهي كما يأتي:

(١) قد تكون القرية هي قرية (تبللو) والواقع ضمن الحدود الإدارية لناحية ليلان، ويحتمل أنّ الاسم الوارد (دبرلو) هي مجرد تصحيف للاسم الحقيقي تبللو.
(٢) القرداغي، ٢٠٠٤، ٦٠.

(٣) كان هناك تكايا وزوايا أخرى لم تذكرها دفتر الوقف موضوعه الدراسة لأسباب نجهلها، أو ربما لعدم تسجيلها رسمياً ضمن المؤسّسات الوقفية التابعة للأوقاف العثمانية، ومنها تكية السيّد أحمد خانقاه، وتكية خادم السجادة.

١. زاوية أسفل القلعة :

تقع قلعة كركوك على تل مسطح مرتفع عن الأرض قرابة (١٨) متر وهو شبه دائري، يبلغ مساحتها حوالي (٦٢٠٠٠م)، وقد كانت النواة الأولى لمدينة كركوك التي توسعت في بدايات القرن التاسع عشر^(١)، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة وهي: حي الميدان في الشمال وحي القلعة في الوسط، وحي الحمام في الجنوب^(٢).

بخصوص زاوية أسفل القلعة ورد ذكرها في التسلسل المرقم (٤٥١) من دفتر أوقاف الولاية على أنها زاوية دينية وتم تحديد موقعها الجغرافي على أنها تقع قرب قلعة كركوك، وأنها تؤم من قبل شخص اسمه عبد الوهاب أفندي مقابل (٦) آقجات فضية تُصرف من محصول قرية (شَمَر)، كتبت المعلومة هذا في ٢٣ رجب سنة ١٢٧٤هـ، (٨ آذار ١٨٥٨)، ثم ورد تحت خانة الوقوعات أن عبد الوهاب أفندي قد وافاه الأجل وحلَّ محلَّه أصغر أولاده عبد الله أفندي، وقد دونت المعلومة في ٢٧ رجب سنة ١٣١٨هـ، (١٩ ت ٢ ١٩٠٠). (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١ / ١٦٩، ص ٦٠).

٢. زاوية سماحة أبي الهدى أفندي^(٣) :

ورد بعض المعلومات القليلة حول زاوية بالاسم المذكور في دفتر وقف

(١) الدراجي، ٢٠١٨، ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) العطية، ٢٠٠٩، ص ١٦٩.

(٣) هذه الطريقة الصوفية منسوبة إلى الشيخ أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم ابن علي بن رفاعة البطحائي المتوفي سنة ٥٧٨هـ، وتسمّى أحياناً بالطريقة الأحمدية وأحياناً بالبطحائية، (الرفاعي، ١٩٩٣، ص ٥-٦).

الموصل تحت التسلسل (٤٥٣) على أنّها تابعة للطريقة الصوفية الرفاعية، وأنّها تعتبر من أوقاف سنجق كركوك، وقد صدرت أمر الإرادة العلية حولها بتاريخ ٥ صفر سنة ٣٢٠هـ، (١٣ أيار ١٩٠٢). (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ٦٠).

٣. زاوية الإمام أحمد:

في التسلسل المرقم (٤٥٥) من دفتر الوقف ورد أنّ زاوية الإمام أحمد تتبع أوقاف كركوك التابع لنظارة الأوقاف السلطانية، وتقع بجوار قلعة كركوك، ومدفون فيها حضرة الإمام أحمد، وإنّ زراعة (القرية السفلى) (تقع القرية جنوب كركوك) وقف للزاوية المذكورة، علماً أنّ الوثيقة لا تحتوي على تاريخ كتابة هذه المعلومات حول الزاوية المذكورة. (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ٦٠).

٤. مشيخة الشيخ عبد الرحمن الطالбاني:

يُعد عبد الرحمن الطالباني الملقب بـ (الخالص) من أحد المع علماء الكرد في التاريخ الحديث ومؤسس التكية الطالسانية في كركوك إلى جانب تكية أخرى بناها في بغداد قرب جامع المرادية، وهو من مواليد سنة ١٧٩٧ في قرية طالبان في منطقة ججمال ومن عشيرة الزنكنة، أتقن اللغات العربية والفارسية والتركية إلى جانب لغته الأم وكتب أشعاراً بتلك اللغات، أسس مشيخته بجوار مرقد والده الشيخ أحمد في كركوك، ومن مؤلفاته (جذبة العشق) الذي طبع في إستانبول باللغات العربية والفارسية والتركية سنة ١٩٣١، توفي سنة ١٨٦٠

ودفن في كركوك^(١)، وكانت التكية هذه مركزاً علمياً كبيراً تخرج منها علماء أجلاء^(٢).

من ضمن المشيخات^(٣) التي ورد ذكرها في دفتر وقف الموصل هو المشيخة المشار إليها في أعلاه في التسلسل المرقم (٧٨٦)، ورد فيها على أنها مشيخة عليّة قادريّة واقعة في مركز سنجق كركوك في حي بولاق^(٤)، وأنّ الشيخ مجيب الدين يصرف (٥٥٠) قرشاً شهرياً لتأمين الطعام في المشيخة، والمشيخة كانت تُدار من قبل الشيخ علي أفندي ولكنه توفي فخلفه في إدارة التكية ابنه محمود علي أفندي بتوجيه وتوصية من النظارة (الوزارة)، دُوّن ذلك في ٢٥ شوال سنة ٣٣١هـ، (٢٦ أيلول ١٩١٣)، ثم يأتي في خانة الملاحظات أنّه وبموجب سجل مالية طعام التكايا^(٥) يتم توفير الحنطة والشعير والرز لهذه التكية مع (١٢٠) قرشاً كتخصيصات خيرية، وقد كُتِبَ هذا بتاريخ ١٩ آذار سنة ٣٢٩هـ، (١٩١١)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٠٢-١٠٣).

٥. تكية الشيخ البرزنجي:

في التسلسلات الثلاثة (٧٩١، ٧٩٠، ٧٨٩) تمت الإشارة إلى تكية الشيخ البرزنجي والتي يعتبر الشيخ معروف النودهي ونجله الشيخ عبد الكريم من

(١) به حركه ي، ٢٠١٠، ص ٦٢-٦٣. السلفي، الدوسكي، ٢٠٠٨، ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) قرداغي، ٢٠٠٤، ص ٤٨.

(٣) والمشيخة في العهد العثماني الأخير كانت تعني أنّها مؤسسة للدراسات الإسلامية، (Dikmen, 2012, s 267).

(٤) حي ضمن منطقة الصوب الكبير بكركوك.

(٥) هذا يدل على وجود سجلات خاصة بتأمين كمية ونوعية الأطعمة للزوايا والتكايا ومن كانوا يرتادون إليها.

أبرز ساداتها^(١)، على أنّها واقعة في سنجق قرطاغ (قرداغ)^(٢) بكركوك، ففي التسلسل (٧٨٩) جاء أنّ سيد معروف أفندي ابن الشيخ محمد أمين أوقف ثلث حصة مزرعة دار (دار: كلمة كردية تعني الأشجار)، أي: إنّ المومى إليه قد أوقف ثلث حصة مزرعة الأشجار للتكية، ثم في التسلسل الذي جاء بعده أنّ شقيقه سيد رشيد ابن الشيخ محمد أمين أوقف هو أيضاً ثلث مزرعة دار للتكية، ثم وفي التسلسل الأخير الخاص بالتكية (٧٩١) ورد أنّ سيد عارف أفندي ابن الشيخ محمد أمين أوقف كذلك ثلث حصة مزرعة دار للتكية وكلّهم اشترطوا أن يخصص ما تبرعوا به لإطعام الطعام وقراءة القرآن في التكية وذلك في ٢ محرم سنة ١٢٧٩هـ، (٢٢ حزيران ١٨٦٢)، وفي خانة الوقوعات من الدفتر ورد أنّ سيد معروف أفندي قد توفي وأنّ كبير أولاده الشيخ إسماعيل قد حلّ محله كواقف بإشارة عليّة وتوصية من النظارة في ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣١هـ (٢٣ ت ١٩١٣)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ١٠٢-١٠٣).

٦. زاوية بابا ذي النون:

في التسلسلين (١٠٩٩) و(١١٠٠) تمت الإشارة إلى زاوية بابا ذي النون

(١) زكي، ١٩٥١، ص ٢٢٤. البياتي، ٢٠٠٧، ص ٤٠.

(٢) كانت قرداغ من النواحي التابعة للسليمانية، وتبعد عنها حوالي ٣٠ كم، ويعني اسمها الجبل الأسود باللغة التركية، أمّا اسمها القديم فكانت (زردى آوا) وتعني المدينة التي بناها زردى (بابان، ١٩٨٦، ج ١، ص ٢٢٨)، وهي في الوقت الحاضر من المدن الكردية ومركز قضاء في محافظة السليمانية، كانت من ضمن السناجق التابعة لآيالة بغداد في القرن السابع عشر، وفي سنة ١٨٣٠ أصبحت سنجقاً تابعةً لآيالة شهرزور، ثم قضاء سنة ١٨٥٥ تابعاً للسليمانية في آيالة بغداد مع شهرزور، ولكن حولت إلى ناحية سنة ١٨٧٩ تابعةً لكلعبر ضمن سنجق السليمانية في ولاية الموصل. (sezen, 2006, s276).

بمعلومات لا بأس بها، فقد جاء أنَّ الزاوية تقع في دربند (مضيق) (دامان شاه) في جم جمال ضمن سنجق كركوك، وإنَّ كلاً من السادة سيد خالد وسيد يحيى وسيد عبد الفتاح وسيد ولي وسيد محمّد سعيد قد تبرعوا بنصف حصصهم للزاوية بتاريخ ٢٠ ذي الحجة سنة ٢٦٣هـ، (٢٨ ت ٢ ١٨٤٧)، ثم جاء تحت خانة الوقوعات من الدفتر أنَّ المشار إليهم وبعد أن وافاهم الأجل تم توجيه أعمال الوقف إلى أولادهم كلٌّ من الأفنديين سيد محمّد وسيد عمر بإرادة عليه وتوصية من النظارة في ٢٥ تشرين الأوّل سنة ٣٣١هـ، (١٩١٢). (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ١٢٨-١٢٩).

٧. زاوية علياوة:

من الزوايا المعروفة في كركوك، وقد ورد في دفتر الوقف أنَّها من أوقاف جامع دلي باش، ثم جاء أنَّ أصحاب قرية (بلاوة) التابع لقضاء شهرزور تبرعوا بالقرية كوقف للجامع والزاوية، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ١٢٨-١٣٠).

ج- الوقفيات:

كما وردت في دفتر وقف الولاية عدداً من الوقفيات في كركوك والمناطق التابعة لها وهي كالآتي:

١. وقف الشيخ عبد الله:

في التسلسل المرقم (٤١٥) ورد ذكر وقفية بالاسم المذكور دون الإشارة إلى تفاصيلها، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/ ١٦٩، ص ٥٦).

٢. وقف أسعد أفندي :

في التسلسل المرقم (٤١٧) ورد ذكر وقفية بالاسم المذكور دون ذكر أخبار أخرى، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١ / ١٦٩، ص ٥٦).

٣. وقف حضرة الإمام محمد :

في التسلسل المرقم (٤١٨) ورد ذكر وقفية بالاسم المذكور دون ذكر التفاصيل عليها، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١ / ١٦٩، ص ٥٦).

٤. وقف حضرة العزير عليه السلام :

في التسلسل المرقم (٤١٩) ورد ذكر وقفية بالاسم المذكور دون ذكر أخبار أخرى حولها، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١ / ١٦٩، ص ٥٦).

٥. وقف جامع أرسلان آغا :

في التسلسل المرقم (٤٢٠) ورد ذكر وقفية بالاسم المذكور دون تفاصيل أخرى، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١ / ١٦٩، ص ٥٦).

٦. وقفية عمر مندان :

جاء في دفتر أوقاف موضوعة الدراسة وتحديدًا تحت التسلسل المرقم (٥٠٢) أنّ الوقفية تقع في كركوك، وأنّ محمّد ابن إسماعيل يقوم بوظيفة (الكلندار)، (وهي الوظيفة الخاصّة بإدارة وتحديد الأعياد والمناسبات الدينية)، مقابل آقجة فضية واحدة، دُوّن ذلك في ١٨ ذي الحجة سنة ١٢٧٧هـ، (٢٦ حزيران ١٨٦١)، وفي التسلسل الذي يليه تمت الإشارة إلى محمّد بن أسعد على أنّه يعمل كلنداراً أيضاً في الوقفية هذه مقابل آقجة فضية واحدة، دُوّن في ١٣

ذي الحجة سنة ٢٨٣هـ، (١٧ نيسان ١٨٦٧)، وفي خانة الوقوعات تم التأكيد على إعطاء تلك الوظيفة لابنه الكبير عبد القادر بعد وفاته بأمر من الباب العالي، وقد دون هذا الخبر في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٣٢٥هـ، (٢٤ تموز ١٩٠٧)، وفي التسلسلين (٥٠٤) و (٥٠٥) ورد أنَّ السيّد محمّد بن قاسم يعمل (كنّاساً) ومؤدناً في الوقفية مقابل آقجة فضية لكلّ وظيفة، سُجل هذا بتاريخ ٥ رجب سنة ٢٧٨هـ، (٥ ك ٢ ١٨٦٢)، وقد حلّ محلّه ابنه الكبير محمّد شفيق في وظيفة الكنس بعد وفاته وذلك بتاريخ ٢٢ ربيع الآخر سنة ٣٢٨هـ، (٢ أيار ١٩١٠) بأمر وتوجيه من الباب العالي، أمّا في وظيفة الأذان فقد خلفه محمّد حجي عبد الجبار أفندي بتوجيه من الدولة العلية في ٦ ربيع الآخر سنة ٣٢٩هـ، (٥ نيسان ١٩١١). (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ٦٦).

جدير بالإشارة إليه أنّه جاء ذكر مدرسة واحدة فقط وبمعلومات قليلة حولها، وعدد من الوقفيات والمزارع والأراضي الوقفية ولكن دون ذكر معلومات حولها، وعليه فقد أثرنا أن ندرجها هنا وهي كما يلي:

١. مدرسة شهراز علي أفندي: من المدارس التاريخية في كركوك، جاء ذكرها في التسلسل (١٠٨٨) من دفتر وقف ولاية الموصل على أنّها تقع أمام السراي في كركوك، وأنَّ صاحب أحد المزروعات قد أوقف سدس ونصف من حصته من مزروعاته للمدرسة المذكورة في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٦٦هـ، (٢٦ نيسان ١٨٥٠)، وأنَّ الملازين العابدين أفندي ابن عبد الغني يتصرف بأمور المدرسة، سُجل هذا في ١٦ ذي الحجة سنة ١٢٨٠هـ، (٢٢ أيار ١٨٦٤)، وبعد وفاة المومى إليه تم تكليف ابنه عبد الرحمن أفندي

- ليقوم بمهام والده وذلك بتاريخ ١٩ ربيع الأوّل سنة ٣٢٣هـ، (٢٣ أيار ١٩٠٥)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٢٨-١٢٩).
٢. تكية الشيخ خضر بكر كوك: وذلك تحت التسلسل (١٢٣٧)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٤٨).
٣. وقفية الحاج عباس في حي الحمام بكر كوك: وذلك تحت التسلسل (١٢٧٣)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٥٢).
٤. مزرعة سوغليجة ونارليجة داخل كركوك: وذلك تحت التسلسل (١٠٨١)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٢٦).
٥. وقفية الحاج مصطفى أفندي: في التسلسل (١١٦١)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٣٦).
٦. وقفية مزرعة نفت آب: تحت التسلسل المرقم (١٢١٦)، (دفتر وقف ولاية الموصل رقم ١/١٦٩، ص ١٤٤).

الخاتمة:

أفرزت الدراسة هذه جملة من الاستنتاجات، أهمّها:

١. يكشف دفتر وقف ولاية الموصل موضوع الدراسة الستار عن العشرات من العلماء الذين كان لهم دور بارز في نشر العلوم الدينية المختلفة في مركز كركوك والأقضية والنواحي التي كانت تابعة لها إدارياً وتحديداً في أواخر العهد العثماني، ومن هنا يأتي أهمية دفاتر الأوقاف المحتوية على معلومات مهمة عن علماء تلك الحقبة التاريخية في الألوية الكردية العثمانية والمهام العلمية والدينية التي كانت مناطة بهم، وهي بذلك تساعد في رفد ودعم

تاريخ تلك الألوية في عهودها العثمانية.

٢. قوة الجهاز الإداري العثماني: فعلى الرغم من مرحلة الضعف التي دخلتها الدولة العثمانية في الفترات التي كتبت فيها دفتر وقف ولاية الموصل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بالاعتماد على دفاتر قديمة لأوقافها إلا أنَّ الدولة كانت على درجة كافية من الإلمام بإدارة المؤسسات الوقفية الدينية وتفاصيل ودقائق الأمور فيها سواء كانت في الولايات الكردية أو العربية أو في الولايات العثمانية الأخرى، وهذا بلا شك يدل على قوة الجهاز الإداري في الدولة العثمانية.

٣. إنَّ دفاتر الأوقاف العثمانية الخاصّة بالمناطق الكردية تضم في سطورها معلومات مهمة حول مناحٍ مختلفة، منها الجغرافية والدينية والتاريخية في فتراتنا الحديثة، وعليه يجب أن تحظى بأهمية بالغة لدى الأوساط التاريخية والمعنيين بها، كما يجب أن تُدرس بعناية وتركيز لأنَّها في الحقيقة تملأ ثغرات تاريخية حول تاريخ الألوية التي تخصها تلك الدفاتر.

٤. إنَّ عدم ورود الاسم الثلاثي للعلماء والخطباء والأئمة الذين كانوا يديرون المؤسسات الدينية والاكتفاء فقط بأسمائهم أو أحياناً مع أسماء آبائهم فقط، أو الاكتفاء بأسمائهم مقرونة بلقب الألفندي في الغالب هي في الحقيقة من مساوئ الكتابات الرسمية العثمانية، إذ أدى ذلك إلى عدم التعرف على الكثير منهم وعدم العثور على نسلهم وأحفادهم الذين قد يكون لدى البعض منهم كتابات أو مخطوطات عائدة لهؤلاء الأجداد، ما أدى إلى ضياع تاريخهم وتاريخ مؤسساتهم العلمية والدينية وبالتالي التأثير سلباً على كتابة التاريخ بشكل عام.

٥. إنّ كثرة الوظائف في المؤسّسات الدينية وبمسميات مختلفة والواردة في ثنايا الدراسة تعني أنّ الدولة كانت قد وفرت العديد من فرص العمل وبالتالي تمكنت من مساعدة شريحة معينة من المجتمع في كركوك.

٦. يُستنتج من الاهتمام الزائد للدولة العثمانية بالأوقاف والأماكن الدينية إلى أنّها كانت دولة دينية في إطارها التقليدي العام رغم دخول الحداثة والتغريب إلى البعض من مفاصلها، وقد بقيت كذلك وحافظت عليها إلى حين الاقتراب من نهايتها، أي: إنّها احتفظت بالسمة الدينية على وجهها حتى زوالها.

المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق غير المنشورة:

- المديرية العامة لأرشفيف الأوقاف، دفتر وقف ولاية الموصل (رقم ١٦٩ / ١).

- Vakıflar genel mudurlugu arsifi musul esasi 169/1.

ثانياً: المصادر والمراجع:

أ. العربية:

- أمين، د. نرمين، (٢٠٠٩)، كركوك الشواهد والمواقع القرن ١٨-١٩، في: مجموعة من الكتاب والباحثين، كركوك مدينة القوميات المتآخية، ط١، أربيل.
- د. أحمد الصاوي، (٢٠٠١)، النقود المتداولة في مصر العثمانية، ط١، القاهرة.
- أوغلو، نجاة، ٢٠١٥، صفحات من تاريخ كركوك منذ فجر التاريخ إلى ١٩٥٨، دار الحكمة.
- بابان، جمال، (١٩٨٦)، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، بغداد.
- باقر، سفر، طه؛ فواد، ١٩٦٥، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، دار الجمهورية للطباعة والنشر، بغداد.
- البياتي، عبد الرحمن إدريس صالح، (٢٠٠٧)، الشيخ محمود الحفيد البرزنجي والنفوذ البريطاني في كردستان العراق حتى عام ١٩٢٥، السليمانية.

- ديوان الوقف السني، دليل الجوامع والمساجد التراثية والأثرية.
- الجميل، سيار، (١٩٩٩)، زعماء وأفندية، الباشوات العثمانيون والنهضويون العرب، ط١، عمان.
- حسين، سعدي عثمان، (٢٠٠٦)، كردستان الجنوبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، أربيل.
- حمدي عبد المجيد السلفي، تحسين إبراهيم الدوسكي، (٢٠٠٨)، معجم الشعراء الكرد، ط١، دهوك.
- جازع، مبارك عشوى فلاح، (٢٠١٧)، الوقف والحياة الاجتماعية في مدينة دمشق خلال العصر الأيوبي ١١٧٤-١٢٥٩، ط١، الكويت.
- صاري كهية، عصمت رفيق، ٢٠١٥، تاريخ جوامع ومساجد كركوك، ط١، دار الحكمة، لندن.
- الرفاعي، أحمد، (١٩٩٣)، الوصايا، تقديم وتعليق وتحقيق محمد زينهم محمد عزب، القاهرة.
- زكي، محمد أمين، (١٩٥١)، تاريخ السليمانية، ترجمة: الملا جميل الملا أحمد الروزياني، بغداد.
- فرنسيس، بشير يوسف، (٢٠١٧)، موسوعة المدن والمواقع في العراق، ط١، لندن.
- الفضل، د. منذر، (٢٠٠٩)، حقوق الإنسان والتنوع الأثني لسكان كركوك، في: مجموعة من الكتاب والباحثين، كركوك مدينة القوميات المتآخية، ط١، أربيل.
- قرداغي، محمد علي، (٢٠٠٤)، هوية كركوك الثقافية والإدارية، ط١، أربيل.
- العطية، د. جليل، (٢٠٠٩)، قلعة كركوك، أهميتها التاريخية وقيمتها الحضارية، في: مجموعة من الكتاب والباحثين، كركوك مدينة القوميات المتآخية، ط١، أربيل.
- مجموعة باحثين، ٢٠١٨، هوية كركوك، ط١، مركز رووداو للدراسات، أربيل.
- مراد، خليل علي، (٢٠١٨)، العراق في العهد العثماني الثاني ١٦٣٨-١٧٥٠ دراسة في الإدارة العثمانية والحياة الاقتصادية، ط١، بيروت.
- كريم، مصطفى صالح، ٢٠٠٩، الحياة الأدبية والثقافية في كركوك، في: كركوك، مدينة القوميات المتآخية، ط١، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل.
- نوار، عبد العزيز سليمان نوار، (٢٠١٣)، تاريخ العراق الحديث من نهاية عهد داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، بغداد.
- هريدي، د. محمد عبد اللطيف، (١٩٨٧)، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا، ط١، القاهرة.
- يوسف، عماد عبد العزيز، (٢٠١٤)، الحجاز في العهد العثماني ١٨٧٦-١٩١٨، ط٢، الرياض.

ب: التركية :

- Aziz Efendi, (1985), Kanunname-i Sultani li-, Rhoads Murphey, Harvard University.
- sezen, Tahir, (2006), osmanli yer adlari, Ankara.
- Dr.Sinan marufoglu, (1998), osmanli doneminde kuzey irak 1831-1914, Istanbul.
- dikmen, Mehmet, (2012), osmanlica-turkce sozluk, Istanbul.
- eroglu, Cengiz, (2012), murat babaucoglu, orhan ozdil, osmanli vilayet salnamelerinde Musul, Ankara.

ج. الكردية :

- به حرکه ی، مه لا تاهیر مه لا عبد الله، (٢٠١٠)، میژووی زانایانی کورد، جابی یه کهم، هه ولیر.
- ساله، گوران ئیبراهیم، ٢٠٠٧، که رکوک له سه رده می دهوله تی عوسمانیدا له نیوان سالانی ١٨٧٦-١٩٠٩، ده زگای حه مدی، سلیمانی.
- فاتح، محمد، (٢٠١٩)، کرکوک ١٩٥٩ رووداوه کانی ١٤ ته موزی ١٩٥٩، چ ١، هه ولیر.

ثالثاً: الدوريات :

أ. الكردية :

- به هروز، سمکو، ٢٠٠٣، میژووی زمانه وانی و گورانه روشنی یه کانی ناوچه ی که رکوک، گوفاری که رکوک، ژماره ١، سالی پینجه م، که رکوک.

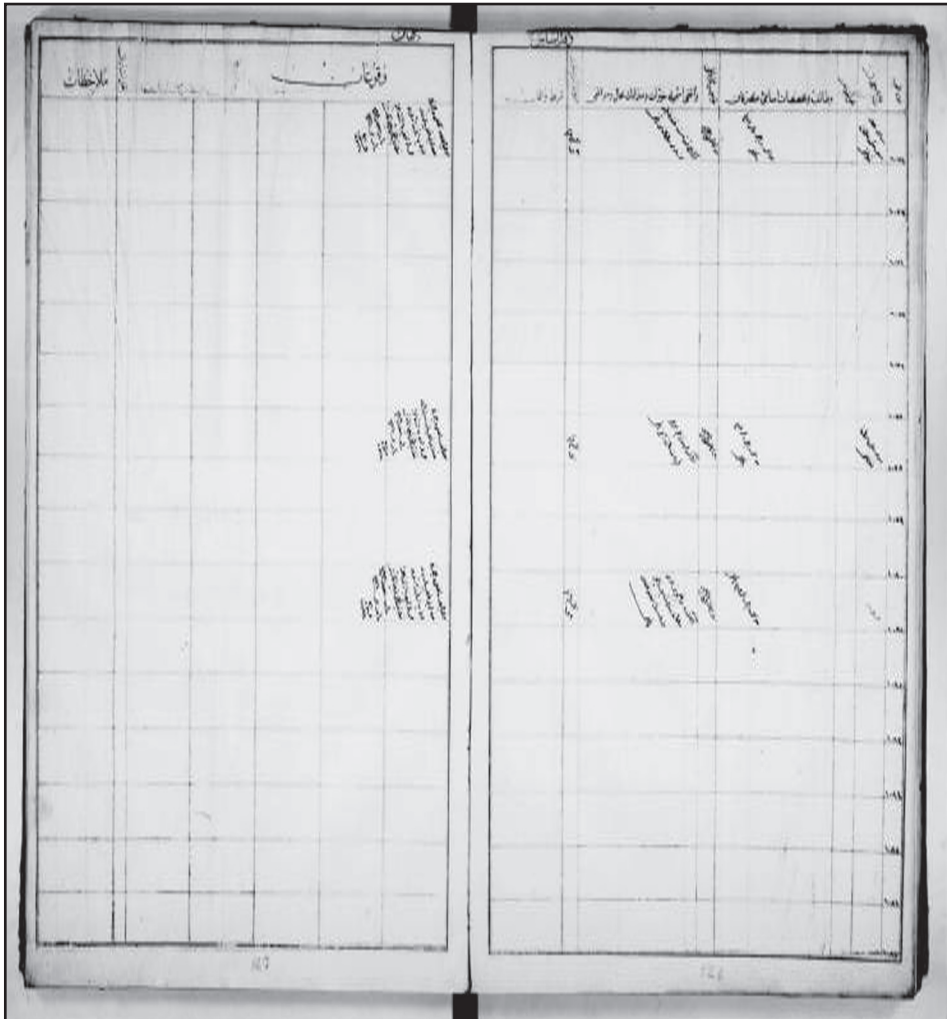
ب. العربية :

- الدراجي، د. سعدي إبراهيم، ٢٠١٨، المعالم العمرانية القديمة في قلعة كركوك، مجلّة التراث العلمي العربي، فصلية علمية محكمة، العدد ٣٧.
- مجموعة من الأكاديميين العراقيين، ٢٠٠٠، كركوك مدينة القوميات المتآخية، وقائع الندوة التي عقدها للبحوث والدراسات في لندن.
- الدهان، د. سرمد عكيدي فتحي، ٢٠١٩، الصراع العثماني الفارسي وأثره على العراق، دراسة تاريخية (١٥٠٨-١٧٧٩م)، مجلّة الدراسات التربوية والعلمية، كلية التربية - الجامعة العراقية، العدد (١٤) - المجلد (٣).

- رابعاً: الموسوعات:

- أوغلو، نظام الدين إبراهيم، موسوعة علماء التركمان في العراق، ٢٠٠٧، (د.م).
- سامي، شمس الدين، ١٣١٤، قاموس الأعلام، ج ٥، مهران مطبعة سي، إستانبول.

الملاحق:



ملحق (١): نموذج من الوثائق الواردة في دفتر الوقف حول وقفية عمر مندان

ملحق (٢): نموذج من الوثائق المستخدمة في الدراسة حول أوقاف جامع فرهاد زاده

The image shows two pages of a handwritten ledger. The top page has a header row with the following labels from left to right: "تاریخ" (Date), "مکان" (Place), "موضوع" (Subject), "مبلغ" (Amount), and "توضیحات" (Remarks). Below the header, there are several rows of data. The first row contains the date "۱۳۰۲", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۱۰۰". The second row contains the date "۱۳۰۳", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۲۰۰". The third row contains the date "۱۳۰۴", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۳۰۰". The fourth row contains the date "۱۳۰۵", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۴۰۰". The fifth row contains the date "۱۳۰۶", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۵۰۰". The sixth row contains the date "۱۳۰۷", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۶۰۰". The seventh row contains the date "۱۳۰۸", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۷۰۰". The eighth row contains the date "۱۳۰۹", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۸۰۰". The ninth row contains the date "۱۳۱۰", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۹۰۰". The tenth row contains the date "۱۳۱۱", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۱۰۰۰". The bottom page has a header row with the following labels from left to right: "تاریخ" (Date), "مکان" (Place), "موضوع" (Subject), "مبلغ" (Amount), and "توضیحات" (Remarks). Below the header, there are several rows of data. The first row contains the date "۱۳۱۲", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۱۱۰۰". The second row contains the date "۱۳۱۳", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۱۲۰۰". The third row contains the date "۱۳۱۴", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۱۳۰۰". The fourth row contains the date "۱۳۱۵", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۱۴۰۰". The fifth row contains the date "۱۳۱۶", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۱۵۰۰". The sixth row contains the date "۱۳۱۷", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۱۶۰۰". The seventh row contains the date "۱۳۱۸", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۱۷۰۰". The eighth row contains the date "۱۳۱۹", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۱۸۰۰". The ninth row contains the date "۱۳۲۰", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۱۹۰۰". The tenth row contains the date "۱۳۲۱", the place "تهران", the subject "مبلغ", and the amount "۲۰۰۰".

ملحق (٣): نموذج من ما ورد من معلومات حول الأوقاف في قرية التسعين وحي صاري كهية



ملحق (٤): نموذج من ما ورد من معلومات حول جامع الإمام قاسم أمام قلعة كركوك

المصدر: مجلّة العلوم الإنسانية لجامعة زاخو، مج ١٢، عدد ٤، ٢٠٢٤م.

**الحوزة والجامعة رافدان معرفيان
لبناء الوعي الفكري لمجتمع متحضر**

أ.م.د. محمد جواد كاظم السلامي

Abstract:

The research aims to reveal the joint efforts - which are very many - between the scientific estate as a religious institution and the university as an academic institution, by:

1. Monitoring the most important reasons that called for the absence of educational, moral and religious contents from the minds of human thought in general, as well as extrapolating the most important reasons that contributed to emptying the human mind (the male and female students) from those lofty contents and replacing everything that contradicts and contradicts Solid humanitarian, moral and religious foundations and principles.
2. Show the most important ways and means that helped advance the human thought of our students in universities by finding strong foundations that contribute to filling the void created by the alleged alien cultures on our Islamic human heritage, and returning it to the incubator of the right path, and guiding it to the highest goal Which he was created for.
3. By mentioning the most important contents to which

the research will be presented and its fruitful results, variance or intersection - as some claim - between the role played by the scientific estate and universities, but that both share in The goal and the goal, even though they differed in form and method, and they go hand in hand in the way of achieving the lofty goals in building human thought, including the male and female students, according to what the true religion drew to us.

الملخص:

يرمي البحث إلى الكشف عن الجهود المشتركة - وهي كثيرة جداً - بين الحوزة العلمية كمؤسسة دينية وبين الجامعة كمؤسسة أكاديمية، عن طريق:

١. رصد أهم الأسباب التي دعت إلى غياب المضامين التربوية والأخلاقية والدينية عن أذهان الفكر الإنساني بشكل عام، وطلبة الجامعات بشكل خاص، فضلاً عن استقراء أهم الأسباب التي ساهمت في إفراغ الذهن البشري (الطالب والطالبة) من تلك المضامين السامية وإحلال كل ما يتعارض ويتنافى مع الأسس والمبادئ الأخلاقية والدينية الرصينة.

٢. عرض أهم السبل والوسائل التي تساعد على النهوض بالفكر الإنساني لطلبتنا في الجامعات ومن ثمّ بناء الوعي الفكري للمجتمع المتحضر عن طريق إيجاد المرتكزات القويمة التي تسهم في ملء الفراغ الذي ولّده الثقافات الدخيلة المزعومة على تراثنا الإسلامي الإنساني، ومن ثمّ

النهوض بالواقع الإنساني وإرجاعه إلى حاضنة الطريق القويم، وإرشاده إلى الهدف الأسمى الذي خلق من أجله.

٣. ومن خلال ذكر أهم المضامين التي سوف يعرض لها البحث وما سيخرج به من نتائج مثمرة، سيتضح بشكل جلي لا غبار عليه أنه لا يوجد اختلاف وتباين أو تقاطع - كما يزعم بعضهم - بين الدور الذي تلعبه الحوزة العلمية والجامعات، بل إن كلاهما رافدان معرفيان يشتركان في الهدف والغاية وإن اختلفا في الشكل والطريقة، وإتّهما يسيران جنباً إلى جنب في طريق تحقيق الأهداف السامية وذلك في بناء الفكر الإنساني ومنهم الطالب والطالبة بناءً سليماً على وفق ما رسمه لنا الدين الحنيف.

مقدمة :

في ظل التغيرات المختلفة التي تعيشها الأمة العربية الإسلامية التي أفرزتها الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتطور التكنولوجي والانفجار المعرفي، فإن أبناءنا الطلبة يتعرضون لنوع آخر من أنواع الانحراف الفكري الذي يفضي إلى التطرف والإرهاب الفكري والغلو في الدين وانتشار المفاهيم المغلوطة.

مشكلة البحث:

نظراً لبروز هذه المظاهر من الانحرافات التي بدأت تتفشى في مجتمعاتنا الإسلامية دعت الحاجة إلى تضافر الجهود والإمكانات لمواجهة هذا المد المنحرف، والوقوف بوجهه، وتثقيف أبنائنا الطلبة وتوعيتهم ليقفوا بوجه تلك الهجمة التي تسعى إلى إهلاك الحرث والنسل.

فرضية البحث:

تقوم وظيفة التربية والتعليم للنهوض بدورها الفاعل في تسخير الجهود والطاقات بغية تحقيق الهدف المنشود، إذ إنّ للفكر التربوي دوراً عظيماً في تقويم العقول وتوجيهها نحو الصواب، ولا شك في أنّ حماية عقول الشباب كانت وما زالت مرهونة بحماية التربويين لهم، حتى يخرجوا جيلاً عظيماً من بناء وحماة الأمة.

موقع منطقة الدراسة:

الشخصيات التربوية التي هي شخصيات ذات قدرة على استقراء واقعها، ودراسة مشاكله الاجتماعية وتكويناتها، وهم الأقدر من غيرهم في التعامل معها، وهذه الشخصيات التربوية لا تتحدد في نمط أو شكل معين، إذ قد تكون تلك الشخصية هو المدرس في المدرسة أو الجامعة، وقد تكون تلك الشخصية هو رجل الدين في مؤسسته الحوزوية، فكلٌّ منهما يؤدي دوره على وفق ما يتيسر له من آليات الثقيف والتوعية.

أهمية البحث:

جاءت هذه الدراسة في هذا البحث الموسوم (الحوزة والجامعة رافدان معرفيان لبناء الوعي الفكري لمجتمع متحضر)، كي تلقي الضوء على الجهود المشتركة المبذولة من قبل الحوزات العلمية والجامعات في البحث عن سبل الارتقاء بفئة الشباب من طلبتنا، ذلك أنّ الهدف واحد وإن اختلفت الكيفيات والمهام، والمسّمى واحد وإن تعددت الأسماء.

لقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، عرض المبحث الأول الانحراف الفكري، أسبابه، مظاهره ونتائجه، وفي المبحث الثاني تناول دور الحوزات العلمية والجامعات في البناء الفكري للطلبة، وكان في ثلاثة مطالب، عرض المطلب الأول دور الحوزات العلمية والجامعات في التنمية الفكرية، وتناول المطلب الثاني دور الحوزات العلمية والجامعات في بناء شخصية الطالب معرفياً، وأمّا المطلب الثالث فتكفل ببيان دور الحوزة العلمية والجامعة في بناء شخصية الطالب وجدانياً.

آملين في نهاية المطاف أن نكون قد وفقنا في إتمام هذا البحث على الوجه المبتغى له، وأن ننفع به.

المبحث الأول

الانحراف الفكري، أسبابه، مظاهره ونتائجه

المطلب الأول: أسباب الانحراف الفكري:

قبل الدخول في بيان أسباب الانحراف الفكري، لا بد لنا من أن نعرض لمفهوم الانحراف الفكري لغةً واصطلاحاً حتى يتضح ما نحن بصددده:

١. الانحراف في اللغة: العدول عن الشيء، أي: الانحراف والميل عنه، ولذلك يقال: عدل عن جهته^(١).

٢. الانحراف في الاصطلاح: الانحراف الفكري مصطلح حديث نسبياً،

(١) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ٤٢.

والمتبع لما كتب حول هذا المفهوم نجد لها قليلة وتدور ما بين الخروج عن الدين، والخروج عن الوسطية والاعتدال، فعرفوه بأنه:

أ. الخروج عن الحد الشرعي الذي حدّه الله تعالى في كتابه، أو على لسان نبيه ﷺ، وأجمع العلماء على تحريمه^(١).

ب. اختلال في فكر الإنسان وعقله، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه، وتوجهاته للأمور، إمّا إلى الإفراط أو إلى التفريط، فيكون سبباً للوقوع في الشبهات والأهواء، وتجاوز الحدود في الأفعال إفساد القيم، وانتشار الفتن وارتكاب الجرائم الإرهابية، وفقدان الأمن والاستقرار^(٢).

ومن هنا يتضح أنّ الانحراف الفكري يُعد من الأضرار المباشرة التي تؤثر على الفكر الإنساني بشكل عام، وعلى ذهنية الطالب بشكل خاص، لذا تدعو الحاجة إلى التخلص منه وإزالته، ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة الأسباب التي دعت إلى فراغ الفكر البشري من الأسس والمبادئ القويمة التي تحميه من الانزلاق في هاوية التشّت والانحراف في الفكر، وأسباب الانحراف الفكري كثيرة ومتعددة، وتشكل بألوان مختلفة، غير أنّ أبرز تلك الأسباب تكمن في:

١. الابتعاد عن الكتاب الكريم والسنة المطهرة:

فالبُعد عن القرآن الكريم والسنة المطهرة له وصفان:

الأول: ترك الكتاب والسنة مطلقاً، بعد تحكيمهما والنظر فيهما، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) ينظر: الحسيباني، عبد الحميد، الانحراف الفكري وأثره على الأمن الاجتماعي: ص ١٢.

(٢) ينظر: الغامسي، يعد بن فالح، الوسطية في الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن: ص ٦٠.

والبُعد عن كتاب الله عز وجل انحراف فكري يترتب عليه الانقياد السريع إلى كل ما من شأنه الزيغ والضلال والوقوع في الشبهات، ومن ثم ينجرّف إلى حافة الهاوية، والمعرض عن كتاب الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمع به إلى الازدياد من الدنيا، مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشه ضنك وحاله مظلمة^(٢).

الثاني: البُعد عن الكتاب والسنة بالبعد عن روح الشرع فيهما، فالشرع جاء معللاً لأحكامه، وهذه العلل نستفيد منها فيما يطرأ من قضايا فنعطيهما الحكم المناسب لها، وهنا يثبت صلاحية الشرع لكل زمان ومكان، فلو لم نعر تلك التعليقات والمقاصد لما ثبتت صلاحيته وهذا محال.

٢. ازدياء العلماء:

فالمنحرف فكرياً يلجأ إلى وصف العلماء الموصوفين بالورع والتقوى والصلاح بصفات أبعد ما يكون عن الواقع، فيؤلب الناس على التصديق بهم، ويصوّر لعوام الناس العلماء بأبشع الصور للحطّ من منزلتهم ومكانتهم بين الناس، وما ذلك إلا جهل منهم وتعنّت وضلال^(٣).

فقد روى الطبرسي في المستدرک بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بَقْبُضِ الْعُلَمَاءِ،

(١) سورة طه: الآية ١٢٤.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج ١١، ص ٢٥٩.

(٣) ينظر: الجحني، علي، الأمن في ضوء الإسلام: ص ٢١٢.

حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا»^(١).

وهذا الحديث واضح الدلالة، إذ إنَّ العلم موجود، والذي يكشف عنه العلماء، فإذا ذهبوا أو حُيِّدوا، قُبِض العلم، نتيجة قبض العلم هو تصدر الجهلاء بالفتوى فتقع الأمة في الانحراف الفكري، وقد روى البخاري عن رسول الله ﷺ بسنده أنَّه قال: «يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج، قيل: يا رسول الله وما الهرج؟ فقال هكذا بيده، فحرفها كأنَّه يريد القتل»^(٢).

٣. الجهل بوسطية الإسلام وبمبادئه :

إنَّ مبادئ الإسلام ووسطيته هي التي تضبط الفكر الإنساني، فمن جهل بها جهل الدين، «وإنَّ الغالبية ممن يقعون في الانحراف هم الشباب لما يتوفر عندهم من اندفاعية وتعجل، فلا يفكر في مآلات الأمور، وتفاصيل الأحكام التي يتبناها وتؤثر على سلوكه، فيعيق الحكمة ولا يسمح للعقل أن يتمعن بالروح التي يتمتع بها الدين الإسلامي»^(٣).

٤. صعوبة تطبيق الأمور على نحو متوازن :

إنَّ من مميزات الدين الإسلامي هو التوازن، فلا يطغى في الشرع جانب على جانب، بل فيه تنظيم لكلِّ جانب من جوانب الحياة، وهذا التوازن اعتدال بلا زيغ أو ميل أو حيف أو إفراط أو تفريط، ومن مظاهر التوازن:

(١) الطبرسي، حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٧، ص ٢٤٥. ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ١، ص ٣٤.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ١، ص ٢٩.

(٣) أسامة، بدر محمد، مواجهة الإرهاب: ص ٦٦.

أ. التوازن بين حياة الأفراد وحياة المجتمع.

ب. التوازن بين متطلبات الروح وبين رغبات الجسد، فالأمر بالصلاة والزكاة وتلاوة القرآن الكريم من متطلبات الروح، والراحة والأكل والشرب من متطلبات الجسد.

ج. التوازن بين الواقعية والمثالية، بحيث يكون لدى المرء توجهاً نحو الالتزام بتعاليم الإسلام مع مراعاة متطلبات الواقع.

٥. عدم العلم بشمولية الدين والنظرة البعيدة له :

فالجهل بسعة الدين الإسلامي وشموليته لأمر الحياة كلها يقود الشاب إلى تحميل الدين ما لا يحتمل أو ما لم يحكم به. قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١)، يقول الطبرسي في تفسير الآية المباركة: «أي: ما تركنا، وقيل: معناه ما قصرنا، واختلف في معنى الكتاب على أقوال أحدها: إنه يريد بالكتاب القرآن، لأنه ذكر جميع ما يحتاج إليه من أمور الدين والدنيا، إمّا مجملًا، وإمّا مفصلاً، والمجمل قد بينه على لسان نبيّه ﷺ، وأمرنا باتباعه في قوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾»^(٢).

٦. إهمال الجانب التربوي :

دعا الشرع المقدس إلى فضائل الأخلاق الكريمة، وأمر بها، فأوجبها وجعلها أساساً في التعامل، وطبيعة العلاقات بين المسلمين بعضهم مع بعض، والمسلمين مع غيرهم، مما أظهر أثر ذلك في واقع الحياة^(٣).

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٢) سورة الحشر: الآية ٧. الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ٤، ص ٤٩.

(٣) إبراهيم، عبد الستار، العلاج النفسي السلوكي الحديث، أساليبه وميادين تطبيقه: ص ١١٠.

٧. غياب دور الأسرة :

لقد قرر الشرع المقدس وجوب عناية الأسرة بأبنائها في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾^(١)، ففي الآية الكريمة دلالة على وجوب وقاية الأنفس والأهل من النار، ومن المعلوم أنَّ الوقاية تكون بالرعاية والتوجيه والإرشاد والدلالة على الطرق المنجية من النار.

قال رسول الله ﷺ: «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو المسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في مال أبيه راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته، وكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته»^(٢).

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف الفكري:

يبرز الانحراف الفكري في مظاهر عدة، منها:

١- الغلو:

أ. الغلو في اللغة: هو مجاوزة الحدِّ للشيء، سواء كان في المعتقدات الدينية أم في غيرها^(٣).

ب. أمّا في الاصطلاح: هو التجاوز عن الحدِّ، والخروج عن القصد،

(١) سورة التحريم: الآية ٦.

(٢) الإحسائي، محمد بن علي، عوالي اللئالي العزيرية في الأحاديث الدينية: ج ١، ص ١٢٩.

(٣) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ١٠، ص ١١٢، والطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين:

ج ١، ص ٣١٨.

والإفراط في حقّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام وتأليههم أو رفعهم عن مقام العبودية لله تعالى أو تفويض أمر الخلق إليهم^(١).

أما النهج الأوسط، وهو حدُّ الاعتدال، فيمكن أن نتلمّسه في أطروحات بعض العلماء الذين اتخذوا من الموضوعية منهجاً، وأيضاً نتلمّسه بشكل واضح وجلي في نصوص أهل البيت عليهم السلام، كون هذه النصوص لم تأت من تداعيات الفعل البشري، بل هي دستور إلهي منزّه عن كلّ مظاهر التطرّف.

ومع أنّ الذي له اليد الطولى في البحث العقدي هو العقل في إثبات جملة من المسائل، إلّا أنّ صفة النسبية في الفهم وتفاوت مستويات الإدراك يجعلان من الصعب التجرّد عن التطرّف، ولئن خلت بعض الأطروحات العقائدية من هذه الظاهرة فلكونها اهتمت بالنصوص الدينية لتثير الدرب خشية الانحراف عن الطرح المعتدل، أو الزيع عن الطريق القويم^(٢).

ولأنّ هذه الظاهرة لا تتفق مع أسس ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف، لذا فقد ذمّت النصوص الدينية هذه الظاهرة وبيّنت أنّ جميع مظاهرها توجب الكفر والخروج عن الدين، ويمكن أن نعزو هذه الظاهرة إلى أسباب عدّة، منها:

- اختلاف الأفق المعرفي في فهم تعاليم الإسلام، وقصور عقول كثيرٍ عن معرفتها، وفهم تفصيلاتها وشؤونها.

(١) ينظر: المفيد محمّد بن محمد، تصحيح اعتقادات الإمامية: ص ١٠٩، والشهرستاني، محمّد بن عبد الكريم، الملل والنحل: ج ١، ص ١٧٣، والصدر، محمّد باقر، بحوث في شرح العروة الوثقى: ج ٣، ص ٣٨٤.

(٢) قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا يرى الجاهل إلّا مُفَرِّطاً أو مُفَرَّطاً». المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ١، ص ١٥٩.

- وجود عوامل نفسية بسبب وجود خلل في التركيبة النفسية للشخص، وهذا يظهر دائماً في النفس غير السوية.
- وجود جملة من الاعتبارات والظروف السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية التي تؤثر في إطلاق الأحكام، وتولد إفرازات سلبية على الشخص.
- بروز ردود أفعال معاكسة تجاه الواقع المعاش غير المقبول من قبل الإنسان^(١).

٢- التقصير:

- أ. التقصير لغة: هو عدم بلوغ الشيء مداه ونهايته^(٢).
- ب. وفي الاصطلاح هو: «الترخُّص الذي يحفو بصاحبه عن كمال الامتثال، والغلو الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي، فالأول: تفريط والثاني إفراط، وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إمّا إلى تفريط وإضاعة، وإمّا إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضاللتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أنّ الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحدّ وهذا بتجاوزه الحدّ»^(٣).

(١) ينظر: الغريري، سامي، الجذور التاريخية النفسية للغلو والغلاة: ص ٣٥ و ٤٩، والحيدري، كمال، الغلو، حقيقته وأقسامه: ص ٢٣-٢٩، وفهمي هويدي، التدين المنقوص: ص ١٢٦. والقرضاوي، الصحة الإسلامية بين الجحود والتطرف: ص ١٠٨.

(٢) ينظر: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٩٦، والزبيدي، تاج العروس: ج ٧، ص ٣٩٧.

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين: ج ٢، ص ٤٩٦. ينظر: الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط: ج ١٢، ص ١٥٧، والطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٦٦.

فالتقصير هو ما يلزم منه التخلّف عن النهج الأوسط - وهو حدُّ الاعتدال - وعدم الإيفاء بالحق الذي افترضه الله جلّ شأنه، وما جاء به الدين الإسلامي الحنيف.

وواقعنا الإسلامي مليء بهذه الظاهرة، بل لا نكاد نجازف إذا قلنا إنّ ظاهرة التقصير هي الظاهر الأبرز في التطرّف عند المسلمين، ويمكن أن نعزو ظاهرة التقصير إلى أسباب عديدة، منها:

- أ- إنّ جملة من النصوص الدينية حملت في طياتها مضامين باشرت (أنا) الإنسان لتهدّم طوقها الضيق إلى فضاء أرحب وأوسع، إلّا أنّ ضيق الأفق يقود دائماً إلى التخلّف عن الانفتاح على الأفق المعرفي الأوسع لتلك النصوص الدينية فيقصر عن إعطائها حقّها.
- ب- الجهل العلمي والمعرفي بآفاق النصوص الدينية الرحبة.
- ج- العوامل النفسية وما يتبعها من تداعيات.
- د- الدواعي العمدية للتقصير بسبب التعنّت والتمسك بروى وأفكار بعيدة عن الحق أو الصواب.
- هـ- أسباب سياسية تتبناها هذه الفئة أو تلك^(١).

٣- التكفير:

التكفير ليس أمراً سهلاً أو قضية يمكن مراجعتها والنظر فيها وتصحيحها لما يترتب عليها من أحكام، كاستباحة الدم والأموال أو دفع الجزية أو الحرب وغيرها، لذا نجد التشديد من قبل الشرع عند هذا الحكم، بل والنهي عن ذلك،

(١) ينظر: السند، محمد، الإمامة الإلهية: ج ٢، ص ١٧.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا...﴾^(١).

٤- التَّعَصُّبُ للرأي:

فالتعصب يقود إلى إقصاء الآخرين واتهامهم بالخروج عن الدين، ومن ثمّ تكفير بعض المسلمين، واستباحة دمايهم وأعراضهم وأموالهم، وهذه المظاهر بدأت تنفّس في عصرنا الحالي بشكل كبير^(٢).

٥- التجرؤ على أحكام وأنظمة الدولة والدعوة إلى الانقلابات والاختلالات

السياسية:

وهذه الظاهرة بدأت تأخذ أشكالاً عدّة، وأنساقاً مختلفة، كالخروج على الحاكم، والتشدد في تطبيق قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دون ضوابط عادلة ومقننة ومتوازنة، وذلك العمل على إحياء الصراعات والنزاعات والخلافات القديمة ومحاولة تأجيج ونشر الفتن والمشاكل بين المجتمع.

٦- إساءة الظن بالآخرين:

وهذه الظاهرة بدأت تظهر في أوساط الطلبة بشكل بارز، إذ يعمدون - بسبب دوافع نفسية أو تحريضية أو مدروسة سابقاً - إلى كثرة الانتقاد والتجريح وإلصاق التهم بزملاء وعلماء وقادة صالحين سعيّاً منهم لتسقيطهم، وتشويه صورهم أمام المجتمع بغية العدول عنهم، حتى يبقى الطريق معبداً إلى أجندة خارجية ذي ثقافة خارجية لا تمت بالإسلام ومبادئه بأيّ صلة.

(١) سورة النساء: الآية ٩٤.

(٢) ينظر: الجوفي، محمد، العولمة وانحراف الفكر: ص ٢١.

٧- حب الزعامة ومحاولة فرض الذات على الآخرين؛

وذلك عن طريق الهيمنة على عقول الشباب والسعي لكسب الجاه والشهرة والسمعة، وتقديم أنفسهم أو رموزهم كقادة وأمراء ومنقذين للمجتمع^(١).

٨- الاندفاعية والتهور لتحقيق الأهداف الانية؛

ويحدث ذلك من دون دراسة ووعي أو إمعان نظر ومن دون حساب دقيق للأبعاد والنتائج التي سوف تترتب على ذلك. فضلاً عن غياب المعايير الدقيقة التي في ضوءها تتميز المصالح من المفسد.

المطلب الثالث: نتائج الانحراف الفكري؛

يولد الانحراف الفكري نتائج سلبية كثيرة، منها:

١. إنَّ تأثير الانحراف الفكري لا يقتصر على الفرد أو الجماعة التي وقع عليها، بل يتعداها إلى المجتمع ككل، فتأثير الكلمة والفكر يصيب المجتمع عامّة من دون تحديد^(٢).

٢. إنَّ الإخلال بالاستقرار الفكري السليم يؤدي إلى الإخلال بالمعتقدات والقناعات والقيم السامية، ويساعد على تزايد الصراعات والانقسامات، وتفكك المجتمعات وانحيار المبادئ النبيلة والمثل العليا^(٣).

٣. إنَّ الانحراف الفكري وخاصّة في مراحل المتأخرة يحتاج إلى جهود

(١) صالح، جلال الدين، الإرهاب الفكري: ص ٥٦.

(٢) حزير، محمّد الحبيب، واقع الأمن الفكري: ص ٨٨-٨٩.

(٣) الجحني، علي، الفهم المفروض للإرهاب المفروض: ص ١٨١.

مضاعفة ومضنية لإعادة تأهيل المنحرفين والعودة بهم إلى جادة الصواب^(١).

٤. إنَّ وجود الانحراف الفكري يعزز غياب الرقابة الذاتية لدى أبناء المجتمع، ويفرق أفكارهم وقناعاتهم^(٢).

٥. إنَّ تفشي ظاهرة الانحراف الفكري يقود إلى زلزلة الثوابت بما في ذلك دين الأمة وعقيدتها وحريتها^(٣).

٦. إنَّ إهمال الاهتمام بتوعية الفكر الطلابي يؤدي إلى تحجيم دور العقل من ثم خموله، وعندها يصبح غير قادر على الفصل بين الحكمة والفكر الضال^(٤).

٧. إنَّ انتشار الانحراف الفكري يؤدي إلى انقسام الأمة وانشطارها على مستوى الفكر والمنهج والغاية، ويزيد الهوّة والتناحر بين أفراد المجتمع المختلفين في توجهاتهم وأفكارهم، ومن ثمَّ الشعور بالضعف الذي يؤدي إلى عدم تحقيق مصالح البلاد^(٥).

٨. إنَّ غياب الفكر المعتدل يقتل كلَّ إبداع وابتكار وتقدم في مختلف جوانب الحياة؛ لأنَّ شيوع الانحراف الفكري يعمل على انتشار الجرائم على مختلف الأصعدة^(٦).

(١) الطلاع، رضوان طاهر، نحو أمن فكري إسلامي: ص ٢٢.

(٢) المالكي، عبد الحفيظ، نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب: ص ٧٨.

(٣) الخطيب، محمد شحاته، الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني: ص ١٠٣.

(٤) الوادعي، سعيد مسفر، الأمن الفكري الإسلامي: ص ٥٠.

(٥) اللويحي، عبد الرحمن، الأمن الفكري، ماهيته وضوابطه: ص ٧٠.

(٦) الركابي، زين العابدين، الأدمغة المفخخة: ص ١١٠.

ومن هنا كانت الحالة الوسطية والاعتدال وقبول الرأي الآخر والحوار بين السباب والطلبة هو ما ينسجم مع تنوع معقدات وقيم المجتمع من دون إفراط أو تفريط.

المبحث الثاني

دور الحوزات العلمية والجامعات في البناء الفكري للطلبة

المطلب الأول: دور الحوزات العلمية والجامعات في التنمية الفكرية:

تلعب الحوزات العلمية والجامعات دوراً بارزاً في تنمية أفكار الطلبة، ذلك أنَّها من أرفع المؤسسات التعليمية التي يناط بها توفير ما يحتاجه الطالب من تنمية فكرية، إذ إنَّها تمثل المراكز الأساسية للبحوث والدراسات العلمية والتطبيقية والتي بدونها يصعب إحداث أيِّ تقدم معرفي أو اقتصادي أو اجتماعياً حقيقياً، فضلاً عن أنَّها تسهم في التنمية الشاملة بما تقدمه للطلاب والمجتمع من خبرات وإمكانات للتعليم والتعلم.

ومن هنا فإنَّ هذه الصلة الوثيقة تفرض على الجامعات أن تحدث دائماً في بنيتها ووظائفها وبرامجها وبحوثها تغييرات تتناسب مع المتغيرات التي تحدث في المجتمع، يقول السيّد سعيد الحكيم دام ظلّه بهذا الصدد: «إلّا أنَّ لكلمة المعلم والمدرس والأستاذ من التأثير في نفس الطالب والتلميذ ما لا يوجد لكلمة غيره. ولا سيما مع انشغال غالب الآباء والأولياء وإهمالهم لذلك، واكتفائهم في تثقيف أبنائهم بالمدرسة، حيث يضاعف ذلك مسؤولية المعلم والمدرس بهذا الأمر الهام في كيان الجيل الناشئ. خصوصاً بعد أن كان ذلك في ضمن

مسؤوليات المعلمين والمدرسين بحكم وظيفتهم.

ويتعين من أجل ذلك الاهتمام بتثقيف الجيل الصاعد في المدرسة بالعقائد الحقّة والمفاهيم الدينية الصحيحة، وتربيته تربية مثالية صالحة، قبل أن ينفلت من أيدينا، ونفقد الارتباط به»^(١).

فالجامعة تعدّ المؤسسة ذات الأهمية العظيمة؛ لأنّها تعطي دوراً مهماً في تشكيل سلوك النشء بما تملكه من نظم وأساليب تربوية، وما تضم من كفاءات متخصصة ومدربة، وهي المدخل الحقيقي والموضوعي المعني بتكوين المفاهيم الصحيحة وتعزيزها في أذهان الشباب بصورة مخططة^(٢).

فضلاً عن ذلك تزوّد الطالب بالمعارف والمهارات، فإنّ إسهامها الأكثر أهمية هو في الدور التربوي، إذ إنّها المسؤولة عن بناء الاتجاهات وضبطها بما يقوي البناء الاجتماعي ويعزز وحدته وترابط أجزائه من خلال برامج مقصودة ومدروسة.

ولم يغب هذا التوجه عن علمائنا الأفاضل، إذ نجدهم في أطروحاتهم وآرائهم يشاطرون المؤسسات الجامعية في ضرورة تعميق ولاء الطالب لله عز وجل والالتزام بتعاليم السنة المطهرة الذي يحصن الطالب من الانحراف والوقوع في الزيغ والضلال، يقول السيّد السيستاني رحمته الله: «يجب على أبنائنا الأعزاء لزوم الاعتقاد الحق بالله سبحانه والدار الآخرة، فلا يفرطن أحدكم بهذا الاعتقاد بحال بعد أن دلّت عليه الأدلة الواضحة وقضى به المنهج القويم... فإذا وجد

(١) الحكيم، محمد سعيد، رسالة توجيهية إلى التربويين العراقيين: ص ٢٠.

(٢) التركي، عبد الله، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام: ص ٩.

المرء من نفسه في برهة من عنفوان شبابه ضعفاً في دين مثل ثقل عن فريضة أو رغبة في ملذة فلا يقطع ارتباطه بالله سبحانه وتعالى»^(١).

إنَّ الإدارة الجامعية في العصر الحديث اتجهت إلى تحقيق التنمية الجسدية والعاطفية والروحية والاجتماعية لسلوك الطلاب، ولهذا فإنَّ الجامعة تقع على عاتقها مسؤولية كبرى في حماية الطلاب من تأثير الغزو الفكري، والتأثير الثقافي، من خلال إكسابهم المعايير والقيم والمثل الخلقية، والقُدوة الحسنة، من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ الجامعة من خلال إرشادات الأساتذة، ومراقبة سلوك الطلاب وتصرفاتهم، وملاحظة ما يطرأ عليهم من تغيرات جسمية أو عقلية أو نفسية، وإيجاد العلاج المناسب لكلِّ حالة، يمكن أن يعدل أيَّ خلل في السلوك مما يؤمن مجتمعاً آمناً متماسكاً^(٢).

وبتظافر هذه المقومات يبرز الدور الفعال لهذه المؤسسات التعليمية، وينقسم هذا الدور إلى مراحل عدة، تبدأ بالتوعية والوقاية وتنتهي بالتقويم والمعالجة، فإذا قامت هذه المؤسسات بواجبها الديني وواجبها الوطني تجاه توجيه الشباب التوجيه السليم، وجذبهم إلى دائرة الخير والصلاح ومحبة مجتمعهم ووطنهم وأمتهم وعلمائهم، إنَّ فعلت ذلك فقد أضافت للمجتمع عنصراً مهماً وفعالاً، وإنَّ لم تفعل ذلك خرج على الأمة أقوام يخلُّون بأمنها، فيقتلون ويسرقون ويكفرون ويفجرون، لخلو عقولهم من العلم الشرعي الصحيح^(٣).

(١) السيستاني، علي، نصائح للشباب المؤمن: ص ٤.

(٢) طاش، عبد القادر، وباء المخدرات ودور وسائل الإعلام في التوعية بمخاطرها: ص ٤٢٠.

الحقيل سليمان، الإدارة المدرسية وتعبئة قواعدها البشرية: ص ٦٦.

(٣) القرني، محمد ناصر، المسؤولية الأمنية للمؤسسات التعليمية: ص ٤٥.

وهناك عدد من الأهداف التي على المؤسسة التعليمية العمل على وفقها، والسعي في تحقيقها، من أهمها:

١. قيام المؤسسات الجامعية بمواصلة التنشئة الاجتماعية، من أجل تكوين شخصية الطالب وضمان إلمامه بما حوله.

٢. تعريف الطالب بوظائفه الاجتماعية، وضمان إلمامه بها، فالتعليم وظيفة إنسانية اجتماعية قبل أن تكون معلوماتية.

٣. توسيع دائرة نطاق التعامل والعلاقات الإنسانية، والتفاعل مع الفئات المجتمعية المختلفة، من خلال الجامعة وطلّابها وأساتذتها والعاملين فيها^(١).

٤. ربط الطلاب بالثقافة السائدة في المجتمع، وتعريفهم بتراث أمّتهم مع بثّ روح التجديد والإبداع والتألق، تجاوباً مع المستجدات والمتغيرات الحضارية فيما لا يخالف الأسس والثوابت الإسلامية.

٥. تكامل الجهود التربوية بين البيت والجامعة والمجتمع، من أجل تكوين جيل نافع، يعرف حقوقه فيقف عليها، ويعرف واجباته فيؤديها على الوجه المطلوب.

٦. الاهتمام بدراسة السلوك الاجتماعي وأنماط الحياة وتقديمها للطلبة الشباب بصورة مبسطة، لأغراض التربية المدنية؛ ليكونوا أعضاء نافعين في المجتمع وبما يضمن معه عدم وقوعهم في دائرة الزلل والانحراف.

٧. تدريب وتعويد الطلبة على الانضباط وحسن التصرف والقدرة على تفهم الظروف المحيطة والتعامل المترن في إطارها.

(١) الريمي، صالح أحمد، أساليب وقاية الطلاب من الانحراف: ص ١٠٠.

٨. ربط الأنشطة التربوية والتعليمية بالجهود المجتمعية، من أجل إيجاد نشء متوازن وسوي محاط بسياج من القيم الدينية والأخلاقية مما يؤدي إلى اتساقه مع المحيط الذي يعيش فيه ويجعله عنصراً مشاركاً وعضواً فاعلاً^(١).

المطلب الثاني: دور الحوزات العلمية والجامعات في بناء شخصية الطالب معرفياً؛

تعد المعرفة الركيزة الأساسية التي تبنى عليها كافة السلوكيات التي يقوم بها الناس في حياتهم، إذ إنّ اتجاهاتهم، وميولهم، وعواطفهم، ومشاعرهم لا يمكن أن تصدر من فراغ، ومن ثمّ لا بد من توافر قدر معرفي متعدد لدى الفرد يتكئ عليه في اعتقاداته وسلوكياته الناتجة عن ذلك، ومؤسسات التربية الرسمية والحوزة جنباً إلى جنب هما المعول عليهما في تقديم المعارف المناسبة لأفراد المجتمع، وفق ظروفهم وأحوالهم المختلفة من جهة، والتطورات والتجديدات العالمية الحادثة من جهة أخرى^(٢).

فالأصل في الدراسة الجامعية أن يتحصل الطالب من خلال برامج الجامعة وأنشطتها عبر سنوات الدراسة على قدر من المعارف يساعده في الاعتماد على نفسه لاحقاً للتوصل إلى معارف أكثر تقدماً، وهذا الأمر لا يختلف الحال فيه في الحوزات العلمية، إذ إنّها تركز على حصول طالب العلم - سواء كان أكاديمياً أم حوزوياً، وسواء كان طالباً أم أستاذاً - على قدر أكبر من العلوم والمعارف بكلّ ما يمت من صلة للعلوم الشرعية والأخلاقية والعقدية، وتحرص على السعي وإجهاد النفس في تحصيل تلك العلوم والمعارف، والكدح لأجلها، فإنّ

(١) ينظر: البرعي، وفاء محمد، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري: ص ٦.

(٢) عبيدات وآخرون، ذوقان، البحث العلمي، دار أسامة للنشر والتوزيع: ص ٣٣.

فيها سعادة الدارين.

يقول السيد السيستاني رحمته الله بهذا الصدد: «وليهتم طلاب العلم الجامعي والأساتذة فيه بالإحاطة بما يتعلق بمجال تخصصهم مما انبثق في سائر المراكز العلمية، حتى يكون علمهم لما يعاصرونه في المستوى المعاصر لمجاهم، بل عليهم أن يهتموا بتطوير العلوم من خلال المقالات العلمية النافعة ولينافسوا المراكز العلمية الأخرى»^(١).

وينبغي عليها أن تأخذ بنظر الاعتبار تزويد الطالب بأحدث المعلومات العلمية والتكنولوجية التي توصل إليها العلم في شتى بقاع العالم، والاهتمام بإنجازات العلم وبصورة مبسطة وميسرة له، كي يستطيع استيعابها والإفادة منها لخدمة مجتمعه، من خلال استخدام مختلف الطرائق التدريسية المشوقة والممتعة، والتي تجذب انتباه الطالب أثناء المحاضرة وتزيد من دافعيته للتعلم، والاهتمام بالدراسة والاستزادة من هذه المعلومات^(٢).

ومن العناصر الأساسية لتحقيق هذا الغرض؛ الأستاذ الجامعي الذي ينبغي أن يكون له الدور الكبير والمميز في تكوين شخصية الطالب المعرفية، وتنمية مواهبه العلمية والثقافية بدرجة كبيرة ومؤثرة، لأن الطالب يتأثر كثيراً بشخصية أستاذه الذي ينهل منه المعلومات العلمية، وبذلك قد يجعله قدوه حسنة يقتدي بها ويهتم بما يقوله له ويزوده به من معلومات أثناء المحاضرة، فالطالب ينظر إلى الأستاذ الجامعي كأحد مصادر المعلومات التي ينبغي الاستفادة

(١) السيستاني، علي، نصائح للشباب المؤمن: ص ٨.

(٢) ينظر: السدلان، صالح بن غانم، الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية: ص ٤٤.

منها، واستشارها بأفضل صورة بما يسهم في بناء شخصيته في الجانب المعرفي.

يقول السيّد الحكيم عليه السلام في هذا الصدد: «على الأساتذة وفقهم الله تعالى اليوم - بعد أن تحرروا من ذلك النظام البائد، وانقشع عنهم ذلك الكابوس الخانق - أن يجتهدوا في إعادة مجدهم العلمي والثقافي، ويجددوا ما اندرس منه، فإنّ القوم أبناء القوم، وهم نظراء أسلافهم في عقولهم وقابلياتهم.

ولذا نرى أنّ كثيراً من العراقيين في العصر الحديث الذي طلبوا العلم والمعرفة بفروعها المختلفة في الخارج حيث الحرية والاستقلال والجد والاجتهاد قد بلغ الدرجات العليا في المعرفة، وكان في الطراز الأوّل من العلماء... كما قد بلغ مراتب في العلم والمعرفة لا يستهان بها، نتيجة ارتفاع مستوى التعليم فيه، وقوة القابليات الفكرية والعقلية في أبنائه، حتى كانت الشهادة العراقية تقبل ويعترف بها في جامعات العالم المرموقة، وكفى بذلك محفزاً على ما نريده من الحديث حول المشاكل ومعالجتها»^(١).

لذا فإنّ دور الأستاذ الجامعي في تحقيق ذلك يأتي من خلال استقامته واستخدامه طرائق تدريسية كفؤة وفاعلة ومشوقة، والإفادة من التقنيات التربوية الحديثة وأحدث الابتكارات العلمية التي تساعد في إيصال المادة العلمية إلى ذهن الطالب بأفضل صورة وأسرعها، ومساعدته في الاحتفاظ بها لأطول مدة ممكنة، وإمكانية الإفادة منها في حلّ المشكلات المستقبلية التي تواجهه، فضلاً عن مساعدته في الكشف عن معارف لاحقة يقوم بها بنفسه^(٢).

(١) الحكيم، محمّد سعيد، رسالة توجيهية إلى التربويين العراقيين: ص ١٢.

(٢) ينظر: العمري، سلمان بن محمد، الإسلام دين الوسطية والاعتدال على مدى الأزمان:

وقد ذكر أحد الباحثين: «أنَّ طلبة الجامعة يمثلون رأس المال الوطني، وهم عدَّة الاستثمار في المستقبل سواء لأسرهم أو لمجتمعهم بشكل عام، وأنَّهم يتأثرون بالعوامل السياسية، والاجتماعية، والثقافية التي تحيط بهم، وأنَّه يلزم التركيز على صحتهم النفسية، والعناية بشخصياتهم للحاضر والمستقبل، مع توفير مناخ جيد ومناسب لهم»^(١).

وفي السياق ذاته نجد أنَّ الحوزة العلمية تسير جنباً إلى جنب مع المؤسسة الأكاديمية في رؤاها وتطلعاتها لبناء جيل من الشباب متزن وجدانياً تتحقق فيه المقومات الكافية كي يكون إنسان فاعلاً ومؤثراً تأثيراً إيجابياً في بناء نفسه والمجتمع، يقول الشيخ بشير النجفي رحمته الله في هذا الصدد ما نصَّه: «يجب على المهتمين بتربية طلابنا الأعزاء مراقبة سلوك الطالب وحثه على الالتزام بتقوى الله والخشية منه في السر والعلانية، ويجب أن يرافق الارتقاء الروحي التقدم العلمي، وأن يواكب السمو النفسي الارتفاع في مدارج العلوم التي يتغذى بها في مناهل العلم والمعرفة حتى يتجسد الدين في حركاته وسكناته، فيكون مثلاً يحتذى به الناس»^(٢).

ومن هنا يتضح أنَّ الحوزة والجامعة التي تنطلق فلسفتها وسياستها التربوية من عقيدة المجتمع الذي تقوم به، يترتب عليها أن ينطلقا من فعاليتها هذه العقيدة، وأن لا يكون ضمن أنشطتهما ما يخالف ذلك، مع الأخذ بالاعتبار استلزام روح العصر وإفرازات التطور العلمي والتكنولوجي في العالم بصورة واعية وصحيحة، من خلال إعدادها لخطة منظمة ودقيقة لتنمية اتجاهات

(١) البرعي، وفاء محمد، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري: ص ٧٩.

(٢) النجفي، بشير، الدين النصيحة (إلى طلبة العلم): ص ٣٥.

الطالب نحو مختلف القضايا، لتجعله صاحب رأي صريح وجريء، وموقف محدد وإيجابي، وقادراً على إبداء الرأي في الوقت المناسب، وأن يحترم مبادئ دينه، وما جاء به من الأخلاق الفاضلة، ولا يغفل تقاليد وعادات مجتمعه النافعة، وأن يكون حريصاً على وطنه والمساهمة في بنائه وتطويره^(١).

لذا لم تكن الحوزة العلمية بمنأى عن الحث على تطوير المهارات وإتقانها على الصعيد العملي والنظري من قبل الطلبة، كل حسب اختصاصه وميله لهذا العلم أو ذاك، يقول السيّد السيستاني رحمته الله بهذا الصدد: «أوصي الشباب الأغزاء بالسعي في إتقان مهنة وكسب تخصص، وإجتهاد النفس فيه، والكدح لأجله، فإنّ فيه بركات كثيرة... وليهتم كل واحد بمهنته وتخصصه حتى يتقنها، فلا يقولن بغير علم ولا يعملن على غير خبرة... وليعمل عمله ووظيفته بنفس واهتمام وتذوق وإقبال»^(٢).

وقد سعت الحوزة العلمية - نتيجة للظواهر التي بدأت تنفّش في الجامعات عند الطلبة، مثل موجة الإلحاد، والتسقيط المذهبي، والجهل المعرفي بأصول العقائد، والانحرافات في الفكر - بالتعاون مع المؤسسات الجامعية إلى الانخراط في الأجواء الأكاديمية بغية الإسهام في دعم الجهود الجامعية في القضاء على تلك الظواهر عن طريق التوعية والإرشاد والتثقيف ضد الأفكار المنحرفة، والعقائد والثقافات المستوردة التي تحاول النيل من أفكار أبنائنا الطلبة.

(١) ينظر: اللقاني والجمل، أحمد حسين، علي أحمد، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس: ص ١٢.

(٢) السيستاني، علي، نصائح للشباب المؤمن: ص ٦.

يقول السيد سعيد الحكيم رحمته الله في هذا الشأن: «إن المدرسة أو الجامعة كما هي مسؤولة بتعليم جيل الناشئة في فروع المعرفة الحياتية المختلفة، وتثقيفها ثقافة علمية أصيلة رصينة، كذلك هي مسؤولة بأمرين آخرين لهما أهميتهما الكبرى في واقع الإنسان:

١. تثقيف الناشئة دينياً، فإن الدين الحق مقدم على كل شيء، وبه نجاة الإنسان من الهلكة الدائمة، وهو الرقيب الداخلي الذي يدفعه للطريق المستقيم في هذه الحياة المملوءة بالمخاطر، والمزروعة بالأشواك، والتي تتقاذفها الأهواء والدعوات المختلفة، خصوصاً بعد أن عاث الفساد في الأرض وانتشر فيها.

٢. تربية الناشئة على الأخلاق الفاضلة وتركيز المثل الإنسانية ونوازع الخير فيها؛ لأن قوام الأمة بأخلاقها ومثلها»^(١).

فضلاً عن إسهام البرامج التعليمية التربوية التي تعدها الحوزة العلمية والجامعات في تزويد الطالب بما يحتاجه لغرض السيطرة على حالته الانفعالية، وعدم تسرعه بإصدار الأحكام على الأمور والأشياء التي تصادفه، وعدم اتخاذ القرارات بشأنها بصورة مستعجلة وآنية، دون دراسة وافية وتفحص دقيق لحيثيات الموقف ومسبباته ونتائجه المحتملة ومدى تأثيراتها، وبذلك سوف يصبح الطالب متزناً انفعالياً ولديه اتجاهات إيجابية نحو مختلف القضايا، وملتزماً بمبادئ دينه، ومجتمعه ومستعداً لخدمة بلده والارتقاء به.

لذا فإن الحوزة والجامعة يسعيان بصورة فاعلة من خلال الإطار المرجعي

(١) الحكيم، محمد سعيد، رسالة توجيهية إلى التربويين العراقيين: ص ١٨.

في الإسلام (الكتاب والسنة المطهرة) إلى تنمية روح الالتزام لدى الطالب بتعاليم دينه وعقيدته الإسلامية، والعمل بأوامر الله سبحانه وتعالى وطاعته، والابتعاد عن المعاصي والذنوب، والاهتمام بسنة الرسول القدوة ﷺ والسير عليها؛ لأنه إذا صلح إيمان الطالب والتزامه بدينه، وخوفه من خالقه، صلحت الجوانب الأخرى في شخصيته، وكان إنساناً متكاملًا ومتزنًا ومسؤولًا بدرجة كبيرة^(١)، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٢).

المطلب الثالث: دور الحوزة العلمية والجامعة في بناء شخصية الطالب وجدانياً؛

يعد الجانب الوجداني - أو ما يسمّى بالجانب النفسي العاطفي والانفعالي - من الجوانب الأساسية في شخصية الطالب، التي ينبغي الاهتمام بها وتنميتها في الاتجاه الصحيح، بغرض تعديل سلوكه وتطويره بما يتماشى مع العقيدة الصحيحة، والعادات والتقاليد الاجتماعية الصالحة في المجتمع.

ويتمثل الجانب الوجداني بأفكار الطالب وآرائه واتجاهاته وميوله ومعتقداته، ونظراته إلى مختلف القضايا التي يتعايش معها بصورة مستمرة، أو التي تصادفه بين فترة وأخرى، والتي تتطلب منه إعطاء رأي فيها أو تكوين اتجاه نحوها، وهذا الجانب مهم جداً في شخصية الطالب؛ لأنه هو الذي يستطيع الفرد من خلاله أن يكون فرداً صالحاً وإنساناً ملتزماً وفاضلاً، أو

(١) ينظر: الباز، راشد مسعد، أزمة السباب واستراتيجيات المواجهة: ص ٩٢.

(٢) سورة النور: الآية ٥٢.

خلاف ذلك، ويقع جزء مهم في بناء هذا الجانب وتوجيهه الاتجاه الإيجابي على عاتق مؤسسات التربية عامة، والجامعة خاصة بمختلف فعاليتها بما في ذلك الأستاذ الجامعي^(١).

وقد ذكر أحد الباحثين: «إنَّ طلبة الجامعة يمثلون رأس المال الوطني، وهم عدَّة الاستثمار في المستقبل سواء لأسرهم أو لمجتمعهم بشكل عام، وأنَّهم يتأثرون بالعوامل السياسية، والاجتماعية، والثقافية التي تحيط بهم، وأنَّه يلزم التركيز على صحتهم النفسية، والعناية بشخصياتهم للحاضر والمستقبل، مع توفير مناخ جيد ومناسب لهم»^(٢).

وفي السياق ذاته نجد أنَّ الحوزة العلمية تسير جنباً إلى جنب مع المؤسسة الأكاديمية في رؤاها وتطلعاتها لبناء جيل من الشباب متزن وجدانياً تتحقق فيه المقومات الكافية كي يكون إنسان فاعلاً ومؤثراً تأثيراً إيجابياً في بناء نفسه والمجتمع، يقول الشيخ بشير النجفي رحمته الله في هذا الصدد ما نصه: «يجب على المهتمين بتربية طلابنا الأعزاء مراقبة سلوك الطالب وحثه على الالتزام بتقوى الله والخشية منه في السر والعلانية، ويجب أن يرافق الارتقاء الروحي التقدم العلمي، وأن يواكب السمو النفسي الارتفاع في مدارج العلوم التي يتغذى بها في مناهل العلم والمعرفة حتى يتجسد الدين في حركاته وسكناته، فيكون مثلاً يحتذى به الناس»^(٣).

ومن هنا يتضح أنَّ الحوزة والجامعة التي تنطلق فلسفتها وسياستها التربوية

(١) ينظر: البكر، رشيد، تنمية الفكر من خلال المنهج الدراسي: ص ٣٣.

(٢) البرعي، وفاء محمد، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري: ص ٧٩.

(٣) النجفي، بشير، الدين النصيحة (إلى طلبة العلم): ص ٣٥.

من عقيدة المجتمع الذي تقوم به، يترتب عليهما أن ينطلقان من فعاليتها هذه العقيدة، وأن لا يكون ضمن أنشطتهما ما يخالف ذلك، مع الأخذ بالاعتبار استلهاهم روح العصر وإفرازات التطور العلمي والتكنولوجي في العالم بصورة واعية وصحيحة، من خلال إعدادها لخطة منظمة ودقيقة لتنمية اتجاهات الطالب نحو مختلف القضايا، لتجعله صاحب رأي صريح وجريء، وموقف محدد وإيجابي وقادراً على إبداء الرأي في الوقت المناسب، وأن يحترم مبادئ دينه، وما جاء به من الأخلاق الفاضلة، ولا يغفل تقاليد وعادات مجتمعه النافعة، وأن يكون حريصاً على وطنه والمساهمة في بنائه وتطويره^(١).

وقد سعت الحوزة العلمية - نتيجة للظواهر التي بدأت تتفشى في الجامعات عند الطلبة، مثل موجة الإلحاد، والتسقيط المذهبي، والجهل المعرفي بأصول العقائد، والانحرافات في الفكر - بالتعاون مع المؤسسات الجامعية إلى الانخراط في الأجواء الأكاديمية بغية الإسهام في دعم الجهود الجامعية في القضاء على تلك الظواهر عن طريق التوعية والإرشاد والتثقيف ضد الأفكار المنحرفة، والعقائد والثقافات المستوردة التي تحاول النيل من أفكار أبنائنا الطلبة.

فضلاً عن إسهام البرامج التعليمية التربوية التي تعدّها الحوزة العلمية والجامعات في تزويد الطالب بما يحتاجه لغرض السيطرة على حالته الانفعالية، وعدم تسرعه بإصدار الأحكام على الأمور والأشياء التي تصادفه، وعدم اتخاذ القرارات بشأنها بصورة مستعجلة وآنية، دون دراسة وافية وتفحص دقيق

(١) ينظر: اللقاني والجمل، أحمد حسين، علي أحمد، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس: ص ١٢.

لحيثيات الموقف ومسبباته ونتائجه المحتملة ومدى تأثيراتها، وبذلك سوف يصبح الطالب متزناً انفعالياً ولديه اتجاهات إيجابية نحو مختلف القضايا، وملتزمًا بمبادئ دينه، ومجتمعه ومستعداً لخدمة بلده والارتقاء به.

ويتضح مما تقدم أن الحوزة والجامعة يسعيان بصورة فاعلة من خلال الإطار المرجعي في الإسلام (الكتاب والسنة المطهرة) إلى تنمية روح الالتزام لدى الطالب بتعاليم دينه وعقيدته الإسلامية، والعمل بأوامر الله سبحانه وتعالى وطاعته، والابتعاد عن المعاصي والذنوب، والاهتمام بسنة الرسول القدوة ﷺ والسير عليها؛ لأنه إذا صلح إيمان الطالب والتزامه بدينه، وخوفه من خالقه صلحت الجوانب الأخرى في شخصيته، وكان إنساناً متكاملًا ومتزناً ومسؤولاً بدرجة كبيرة^(١)، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٢).

الخاتمة:

بعد المسيرة البسيطة في ثنايا هذا البحث، فقد أسفر عن بعض النتائج، وهي:

١. في ظل التطورات التي يشهدها العالم، والانفتاح الكبير غير المقتن على الثقافات الأخرى، فإنَّ عددًا من الممارسات المنحرفة بدأت تسود في أوساطنا الإسلامية، وبدأ هذا الأمر يتفشى ويظهر بأشكال مختلفة.
٢. أفرزت الثقافات المستوردة الدخيلة على تراثنا الإسلامي جملة من الظواهر

(١) ينظر: الباز، راشد مسعد، أزمة السباب واستراتيجيات المواجهة: ص ٩٢.

(٢) سورة النور: الآية ٥٢.

التي لا تمت إلى تعاليم الدين الحنيف بأيّ صلة، سعيّاً من تلك الثقافات إلى طمس هوية الإسلام وتشويهه، بغية إظهاره كدين منحرف أو أنّه دين إرهاب.

٣. إنّ المؤسّسة التعليمية سواء على الصعيد الأكاديمي المتمثل بالجامعات والمعاهد والهيئات التعليمية، أم على صعيد الحوزات العلمية، لها دور كبير ومسؤولية عظيمة في مواجهة الأفكار المنحرفة والمتطرفة، وقد أخذت على عاتقها مسؤولية توعية الشباب وتوجيههم الوجهة الصحيحة حذراً من الوقوع في شباك الأفكار الضالة.

٤. ظهر من خلال البحث أنّه لا يوجد اختلاف وتباين أو تقاطع - كما يزعم بعضهم - بين الدور الذي تلعبه الحوزة العلمية والجامعات، بل إنّ كلاهما يشتركان في الهدف والغاية وإن اختلفا في الشكل والطريقة، وإنّهما يسيران جنباً إلى جنب في طريق تحقيق الأهداف السامية، وذلك في بناء الفكر الإنساني ومنهم الطالب والطالبة بناءً سليماً على وفق ما رسمه لنا الدين الحنيف.

٥. دأب مراجعنا العظام (أدام الله ظلهم) على توجيه المؤسّسات التربوية والتعليمية بالعمل على تثقيف الجيل الناشئ من الطلبة على وفق مضامين الدين الإسلامي الحنيف، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، توجيه الطلبة إلى الالتزام بمبادئ وتعاليم شريعتنا الغرّاء، والانتباه الواعي والجاد إلى كلّ ما من شأنه أن يحرف الفكر عن مساره الصحيح.

المصادر:

- خير ما يُبتدأ به القرآن الكريم.

١. إبراهيم، عبد الستار، العلاج النفسي السلوكي الحديث، أساليبه وميادين تطبيقه، دار الفجر، ١٩٩٨م.
٢. إبراهيم، مجدي، تطوير التعليم العالي في عصر العولمة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٠م.
٣. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، تحقيق: ناصر بن سليمان السعودي، علي بن عبد الرحمن القرعاوي، صالح بن عبد العزيز السويجري، خالد بن عبد العزيز الغنيم، ط ١، دار الصميعي، ١٤٣٢هـ.
٤. ابن منظور، لسان العرب، د. ط، ١٤٠٥هـ.
٥. الإحسائي، محمد بن علي، عوالي اللثالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تحقيق: آقا مجتبی العراقي، ط ١، مطبعة سيد الشهداء، ١٤٠٣هـ.
٦. أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د. ط، مكتبة الإعلام الإسلامي، د. ت.
٧. أسامة، بدر محمد، مواجهة الإرهاب، النسر الذهبي للطباعة، ٢٠٠٧م.
٨. الأشموري، عبد الرحمن، المصالح الضيقة، دار الأمل، ٢٠٠٤م.
٩. الباز، راشد مسعد، أزمة السباب واستراتيجيات المواجهة، دار العاصمة، ١٤٢٥هـ.
١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة، ١٤٠١هـ.
١١. البرعي، وفاء محمد، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، رسالة دكتوراه، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
١٢. البكر، رشيد، تنمية الفكر من خلال المنهج الدراسي، مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ.
١٣. التركي، عبد الله، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ.
١٤. الجحني، علي، الأمن في ضوء الإسلام، مكتبة المعارف، ٢٠٠٨م.
١٥. الجحني، علي، الفهم المفروض للإرهاب المرفوض، مطابع الميثاق، ٢٠٠٧م.
١٦. الجوفي، محمد، العولمة وانحراف الفكر، دار النهضة، ١٤٢٨هـ.
١٧. حزير، محمد الحبيب، واقع الأمن الفكري، دار الجيل، ٢٠٠٥م.
١٨. الحسيباني، عبد الحميد، الانحراف الفكري وأثره على الأمن الاجتماعي.
١٩. الحقييل سليمان، الإدارة المدرسية وتعبئة قواعدها البشرية، دار عالم، ١٤٢٤هـ.
٢٠. الحكيم، محمد سعيد، رسالة توجيهية إلى التربويين العراقيين، ط ٢، دار الهلال، ١٤٢٤هـ.
٢١. الحيدر، حيدر عبد الرحمن، الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، دار الجيل، ١٤٢٢هـ.
٢٢. الخطيب، محمد شحاته، الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني، مركز الخليج

- للدراستات الاستراتيجية، ١٤٢٦هـ.
٢٣. الركابي، زين العابدين، الأدمغة المفخخة، غيناء للنشر، ١٤٢٤هـ.
٢٤. الربمي، صالح أحمد، أساليب وقاية الطلاب من الانحراف، مطبعة أمل، ١٤٢٥هـ.
٢٥. الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، د. ط، دار الفكر، ١٤١٤هـ.
٢٦. السدلان، صالح بن غانم، الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية، ط ٢، دار بلنسية، ١٤٢٠هـ.
٢٧. السند، محمد، الإمامة الإلهية، ط ٢، مطبعة الاجتهاد ١٤٣٠هـ.
٢٨. السيستاني، علي، نصائح للشباب المؤمن، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، د. ط، د. ت.
٢٩. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، د. ط، دار المعرفة، د. ت.
٣٠. صالح، جلال الدين، الإرهاب الفكري، النهضة للطباعة النشر، ٢٠٠٦م.
٣١. الصدر، محمد باقر، بحوث في شرح العروة الوثقى، ط ١، مطبعة الآداب، ١٣٩١هـ.
٣٢. طاش، عبد القادر، وباء المخدرات ودور وسائل الإعلام في التوعية بمخاطره، الميساء للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ.
٣٣. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط ٢، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.
٣٤. الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، ط ١، مؤسسة البعثة، ١٤١٤هـ.
٣٥. الطبرسي، حسين، مستدرک الوسائل، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ.
٣٦. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، ط ٢، مكتب النشر الثقافية الإسلامية، ١٤٠٨هـ.
٣٧. الطلاع، رضوان طاهر، نحو أمن فكري إسلامي، مطابع العصر، ١٤٢٩هـ.
٣٨. عبيدات وآخرون، ذوقان، البحث العلمي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
٣٩. العمري، سلمان بن محمد، الإسلام دين الوسطية والاعتدال على مدى الأزمان، دار الهلال، ١٤٣٠هـ.
٤٠. الغامسي، يعد بن فالح، الوسطية في الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن. د. ت.
٤١. الغريري، سامي، الجذور التاريخية والنفسية للغلو والغلاة، ط ١، مطبعة نكاش، ١٤٢٤هـ.
٤٢. فهمي هويدي، التدين المنقوص، ط ١، دار الشروق، ١٤١٤هـ.
٤٣. القرضاوي، الصحو الإسلامية بين الجحود والتطرف. د. ت.

٤٤. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مطبعة الآداب، ١٣٩٢هـ.
٤٥. القرني، محمد ناصر، المسؤولية الأمنية للمؤسسات التعليمية، دار الجيل، ١٤٢٥هـ.
٤٦. اللقاني والجمل، أحمد حسين، علي أحمد، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس، ط ٢، عالم الكتب، ١٩٩٩م.
٤٧. اللويحي، عبد الرحمن، الأمن الفكري، ماهيته وضوابطه، دار الجيل، ١٤٢٥هـ.
٤٨. المالكي، عبد الحفيظ، نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، دار الكتب، ٢٠٠٦م.
٤٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، ط ٢، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م.
٥٠. المفيد، محمد بن محمد، تصحيح اعتقادات الإمامية، تحقيق: حسين دركاهي، ط ٢، مؤسسة الطبع والنشر، ١٤١٤هـ.
٥١. الميداني، عبد الرحمن حسن حنكة، الوسطية في الإسلام، ط ١، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ.
٥٢. النجفي، بشير، الدين النصيحة (إلى طلبه العلم)، ط ٢، دار الضياء للطباعة، ١٤٣٥هـ.
٥٣. الوادعي، سعيد مسفر، الأمن الفكري الإسلامي، سباً للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ.

المصدر: مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد ٤٨، أيلول ٢٠٢٠م.



الحوزة العلمية
في النجف الأشرف

الدكتور الشيخ عدنان فرحان آل قاسم

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين بعد أن وفقنا الله سبحانه لإنجاز الجزء الأول والثاني من هذه الموسوعة؛ والتي بحثنا من خلالها عن (تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية) نقدم بين يديك أيها القارئ الكريم الجزء الثالث من هذه الموسوعة؛ لينظم إلى الجزأين السابقين وتكتمل به حلقات الاتصال بين تاريخ الحوزات العلمية في الحواضر الإسلامية.

وقد تناولنا بالبحث في الجزء الأول تاريخ الحوزات العلمية في مكة والمدينة والكوفة، ثم رحلنا مع تلامذة الإمام الصادق عليه السلام ومدرسته العظيمة من الكوفة لنحيط بالرحال في مدينة السلام (بغداد) ولنبداً مع وضع حجر الأساس المادي للمدينة المدورة وضع حجر الأساس العلمي لها؛ من خلال آل نوبخت، وآل يقطين، وهشام ابن الحكم.. لتتشكل بذلك حلقات دروس معطاء امتدت إلى أكثر من ثلاثة قرون من الزمن تناولنا تفاصيله من خلال المجلد الثاني والذي ختمناه بهجرة الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف.

وبهجرة شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي من بغداد؛ والتي عاش فيها أربعة عقود من الزمن تلميذاً وأستاذاً ومرجعاً ليحيط بحاله بعدها بجوار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تأسست حوزة النجف الأشرف في دورها الأول سنة (٤٤٨هـ)، ثم واصلت مسيرتها في أدوارها الأخرى من خلال جهابذة العلماء والفقهاء.

وحوزة النجف الأشرف كانت وما زالت وستبقى إن شاء الله هي الحوزة

الأُم والمصدر والمرجع والمنبع الفياض لكلّ الحوزات الشيعية الأُخرى.
ولهذه الحوزة المباركة تاريخ حافل بالعطاء العلمي والأدبي والاجتماعي
والسياسي والتربوي.. يعجز الباحث عن الإحاطة بجميع جوانبه.

وقد حاولنا في هذا الجزء من موسوعة تاريخ الحوزات أن نلّم بملامح من
تاريخ هذه الحوزة المعطاءة. فقسّمنا أدوارها إلى ثلاثة أدوار رئيسية، ووضعنا
لكلّ دور من هذه الأدوار محاوره الرئيسية وفصوله وأبوابه ومباحثه العامة،
وسلطنا الأضواء على أبرز علمائها وآثارهم العلمية.. ولا ندعي أنّنا قد أحطنا
بكلّ ما يتعلق بتاريخ هذه الحوزة العريقة والتي يمتد عمرها إلى أكثر من عشرة
قرون من الزمن، وكُتِبَ عنها عشرات المؤلفات، بل الموسوعات الكبيرة والتي
لم تترك أيّ جزئية إلّا وتناولتها بالبحث والدراسة.

إلّا أنّنا حاولنا أن نقطف من كلّ بستان وردة لتشكل عندنا باقة جميلة
من تاريخ هذه الحوزة المباركة؛ نقدمها لعشاق العلم والمعرفة، ولطلاب العلوم
الدينية والباحثين والدارسين. آمّلين أن نكون قد أخلصنا العمل لله سبحانه فيما
بذلناه من جهد، لتتال بذلك رضاه سبحانه (ورضاه غاية المنى).

نسأل الله أن يجعل عملنا هذا في ميزان حسناتنا يوم الحساب، وأن ينفع به
الفضلاء والباحثين والدارسين لتاريخ العلم والعلماء. وما توفيقي إلّا بالله عليه
توكلت وإليه أنيب.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

الدور الأول

المدخل: أهمية حوزة النجف الأشرف:

تعتبر حوزة النجف الأشرف وبأدوارها المتعددة من أهم الحوزات العلمية عند الشيعة الإمامية، بل هي الحوزة الأم لبقية الحوزات الشيعية الأخرى.

ومن يسبر غور تاريخ هذه الحوزة المتهادي عبر القرون من الزمن، يلمس بوضوح مدى العطاء العلمي والفكري الذي أنتجته هذه الحوزة المباركة، والقائمة الطويلة من الفقهاء والعلماء والمفكرين والأدباء والشعراء.. الذين برعوا في مختلف شؤون المعرفة الإنسانية وبخاصة في علوم الدين وما يتوقف على معرفتها من مقدمات العلوم والمعارف، إضافة إلى إسهامات هذه الحوزة في الحياة السياسية والاجتماعية والمنعطفات والأحداث المهمة التي مرت بها الأمة الإسلامية، إذ نجد لها حضوراً فاعلاً وصوتاً عالياً في تلك الأحداث.

وما زالت هذه الحوزة المباركة تزخر بعطائها الفكري والفقه والأصولي والفلسفي، وما زال طلاب العلم والمعرفة يردون إليها وينهلون منها ويصدرون عنها بعطاء وافر للأمة الإسلامية.

لقد وفد على حوزة النجف الأشرف ومن أنحاء البلاد الإسلامية رجالٌ ﴿لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١) لطلب العلوم الدينية انطلاقاً من الآية الكريمة: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا

(١) سورة النور: الآية ٣٧.

قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»^(١).

فكانوا يقيمون في النجف الأشرف مدة قصيرة أو طويلة، حسب ظروفهم المادية والصحية، ويتلقون العلوم الدينية على علمائها ومحققها. فمنهم من يبلغ مستوى المرجعية العامة، أو المرجعية العليا للحوزة العلمية، ومنهم من يبدع في التدريس والتحقيق.. ومنهم من ينصرف إلى الخطابة أو التأليف.. ومنهم من يعود إلى بلاده ودياره أو مكان آخر - ينتدب إليه كوكيل للمرجعية - لنشر الدعوة الإسلامية، وتوجيه وتوعية الناس، والقيام بمهام الأنبياء والمصلحين من خلال دور العلم والمساجد والمجالس العامة.

لقد تخرّج في هذه الحوزة العلمية المباركة منذ تأسيسها عشرات المراجع الكبار ومئات المحققين والباحثين والمؤلفين، في شتى المجالات العلمية من الفقه والأصول والتفسير والعقائد والفلسفة... «كما تخرج آلاف العلماء المرشدين والمبلغين من هذه الجامعة المباركة، وذهبوا إلى أنحاء العالم الإسلامي، وتولّوا هداية الناس إلى الصراط المستقيم»^(٢).

فعن هذه الحوزة المباركة التي يمتد عمرها إلى ما يقارب العشرة قرون من الزمن، أو أكثر من ذلك، وعن ظروف تأسيسها، واستمرار الحركة العلمية فيها عبر علمائها وفقهائها ومدرسيها، وعن مدارسها، ومناهجها العلمية، ونتائجها العلمي والحضاري، وعن غيرها من أمور تلامس موضوع بحثنا سوف ينتظم حديثنا ضمن فصول ومباحث، مختصرين بذلك كثيراً من المطولات التي كتبت

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

(٢) محمد الغروي، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ص ٨، طبعة دار الأضواء، بيروت، ط ١،

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

حول هذه الحاضرة العلمية العريقة.

الفصل الأول: نشأة مدينة النجف

ينص علماء اللغة على أنَّ «النجف» و«النَجْفة» تعني المكان المرتفع الذي لا يعلوه الماء، وهي شبه التل. يقول الأزهري: والنجفة التي بظهر الكوفة وهي كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو منازل الكوفة ومقابرها^(١).

ويقول الدكتور جواد علي - بعد أن يستعرض كلمات اللغويين - «وفذلكه القول أنَّ النجف إنما سُمِّي بهذا الاسم لأنه يعني أرضاً عالية معلومة تشبه المسناة تصد الماء عما جاورها، وينجفها الماء من جوانبها أيام السيول ولكنه لا يعلوها، فهي كالنجد والسد، وتغلب على شكلها الاستطالة دون الاستدارة.. وصفة النجف الحالية في استطالة أرضه تزيد ذلك...»^(٢).

وقد أشار الشاعر النجفي الشيخ محمد السماوي في أرجوزته إلى المعنى اللغوي للنجف بقوله:

النَجْفُ اسْمٌ للمكانِ المرتفع أو اسمٌ عينٍ بالمياهِ تتدفع
أو المسنَّةُ بجنب الشاطي أو ني وجف في لغة الأنباط^(٣)

(١) ابن منظور، لسان العرب: ج ١٤، ص ٥٦، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: ص ٩١٨، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت، ٢٠٠٨م، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ص ١٠١٤، طبعة دار الفكر - بيروت، (د. ت).

(٢) جواد علي، موسوعة العتبات، قسم النجف: ج ١، ص ٦٠ وما بعدها.

(٣) الحكيم، حسن، المفصل في تاريخ النجف الأشرف: ج ١، ص ٨ عن السماوي في عنوان الشرف في وشي النجف: ص ٣.

وهناك أسماء عديدة أخرى تطلق على (النجف) وتعرف بها، إلا أنّها أقل شهرة واستعمالاً، منها: الغري: وتعني المطلي بالغراء، أو البناء الجميل الجيد العمارة، والغريّان: بناءان مشهوران بالكوفة^(١).

يقول الشرقي: وقد اختص بهذا الاسم مكانان بقرب النجف، فقد ذكر أنّ الغريين طربالان كالصومعتين بظهر الكوفة.. وقد مرّ معن بن زائدة فرأى إحداهما قد انهدم فأنشأ:

لو كان شيء له ألاّ يبيد على مرّ الزمان لما بادل الغريّان
ففرّق الدهر والأيام بينهما وكلّ ألف إلى بين وهجران
ومن هنا يظهر أنّ أحد الغريين هدم وبقي الآخر، ولذلك ورد في كثير من النصوص التاريخية اسم الغري بصيغة المفرد^(٢).

ويلقب ساكن هذه الأرض المقدّسة بهذين اللقبين أو بأحدهما فيقال: (النجفي، أو الغروي) نسبة إلى أرض النجف أو أرض الغري.

وهناك أسماء أخرى أقل شهرة من هذين الاسمين، بعضها ما زال متداولاً والبعض الآخر قد هجر تداوله، منها: الظهر، والجودي، والربوة، والمشهد، ووادي السلام، وبانقيا، واللسان^(٣).

(١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ص ١٤٢٠.

(٢) علي الشرقي، الأحلام: ص ٥١-٥٢، ط ١، بغداد ١٩٦٣ م.

(٣) عبد الهادي الحكيم، حاضرة النجف الأشرف: ص ٢٦-٢٨، وحسن الحكيم، الفصل: ج ١،

ص ٩ وما بعدها.

نشأة مدينة النجف:

تعتبر أرض النجف جزءاً من أرض الحيرة والكوفة، ولذا قيل عنها: ظهر الحيرة أو ظاهرها، كما قيل لها: ظهر الكوفة أو ظاهرها، وارتبطت النجف تاريخياً بهاتين المدينتين، وكان ارتباطها بالحيرة في العصور التي سبقت الإسلام، وارتبطت بالكوفة في العصور الإسلامية، ولذا أطلق على أرض النجف لفظ (نجف الحيرة) و(نجف الكوفة)^(١).

وقد أطلق المؤرخون واللغويون لفظ (نجف الكوفة) للتدليل على وحدة المنطقة، فيقول الزمخشري: «ونجف الكوفة علو من الأرض وغلظ»، وقد ورد لفظ (نجف الكوفة) في بعض أحاديث الأئمة من آل البيت عليهم السلام للتأكيد على قدسية الأرض وأهميتها الدينية.

ولما أخذت مدينة النجف الأشرف بعد تمصيرها في القرن الثاني الهجري، بالتوسع والنمو، طغت مكانتها على مدينتي الحيرة والكوفة، في الوقت الذي أخذت هاتان المدينتان بالضمور^(٢)، تقول الدكتورة سعاد ماهر: «لأنَّ اسم الحيرة تلاشى بعد الفتح الإسلامي وحلَّ محله اسم البقعة المختارة التي شَرَّفها مرقد الإمام علي عليه السلام والتي أخذت اسمها من اسم المنطقة كُلِّها وهي النجف»^(٣).

(١) حسن الحكيم، المفصل: ج ١، ص ١٠.

(٢) المصدر السابق: ص ١٧.

(٣) سعاد ماهر، مشهد الإمام علي عليه السلام في النجف: ص ٩٢.

المبحث الأول

تاريخ النجف الأشرف ومرقد الإمام علي عليه السلام

ويقترن اسم النجف الأشرف باسم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث شرفت أرضها وتربتها بجثمانه الطاهر، فهي مثوى الإمام عليه السلام ومحل دفنه، حيث استجاب الله دعاء الإمام إذ نظر إلى (ظهر الكوفة) - أي: النجف - فقال: «ما أحسن منظرِك وأطيب قعرِك، اللهم اجعل قبري بها»^(١).

والذي يستفاد من بعض الروايات أنَّ شيخ الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام قد اتخذ هذه الأرض المقدَّسة والتربة الطاهرة مسكناً، واشتراها من أربابها، ورغب في أنَّ من يحشر منها يكون في ملكه، كما ذكر ذلك الشيخ الصدوق في آخر كتابه علل الشرائع، وذكره في معجم البلدان في بانقيا^(٢).

كذلك روي أنَّ أمير المؤمنين علي عليه السلام قد اشترى ما بين الخورنق إلى الحيرة، إلى الكوفة، أو ما بين النجف، إلى الحيرة إلى الكوفة من الدهاقين، بأربعين ألف درهم، وأشهد على شرائه، فقيل له: أتشتري بهذا المال وليس تنبت...؟ قال: سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «كوفان كوفان، يرد أولها على آخرها، يُحشر من ظهرها سبعون ألفاً، يدخلون الجنةً بغير حساب، فأحببت أن يحشروا من ملكي»^(٣).

(١) جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ج ١، ص ١٥.

(٢) المرجع نفسه: ج ١، ص ١٣.

(٣) ابن طاووس، غياث الدين عبد الكريم، فرحة الغري: ص ١٠٩-١١٠، تحقيق: محمد مهدي

كذلك يستفاد من بعض الروايات أنَّ هذه الأرض المباركة - النجف الأشرف - قد تضمنت جثامين بعض الأنبياء والأوصياء عليهم السلام قبل دفن الإمام علي عليه السلام فيها، منهم آدم ونوح، وهود، وصالح عليهم السلام...»^(١).

وفي اختيار الإمام علي عليه السلام لهذه الأرض لكي تكون مدفناً له ولأوليائه روايات كثيرة جمع طرفاً منها ابن طاووس في فرحة الغري، والتي منها:

رواية الشيخ المفيد في المزار، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «لما أُصيب أمير المؤمنين عليه السلام، قال للحسن والحسين عليهما السلام: غسِّلاني وكفِّاني، وحنطاني، واحملاني على سريري، واحملا مؤخره تكفيان مقدِّمه، فإنَّكما تنتهيان إلى قبر محفور، ولحدٍ ملحود، ولبن موضوع، فألحداني وأشرجا عليَّ اللبن...»^(٢).

وفي رواية أنَّ الإمام عليه السلام أمر ابنه الحسن أن يحفر له أربعة قبور، في أربعة مواضع: في المسجد، وفي الرحبة، وفي الغري، وفي دار جعدة بن هبيرة، وإنَّما أراد بهذا ألا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره^(٣).

وبقي قبر الإمام علي عليه السلام مخفياً لا يزوره إلاَّ الأئمة من ولده عليهم السلام وبعض الخواص من شيعته ومواليه، ففي بعض الروايات أنَّ الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام كان يقصد الكوفة سرّاً لزيارة الإمام عليه السلام بالزيارة المعروفة بـ (أمين

نجف، طبعة العتبة العلوية - النجف الأشرف، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

(١) يُنظر: ابن طاووس، غياث الدين عبد الكريم، فرحة الغري: ص ١٠٩-١١٠، تحقيق: محمَّد مهدي نجف، طبعة العتبة العلوية - النجف الأشرف، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ١٢١، ص ١٢٧-١٢٩، وكاظم الفتلاوي، مشاهير المدفونين في النجف: ص ١٧، ص ٤٥٣، طبعة النجف، العتبة العلوية، ٢٠١٠م - ١٤٣١هـ.

(٢) ابن طاووس، فرحة الغري: ص ١١٣-١١٤ عن مزار الشيخ المفيد: ص ٢٢٣.

(٣) المصدر نفسه: ص ١١٦.

الله)، والتي هي من الزيارات المعتمدة جداً، ولها فضل وثواب كبير^(١).

وكان الأئمة يُعرِّفون خواص أصحابهم بموضع قبر أمير المؤمنين، فهذا الإمام زين العابدين عليه السلام يقول لأبي حمزة الثمالي: «هل لك أن تزور معي قبر جدِّي علي بن أبي طالب؟ يقول أبو حمزة: قلتُ: أجل، فسرتُ في ظلِّ ناقته يحدثني حتى أتينا الغريين.. فنزل عن ناقته.. وقال: يا أبا حمزة: هذا قبر جدِّي علي بن أبي طالب، ثمَّ زارهُ بزيارة أولها: السلام على اسم الله الرضي، ونور وجهه المضيء.. ثمَّ ودَّعه ومضى إلى المدينة، ورجع أبو حمزة إلى الكوفة»^(٢).

كذلك فعل الإمام الباقر محمد بن علي عليه السلام إذ زار جدَّه مع أبيه السجاد، وزاره بنفسه أيضاً وعَرَّف بقبره لخواص شيعته^(٣).

وفي عصر الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام - ولأسباب موضوعية - أخذ التعريف بمكان القبر وموضعه يتسع ليشمل طبقة أوسع من طبقة خواص الشيعة، وأصبح التوجه للزيارة والحضور عند القبر الشريف يأخذ طابع العلن.

يقول الراوي: رأيت جعفر بن محمد وعبد الله بن الحسن بالغري عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، فأذن عبد الله وأقام الصلاة، وصلى مع جعفر بن محمد عليه السلام، وسمعت جعفرأ يقول: «هذا قبر أمير المؤمنين عليه السلام»^(٤).

وهناك روايات كثيرة يذكرها ابن طاووس عن الإمام الصادق عليه السلام في

(١) ابن طاووس، فرحة الغري: ص ١٣٢ وما بعدها.

(٢) ابن طاووس، فرحة الغري: ص ١٤٣.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٤٤ وما بعدها.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٦٠-١٦١.

تعيين مكان قبر الإمام الإمام علي عليه السلام وفي كل رواية يختلف الراوي والمصاحب للإمام في زيارته، إلا أنها جميعاً تروي عن الإمام قوله: «هذا قبر علي بن أبي طالب عليه السلام، أو هذا موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام»^(١).

ولم تكن النجف من المدن العامرة قبل الإسلام، وإنما كانت أرضها بمثابة الفلاة المحيطة بالكوفة والحيرة، «وابتدأت أهمية النجف عندما حُط فيها المرقد الشريف - للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عام (٤٠) للهجرة، وقد كان ذكراً فقط لم تقم عليه أمانة أو عمارة بل سوي مع الأرض، وبقي سراً مكتوماً.. ويقال إن ظهوره الأول كان في عهد المنصور العباسي يوم كان في الهاشمية حيث يجيء داود بن علي بن عبد الله بن العباس ويجعل على القبر الشريف صندوقاً خشبياً، وفي عهد الرشيد أنشأ رواق، عقدت عليه قبة، وفي حدود سنة (٢٧٣هـ) جاء محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالداعي الصغير ملك طبرستان فبنى على المشهد حائطاً، وفي سنة (٣٣٨هـ) بنى أبو علي عمر بن يحيى قبة بيضاء على المشهد العلوي، وتجمعت حول المشهد دويرات للهلاك والمنقطعين من الشيعة.

وفي أواخر القرن الرابع انبعثت الأمانة الشيعية وتكاثرت العمارة حول المشهد، وجاءت أمانة آل بويه وعزم عضد الدولة البويهية على إقامة أعظم عمارة للنجف، فبذل أموالاً طائلة وجلب البنائين ومواد البناء والصنائع وأهل الخبرة... وأقام عضد الدولة أمام الرواق بهواً كان يجلس فيه متأدباً لقضاء الحوائج، وفي هذا البهو وتحت الرواق عقدت حفلة للتدشين، تلك الحفلة

(١) ابن طاووس، فرحة الغري: ص ١٥٩ وما بعدها.

التاريخية التي حضرها الأمراء والنقباء والعلماء، وهناك ألقى الحسين بن الحجاج قصيدته المشهورة:

يا صاحب القبة البيضاء على النَجَفِ من زار قبرك واستشفى لديك شفي
وتمكثت عمارة عضد الدولة إلى ما بعد القرن الثامن للهجرة وفي خلال هذا
التاريخ جددت ورسمت من قبل بعض النابيين، وفي أوائل القرن الحادي عشر
أقيمت هذه العمارة الماثلة اليوم وهي العمارة الصفوية...»^(١).

وما ذكره مختصراً الشيخ الشرقي حول عمارة المشهد العلوي الشريف نجده
مفصّلاً في عشرات المصادر والمراجع القديمة والحديثة التي تحدثنا عن النجف
الأشرف وتطور الحياة الحضرية فيها، وعن مرقد الإمام علي عليه السلام وما جدد
وأضيف إليه من بناءٍ وتوسعة، مما لا يسع ذكرها في هذا المختصر^(٢).

قال السيّد ابن طاووس في فرحة الغري: «ولو أخذنا في ذكر من زاره
وعَمَرَهُ، وتقرَّب إلى الله تعالى بذلك (لأطلنا فيه) من الملاك، والعظماء، والوزراء،
والأدباء، والقضاة، والفقهاء، والعلماء، والمحدثين النبلاء»^(٣).

(١) علي الشرقي، الأحلام: ص ٥٢-٥٣.

(٢) للتوسع يُنظر: ابن طاووس، فرحة الغري: ص ٢٦٦، ٢٧٣-٢٧٤، ص ٢٨٥-٢٨٦
وص ٢٩٢ وما بعدها، وجعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف، مج ١-
٢، وجعفر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، مج ١، وحسن الحكيم، المفصل في تاريخ
النجف الأشرف، مج ١.

(٣) ابن طاووس، فرحة الغري: ص ٢٩٧.

المبحث الثاني:

منطلق الحركة العلمية في النجف الأشرف

مما يميّز مدينة النجف الأشرف عن غيرها من المدن الإسلامية العريقة أنّها مثوى باب علم رسول الله ﷺ حيث تشرفت بمرقد علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فأصبحت - وبمرور الزمن - مهوى قلوب العارفين والعابدين وطلّاب العلم والمعرفة والفضيلة، فتكوّن فيها أكبر مركز علمي، وأصبحت المقر والمركز للمرجعية الدينية، والتي ترعى بدورها حوزتها العلمية الكبرى وتدير شؤون الشيعة في العالم الإسلامي من خلال وكلائهم ومعتمديهم.

فوجود مرقد الإمام علي (عليه السلام) إضافةً إلى الاستقرار السياسي - النسبي - في هذه المدينة، وكونها وريثة الإرث الحضاري لمدينتي الحيرة والكوفة وغيرها من العوامل هي التي أوصلت هذه المدينة إلى مكانتها المتميزة من بين المدن الأخرى^(١).

وللحياة الفكرية والعلمية في هذه المدينة منطلق تاريخي بدأت منه، لا بد لنا من تحديده ثمّ نستعرض المراحل والأدوار العلمية التي مرّت بها ضمن تاريخها العلمي البارز.

وينبغي أن نشير إلى أنّ هجرة الشيخ الطوسي محمّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)

(١) للتوسع يُنظر: فخر الدين، محمّد جواد، تاريخ النجف حتى نهاية العصر العباسي: ص ٢٨٥ وما بعدها، طبعة دار الرافدين، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

إلى هذه المدينة والذي كان في سنة (٤٤٨ هـ) بعد تلك الفتن والأحداث الدامية التي شهدتها بغداد بعد سقوط الدولة البويهية وقيام دولة السلاجقة.

تعتبر - هذه الهجرة - عند المؤرخين المنطلق للحياة العلمية في النجف الأشرف وهي الحدُّ الفاصل بين مرحلتين:

الأولى: مرحلة ما قبل هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف.

والثانية: مرحلة ما بعد هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف.

حيث يتفق الجميع على أنَّ هجرة الشيخ إلى النجف قد حرك فيها الجو العلمي، وانبثقت فيها حركة علمية تكاملية منظمة. والسؤال الذي يطرح عادة يتجه إلى مرحلة ما قبل هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف وعن واقع الحركة العلمية فيها، فهل كانت هنالك حركة علمية قبل هجرة الشيخ إليها؟

والذي يبدو - ومن خلال تتبع كلمات الباحثين - أنَّ هنالك اتجاهات وآراء متعددة في بيان الواقع العلمي لهذه المدينة قبل حلول الشيخ الطوسي فيها.

ولكلِّ اتجاه ولصاحب كلِّ رأي أدلته التي يستند إليها، ومن هذه الاتجاهات:

١ - الاتجاه الأول: يرى «إرجاع تأسيس الجامعة النجفية إلى عهد الإمام علي عليه السلام الذي هو أوَّل من شيَّد ركنها الأساسي، ووضع حجرها الذهبي...»^(١).

وقد حاول أن يحشد الأدلة والمؤيدات الكثيرة لإثبات هذا الرأي، ومن أهمها: «وحدة النجف والكوفة - وإن اشتمل كلُّ منهما بتاريخ واسم خاص

(١) شمس الدين، محمَّد رضا، حديث الجامعة النجفية، منشور في فصلية آفاق نجفية: العدد ٢٢،

ص ٢٢١، السنة (٦)، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

- إِلَّا أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ هَذِهِ وَتِلْكَ إِلَّا بِالْأَسْمِ - وَإِنَّ الْكُوفَةَ مَا بَدَأَتْ بِالتَّقَهُّقَرِ وَالنَّجَفِ بِالتَّقَدُّمِ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ اتَّصَلْتَا وَكَلَفْتَ الْأُولَى الثَّانِيَةَ بِرِعايَةِ الْمَدْرَسَةِ الدِّينِيَّةِ وَحَفَظَ حُوزَتَهَا الْعِلْمِيَّةَ، الَّتِي بَذَرَ نَوَاتِهَا الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ).
ومنها: اشتهار الكوفة بالعلوم الإسلامية من الحديث والفقه والفنون العربية...

ومنها: كون الكوفة معروفة بالعلوية والتشيع...

ومنها: كونها مركز تلامذة الإمام علي والأئمة من بعده (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

إضافة إلى وجود بعض نقابة الأشراف، ووجود العلماء والفقهاء الذين بلغ عدد من أكرم منهم من قَبْلَ عَصْدِ الدَّوْلَةِ الْبُويْهِ الْكَثِيرِ بِحَسَبِ رِوَايَةِ ابْنِ طَاوُوسٍ فِي فَرْحَةِ الْغُرَيِّ (١).

٢- الاتجاه الثاني: ويرى هذا الاتجاه «أَنَّ النَّجَفَ كَانَتْ قَاحِلَةً عِلْمِيًّا، وَعِنْدَ هِجْرَةِ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ إِلَيْهَا أَوْجَدَ فِيهَا حَرَكَةً عِلْمِيَّةً» (٢).

٣- الاتجاه الثالث: ويرى صاحب هذا الاتجاه، أَنَّ الْحُوزَةَ الْعِلْمِيَّةَ فِي النَّجَفِ الْأَشْرَفِ تَأَسَّسَتْ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ الْمَفِيدِ، أَسْتَاذِ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا انْتَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ بَغْدَادِ أَوْ (عِنْدَ نَفْيِهِ مِنْهَا...) مِنْ قَبْلِ السُّلْطَةِ الْمَسْئُولَةِ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ مَا حَصَلَ هُنَاكَ مِنَ الْاِخْتِلَافَاتِ وَالثُّورَاتِ الطَّائِفِيَّةِ فَاخْتَارَ

(١) شمس الدين، محمَّد رضا، حديث الجامعة النجفية، منشور في فصلية آفاق نجفية: العدد ٢٢،

ص ٢٢٢ وما بعدها، ويُنظر: ابن طاووس، فرحة الغري: ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف (٢)، المجلد (٧): ص ١١ مقال السيّد محمَّد

الشيخ - المفيد - النجف الأشرف، حيث قلة الضوضاء وفراغ البال...^(١).

٤- الاتجاه الرابع: ويرجع صاحب هذا الاتجاه تأسيس حوزة النجف الأشرف إلى عهد الدولة البويهية وتحديداً إلى أيام عضد الدولة البويهية، ويرى: «أنَّ انتقال الشيخ المفيد إلى النجف كان برغبة من البويهيين الذين يؤيدون المذهب الشيعي - ولم يكن تبعيداً قسرياً للشيخ عن بغداد - ولقد حدثنا المصادر بأنَّ في أيام عضد الدولة نشطت الحركة العلمية في بغداد وغيرها، وكان نصيب النجف الأشرف كبيراً، فقد كان يرغب في تأسيس حركة مناهضة للحركة العلمية في بغداد، بدافع العقيدة، ولذا أخذ يبذل الأموال الطائلة في تشييد مرقد الإمام علي عليه السلام والاهتمام بالعلماء الذين فيها»^(٢).

٥- الاتجاه الخامس: ويرى أو يحتمل صاحب هذا الرأي والاتجاه أنَّ تأسيس الحوزة العلمية في النجف الأشرف يعود إلى عهد الصفويين أو الدولة الشيعية الصفوية في العراق في القرن العاشر للهجرة: «وهذا الرأي كان يظهره ويقربه آثار الصفويين في العراق وخدماتهم للعتبات المقدسة، ومدُّ الطلاب في النجف بالأموال وبناء المدارس والمساجد لهم فيها...»^(٣).

٦- الاتجاه السادس: ويرى أصحاب هذا الاتجاه - وهم نخبة من العلماء والباحثين - أنَّ مؤسس الحوزة العلمية في النجف الأشرف هو الشيخ محمد ابن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، بعد أن هاجر إليها واتخذ منها مسكناً عام (٤٥٨هـ)، ولا ينكر أصحاب هذا الرأي وجود نواة لحركة علمية قبل الشيخ

(١) الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ج ٧، ص ١٥-١٦ وحديث الجامعة النجفية: ص ٢٢٨.

(٢) المرجع نفسه: ج ٧، ص ١٦.

(٣) شمس الدين، حديث الجامعة النجفية: ص ٢٢٨-٢٢٩.

الطوسي، نجهل امتدادها الزمني، بل يقرب وجودها استناداً إلى المعطيات التاريخية التي تتحدث عن سدانة المشهد العلوي، ووجود علماء وفقهاء شملتهم هبات عضد الدولة البويهية عند زيارته للنجف، وحصول البعض على إجازة الرواية في المشهد العلوي، إضافة إلى بعض النصوص الشعرية والأدبية^(١)، كل هذه الشواهد تشكّل نوع أدلة على وجود حركة علمية في النجف الأشرف قبل هجرة الشيخ إليها، إلّا أنّها لم تكن حركة علمية منظمة من حيث مناهج الدرس وترتيب الحلقات الفكرية، وتوزيع الرواتب الشهرية على الأساتذة والطلاب، كما هو في بغداد على عهد الشريف المرتضى ومن قبله الشيخ المفيد، وإنّما كان للشيخ الطوسي الفضل في ذلك، فحوّل تلك الحركة العلمية البسيطة المشتتة إلى حركة منظمة متطورة، من خلال وضع مناهج معينة للدراسة، والإنفاق الشهري على الأساتذة والتلاميذ، ولهذا يمكن القول أنّ الشيخ الطوسي هو المؤسس للنجف الأشرف كجامعة على غرار مسجد الكوفة والبصرة^(٢).

وذهب إلى هذا الرأي الأخير «جمع من العلماء منهم السيّد الصدر العاملي، والشيخ آقا بزرك الطهراني، والشيخ محمّد باقر محبوبية صاحب كتاب ماضي النجف وحاضرها»^(٣).

وهذا الرأي هو الرأي الأقرب للواقع إذ إنّ وجود بعض طلاب العلم في النجف قبل مجيء الشيخ الطوسي إليها لا ينفي ذلك، فهؤلاء رواة أحاديث وحفظة أحاديث.. بخلاف طريقة الشيخ الطوسي التي هي طريقة الأصوليين

(١) للتوسع ينظر: الغروي، محمد، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ص ١٩ وما بعدها.

(٢) الدجيلي، جعفر، موسوعة النجف الأشرف: ج ٦، ص ٢٧-٢٩ بتصرف.

(٣) المرجع نفسه: ج ٦، ص ٣٠ هامش رقم ١.

والدراسة في النجف اليوم^(١).

المبحث الثالث: مجمل أدوار مدرسة النجف الأشرف

قسّم بعض الباحثين أدوار الجامعة النجفية إلى أربعة أدوار، وأبرز لكل دور سماته ومعاله التي تميزه عن الأدوار السابقة أو اللاحقة له^(٢).

إلا أن باحثاً آخر حصرها في ثلاثة أدوار فقال: «أدوار الجامعة النجفية خلال مسيرتها العلمية الطويلة - والتي تكاد تدق أبواب الألف عام - تمرُّ بأدوار يمكننا أن نحصرها بثلاثة أدوار مهمة نعرضها بإيجاز...»^(٣).

وعلى أساس هذا التقسيم الثلاثي سوف نوجز الكلام لهذه الأدوار الثلاثة في هذه الحوزة الكبرى، مع بعض الإضافات والتوضيحات اللازمة.

مجمل أدوار حوزة النجف الأشرف هي:

الدور الأول:

يبدأ الدور الأول، بانتقال الشيخ محمد بن الحسن الطوسي إليها سنة (٤٤٨هـ) بعد تلك الفتنة الهوجاء التي حلت ببغداد بعد أن انتهت الحقبة البويهية من الحكم العباسي، وجاءت الحقبة السلجوقية لتصب جام غضبها على كل ما يمت إلى الشيعة والتشيع بصلة، فأحدثوا فتنة طالت دور العلم والعلماء

(١) شمس الدين، حديث الجامعة النجفية: ص ٢٢٧.

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٢٠.

(٣) بحر العلوم، محمد، الدراسة وتاريخها في النجف، بحث منشور في موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف: ج ٧، ص ٣٧ وما بعدها.

والمكتبات ودور العبادة، وتمّ الاعتداء على منزل الشيخ الطوسي فأحرقت مكتبته وكرسي الكلام الذي كان يجلس عليه لإلقاء محاضراته العلمية، فلم يكن أمام الشيخ الطوسي إلّا أن يترك بغداد صوب مدينة علي عليه السلام ولسان حاله يقول: بقبرك لذنا والقبور كثيرة ولكن من يحمي الجوار قليل يقول الدكتور مصطفى جواد: «إنّ خروج الشيخ الطوسي من مدينة بغداد ولجوءه إلى مدينة النجف الأشرف لم يكن طبعياً، بل رحل عنها مطلوباً مطاردًا، ومبتعداً عن الفتن والاضطرابات التي تجددت هناك»^(١).

وأما الأسباب التي دعت الشيخ الطوسي لاختيار النجف الأشرف محلاً لهجرته دون غيرها من البلدان فيمكن إجمالها بما يلي:

أولاً: العامل الفكري: كانت مدينة النجف في القرن الخامس الهجري خالية من التنافس المذهبي والصراع الفكري، كما كانت تفتقد إلى وجود طبقة من كبار العلماء والمفكرين، أو من الأعلام الذين يركز عليهم فن المناظرة والجدل.

ثانياً: العامل السياسي: إنّ موقع مدينة النجف الجغرافي أهلها لأن تكون ملجأ لمن تعصف بهم الظروف السياسية والفكرية والاجتماعية، وذلك لبعدها عن بغداد ولوقوعها في طرف الصحراء مما جعلها في عزلة عن مراقبة السلطة.

ثالثاً: العامل المذهبي: كما أنّ وقوع النجف على مقربة من مدينة الكوفة والمدن الفراتية الأخرى، المعروفة بالتشيع، إضافة إلى خلوّها من علماء المذاهب الإسلامية الأخرى. من العوامل المساعدة لاختيار الشيخ الطوسي هذه المدينة

(١) مصطفى جواد، مقال نظرات في الذريعة، مجلّة البيان، العدد (٦)، السنة (١)، ص ١٣٣.

مسكناً، ومركزاً ملائماً لنشر العلوم الإسلامية الشيعية.

رابعاً: وجود نواة الحركة العلمية: إنَّ مما شجع الشيخ الطوسي على الهجرة إلى النجف الأشرف وجود حركة علمية فيها وإن لم تكن واسعة، فأراد احتضانها وتنميتها وتطويرها لأنَّها تستند لعلوم أهل البيت عليهم السلام^(١).

إلَّا أنَّ النصوص التاريخية لا تشير إلى وجود مدرسة منظمة في هذه المدينة قبل حلول الشيخ بها، وإنَّما مجرد نواة وأرضية علمية خصبة استطاع الشيخ ببراعة أن يجعل منها حاضرة علمية كبرى، ومركزاً مهماً من مراكز العلوم الإسلامية. وكلمات بعض الباحثين تشير بوضوح إلى هذه الحقيقة، يقول الدكتور مصطفى جواد: «إنَّ الشيخ الطوسي وضع الأساس لجامعة النجف»^(٢). ويقول باحث آخر: «هو - أي: الشيخ الطوسي - أوَّل من جَعَلَ النجف مركزاً علمياً»^(٣)، فيما ينص باحث ثالث على: «أنَّ النجف أصبحت جامعة في العالم الإسلامي بعد أن وضع حجرها الأساس الشيخ الطوسي»^(٤).

ويصرِّح السيّد الغروي بهذه الحقيقة بقوله: «.. فعندما حلَّ شيخ الطائفة في النجف الأشرف أسَّس الحوزة العلمية الدينية فيها، بعد أن كانت خالية من حلقات البحث والتدريس والاستفادة»^(٥).

(١) حسن الحكيم، المفصل في تاريخ النجف: ج ٤، ص ٢٨-٢٩ بتصرف.

(٢) مصطفى جواد: مقال نظرات في الذريعة، منشور في مجلَّة البيان، العدد ٦، السنة (١)، ص ١٣٣.

(٣) الخياباني، ریحانة الأدب: ج ٢، ص ٣٩٩.

(٤) محمَّد بحر العلوم، مقدمة رجال الطوسي: ص ١٨.

(٥) محمَّد الغروي، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ص ٣٦.

ويعتبر هذا الرأي هو الرأي الوسط بين الرأي الذي يدّعي وجود حركة علمية واسعة في النجف لها علماءؤها ومناهجها وطلّابها، وإنّ دور الشيخ الطوسي فيها هو دور التنظيم للوضع الدراسي فيها، وإبرازها كمدرسة علمية^(١).

وبين من يرى: «أنّ النجف قبل أن ينتقل إليها الطوسي لم تكن إلّا مزاراً ومدفنّاً حول القبر، (و) جماعة من المجاورين لا عمل لهم إلّا خدمة الزوار القاصدين، وهي يومئذ قرية في طرف ناءٍ عن العمران والبلاد المأهولة»^(٢).

ومهما يكن من أمر، فإنّ الدور الأوّل من أدوار حوزة النجف الأشرف تبدأ بمؤسسها الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي، وتستمر من بعده من خلال الناهين من تلامذته وتلامذة تلامذته.

ثم يأتي عصر المحقّق أحمد الأردبيلي الذي توفي (٩٩٣هـ)، ليبدأ به الدور الثاني، ويستمر من خلال بعض أعلام القرن العاشر والحادي عشر الهجري، إذ تنحسر عنها الأضواء في المنتصف الثاني من القرن الحادي عشر بعد ظهور المدرسة الأخبارية وانتقال ساحة الصراع الفكري إلى مدينة كربلاء حيث سكنها قطبا هذا الصراع، الشيخ يوسف البحراني، والشيخ الوحيد البهبهاني اللذان يمثلان تيارين فكريين علميين على الصعيد الفقهي لمدرسة أهل البيت عليه السلام.

وبعد انتهاء الصراع الأصولي الأخباري، بانتصار المدرسة الأصولية، عاد بعض طلّاب الوحيد البهبهاني إلى النجف الأشرف عند حلول القرن

(١) الحكيم، المفصّل في تاريخ النجف: ج ٤، ص ٢١١.

(٢) محمّد رضا المظفر، مؤسسة جامعة النجف، العدد (٤)، السنة (٢)، ص ٣ عن تاريخ النجف

لفخر الدين.

الثالث عشر الهجري ليبدأ بهم الدور الثالث، الذي استمر إلى يومنا هذا، حيث ازدادت حركتها، وتوسعت مجاميعها الطلابية، وشُيّدت فيها المدارس ودور العلم والمكتبات، كما أنّها أصبحت مقر المرجعية الدينية.

هذا مجمل أدوار مدرسة النجف الأشرف، والتي تحتاج إلى بعض التفصيل من خلال بيان بعض الخصائص العلمية لكل مرحلة، وأهم علمائها ونتائجهم العلمي، كذلك تسليط الأضواء على مدارسها ومكتباتها ودور العلم فيها، وذلك من خلال بحوث مركزة.

الفصل الثاني

حوزة النجف الأشرف في دورها الأول

المبحث الأول:

جهود الشيخ الطوسي في ترسيخ الحركة العلمية في النجف الأشرف

تعد هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف من الأحداث المهمة في تاريخ تلك المدينة، إذ إنّّه واصل نشاطه العلمي والتعليمي في موطنه الجديد.. «ويظهر نشاط الشيخ الطوسي في التعليم.. من كتابه الموسوم بـ (الأمالي) وهي الدروس التي كان يملئها على طلابه، ويظهر من مقدّمات تلك الدروس أنّ معظمها أُلقيت في مشهد الغري أو النجف.. إنّ انتقال الطوسي إلى مشهد علي (عليه السلام) وقيامه بالتدريس هناك لهما أثر كبير في تنظيم الدراسة وتقديمها عند

الجهود التأليفية للشيخ الطوسي في النجف:

الذي يبدو أن الشيخ الطوسي قد بدأ نشاطه العلمي في النجف الأشرف من خلال حلقة درس أُملى فيها محاضراته على تلامذته والذي نتج عنها كتابه المعروف بـ (الأُمالي) أو (المجالس) والذي هو عبارة عن مجالس عُقدت في مشهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

يقول محقق كتاب الأُمالي في طبعته الجديدة: «وكتاب (الأُمالي) أو (المجالس) للشيخ الطوسي عبارة عن مجالس عُقدت في مشهد الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام في النجف الأشرف، وهي تعطي دلالة على انتظام الوضع الدراسي، وإعادة الحركة العلمية من جديد في النجف، بعد النكسة التي أصابتها في حوادث بغداد عام (٤٤٨ هـ)، ومما يبدو أن الشيخ الطوسي قد أُملى على طلابه في النجف، وكان من ضمنهم ولده أبو علي الذي قام بدوره في إملائها على تلاميذه فيما بعد، فرويت عن مؤلفها بواسطته، ولا يمنع ذلك أن يوجد من شارك أبا علي في السماع من أبيه الشيخ الطوسي تلك الأُمالي، إلا أن الذي حدّث بها عن المؤلف هو ولده أبو علي فحسب، ممّا جعل بعض الباحثين يعتقد نسبة هذه الأُمالي للشيخ أبي علي الطوسي...»^(٢).

ومن الخصوصيات المهمة لهذه الأُمالي أنها مؤرخة بالشهر والسنة إضافة

(١) عبد الله الفياض، تاريخ التربية عند الإمامية: ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) الطوسي، الأُمالي: ص ٢١-٢٢ المقدمة، طبعة مؤسسة البعثة - قم، ط ١، ١٤١٤ هـ، وللتوسع يُنظر: آقا بزرك الطهراني، الذريعة، ج ٢، ص ٣٠٩ وما بعدها.

إلى ذكر أيام الإملاء - غالباً - فيتسفيد منها الباحث تعاقبها الزمني، حيث كانت هذه المجالس تعقد مستمرة في أيام الجمع وعلى مدار أيام السنة، «وقد استغرق إملاء كتاب الأمالي.. مدّة ثلاث سنوات، لأنّه أُملي المجلس الأوّل من القسم الأوّل في شهر ربيع الأوّل من سنة (٤٥٥هـ)، وختم المجلس السابع والعشرين من القسم الثاني في يوم الجمعة السادس من صفر سنة (٤٥٨هـ)»^(١)، إضافة إلى ما تضمنته هذه الأمالي من الأحاديث النبوية وجانباً من السيرة النبوية وروايات الأئمة عليهم السلام، والأدعية المأثورة، كما أنّ للتاريخ فيها المجال الأوسع، معتمداً في مصادره - في الأغلب الأعم - على السماع من مشايخه كالمفيد، وابن عبدون.. وغيرهما.

كما أنّ هنالك كتاب: شرح الشرح في علم أصول الفقه، الذي يبدو أنّه شرع في تأليفه في النجف الأشرف ولم يتمّه؛ «يقول تلميذه الحسن بن مهدي السليقي أنّ من مصنفاته التي لم يذكرها في الفهرست كتاب شرح الشرح في الأصول، وهو كتاب مبسوط أُملي علينا منه شيئاً صالحاً، ومات رحمته الله ولم يتمّه، ولم يصنّف مثله»^(٢).

كما أنّ كتاب: اختيار الرجال، وهو كتاب رجال الكشي الموسوم بـ (معرفة الناقلين)، لأبي عمرو ومحمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي المعاصر لابن قولويه المتوفى سنة (٣٦٩هـ) والراوي كلّ منهما عن الآخر، من نتاج العلمي للشيخ الطوسي خلال هذه الفترة، «كان هذا الكتاب كثير الأغلاط - كما ذكره النجاشي - لذلك عمد شيخ الطائفة - الطوسي - إلى تهذيبه وتجريده من الأغلاط وسمّاه

(١) الأمالي، المقدّمة: ص ٢٢-٢٣.

(٢) آقا بزرك الطهراني، مقدمة كتاب النهاية: ق، طبعة دار الكتاب العربي.

بذلك، وأملاه على تلاميذه في المشهد الغروي، وكان بدء إملائه يوم الثلاثاء (٢٦) صفر سنة (٤٥٦هـ)، كما حكاه السيّد رضي الدين بن طاووس في (فرج المهموم).. والنسخة المطردة المعروفة برجال الكشي هي عين اختيار شيخ الطائفة، وأمّا الأصل فلم نجد له أثراً^(١).

ومن الباحثين من ينص على أنّ للسنين التي قضاها الشيخ الطوسي في النجف أثرها الكبير في شخصيته العلمية التي تمثّلت في كتاب (المبسوط) وهو آخر ما ألفه في الفقه، كما نص على ذلك ابن إدريس في بحث الأنفال من السرائر، بل آخر ما ألفه في حياته كما جاء في كلام مترجميه^(٢).

هذه العناوين هي كلّ ما يمكن إحصاؤه من آثار الشيخ الطوسي في فترتها الغروية النجفية حيث استمر في تدريسه، وإلقاء محاضراته حتى أواخر حياته، فيقول ابن شهر يار الخازن - وهو من تلامذة الشيخ الطوسي -: «حدّثنا الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي رحمته الله بالمشهد المقدّس الغروي وعلى ساكنه أفضل الصلوات في شهر رمضان من سنة ثمان وخمسين وأربعمئة»^(٣) أي: قبل سنتين من وفاته سنة (٤٦٠هـ).

ويلاحظ الدارس ظاهرة غريبة في حياة الشيخ في الفترة الأخيرة التي عاشها في النجف الأشرف، وخلص فيها كلياً للدرس والمحاضرة، هي قلة إنتاجه الفكري رغم أنّها فترة امتدت نحو اثني عشر عاماً، ولعلّ هذا ناتج

(١) آقا بزرك الطهراني، مقدمة النهاية: ن - س، ويُنظر الذريعة: ج ١، ص ٣٦٥-٣٦٦، وابن

طاووس، فرج المهموم: ص ١٣٠-١٣١.

(٢) محمّد باقر الصدر، المعالم الجديدة: ص ٨٣.

(٣) ابن طاووس، مهج الدعوات: ص ٢١٨.

من قناعاته بكفاية انجازاته الفكرية في بغداد. إذ هو بما تميزت به آثاره من غزارة وتنوع قد شارك بكثير من الأصالة والإبداع والتجديد في تحديد الاتجاه العام للثقافة الإسلامية في زمنه، وتحديد مستقبلها كذلك، وقد بقيت آراء الشيخ الطوسي في القضايا الرئيسية الفقهية والأصولية تتمتع بنوع من الإكبار لدى الأصوليين والفقهاء دهرًا طويلاً^(١).

المبحث الثاني:

تلامذة الشيخ الطوسي في النجف الأشرف

كان الشيخ الطوسي محمد بن الحسن، وبعد وفاة أستاذه المرجعين (المفيد والمرتضى) يمثل المرجعية العامة للشيعة الإمامية، والتي كان مركزها بغداد عاصمة الدولة الإسلامية، وبانتقال الشيخ منها انتقلت معه المرجعية العامة إلى النجف الأشرف، فحلَّ فيها كمرجع للشيعة بلا منافس؛ وكقطب من أقطابها الفكرية والعلمية والتي لا يدانيه فيها أحد.

فمن الطبيعي أن يكون الشيخ الطوسي في مركزه العلمي الجديد النجف الأشرف مركز استقطاب يتوافد عليها طلاب العلم والمعرفة للأخذ من نير علمه، وهذا ما تشير إليه - إجمالاً - كلمات بعض الباحثين، فيقول الشيخ الطهراني: «وأخذت تشدُّ إليها - أي: النجف - الرحال، وتُعلّق بها الآمال، وأصبحت مهوى رجال العلم ومهوى أفئدتهم وقام بها صرح الإسلام»^(٢).

(١) حسن الحكيم، الشيخ الطوسي: ص ١٠٥-١٠٦، مطبعة الآداب - النجف، ط ١، ١٣٩٥ هـ -

١٩٧٥ م.

(٢) آقا بزرك الطهراني، مقدمة البيان: ج ١، صهـ.

ويقول السيّد الخوئي في ترجمة الشيخ الطوسي: «فقد أسّس الشيخ في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام مدرسة ما أعظمها وأجل شأنها، فقد تخرّجت عليه كثير من الفقهاء والمجتهدين، ومن العلماء والمفسرين والمتكلمين»^(١).

ويقول باحث آخر: «ومنذ أن حلّ الشيخ الطوسي أرض النجف أصبحت مقصد الأدباء والعلماء والفقهاء من كلّ حدب وصوب، وصارت النجف منذ ذلك الوقت مركزاً رئيساً من مراكز الدرس والبحث والعناية بتدريس فقه المذهب الجعفري»^(٢). إلّا أنّ هذا الإجمال لا يعطينا صورة واضحة عن عدد تلامذة الشيخ الطوسي في النجف الأشرف، ومن تتلمذ عليه فيها، أو انتقل من بغداد إليها، في الوقت الذي تشير بعض النصوص إلى أنّ عدد تلامذة الشيخ الطوسي من الشيعة بلغ ثلاثمائة تلميذ، وأمّا من السنّة فلا يحصى^(٣).

وهذا العدد الذي تكاد المصادر أن تجمع عليه نراها عند تعداد أسمائهم لا تصل بهم إلى أكثر من ستة وثلاثين اسماً!

ولابد من أن نتساءل عن هذا العدد من الطلاب والمحصلين، هل هم من أركان حوزته العلمية في بغداد، وقد انتقلوا إلى النجف؟ أو أنّهم نشأوا في النجف، ونمت الحوزة بهم على عهده بالتدريج، بحيث برز فيها العنصر المشهدي - نسبة إلى المشهد العلوي - والعنصر الحلي^(٤)؟

(١) أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ١٥، ص ٢٧٤.

(٢) حسين أمين، الحياة الثقافية في العصر البويهي: ص ٢٨٣.

(٣) آقا بزرك الطهراني، مقدمة تفسير التبيان: ج ١، هـ، ومحمد بحر العلوم، الدراسة وتأريخها:

ضمن موسوعة العتبات: ج ٧، ص ٢٣.

(٤) محمّد باقر الصدر، المعالم الجديدة: ص ٨٤.

رَجَّحَ السَّيِّدُ الصِّدْرُ أَنَّ الشَّيْخَ بِهِجْرَتَهُ إِلَى النِّجْفِ انفَصَلَ عَنْ حَوْزَتِهِ
الْأَسَاسِيَّةِ - بِبَغْدَادَ - وَأَنْشَأَ فِي هِجْرَتِهِ حَوْزَةً جَدِيدَةً، مُسْتَنَدًا فِي تَرْجِيحِهِ إِلَى
عِدَّةٍ مَبْرَرَاتٍ يُمْكِنُ تَلْخِيصُهَا بِمَا يَلِي:

أَوَّلًا: إِنَّ مُؤَرِّخِي هِجْرَةِ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ إِلَى النِّجْفِ لَمْ يَشِيرُوا إِطْلَاقًا إِلَى أَنَّ
تِلَامِذَةَ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ فِي بَغْدَادَ رَافَقُوهُ، أَوْ التَّحَقُّقُ بِهِ فَوْرَ هِجْرَتِهِ إِلَى النِّجْفِ.
ثَانِيًا: إِنَّ قَائِمَةَ تِلَامِذَةِ الشَّيْخِ الَّتِي يَذْكُرُهَا مُؤَرِّخُوهُ، لَا تُشِيرُ إِلَى مَكَانٍ
التَّلْمِذَةِ إِلَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى شَخْصَيْنِ جَاءَ النَّصُّ عَلَى أَنَّهَا تَلْمِذَاتُهُ عَلَى الشَّيْخِ فِي
النِّجْفِ، وَهُمَا: الْحُسَيْنُ بْنُ الْمُظْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَمْدَانِي، وَالْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ
الْحَسَنِ بْنِ بَابُوِيهِ الْقُمِّي^(١).

ثَالِثًا: وَمَا يُعَزِّزُ احْتِمَالَ حَدَاثَةِ الْحَوْزَةِ الَّتِي تَكُونَتْ حَوْلَ الشَّيْخِ فِي النِّجْفِ
الْأَشْرَفِ الدُّورَ الَّذِي أَذَاهُ فِيهَا ابْنُهُ الْحَسَنُ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي عَلِيٍّ، فَقَدْ تَزَعَّمُ الْحَوْزَةُ
بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ.

وَمِنَ الْمُظَنُّونَ أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ كَانَ فِي دُورِ الطُّفُولَةِ أَوْ أَوَائِلِ الشَّبَابِ حِينَ هَاجَرَ
أَبُوهُ إِلَى النِّجْفِ لِأَنَّ تَارِيخَ وَلَادَتِهِ وَوَفَاتِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا، وَلَكِنَّ الثَّابِتَ
تَارِيخِيًّا أَنَّهُ كَانَ حَيًّا فِي سَنَةِ (٥١٥هـ)، أَيُّ: إِنَّهُ عَاشَ بَعْدَ هِجْرَةِ الشَّيْخِ قَرَابَةَ
سَبْعِينَ عَامًا، وَيَذْكُرُ عَنْ تَحْصِيلِهِ أَنَّهُ كَانَ شَرِيكًَا فِي الدَّرْسِ عِنْدَ أَبِيهِ مَعَ الْحَسَنِ
ابْنِ الْحُسَيْنِ الْقُمِّيِّ الَّذِي رَجَّحْنَا كَوْنَهُ مِنَ الطَّبَقَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ، كَمَا يُقَالُ عَنْهُ: إِنَّ
أَبَاهُ أَجَازَهُ سَنَةَ (٤٥٥هـ)، أَيُّ: قَبْلَ وَفَاتِهِ بِخَمْسِ سِنِينَ، وَهُوَ يَتَّفَقُ مَعَ حَدَاثَةِ

(١) يُنْظَرُ تَرْجُمَتُهُمَا فِي: رِجَالِ الْمَامَقَانِي: ج ١، ص ٢٧٣، ص ٣٤٥، وَفَهْرَسْتُ مُتَتَجِبِ الدِّينِ:
ص ٤٣ الرِّقْمُ ٧٣.

تحصيله.

فإذا عرفنا أنه خلف أباه في التدريس والزعامة العلمية للحوزة في النجف بالرغم من كونه من تلامذته المتأخرين في أغلب الظن استطعنا أن نقدر المستوى العلمي العام لهذه الحوزة، ويتضاعف الاحتمال في كونها حديثة التكوّن.

والصورة التي تكتمل لدينا على هذا الأساس هي: أن الشيخ الطوسي بهجرته إلى النجف قد انفصل عن حوزته الأساسية في بغداد، وأنشأ حوزة جديدة حوله في النجف، وتفرّغ في مهجره للبحث وتنمية العلم^(١).

يقول الشيخ الطهراني: «ومهما يكن من أمر؛ فإن تلامذة الشيخ الطوسي من الشيعة وإن بلغوا أكثر من ثلاثمائة مجتهد، ومن السنّة ما لا يحصى.. إلّا أنّ ما يذكر من أسمائهم الشيخ متجب الدين في الفهرست لا يتجاوز الستة والعشرين عالماً، وزاد عليهم السيّد مهدي بحر العلوم في (الفوائد الرجالية) أربعة فتّمّت عدتهم ثلاثين.. ونظراً لما حدث في أسماء بعضهم من التصحيف، ولما وقفنا عليه من أسماء جماعة أخرى من تلاميذه.. فإننا نسرد أسماء الجميع على ترتيب حروف الهجاء».

فيذكر الطهراني أسماء وأوصاف أولئك التلامذة ضمن قائمة ضمّت ستة وثلاثين عالماً من تلاميذ الشيخ الطوسي المعروفين^(٢).

(١) محمّد باقر الصدر، المعالم الجديدة: ص ٨٤-٨٨ بتلخيص.

(٢) الطهراني، مقدمة التبيان: ج ١، أط، وللتوسع ينظر، حسن الحكيم، الشيخ الطوسي: ص ١٧٢-٢١٦ الفصل الثالث.

الفصل الثالث:

حوزة النجف الأشرف بعد وفاة الشيخ الطوسي

تمهيد:

يقول الشيخ الطهراني: «لم يبرح شيخ الطائفة في النجف الأشرف مشغولاً بالتدريس والتأليف، والهداية والإرشاد، وسائر وظائف الشرع الشريف وتكاليفه، مدة اثنتي عشرة سنة، حتى توفي ليلة الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة (٤٦٠هـ) عن خمس وسبعين سنة.. ودفن في داره بوصية منه».

ويؤرخ الشيخ الطهراني لمسجد الشيخ الطوسي فيقول: «وتحوّلت الدار بعده مسجداً في موضعه اليوم حسب وصيته أيضاً، وهو مزار يتبرك به الناس من العوام والخواص، ومن أشهر مساجد النجف، عقدت فيه - منذ تأسيسه حتى اليوم - عشرات حلقات التدريس من قبل كبار المجتهدين وأعظم المدرسين؛ فقد كان العلماء يستمدون من بركات قبر الشيخ لكشف غوامض المسائل ومشكلات العلوم، ولذلك كان مَدْرَس العلماء، ومعهد تخرج المجتهدين إلى عصر شيخ الفقهاء الشيخ محمد حسن صاحب (الجواهر) الذي كان يدرس فيه أيضاً، حتى بعد أن بنوا له مسجده الكبير المشهور باسمه، فقد كثر إلحاحهم عليه، وطلبهم منه الانتقال إليه لم يقبل ولم يرفع اليد عنه اعتزازاً بقُدسية شيخ الطائفة وحباً للقرب منه، وهكذا إلى أن توفي.

واستمرت العادة كذلك إلى عصر شيخنا المحقق الأكبر الشيخ محمد

كاظم الخراساني صاحب (الكفاية)، فقد كان تدريسه فيه ليلاً إلى أن توفي، وقد أُحصيت عدّة تلامذته في الأواخر بعض الليالي فتجاوزت الألف والمائتين. وكذلك شيخنا الحجة المجاهد شيخ الشريعة الأصفهاني، فقد كان يدرس فيه عصرًا إلى أن توفي، وكما أنَّ تلميذ شيخنا الخراساني الأرشد الحجة المعروف الشيخ ضياء الدين العراقي كان يدرس فيه صباحاً إلى أن توفي.

وموقع مسجد الشيخ في محلة المشراق من الجهة الشمالية للصحن المرتضوي الشريف وسمي باب الصحن المنتهي إلى مرقد ب (باب الطوسي).

وقد طرأت عليه بعد عمارته الأولى عمارتان، إحداهما: في حدود سنة (١١٩٨هـ) وذلك بترغيب من العلامة السيّد مهدي بحر العلوم كما ذكره في الفوائد الرجالية، فقد قال: «وقد جُدد مسجده في حدود سنة (١١٩٨هـ) فصار من أعظم المساجد في الغري وكان ذلك بترغيبنا بعض الصلحاء من أهل السعادة»^(١)، وبنى لنفسه مقبرة في جواره دفن فيها مع أولاده وجملة من أحفاده.

والثانية: في سنة (١٣٠٥هـ) كما ذكره صديقنا العلامة السيّد جعفر آل بحر العلوم في كتابه (تحفة العالم)^(٢)، وكانت بعناية العلامة السيّد حسين آل بحر العلوم المتوفى سنة (١٣٠٦هـ)، فإنّه لما رأى تضعُّع أركانه وأنها آلت إلى الخراب رغب بعض أهل الخير في قلعه من أساسه، فجُدّد، وهي العمارة الموجودة اليوم.

وفي سنة (١٣٦٩هـ)، هدمت الحكومة ما يقرب من ربع مساحته فأضافتها

(١) مهدي بحر العلوم، رجال بحر العلوم المعروف ب (الفوائد الرجالية): ج ٣، ص ٢٣٩.

(٢) جعفر بحر العلوم، تحفة العالم في شرح خطبة المعالم: ج ١، ص ٢٠٤ طبعة الصادق - طهران.

إلى الشارع الذي فتحته بجنبه في نفس العام، وسمّته بشارع الطوسي أيضاً، فصار للمسجد بابان، أحدهما - وهو الأكبر والأوجه - على الشارع الجديد العام من جهة المشرق، والثاني وهو - الباب الأوّل - من جهة الغرب على الطريق القديم مقابل (المدرسة المهدية) وقد انخفضت أرض المسجد عن الشارع كثيراً، وتضعضت عمارته، فنسأله تعالى أن يهدي بعض أهل السعادة والعاملين للآخرة لتعميره ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾^(١).

وقد استجاب الله دعاء الشيخ الطهراني، فبعد سقوط نظام البعث في العراق، جدّد ديوان الوقف الشيعي بناء هذا المسجد وأنفق عليه مبلغاً كبيراً حيث أُعيد بناء قبته وغلفت بالقاشاني، وأُعيد إكساء جدرانها وأرضيته بالرخام. لقد كان الشيخ الطوسي عالماً من أعلام الهداية، وطوداً شاخاً في العلم، وكانت داره على حدّ وصف الشيخ جعفر محبوبة: «معهداً ومنتدى للعلماء، ولم تزل على ذلك حتى وفاته فأوصى أن يدفن بها وأن تجعل مسجداً بعده»^(٢).

ولنعم ما قيل في تاريخ وفاة الشيخ الطوسي:

يا مرقد الطوسي فيك قد انطوى تحي العلوم فعدت أطيّب مرقد
بك شيخ طائفة الدعاة إلى الهدى ومجمع الأحكام بعد تبدد
أودى بشهر محرم فأضافه حزناً بفاجع رزئه المتجدد

(١) الطهراني، مقدمة التبيان: أ ط.

(٢) باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ج ١، ص ١٠٤ طبعة دار الأضواء - لبنان، بيروت.

وبكى له الشرع الشريف مؤرخاً أبكى الهدى والدين فقد محمد^(١)

المبحث الأول

استمرار الحركة العلمية في النجف ضمن إطار أفكار الشيخ الطوسي

رغم ما منيت به الحوزة العلمية في النجف من خسارة كبيرة بفقدان مؤسسها وزعيم حوزتها الشيخ الطوسي قدس سره إلا أنها واصلت حركتها العلمية ضمن إطار أفكار الشيخ نفسه؛ والتي تستمد من تراثه الفقهي والأصولي الذي دوّنه في حوزته الكبرى ببغداد، إذ لم تكن هنالك إضافات تذكر لهذا التراث فترة مكوثه في النجف كما ألمحنا إلى ذلك آنفاً، كما لم يكن هنالك تطور وإضافات لما تركه الشيخ من قبل طلابه وحوزته العلمية في النجف. فما هو سبب هذا الركود؟

ومرة أخرى نعود إلى السيّد الشهيد الصدر وهو يسلط الأضواء على ظاهرة الركود النسبي الذي شهدته الحركة العلمية بعد وفاة الشيخ الطوسي وأسبابها وعللها، فيقول: إنَّ هنالك عدّة أسباب من المحتمل أن تفسر الموقف:

١ - إنَّ الشيخ بهجرته إلى النجف انفصل عن حوزته الأساسية في بغداد، وأنشأ حوزةً جديدةً حوله في النجف.. وإذا صدقت هذه الصورة أمكننا تفسير الظاهرة التي نحن بصدد تحليلها، فإنَّ الحوزة الجديدة التي نشأت حول الشيخ في النجف كان من الطبيعي أن لا ترقى إلى مستوى التفاعل المبدع من التطور الذي أنجزه الطوسي في الفكر العلمي؛ لحداثتها.

(١) جعفر بحر العلوم، تحفة العالم: ج ١، ص ٢٠٣.

وأما الحوزة الأساسية ذات الجذور - العميقة - في بغداد فلم تتفاعل مع أفكار الشيخ؛ لأنه كان يمارس عمله العلمي في مهجره منفصلاً عن تلك الحوزة، فهجرته إلى النجف قد فصلته عن حوزته الأساسية، ولهذا لم يتسرب الإبداع الفقهي العلمي من الشيخ إلى تلك الحوزة التي كان ينتج ويبدع بعيداً عنها.

ولهذا كان لابد - لكي يتحقق ذلك التفاعل الخلاق - من أن تشتدّ ساعد الحوزة الفتية التي نشأت حول الشيخ في النجف حتى تصل إلى ذلك المستوى من التفاعل من الناحية العلمية، فسادت فترة ركودٍ ظاهريٍّ بانتظار بلوغ الحوزة الفتية إلى ذلك المستوى، وكلف ذلك العلم أن ينتظر قرابة مائة عام ليتحقق ذلك، ولتحمل الحوزة الفتية أعباء الوراثة العلمية للشيخ حتى تتفاعل مع آرائه وتتسرب بعد ذلك بتفكيرها المبدع إلى الحلّة.

٢- وقد أسند جماعة من العلماء ذلك الركود الغريب إلى ما حظي به الشيخ الطوسي من تقديرٍ عظيمٍ في نفوس تلامذته رفعه في أنظارهم عن مستوى النقد وجعل من آرائه ونظرياته شيئاً مقدساً لا يمكن أن ينال باعتراضٍ أو يخضع لتمحيص.

ففي المعالم كتب الشيخ حسن بن زين الدين ناقلاً عن أبيه: «إن أكثر الفقهاء الذين نشأوا بعد الشيخ كانوا يتبعونه في الفتوى تقليداً له؛ لكثرة اعتقادهم فيه وحسن ظنهم به»^(١). وروي عن الحمصي - وهو ممن عاصر تلك الفترة - أنه

(١) زين الدين حسن، معالم الدين: ص ١٧٦.

قال: «لم يبق للإمامية مُفْتٍ على التحقيق، بل كُلُّهم حاكٍ»^(١).

٣- غياب دور الإثارة الذي كان يقوم به التفكير الأصولي السني، والذي كان محفزاً للمفكرين من فقهاء الإمامية لدراسة ذلك الفكر في الإطار الإمامي، ووضع النظريات التي تتفق معه. إضافة إلى أنَّ التفكير الأصولي السني كان قد بدأ ينضب في القرن الخامس والسادس، ويستنفد قدرته على التجديد، ويتجه إلى التقليد والاجترار، حتى أدى ذلك إلى سدِّ باب الاجتهاد رسمياً^(٢).

هذه أهم الأسباب التي أدَّت إلى الركود النسبي للحركة العلمية بعد وفاة الشيخ الطوسي، والتي استمرت إلى أكثر من قرن من الزمن حيث انطلقت مدرسة الحلَّة الفقهية والأصولية لتحمل مشعل التجديد والتطوير والنمو للفكر الشيعي الإمامي.

والسيدُّ الشهيد الصدر يرجح العامل الأوَّل لهذا الركود ويرجع العاملين التاليين إليه، فيعقب على العامل الثاني - النزعة التقديسية - بقوله: «ولكنَّ هذا السبب لتفسير الركود الفكري قد يكون مرتبطاً بالسبب الأوَّل، إذ لا يكفي التقدير العلمي لفقيه - في العادة - مهما بلغ لكي يغلق على الفكر الفقهي لآخرين أبواب النمو والتفاعل مع آراء ذلك الفقيه، وإنَّما يتحقَّق هذا عادةً حين لا يكون هؤلاء في المستوى العلمي الذي يؤهِّلهم لهذا التفاعل، فيتحوَّل التقدير إلى إيمانٍ وتقيُّدٍ»^(٣).

(١) رواه ابن طاووس في كشف المحجة: ص ١٨٥.

(٢) محمَّد باقر الصدر، المعالم الجديدة: ص ٨٥-٨٩ بتلخيص.

(٣) محمَّد باقر الصدر، المعالم الجديدة: ص ٨٧.

المبحث الثاني

نجل الشيخ الطوسي وزعامته للحوزة النجفية

بعد والده ترك الشيخ الطوسي من بعده أسرته التي كانت تتألف من أولاده وبناته وأحفاده وكان جلهم من العلماء الفقهاء ومن أهل الرواية والدراية.

وكان على رأس أولئك الأفاضل ولده الشيخ الجليل أبو علي الحسن بن أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الملقَّب بالمفيد، أو المفيد الثاني^(١)، تميزاً عن الشيخ المفيد أستاذ أبيه الشيخ الطوسي.

وقد سَدَّ أبو علي الطوسي الفراغ الذي أحدثته وفاة أبيه عام (٤٦٠هـ)، في حوزة النجف العلمية، وتولَّى الحفاظ على استمراريتها وبقائها في النجف، «وكانت الرحلة إليه والمعول عليه في التدريس والفتيا وإلقاء الحديث، وغير ذلك من شؤون الرياسة العلمية»^(٢).

وقد ترجم له الشيخ الطهراني في الطبقات، وفي مقدمته الواسعة لتفسير التبيان، ومما ذكره فيها:

«خَلَفَ شيخ الطائفة ولده الشيخ أبا علي الحسن بن أبي جعفر محمد الطوسي (رحمة الله عليه) وقد خلف أباه على العلم والعمل، وتقدم على العلماء في النجف، وكانت الرحلة إليه والمعول عليه في التدريس والفتيا وإلقاء الحديث

(١) الأفندي، رياض العلماء: ج ١، ص ٣٣٤.

(٢) حسن الحكيم، الشيخ الطوسي: ص ١٨٣ عن الطهراني، مقدمة كتاب الغيبة للطوسي:

وغير ذلك، وكان من مشاهير رجال العلم، وكبار رواة الحديث وثقاتهم، تلمذ على والده حتى أجازته في سنة (٤٥٥هـ) أي: قبل وفاته بخمس سنين^(١).

ثم ينقل الشيخ الطهراني نصوصاً مطولة من كتب التراجم، وكلّها تنفي عليه، وتشيد بفضله وعلمه، ومما ذكره في ترجمته عن ابن حجر العسقلاني في كتابه لسان الميزان قوله: «الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الطوسي.. سمع من والده.. ثم صار فقيه الشيعة وإمامهم بمشهد علي^{عليه السلام}، وسمع منه أبو الفضل بن عطف، وهبة الله النفطي، ومحمد بن محمد النسفي، وهو في نفسه صدوق...»^(٢).

ويقول الأفندي في ترجمته: «الفقيه المحدث الجليل العالم العامل النبيل مثل والده... كان شريكاً في الدرس مع الشيخ أبي الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن علي الرازي، والشيخ أبي محمد الحسن بن الحسين بن بابويه القمي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن هبة الله الوراق الطرابلسي، عند قراءة كتاب (التيان) على والده الشيخ الطوسي كما رأيته في إجازة الشيخ الطوسي المذكور بخطه الشريف لهم على ظهر كتاب التبيان»^(٣).

وينقل الطهراني عن الشيخ أسد الله الدزفولي في (مقابس الأنوار) قوله: «الشيخ المحدث الفقيه الفاضل الوجيه النبيه المعتمد المؤتمن مفيد الدين أبو علي الحسن قدّس الله تربته، وأعلى في الجنان رتبته.. وكان من أعظم تلامذة والده،

(١) الطهراني، طبقات أعلام الشيعة الثقة العيون في سادس القرون: المجلد الثامن، ص ٦٦ - ٦٧، ومقدمة التبيان: أ.ك.

(٢) المرجع نفسه: أ.ل، عن ابن حجر، لسان الميزان: ج ٢، ص ٢٥٠.

(٣) المرجع نفسه: أم، عن الأفندي، رياض العلماء: ج ١، ص ٣٣٤.

والديلمي، وغيرهما من المشايخ، وتلمذ عليه جماعة كثيرة من أعيان الأفاضل، وإليه ينتهي كثير من طرق الإجازات إلى المؤلفات القديمة والروايات...»^(١).

ثم يقول الشيخ الطهراني معقّباً على ما ذكر في ترجمته: «... وقد أجمع كافة المترجمين له على عظمته وعلو شأنه في العلم والعمل، وإنّه أحد كبار فقهاء الشيعة، وأجلاء علماء الطائفة، وأفاضل حملة الحديث، وأعلام الرواة وثقاتهم، ومنتهى الإجازات والمعنعات، وقد بلغ من علو الشأن وسمو المكانة أن لُقّب بالمفيد الثاني، وقد ترجم له بهذا العنوان العلامة المرحوم الشيخ عباس القمي في كتابه (الكنى والألقاب)^(٢) وقد تخرّج عليه كثير من حملة العلم والحديث من الفريقين، وحاز المرجعية عند الطائفتين لذلك كثرت الروايات عنه، وانتهت الطرق إليه»^(٣).

وقد خلّف الحسن بن محمّد بن الحسن (أبو علي الطوسي) من بعده ولده أبو نصر محمّد بن الحسن وكان «أبو نصر محمّد عالم الشيعة وابن عالمهم» على حدّ تعبير الطهراني، ترجم له صاحب شذرات الذهب في حوادث سنة (٥٤٠هـ) فقال: «فيها توفي أبو الحسن محمّد بن أبي علي الحسن بن أبي جعفر الطوسي، شيخ الشيعة وعالمهم وابن شيخهم وعالمهم، رحلت إليه طوائف الشيعة من كلّ جانب إلى العراق وحملوا إليه، وكان ورعاً عالماً كثير الزهد، وأثنى عليه السمعاني، وقال العماد الطبري، لو جازت على غير الأنبياء صلاة لصليت

(١) مقدمة التبيان: أم، عن أسد الله الدزفولي، مقابس الأنوار: ص ١١ طبعة حجرية.

(٢) يُنظر، عباس القمي، الكنى والألقاب: ج ٣، ص ١٦٥.

(٣) الطهراني، مقدمة التبيان: أن.

عليه...»^{(١)(٢)}.

كذلك خلف شيخ الطائفة - الأب - غير ولده الشيخ أبي علي، ابنتين كانتا من حملة العلم وربات الإجازة والرواية، قال في رياض العلماء: «كانتا فاضلتين عالمتين.. وقد أجازهما بعض العلماء ولعلّ المجيز أخوهما الشيخ أبو علي بن الشيخ الطوسي أو والدهما الشيخ الطوسي»^(٣).

وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على اجتهاد بنتي الشيخ الطوسي في تحصيل العلم، كما وله دلالة على تفتح ذهنية الشيخ الطوسي وولده الشيخ أبي علي في السماح لهما على هذا التحصيل في حدود القرن الخامس^(٤).

الآثار العلمية لأبي علي الطوسي:

لقد صنَّف أبو علي الطوسي عدَّة كتب منها: «كتاب الأمالي، وشرح النهاية، والمرشد إلى سبيل المتعبد»^(٥).

وفاته:

لقد أغفلت المصادر تاريخ مولد أبي علي الطوسي، وكذلك تاريخ وفاته، فابن حجر يقول: «مات في حدود الخمسمائة»^(٦)، والنوري يقول: «يظهر من

(١) الطهراني، الطبقات: ج ٢، ص ٦٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٥٦، عن شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: ج ٣، ص ٢٠٨.

(٣) الأفندي، رياض العلماء: ج ٥، ص ٤٠٩.

(٤) حسن الحكيم، الشيخ الطوسي: ص ١٨٣، ويُنظر، جعفر بحر العلوم، تحفة العالم: ج ١، ص ٢٠١.

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) ابن حجر، لسان الميزان: ج ٢، ص ٢٥٠.

مواضع من بشارة المصطفى إنّه كان حيّاً في سنة (٥١٥هـ)^(١)، ويرجع السيّد الحكيم أن تكون وفاته عام (٥١١هـ)^(٢).

تلامذة الشيخ أبي علي الحسن بن أبي جعفر الطوسي:

لقد درس عليه في النجف الأشرف ما ينيف على ثلاثين شخصاً من الشيعة والسنة ويعتبرون من علماء النجف الأشرف في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والعقد الأوّل من القرن السادس^(٣)، تجد تراجمهم في فهرست الشيخ منتجب الدين المطبوع في المجلد (١٠٥) من كتاب بحار الأنوار للمجلسي، كذلك عند الأفندي في رياض العلماء.

وهناك الكثير من العلماء عاشوا في النجف الأشرف ودرسوا ودرّسوا في حوزتها العلمية في القرنين الخامس والسادس الهجريين لا يسع المجال لذكر تراجمهم جميعاً، وسوف نكتفي بذكر بعضهم ممن تتلمذ على الشيخ الطوسي الأب أو الابن، ومن تلامذتها في النجف الأشرف:

١- الحسن بن الحسين بن بابويه القمي: ويدعى (حسكا) ويكنى بأبي محمد، وقد قرأ على الشيخ الطوسي «جميع تصانيفه بالغري على ساكنه السلام»^(٤)، وهذا يعني أنّه من حوزة الشيخ الطوسي وتلاميذه في النجف الأشرف بعد استقراره فيها عام (٤٤٨هـ)، ويخبرنا هو عن تلمذته على الشيخ الطوسي فيقول: «أخبرنا

(١) النوري، مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٤٩٧.

(٢) حسن الحكيم، الشيخ الطوسي: ص ١٨٤.

(٣) للتوسع ينظر، محمّد الغروي، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ص ٤٣ وما بعدها.

(٤) منتجب الدين، الفهرست: ص ٤٢، تحقيق: السيّد عبد العزيز الطباطبائي، طبعة المكتبة

الرضوية، ١٤٠٤هـ.

الشيخ السعيد أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، أملاه بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وأربعمائة وله من المؤلفات كتاب العبادات، وكتاب الأعمال الصالحة وغيرهما توفي سنة (١٣هـ)»^(١).

٢- الحسن بن مهدي السليقي: يكنى بأبي طالب، وينعت: بالعلوي، والحسني، والحسيني من تلاميذ الشيخ الطوسي، ومن الراوين عنه، وقد باشر غُسل الشيخ الطوسي كما يقول: «توليت أنا والشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الواحد.. والشيخ أبو الحسن اللؤلؤي غُسله في تلك الليلة ودفنه»^(٢) وله من المؤلفات كتاب (المفتاح).

٣- الحسين بن مظفر بن علي الحمداني: وقد قرأ على الشيخ الطوسي جميع تصانيفه بالنجف، وفي بعض المصادر الرجالية: «قرأ على شيخنا الموفق أبي جعفر الطوسي جميع تصانيفه مدة ثلاثين سنة بالغري على ساكنه السلام»^(٣).

في حين أن مكوث الشيخ الطوسي في النجف اثنتا عشرة سنة، ويمكن أن يكون من الأخطاء المطبعية، أو أنه جمع بين التلمذة على الأب والابن في النجف. وللحمداني تصانيف منها: (هتك أستار الباطنية) وكتاب (نصرة الحق)^(٤).

٤- عبد الجبار بن علي النيسابوري المقرئ: يلقب بالمفيد، قرأ على الشيخ الطوسي... وقد أوضح ابن طاووس تلمذة المقرئ على الشيخ الطوسي بقوله:

(١) الطبري، بشارة المصطفى: ص ٧٩ وغيرها. وبحر العلوم، مقدمة رجال الطوسي: ص ٤٤.

(٢) العلامة الحلي، الرجال: ص ١٤٨.

(٣) منتجب الدين، الفهرست: ص ٤٧.

(٤) منتجب الدين، الفهرست: ص ٤٧.

«حدثنا الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي بالمشهد المقدس الغروي وعلى ساكنه أفضل الصلوات في شهر رمضان من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة»^(١). وله مؤلفات في الفقه، وتوفي سنة (٥٠٦هـ)^(٢).

٥ - محمد بن أحمد بن شهریار: الخازن للحضرة الحيدرية.. وهو الخازن لمرقد الإمام علي عليه السلام في النجف، من تلاميذ الشيخ الطوسي وممن يروي عنهم، ويقول الطبري: «أخبرني الشيخ الفقيه الأمين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهریار الخازن، قراءة عليه في سنة أربع عشرة وخمسمائة قال: حدثنا الشيخ السعيد أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي رحمه الله بالغري على ساكنه السلام سنة ست وخمسين وأربعمائة»^(٣) ولمكانته المرموقة في نفس الشيخ الطوسي زوجه إحدى بناته^(٤).

٦ - أبو محمد بن الحسن بن الواحد العين زربي^(٥): كان من غلمان السيد المرتضى، ثم أصبح من تلاميذ الشيخ الطوسي^(٦)، وقد احتمل الأفندي في الرياض كونه من تلاميذ الشيخ الطوسي^(٧)، وقد تولى غسل أستاذه بالاشتراك مع أبي الحسن اللؤلؤي، والحسن بن مهدي السليقي^(٨)، وله كتاب (عيون

(١) ابن طاووس، مهج الدعوات: ص ٢١٨.

(٢) بحر العلوم، مقدمة رجال الطوسي: ص ٤٦.

(٣) بشارة المصطفى: ص ١٢٦.

(٤) الطهراني، الطبقات، القرن السادس: ص ٢٤٥.

(٥) نسبته إلى عين زربة، وهي بلدة من الجزيرة تقابل حران. ابن الفقيه، البلدان: ص ١١٢.

(٦) ابن شهر آشوب، معالم العلماء: ص ١٣١.

(٧) الأفندي، رياض العلماء: ج ٥، ص ٥١٢.

(٨) العلامة الحلي، الرجال: ص ١٤٨.

الأدلة^(١).

٧- محمد بن أبي القاسم الطبري الآملي الكجي: قرأ على الشيخ أبي علي الطوسي، فذكر ابن طاووس: «عن الشيخ السعيد محمد بن القاسم الطبري عن الشيخ المفيد أبي علي الحسن بن محمد الطوسي عن والده السعيد محمد بن الحسن الطوسي وذكر الأفندي بأن الآملي كان معاصراً للشيخ أبي علي الطوسي وللآملي مصنّفات عدّة منها: كتاب (بشارة المصطفى)^(٢)، توفي في حدود ٥٢٥هـ»^(٣).

٨- محمد بن علي بن حمزة الطوسي المشهدي: يكنى بأبي جعفر، ويلقب بعماد الدين^(٤). يقول القمي: «يظهر من كتبه ومما يوجد في النقل عنه أنّه كان في طبقة تلاميذ شيخ الطائفة أو تلاميذ ولده الشيخ أبي علي»^(٥). توفي في أوائل المائة الخامسة في كربلاء ودُفن بها^(٦).

٩- الحسيني، المنتهي بن أبي زيد بن كيابكي الحسيني الجرجاني الكجي: المكنى بأبي الفضل، ويذكر الحسيني تلمذته على الشيخ الطوسي في النجف الأشرف بقوله: «حدثنا الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي رحمته الله بالمشهد المقدّس الغروي على ساكنه أفضل الصلوات في شهر رمضان من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة»^(٧).

(١) ابن شهر آشوب، معالم العلماء: ص ١٣١.

(٢) الأفندي، رياض العلماء: ج ٥، ص ١٧.

(٣) البغدادي، هداية العارفين: ج ٢، ص ٨٦.

(٤) منتجب الدين، الفهرست: ص ١٦٤.

(٥) القمي، الكنى والألقاب: ج ١، ص ٢٦٢.

(٦) حسن الصدر، تأسيس الشيعة: ص ٣٠٥.

(٧) ابن طاووس، مهج الدعوات: ص ٢١٨، وللتوسع يُنظر، حسن الحكيم، الشيخ الطوسي:

فأولئك هم بعض تلامذة الشيخ الطوسي في النجف الأشرف، وعلى رأسهم ولده العالم الكامل الشيخ أبو علي الحسن بن أبي جعفر محمد الطوسي الذي تولى زعامة الحوزة النجفية بعد والده.

أمّا تلامذة أبي علي الطوسي فقد: «درس عليه في النجف الأشرف ما ينيف على ثلاثين شخصاً من الشيعة والسنة، ويعتبرون من علماء النجف الأشرف في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والعقد الأول من القرن السادس»^(١).

وقد ترجم الشيخ منتجب الدين في فهرسته لأكثرهم، وأضاف إليهم بعض الباحثين أسماء أخرى لبعض العلماء ممن تتلمذوا أو قرأوا على شيخ الطائفة أو على الشيخ أبي علي الطوسي^(٢)، وقد يكون هنالك علماء آخرون عاشوا في النجف الأشرف إبّان القرنين الخامس والسادس الهجريين، وتعلموا وعلموا فيها لكن لم يسجل لنا التاريخ أسماءهم، وهم بلا شك كثيرون في ذلك العصر.

المبحث الثالث

انتقال الحوزة العلمية من النجف إلى الحلة، أسبابها ونتائجها

بعد وفاة الشيخ الطوسي الأب سنة (٤٦٠هـ) جاء من بعده ولده أبو علي الطوسي، وبعد أن توفي الشيخ أبو علي الطوسي بعد سنة (٥١٥هـ)، خلفه في زعامة الحوزة النجفية ولده الشيخ أبو نصر محمد الذي يقول عنه الشيخ

ص ١٧٢-٢١٦.

(١) محمد الغروي، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ص ٤٣، ومحمد بحر العلوم، موسوعة العتبات: ج ٧، ص ٤٤.

(٢) أنظر فهرست الشيخ منتجب الدين في المجلد ١٠٥ من البحار، طبعة المكتبة الرضوية بتحقيق: المرحوم السيد عبد العزيز الطباطبائي.

الطهراني: «كان الشيخ أبو نصر محمد من أعظم العلماء وأكابر الفقهاء وأفاضل الحجة وأثبت الرواة وثقاتهم، فقد قام مقام والده في النجف وانتقلت إليه الرياسة والمرجعية وتقاطر عليه العلماء من شتى النواحي»^(١).

وقد نقلنا إطرأ ابن عماد الحنبلي له في كتاب شذرات الذهب^(٢)، والذي أرخ وفاته بسنة (٥٤٠هـ).

ثم في هذه الفترة قام الأعلام من أسرة آل الخازن في دعم الجامعة النجفية حتى انتهى الدور إلى الموفق الخازن، علي بن حمزة بن محمد بن أحمد بن شهریار ووصفته المصادر بأنه: «أشهر خزنة الحرم العلوي، ضمَّ إلى سدانة الحرم السبق في العلوم الدينية وكانت الرحلة إليه سنة (٥٧٢هـ) حين كثر أهل العلم، ورواد الحديث، وكان المعول عليه في إدارة رحي العلم بعد الشيخ الطوسي قدس وهو العاقد لحلقات الحديث والمتكفل بإلقائه، وكان عالماً فاضلاً، وكان من رجال القرن السادس»^(٣).

وبعد هذا التاريخ أصيبت حوزة النجف الأشرف في صميم سيرها العلمي ولم يبق فيها إلا بعض الأعلام الذين عاشوا في النجف الأشرف خلال هذه الحقبة الزمنية. وكانت السمة الغالبة على هذه الفترة الزمنية من عمر الحوزة العلمية في النجف الأشرف وإلى ما يقارب ثلاثة قرون من الزمن هو الركود العلمي، ولم تعد إليها الحركة العلمية حتى حلَّ فيها المحقق الكركي في بداية القرن العاشر الهجري، ثم المقدس الأردبيلي في منتصف القرن العاشر لتبدأ

(١) الطهراني، مقدمة تفسير التبيان: أخ.

(٢) ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب: ص ٤.

(٣) بحر العلوم، الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات: ج ٧، ص ٤٦.

معها المرحلة الثانية من مراحل حوزة النجف الأشرف، كما سوف يأتيها لاحقاً. وما بين المرحلتين الأولى والثانية في تاريخ الحوزة العلمية في النجف الأشرف والتي استمرت لثلاثة قرون من الزمن، استعادت الحركة العلمية الشيعية الإمامية نشاطها العلمي من خلال الحوزة العلمية الحليّة، والتي خلفت الحوزة النجفية وكانت ورثتها الطبيعية.

ابن إدريس الحلّي ودوره في إحياء الفكر الشيعي:

وكان رائد حركتها، وحامل لواء نهضتها العلمية المباركة هو الشيخ: «أبو عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس بن الحسين بن القاسم بن عيسى الرّبعي الحلّي». الذي ولد سنة (٥٤٣هـ)، وتوفي سنة (٥٩٨هـ)^(١). الذي وضع أقوال الشيخ الطوسي واجتهاداته موضع الدراسة والنقد العلمي، وفتح باب النقاش فيها وألّف كتابه القيم (السرائر الحاوي)، «وكان عهد هذا المجدّد إيذاناً بانتقال الحركة العلمية إلى الحلّة، وقد تكاملت عناصر هذا الانتقال في أوائل القرن السابع الهجري»^(٢).

يصف السيّد الشهيد الصدر جهود ابن إدريس الحلّي بقوله: «... الفقيه المبدع محمد بن أحمد بن إدريس، الذي أدرك تلك الفترة، وكان له دور كبير في مقاومتها، وبثّ الحياة من جديد في الفكر العلمي...»^(٣).

وفي نص آخر يصف السيّد الشهيد الصدر هذه المرحلة وجهود ابن إدريس

(١) أنظر ترجمته: رجال ابن داود: ص ٤٩٨، المامقاني، تنقيح المقال: ج ٢، ص ٧٧.

(٢) بحر العلوم، الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات: ج ٧، ص ٤٦.

(٣) محمد باقر الصدر، المعالم الجديدة: ص ٦٩، طبعة مكتبة النجاش - طهران، الطبعة (٢)،

١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

للخروج منها فيقول: «وكانت بداية خروج الفكر العلمي عن دور التوقُّف النسبي على يد الفقيه المبدع محمد بن أحمد بن إدريس المتوفى سنة (٥٩٨هـ)، إذ بثَّ في الفكر العلمي روحاً جديدةً، وكان كتابه الفقهي (السرائر) إيذاناً ببلوغ الفكر العلمي في مدرسة الشيخ إلى مستوى التفاعل مع أفكار الشيخ ونقدها وتمحيصها...» ثم يسلط السيّد الشهيد الأضواء على المنهج الفقهي والأصولي لابن إدريس من خلال دراسة كتاب السرائر ومقارنته بالمبسوط، حيث ينتهي إلى نتائج وفوارق مهمة بين المنهجين^(١).

يبقى أن نشير إلى أنَّ ظهور العالم الفقيه المبدع ابن إدريس الحلِّي ومدرسته النقدية في النصف الثاني من القرن السادس الهجري كان أحد العوامل الرئيسة المهمة في كسر حالة الركود الذي مني به التحرك العلمي الإمامي، وقد تكون هنالك عوامل أخرى كان لها دورها المؤثر أيضاً في إنهاء هذا الركود.

كما أنَّ هذا الركود قد أصاب الفكر العلمي السنيّ أيضاً، وبخاصة في مجال التفكير الأصولي الذي «كان قد بدأ ينضب في القرن الخامس والسادس، ويستنفد قدرته على التجديد، ويتَّجه إلى التقليد والاجترار حتى أدَّى ذلك إلى سدِّ باب الاجتهاد رسمياً»^(٢)، ولإثبات هذه الحقيقة ينقل السيّد الشهيد الصدر شهادة لعالم سنيٍّ معاصر لتلك الفترة وهو أبو حامد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥هـ)، إذ تحدّث عن شروط المناظر في البحث، فذكر منها: «أن يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما، حتى إذا ظهر له الحق من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وأفتى بما ظهر

(١) محمد باقر الصدر، المعالم الجديدة: ص ٩٢-٩٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٨.

له.. فأما من ليس له رتبة الاجتهاد - وهو حكم كل أهل العصر - ... فأئد فائدة له في المناظرة»^(١).

وأما السبب أو الأسباب التي أدت إلى تجدد الحياة والحركة في البحث الفقهي والأصولي على صعيد الفكر الإمامي، بينما ظل البحث العلمي السني على ركوده الذي وصفه الغزالي في القرن الخامس؛ فيلخصها لنا السيد الشهيد في عدة أسباب، يذكر منها سببين هما:

أولاً: إنَّ روح التقليد قد سرت إلى الحوزة التي خلفها الشيخ الطوسي.. إلاَّ أنها كانت حوزةً فنية فلم تستطع أن تتفاعل بسرعة مع تحديات الشيخ العظيمة فكان لابد لها من الانتظار لتستوعب تلك الأفكار وتتفاعل معها.. فروح التقليد فيها كانت مؤقتة بطبيعتها. وأما الحوزات الفقهية السنية فقد كان شيوع روح التقليد فيها نتيجة لشيخوختها وبلوغها قُصارى نموها واستنفدت أغراضها، فتفاقم فيها روح التقليد.

ثانياً: إنَّ الفقه السني كان فقه الدولة الرسمي.. الأمر الذي يجعله يتأثر بالأوضاع السياسية، فيزدهر باستقرارها، ويخبو جذوته في ظرف ارتباكها.. ولهذا تأثر الفقه السني في القرن السادس والسابع بالأوضاع السياسية المرتبكة... وأما الفقه الإمامي فقد كان منفصلاً عن الأجهزة الحاكمة.. فلم يكن الفقهاء الإماميون يستمدون دوافع البحث العلمي من حاجات الجهاز الحاكم، بل من حاجات الناس الذين يؤمنون بإمامة أهل البيت عليهم السلام،

(١) محمد باقر الصدر، المعالم الجديدة: ص ٦٨، ويُنظر، أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين: ج ١، ص ٦٧، طبعة دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط ١، ٢٠٠٤ م.

ويرجعون إلى فقهاء مدرستهم في حلّ مشاكلهم.. وإذا أضفنا إلى ذلك حقيقة أخرى، وهي أنّ الشيعة المتعبّدين بفقهِ أهل البيت عليه السلام كانوا في نموٍّ مستمرٍّ كمّيّاً، وكانت علاقتهم بفقهاءهم وطريقة الإفتاء والاستفتاء تتحدّد وتتسع، استطعنا أن نعرف أنّ الفقه الإمامي لم يفقد العوامل التي تدفعه نحو النموّ، بل اتّسعت باتساع التشيع، وشيوع فكرة التقليد بصورةٍ منظّمة^(١).

وخلاصة الأمر: أنّ الفكر الإمامي كان يملك عوامل النموّ داخليّاً وخارجيّاً.. ولم يكن عامل التوقف - والركود النسبي - إلّا استجماعاً للقوى لمواصلة النموّ لاحقاً.

بل حتى عامل الإثارة الذي افتقده الفكر العلمي الإمامي نتيجة لجمود الحوزات السنية.. سرعان ما استعاده بصورةٍ جديدة وذلك عن طريق الغزو المذهبي الذي قام بها الشيعة في القرن السابع الهجري وما بعده في دور الدعوة إلى مذهبهم، ومارس علماءنا - كالعلامة الحليّ وغيره - هذه الدعوة في نطاق واسع، فكان ذلك كافياً لإثارة الفكر العلمي الشيعي للتعلم والتنوّع في درس أصول السنة وفقهها وكلامها، ولهذا نرى توسّعاً في بحوث الفقه المقارن قام به العلماء الذين مارسوا تلك الدعوة من فقهاء الإمامية كالعلامة الحليّ^(٢).

يضاف إلى هذين السببين، ظهور الفقيه المجدّد المبدع ابن إدريس الحليّ ومدرسته النقدية حيث تفاعل مع الفكر العلمي للشيخ الطوسي ونقده وتمحيصه.

(١) محمّد باقر الصدر، المعالم الجديدة: ص ٧١.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٠ بتصرف.

المبحث الرابع

واقع الحركة العلمية في النجف بعد انتقال الحوزة العلمية للحلّة

بعد نمو الحركة العلمية في مدينة الحلّة وانتقال الحوزة العلمية الإمامية إليها؛ انتقل إليها العلماء وطلبة العلوم والمعارف الإسلامية من الحواضر الإسلامية وبخاصة بغداد والنجف الأشرف، فتوسعت الدراسات العلمية في حوزة الحلّة على حساب حوزة النجف الأشرف، التي لم يبقَ فيها إلا بعض العلماء من الدرجات التي لا يشدُّ إليها الرحال من قبل طالب العلم والمعرفة.

يقول أحد الباحثين في تاريخ الحوزات العلمية: «إنَّ الباحث المدقق عندما يتأمل في كتب التاريخ وتراجم العلماء لمعرفة المستوى العلمي في النجف الأشرف في القرون الهجرية الثلاثة (السابع والثامن والتاسع) لا يعثر على عالم بارز، وفقه لامع، ومؤلف محقق، وأستاذ كبير تُشدُّ إليه الرحال وتتوجه نحوه الأنظار، وذلك أنَّ بعض العلماء في بغداد والنجف عندما شعروا بالأمن والاستقرار في مدينة الحلّة في بداية القرن السادس، توجهوا نحوها وأسسوا حوزة علميّة هناك، وكانت النتيجة هي توسُّع وتعمُّق الحوزة العلمية في الحلّة على حساب تقلُّص الحوزة العلمية في النجف الأشرف على مدى قرون ثلاثة»^(١).

إلّا أنَّ هذا لا يعني أنَّ النجف الأشرف قد أضحت خالية من أيِّ حركة علمية، وقاحلة من الأعلام والفضلاء عند انتقال الحوزة العملية منها إلى الحلّة،

(١) محمّد الغروي، الحوزة العلمية في النجف: ص ٦٣.

فهناك بعض الدلائل التي تشير إلى بقايا حركة علمية بقيت فيها، يلخصها بعض الباحثين بما يلي:

١- إنَّ الفاضل الرضي الأسترآبادي (ت ٦٨٦هـ) أَلَف كتابه شرح الكافية في هذه الفترة في النجف، حينما أشار هو في مقدمة وخاتمة كتابه المذكور بأنَّه من بركات الحضرة العلوية المقدَّسة وذلك عام (٦٨٦هـ)^(١).

٢- تحدَّث ابن بطوطة - ضمن زيارته للنجف خلال عام (٧٢٧هـ) - عن مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة - على حدِّ تعبيره -^(٢).

٣- في هذه الفترة بنيت مدارس ثلاث لطلَّاب العلم والمهاجرين في النجف: الأولى: بناها السلطان محمَّد خدابنده، أو ابنه أبو سعيد، في القرن الثامن. الثانية: بناها المقداد السيوري في القرن التاسع. الثالثة: بناها الشيخ الملا عبد الله في القرن العاشر^(٣).

ولو كانت النجف خالية من حركة علمية في هذه الفترة لما شيدت فيها هذه المدارس العلمية.

كما أنَّ المصادر الرجالية تؤكد على وجود طبقة من الأعلام في النجف ضمن فترة الانتقال.. وإنَّ هؤلاء تعهدوا الجامعة النجفية في خلال هذه الفترة في إدارة دفتها وإن كانت الزعامة العلمية قد انتقلت إلى الحلَّة^(٤)، وقد أحصى أحد الباحثين عدد العلماء الذين درسوا في النجف في القرون الثلاثة فذكر منهم

(١) يُنظر كتاب شرح الكافية للرضي الأسترآبادي: ج ١، ص ١٨. مقدمة الرضي وج ٤، ص ٤٩٧ بتحقيق: يوسف حسن عمر، طبعة جامعة تونس، أفست مطبعة الصادق، ط ٢.

(٢) رحلة ابن بطوطة: ص ١٠٩-١١١.

(٣) سوف يأتي الحديث عن المدارس الدينية في النجف الأشرف لاحقاً.

(٤) محمَّد بحر العلوم، الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات: ج ٧، ص ٥٣-٥٥.

تسعة علماء في القرن السابع، وأحد عشر عالماً في القرن الثامن، وارتفع العدد إلى أربعة وعشرين عالماً في القرن التاسع^(١).

وأما عن الأسباب التي دعت إلى انتقال الحركة العلمية وزعامتها إلى الحلّة، فقد حددها بعض الباحثين بما يلي:

- ١- لما أصاب طلاب العلم وعلمائها من الأذى لقلّة المياه في النجف.
- ٢- لهجوم الأعراب المتكرر على النجف، فقد ذاق النجفيون آنذاك الأمرين من هؤلاء الأعراب.
- ٣- لغلاء النجف.
- ٤- لانتقال زعيم الحركة العلمية العلامة الشيخ صاحب السرائر إلى الحلّة لأنّه كان حلياً^(٢).

وهي أسباب فيها شيء من الوجاهة، ولكن ما ذكره بالنسبة إلى ابن إدريس يحتاج إلى نوع من الثبوت، إذ «لم يتأكد أنّ ابن إدريس كان من طلاب الجامعة النجفية، ثمّ انتقل إلى الحلّة بعدها، والظاهر أنّ ثقافته العلمية حليّة صرفة. نعم ذكرت المصادر أنّه روى عن أبي علي الطوسي، أو ولده أبي نصر، وإنّ جدّه لأُمّه الشيخ الطوسي! لكن المصادر لم تذكر لنا أنّه تلمذ في المدرسة النجفية.

ولم نقتنع بأنّ الأسباب التي دعت إلى انتقال الحوزة العلمية هي هذه الأمور التي تقدمت، إنّما الذي يصلح للاعتقاد به هو أنّ الحلّة نبغ فيها ابن إدريس وأضرابه، وكانت من قبله تدار فيها حركة علمية، وعند ظهور ابن إدريس

(١) يُنظر، محمّد الغروي، الحوزة العلمية في النجف: ص ٦٥-١٧١.

(٢) أحمد مجيد عيسى، مقال: الدراسة في النجف، مجلّة البيان، السنة (٢): ص ٧٣٢.

توج الحركة، ووجه الأنظار إليه بحملاته القاسية على شيخ الطائفة الطوسي، والمشتغلون يتبعون المبرز في عصرهم، وقد حقق ابن إدريس هذه التبعية بنبوغه، ولهذا أثر على حركة الجامعة النجفية وإن لم يشلّها تماماً^(١).

واقع الحركة العلمية لحوزة النجف الأشرف في القرن السابع والثامن والتاسع:

وقبل الانتقال إلى المرحلة الثانية من عمر الحوزة النجفية في القرن العاشر الهجري، لابد لنا من استعراض سريع ومقتضب لواقع الحركة العلمية في النجف الأشرف في القرون الثلاثة (السابع والثامن والتاسع).

أولاً: الحركة العلمية في النجف في القرن السابع الهجري:

كتب أحد الباحثين في شؤون الحوزة العلمية عن واقع حوزة النجف في القرن السابع فقال: «تعيش الحوزة العلمية في النجف الأشرف في القرن السابع في ظل، وتحت شعاع الحوزة العلمية في الحلّة.. ولكن رغم ذلك لا تزال الحركة العلمية متواصلة في حوزة النجف وبخطوات وثيدة. فالكتاب الفقهي المعول عليه في الدراسة الفقهية لا يزال هو (النهاية)، وفي الأصول: العدة والعلماء الباحثون قليلون، والمؤلفون في الفقه والأصول في هذه الفترة.. نادرون، حيث كتب الشيخ الرضي الأسترآبادي (شرح الكافية) في النحو، وبعض الكتب في المنطق والعقائد. وكتب عبد الله بن حمزة المشهدي (الهادي إلى النجاة) و(إيجاز المطالب في إبراز المذاهب)، و(مناهج اليقين) في العقائد. وكتب زين الدين بن علي (الفوائد الشمسية).

(١) بحر العلوم، الدراسة في النجف، موسوعة العتبات: ج ٧، ص ٥٦.

وكلُّ ذلك يؤشر على هيمنة مدرسة شيخ الطائفة (الطوسي) على الحوزة النجفية»^(١).

ثمَّ أحصى هذا الباحث علماء هذا القرن فبلغ ثلاثة عشر رجلاً، وأورد مختصراً من ترجمتهم^(٢). من أبرزهم: الحسن بن علي بن محمد عماد الدين الطبري، صاحب كتاب أسرار الإمامة.

ومنهم: الحسين بن عبد الكريم الغروي الملقب بالخازن، والذي يروي عنه رضي الدين علي بن طاووس وإخوته، وله بعض الحكايات يحكيها في كتاب (فرحة الغري) لابن طاووس^(٣).

ومنهم: عبد الله بن حمزة المشهدي، وله بعض المؤلفات. ومنهم: علي بن زيد الهمداني، القاضي الزيدي. ومنهم: علي بن طاووس الذي مكث في النجف الأشرف لفترة من الزمن، درس فيها وألّف فيها ما وفق له. ومنهم: رضي الدين محمد بن الحسن الأسترآبادي (نجم الأئمة) له شرح الكافية، وشرح الشافية وشرح القصائد الحديدية، وفرغ من تأليف كتابه القيم شرح الكافية وهو مجاور لأمير المؤمنين عليه السلام فيقول في آخر كتابه: «وقد تمَّ تمامه، وحُمَّ اختتامه، في الحضرة المقدسة الغروية، على مشرفها صلوات رب العزة وسلامه، في شوال سنة ست وثمانين وستمائة»^(٤).

(١) محمد الغروي، مع علماء النجف الأشرف: ج ١، ص ١٦٣.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٧٢-١٧٩.

(٣) يُنظر، فرحة الغري، لابن طاووس: ص ٣١١ وما بعدها، تحقيق: محمد مهدي نجف، طبعة العتبة العلوية - النجف الأشرف، ١٤٣١ هـ.

(٤) محمد بن الحسن الرضي الأسترآبادي، شرح الكافية: ج ٤، ص ٤٩٧، تحقيق: يوسف حسن عمرو، أُنست مؤسسة الصادق عليه السلام.

ثانياً: الحركة العلمية في النجف في القرن الثامن الهجري:

وصف الرحالة المغربي محمد بن عبد الله اللواتي، الشهير بابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) في رحلته المعروفة (رحلة ابن بطوطة) النجف الأشرف التي زارها في القرن الثامن فقال: «ثُمَّ رحلنا، فنزلنا مدينة مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام بالنجف، وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة.. دخلناها من باب الحضرة، فاستقبلنا سوق.. ثُمَّ الحضرة حيث القبر الذي يزعمون أنه قبر علي عليه السلام، وبازائه المدارس والزوايا والخوانق.. ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة، ولكلّ وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر، مرتين في اليوم. ومن تلك المدرسة يدخل باب القبلة...»^(١).

يشير هذا الوصف الجميل لواقع النجف الأشرف في القرن الثامن الهجري إلى وجود حركة علمية، ومدارس دينية، لها طلابها ويسكنون أقسامها الداخلية ويشاركون فيها بعض المتصوفة من الشيعة، وإنّ هنالك من ينفق على هذه المدرسة، ويهيئ لطلابها وزوارها المواد الغذائية.

ويمكن أن نستنتج من خلال ما ذكره الرحالة ابن بطوطة عن النجف، أنّ هذه المدينة قد بدأت باستعادة نشاطها العلمي - نسبياً - وأنّ فيها حركة علمية متصاعدة.

ومما يعزز هذا الاستنتاج هو ظهور بعض الأعلام في حوزة النجف

(١) ابن بطوطة، الرحلة: ص ١٩٣، شرح وتحقيق: طلال حرب، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ.

الأشرف، عرفوا بمكانتهم العلمية، وغزارة نتاجهم العلمي وبخاصة في مجال الفلسفة والعرفان والحكمة وعلى رأسهم السيّد حيدر الآملي الذي سكن النجف الأشرف قرابة الثلاثين سنة، استطاع خلالها أن يكتب ما مجموعه ستة وعشرين كتاباً ورسالة، تناول العرفان، والتفسير وتأويله، والتصوف، والفلسفة.. وعناوين كتبه ورسائله تدلان على مشربه الفلسفي والعرفاني. علماً بأنّ الآملي كان من تلامذة فخر المحققين وكتب له جملة من المسائل الفقهية، وأجاز له في سنة (٧٦١هـ) روايتها^(١).

كما أنّ النجف الأشرف قد ضمّت في مدرستها وحوزتها العلمية مجموعة أخرى من العلماء كان لهم آثارهم العلمية في الفقه وعلم الكلام، والمنطق، وبقية حقول المعرفة.

ومن أولئك الأعلام: الشيخ حسين الأسترآبادي؛ الذي أقام بالنجف الأشرف وكتب بها حاشية الإرشاد، ومنهم: حمزة بن حمزة العلوي، وله إجازة رواية من فخر المحققين الذي يثني عليه فيها. ومنهم: عبد الرحمن العتايقي، شارح نهج البلاغة، وكتب في الفلسفة والحكمة والمنطق.. تنوف على خمسة عشر كتاباً ذكر بعضها صاحب الأعيان^(٢). ومنهم: السيّد عبد الله بن شرفشاه الحسيني، الذي ينقل عنه الكفعمي في حواشي مصباحه بعض الفوائد، ويروي عنه أحمد بن فهد (ت ٨٤١هـ).

وهناك أعلام آخرون لهم آثارهم العلمية، حوتهم حوزة النجف الأشرف،

(١) يُنظر ترجمته في كتب التراجم، الأفندي، رياض العلماء: ج ٢، ص ٢١٨، الخوانساري، روضات الجنات: ج ٢، ص ٣٧٧، الأمين، أعيان الشيعة: ج ٦، ص ٢٧٢.

(٢) الأمين، أعيان الشيعة: ج ١١، ص ٥٢٤.

في هذه الفترة الزمنية لا يسع المجال لذكرهم رضوان الله عليهم أجمعين^(١).

ثالثاً: الحركة العلمية في النجف في القرن التاسع الهجري:

استعادت النجف الأشرف بعض نشاطها العلمي، واستطاعت أن تنهض من جديد في هذا القرن بعد أن بان الضعف في حوزة الحلة، وفقدت بعض مركزيتها العلمية بعد تأسيس مجموعة من الحوزات الفرعية من قبل النابيين من خريجي حوزة الحلة. فكانت هنالك حوزة جبل عامل التي أوجد فيها الشهيد الأوّل محمد بن مكي (٧٣٤-٧٨٦هـ) مدرسة فكرية نشطة، وهو من خريجي مدرسة الحلة وحوزتها العلمية، كذلك نشطت حوزة أصفهان وكاشان، وبلدان أخرى. وكان للنجف الأشرف وحوزتها نصيب من هذا النشاط، فظهر فيها علماء كبار استطاعوا أن يعيدوا لهذه الحوزة المباركة بعض مجدها. وعلى رأس أولئك الأفاضل من العلماء الشيخ: أبو عبد الله المقداد السيوري الغروي (ت ٨٢٦هـ).

ومن أهم معالم الحركة العلمية في حوزة النجف الأشرف في هذا القرن:

أولاً: تشييد المدارس الدينية:

فقد شيّد المقداد السيوري مدرسته المعروفة في النجف الأشرف باسمه، ثمّ عرفت بالمدرسة (السليمة) نسبة إلى بانيها الثاني (سليم خان الشيرازي)، ويعود بناء المدرسة الأوّل إلى سنة (٨٢٨هـ)، والبناء الثاني إلى سنة (١٢٥٠هـ)، وهي واقعة في صوب المشراق في سوق الصاغة ولا زالت آثارها موجودة إلى الآن^(٢)

(١) يُنظر، محمد الغروي، مع علماء النجف: ج ١، ص ١٨٩-٢٠٣.

(٢) باقر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ج ٣، ص ٣٧٩.

وسوف يأتيها المزيد عنها وعن مدارس النجف الأخرى لاحقاً إن شاء الله.

ثانياً: تجدد نشاط حركة التأليف والكتابة:

إذ بدأ العلماء والمحققون والباحثون بالتأليف في الفقه والتفسير والعقائد والأدعية.. فصنف العلماء المحققون من الحوزة العلمية في النجف الأشرف في مختلف الحقول الإسلامية في هذا القرن رغم قلة عددهم حسب الأسماء المدونة في التاريخ^(١).

ثالثاً: ظهور علماء كبار:

فقد حفلت حوزة النجف الأشرف في هذه الفترة بأسماء لامعة من أعلام الشيعة الإمامية، كان لهم نشاطهم العلمي، وخلفوا لنا تراثاً وصلنا الكثير منه. ومن أولئك العلماء:

١- الشيخ الكفعمي، إبراهيم بن علي بن صالح، (كان حياً سنة ٨٩٥هـ) واختلف في محلّ دفنه، له مؤلفات كثيرة إلاّ أنّه عرف بكتابه (المصباح) أو (مصباح المتعبد)، يقول عنه صاحب الرياض: «إنّه ورد المشهد الغروي وأقام به، وطالع في كتب خزانة الحضرة الغروية، ومن تلك الكتب ألف كتبه الكثيرة في أنواع العلوم...»^(٢).

٢- المولى الحسن بن راشد الحلّي (كان حياً سنة ٨٣٠هـ) وهو من تلاميذ الفاضل المقداد.. وممن أرّخ وفاة أستاذه، وكان شاعراً أديباً فاضلاً فقيهاً، له مجموعة الأراجيز في مدح أهل البيت عليهم السلام وفي مواضيع أخرى، عبّر عنه الأفندي

(١) محمّد الغروي، مع علماء النجف: ج ١، ص ٢٠٩.

(٢) الأفندي، رياض العلماء: ج ١، ص ٢١.

في الرياض بقوله: «الفاضل العالم الشاعر، من أكابر الفقهاء...»^(١).

٣- المولى الحسن بن محمد الأسترآبادي: يعبر عنه الطهراني بأنه: «من أكابر علماء متأخري أصحابنا»^(٢). وقد عرف الأسترآبادي بتضلعه في التفسير وله كتاب (معارج السؤل في مدارج المأمول في تفسير خمسمائة آية من آيات الأحكام) في مجلدين، إضافة إلى كتاب آخر في نفس الموضوع بعنوان (عيون التفاسير).

٤- الشيخ خضر نجم الدين بن محمد الحلبرودي: وحلرود: قرية من أعمال الري بين بلاد مازندران والري، فهو رازي النسبة ونجفي المسكن، ترجم لنفسه في مقدمة كتابه التوضيح، فقال: «خضر بن محمد.. الملازم لخزانة المشهد الشريف الغروي...»^(٣). وله ترجمة طويلة في الرياض مع فهرست لكتبه التي يقول عنه صاحب الرياض: «ثم لهذا الشيخ مؤلفات عديدة في علم الكلام وغيره» ويصف كتبه ونسخها ويقول عن أحد كتبه: «وهو كتاب حسن جيد كثير الفوائد...»^(٤).

٥- الشيخ أبو عبد الله المقداد بن عبد الله السيوري الغروي (ت ٨٢٦هـ): ويعد المقداد السيوري الحلبي الأسدي الغروي من كبار علماء ومشاهير رجال الدين في هذه المرحلة، وكانت له رياسة دينية ومرجعية عامة، وكانت

(١) المصدر نفسه: ص ١٨٥.

(٢) آقا بزرك الطهراني، إحياء الدائر في القرن العاشر: ص ٤٨، والغروي، مع علماء النجف:

ج ١، ص ٢١٥.

(٣) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٦، ص ٣٢٣.

(٤) الأفندي، الرياض: ج ٢، ص ٢٣٧-٢٣٨.

الرحلة إليه في عصره، وله يومئذ مدرسة دينية، حافلة برجال العلم^(١).
وللمقداد السيوري نخبة متميزة من الطلاب والمحصلين منهم:
١- محمد بن شجاع القطان، صاحب كتاب (معالم الدين في فقه آل
ياسين)، عاش في النجف وتلقى من الفاضل المقداد الدروس والعلوم وروى
عن أستاذه^(٢).

٢- الشيخ قاسم الدين: وهو من طلاب الشيخ المقداد ويروي عنه.

٣- الشيخ علي بن الحسن بن غلالة: وصف بأنه: «صالح فاضل عالم فقيه
من تلامذة الشيخ المقداد، وقد أجازته المقداد بخطه على كتاب الأربعين هكذا:
«أنهى قراءة هذه الأحاديث الشيخ الصالح العلم الفاضل زين الدين علي بن
الحسن.. وأجزت له روايتها عني وعن مشايخي قدس الله أرواحهم...»^(٣).

٤- علي بن شوا: من طلاب الفاضل المقداد ومن سكان أرض الغري على
متوفيتها السلام^(٤).

٥- السيّد حمزة بن محسن الحسيني: يقول الغروي: «ومن المظنون قوياً
أنّه كان من علماء النجف باعتبار تتلمذه على الفاضل المقداد المجاور للمقام
المقدس في النجف...»^(٥).

(١) محمد الغروي، مع علماء النجف: ج ١، ص ٢٢٥.

(٢) الطهراني، الذريعة: ج ٢١، ص ١٩٩.

(٣) الأفندي، رياض العلماء: ج ١، ص ٤٠٨.

(٤) محمد الغروي، مع علماء النجف: ص ٢١٩.

(٥) الأفندي، المصدر السابق: ص ٢١٦.

٦- الشيخ عبد الله بن المقداد: وهو ولد الشيخ المقداد، فاضل عالم جليل^(١). قال الطهراني لدى ترجمة والده المقداد السيوري: «وله ولد عالم كان سَمِيَّ جده وهو عبد الله بن المقداد بن عبد الله، كتب والده باسمه (الأربعين)»^(٢). أولئك هم بعض أعلام المجتهدين والفضلاء والمحصلين في حوزة النجف الأشرف في هذه الحقبة الزمنية.

المناهج الدراسية:

ليس بين أيدينا معلومات تفصيلية تسلط الضوء على الكتب الدراسية التي كانت سائدة في هذا القرن، والقرنين السابقين، سوى بعض الشذرات المتناثرة التي تلتقط من هنا أو هناك. يقول أحد الباحثين بنحو الإجمال: «... كما أنَّ الكتب الدراسية السائدة في الحوزة الدينية هي كتب: النهاية ومختلف الشيعة والمعارض والعدة و.. مؤلفات العلماء السابقين»^(٣).

والذي يبدو ومن خلال عناوين بعض مؤلفات هذا القرن وما سبقه، أنَّ النزعة العرفانية والصوفية كانت هي السائدة في الأوساط العلمية، كما نجد ذلك جلياً في كتابات السيّد حيدر الآملي. إضافة إلى ذلك نجد كتب الكلام والمنطق وشروح المتون الكلامية لها حضور أيضاً.

ولا ينبغي أن نهمل دور مدرسة الحلة في رُفد المناهج الدراسية في النجف بالكتب الفقهية الاستدلالية وكتب أصول الفقه، والشروح والخواشي، والتي كانت تزخر بها حوزة الحلة وعلمائها.

(١) الأفندي، رياض العلماء: ج ٣، ص ٢٣٦.

(٢) الطهراني، الطبقات، الضياء اللامع في علماء القرن التاسع: ص ١٣٨.

(٣) محمد الغروي، مع علماء النجف الأشرف: ج ١، ص ٢١٠.

الدور الثاني

المبحث الأول

عودة النجف إلى مركزها العلمي

بعد ثلاثة قرون من الزمن ازدهرت خلالها الحوزة العلمية في مدينة الحلة، حيث شهدت نشاطاً علمياً واسعاً على يد جهابذة كبار من فقهاء الشيعة، وأثمرت عن ذخيرة علمية وكتب وموسوعات فقهية وأصولية وكلامية، بعد هذه المسيرة العلمية المباركة للحوزة العلمية في الحلة سرعان ما تراجعت الحركة العلمية فيها، «فاستعادت الحوزة العلمية في النجف الأشرف حيويتها، ومركزها العلمي الرفيع في العقود الأخيرة من القرن التاسع الهجري وبداية القرن العاشر الهجري...»^(١)، وأقول الحركة العلمية في مدينة الحلة، وانتقال حوزتها الكبرى إلى النجف الأشرف، واستعادت النجف الأشرف موقعها العلمي مرة أخرى له سببه أو أسبابه التي أشار إليها بعض الباحثين والتي منها: أولاً: توفر بعض الخدمات الحياتية في مدينة النجف: ومن أهمها توفر المياه حيث «سحبت المياه إليها، واهتم بإيصاله إليها كثير من السلاطين والعلماء وغيرهم...».

ثانياً: استقرار الوضع الأمني: فقد اتخذت الاحتياطات اللازمة لحماية المدينة من خلال (بناء الأسوار) لتقليل أثر هجومات الأعراب التخريبي المتكرر

(١) محمد الغروي، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ص ٩٩.

على النجف^(١).

وأضاف باحث آخر سبباً ثالثاً لهذه العودة، وهو العامل السياسي، فقال معقّباً على ما ذكره: «وليس من البعيد أن يكون عامل توفير المياه والأمن في النجف سبباً لعودة الحياة العلمية في الجامعة النجفية بعد أن رحلت عنها ثلاثة قرون. ولكن الذي يخال لنا هو أنّ الدوافع الرئيسية لبعث الحياة الفكرية أو تنشيطها في هذه الجامعة يعود إلى عامل سياسي وطائفي دفع إلى بعث الحركة العلمية في النجف. ذلك أنّ السلطة الجلائرية والإليخانية - واللذان حكمتا بغداد زماناً ليس بالقصير - كانتا على قصد في إحياء الحركة العلمية في الجامعة النجفية وجعلها قوة دفاعية للشيعة، ومركزاً مهماً يقابل بغداد. «ففي بغداد حركة علمية سنّية تدار من قبل السلطة الحاكمة حينذاك في العهد العباسي، والسلطان المتقدم الذكر هما القوة المقابلة للخلافة، كما كان الأمر في عهد البويهين، ولهذا كان لهاتين السلطتين دور في دعم جامعة النجف، واهتمامهم بها كمصدر للإشعاع العلمي المعبر عن علم أهل البيت عليه السلام»^(٢).

إلا أنّ ما ذكر هذا الباحث من سبب وعامل سياسي لهذا الانتقال لا يمكن الركون إليه؛ إذ لا شاهد عليه من تاريخ السلطتين الجلائرية والإليخانية، والحوزات الشيعية الإمامية حافظت على استقلاليتهما من تدخل السلطات الحاكمة فلم تخضع في حركتها العلمية لرغبة السلاطين، ولا للموازنات السياسية. والذي نتصوره أنّ السبب الأهم والرئيس لهذا الانتقال هو بروز شخصية علمية، لها مرجعيتها الفقهية، وشهرتها العلمية والتي تمثلت في هذه

(١) أحمد مجيد عيسى، الدراسة في النجف، مجلّة البيان: ص ٧٣٠.

(٢) محمد بحر العلوم، الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات: ج ٧، ص ٥٩-٦٠.

المرحلة بالمحقق الكركي، أو بالمقدّس الأردبيلي، أو بكليهما معاً، كما سوف يأتي قريباً.

إذ يعتبر هذا السبب هو العامل الرئيس في انتقال الحوزات والمدارس الدينية من مدينة إلى مدينة أخرى، ومنها حوزة النجف الأشرف في أدوارها الثلاثة: «ولو استقصينا الحركة العلمية، أو بالأحرى الدراسة في النجف لوجدنا أنّها لم تلبث حيث تقع النجف، ولم تخلق في تربتها، وإنّا انتقلت إليها من العواصم العلمية الأخرى حيث كان يتعهد بها رجال العلم والدين، فأتمت أكلها في النجف جنياً. ولهذا الانتقال أسباب تدعو إليه، إلّا أنّ السبب الرئيس له هو انتقال الرئيس الديني العلمي (زعيم الحركة العلمية) فحيث انتقل الرئيس، وحيث حطّ رحاله، شدّت المطايا، وكثرت الهجرة لتلك المدينة التي هاجر إليها، فكلّ انتقال لابد من أن يكون تحت رئاسة لبعض العلماء...»^(١).

والذي يبدو أنّ ظهور علماء كبار من أمثال المحقّق الكركي، والمقدّس الأردبيلي والفاضل القطيفي وغيرهم في النجف الأشرف من جهة، وخلو حوزة الحلة من العلماء والمحققين الكبار بعد وفاة فخر المحققين أبي طالب محمّد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي (ت ٧٧١هـ) من جهة ثانية، هو السبب الرئيس لهذا الانتقال^(٢).

(١) أحمد مجيد عيسى، الدراسة في النجف، مجلّة البيان: ص ٧٣١.

(٢) محمّد رضا شمس الدين، حديث الجامعة النجفية، مجلّة آفاق نجفية: ص ٢٣٥.

المبحث الثاني

رائدا هذه المرحلة، الكركي والأردبيلي ودورهما

نصَّ أغلب المؤرخين لهذه المرحلة على أنَّها بدأت في عهد المقدَّس الأردبيلي في القرن العاشر، وامتدت إلى نهاية القرن الثاني عشر حيث انتقلت إلى كربلاء^(١). إلَّا أنَّ أحد الباحثين المحققين ينسب هذه الريادة للشيخ الكركي، فيقول: «وازهرت النجف ثانية بعد هبوط الشيخ المحقِّق الكركي إليها، وتسلمه زمام المرجعية العامة للإمامية فيها، وتسمنه منبر الدرس الأعلى في وسطها العلمي، وذلك لما كان يتمتع به من تفوق علمي، وعقلية قيادية واعية».

ويقول عن المقدَّس الأردبيلي: «وكان أكثر العلماء شهرة بعد المحقِّق الكركي - في هذا القرن العاشر الهجري، وفي مركز النجف الأشرف - المقدَّس الأردبيلي..»^(٢). والذي يبدو أنَّ الرأي الثاني هو الأرجح: «فإنَّ المحقِّق الكركي قد صرَّح في إجازته لصفي الدين عيسى، أنَّه ورد الأعتاب المقدسة مجاوراً لها في (٩٠٩هـ) وهذه الإجازة كتبها لصفي الدين في أصفهان سنة (٩٣٧هـ)...» كما أنَّ وفاته في سنة (٩٤٠هـ) في النجف في يوم الغدير، وصرَّح بأنَّه من الشهداء، فكأنَّه ثبت عنده أنَّه مات مسموماً، ومن ذكر أنَّ وفاة الكركي في (٩٣٧هـ)

(١) محمَّد بحر العلوم، الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات: ج ٧، ص ٦٠، ويُنظر: حسن الصدر، مراكز العلم للشيعة، ملحق كتاب تكملة أمل الآمل: ص ٥٨٥، ومحمد الغروي، الحوزة العلمية في النجف: ص ٩٩.

(٢) عبد الهادي الفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي: ص ٣٩٩-٤٠٢.

اشتباه من الكاتب^(١).

بينما نجد أنَّ المحقِّق الأردبيلي الذي ولد في أردبيل ولا تنص كتب التراجم على تاريخ ولادته، ولا تاريخ هجرته إلى النجف الأشرف، إلَّا أنَّ وفاته كانت في النجف في شهر صفر سنة (٩٩٣هـ) حسبما يقوله صاحب الطبقات^(٢)، أو (٩٩٢هـ) بحسب رواية بعض المؤرخين^(٣).

ومهما يكن من أمر، فإنَّ لكلا العلمين، الكركي والأردبيلي - متعاقبين - دوراً كبيراً ومؤثراً في هذه المرحلة من مراحل الحوزة العلمية النجفية، وهما رائدا هذه المرحلة.

أ- المحقِّق الكركي:

«والمحقق الكركي هو: نور الدين علي بن الحسين بن علي بن محمَّد بن عبد العالي العاملي الكركي (ت ٩٤٠هـ).. ويعبَّر عنه بالشيخ العلائي...»^(٤).

قال عنه صاحب المستدرک: «... مروِّج المذهب والملة، وشيخ مشايخ الأجلَّة محي مراسم المذهب الأنور... مستهل سبل النظر والتحقيق، ومفتِّح أبواب الفكر والتدقيق، شيخ الطائفة في زمانه، وعلاَّمة عصره وأوانه الفقيه المجتهد الكبير الملقب تارة بالشيخ العلائي، وأخرى بالمحقق الثاني...». ثم ينقل قول صاحب الجواهر: «من كان عنده جامع المقاصد والوسائل والجواهر لا يحتاج بعدها إلى كتاب آخر للخروج عن عهدة الفحص الواجب على الفقيه

(١) آقا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة: ج ٤، ص ١٦٠-١٦١.

(٢) آقا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة: ص ٨١٤.

(٣) حرز الدين، معارف الرجال: ج ١، ص ٥٦.

(٤) آقا بزرك، الطبقات: ج ٤، ص ١٦٠.

في آحاد المسائل الفرعية»^(١).

وقال عنه المحقق البحراني في لؤلؤة البحرين: «فهو في الفضل والتحقيق، وجودة التعبير والتدقيق أشهر من أن ينكر، وكفاك اشتهاره بالمحقق الثاني، وكان مجتهداً صرفاً وأصولياً بحثاً»^(٢).

١ - جهود المحقق الكركي العلمية :

والمحقق الكركي قد ولد في قرية كرك نوح، الواقعة في سفح جبال لبنان، حيث أكمل فيها دراسته الأولى على يد محمد بن محمد بن خاتون، وأجيز منه سنة (٩٠٠هـ)، إلا أنه لم يكتف بما درسه في مسقط رأسه، وإنما هاجر منها إلى بلدان عدة، طالباً للعلم والرواية والدراية، أخذاً عن محدثي الديار الإسلامية، قال المحدث النوري في المستدرك ناقلاً عن المحقق الكركي نفسه قوله: «ومن علمائهم الذين عاصرتهم وأدركت زمانهم، فأخذت عنهم، وأكثرت الملازمة لهم، والتردد إليهم، بدمشق وبيت المقدس (شرفه الله تعالى وعظمه) وبمصر، ومكة (زادها الله شرفاً وتعظيماً) وصرفت في ذلك سنين متعددة وأزمنة متطاولة وجمعت أسانيد ذلك وأثبتته في مواضع، وكتبت مشيخة شيخنا الجليل أبي يحيى زكريا الأنصاري بمصر، وتتبع جملة من أسانيد شيخنا الجليل العلامة كمال الدين أبي عبد الله محمد بن أبي شرف المقدسي فكتبتها، وخطه مكتوب على بعضها...»^(٣).

(١) باقر محبوبية، ماضي النجف وحاضرها: ج ٣، ص ٢٤٠.

(٢) البحراني، الشيخ يوسف بن أحمد، لؤلؤة البحرين: ص ١٥١، بتحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، طبعة أفست مؤسسة آل البيت عليه السلام، بلا - ت.

(٣) الميرزا حسين النوري، خاتمة مستدرك الوسائل: ج ٢، ص ٢٢ طبعة مؤسسة آل البيت عليه السلام،

والذي يبدو أنَّ وجهته الأولى في هجرته العلمية كانت مصر، حيث أخذ من علمائها، ثم أخذ من علماء بلاد الشام، وسافر إلى بلاد العرب وأخذ من علمائها وعلماء إيران^(١). ثم استقر في النجف الأشرف، حيث قضى معظم حياته فيها، ولم يستقر بإيران سوى ست سنوات فقط ثلاثة منها في بداية عهد الشاه إسماعيل الصفوي (٩١٦-٩١٩هـ)، وثلاثة أخرى تحت ظلّ ولده الشاه طهماسب (٩٣٦-٩٣٩هـ)^(٢).

وهناك شواهد كثيرة تدل على طول مكوث المحقّق الكرّكي في النجف الأشرف منها، إجازته للشيخ أحمد بن محمّد الشهير بابن أبي جامع المؤرّخة سنة (٩٢٨هـ) كتبها له بالغري^(٣)، حيث قال الكرّكي فيها: «ورد إلينا إلى المشهد المقدّس الغروي على مشرفه الصلاة والسلام، وانتظم في سلك المجاورين بتلك البقعة المقدسة برهة من الزمان...»^(٤).

كذلك جاء في آخر رسالته الموسومة بـ (السجود على التربة الحسينية بعد أن تشوى بالنار) والتي يرد فيها على معاصره الشيخ إبراهيم القطيفي.. إنّه فرغ من تأليفها في النجف الأشرف يوم الحادي عشر من شهر ربيع الأوّل سنة (٩٣٣هـ)^(٥).

ط ١٤١٥هـ.

(١) الميرزا حسين النوري، خاتمة مستدرّك الوسائل: ج ٢، ص ٢٧٨ وما بعدها.

(٢) جودت القزويني، تاريخ المؤسّسة الدينية: ص ٣٢٤.

(٣) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ج ٣، ص ٢٤٢.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٦٠، ص ١٠٨.

(٥) المحقّق الكرّكي، رسائل المحقّق الكرّكي المجموعة الثانية: ج ٢، ص ١١، ص ٩١-٩٢،

منشورات مكتبة المرعشي النجفي، وذكرها الأفندي في رياض العلماء: ج ٣، ص ٤٤٧،

والطهراني في الذريعة: ج ١٢، ص ١٤٨ رقم ٩٩٧.

ومن آثاره الباقية في النجف مسجده المشهور، كان قديماً يعرف بمسجد المحقق الكركي، وبعده عرف بمسجد الطريحي، وهو من المساجد المشهورة المعظمة في النجف...»^(١) ولا زال هذا المسجد شاخصاً في محلة المشراق، وكان يصلّي فيه العلامة المتبع الشيخ آقا بزرك الطهراني النجفي صاحب كتاب الذريعة والطبقات. وقد جدّد ديوان الوقف الشيعي بناءه أخيراً.

وفاة الكركي ومحل دفنه:

ذكرنا سابقاً أنّه ﷺ توفي في النجف يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة وهو يوم الغدير سنة (٩٤٠هـ) وأشرنا إلى بعض الخلاف في هذا التاريخ إلا أنّ هنالك اختلافاً في سبب وفاته: «فقيل: مات مسموماً، دسّ له السم أحد أمناء الدولة في زمن السلطان الشاه طهماسب»^(٢).

وقد نُسب حديث وفاة الكركي مسموماً إلى اثنين من أعلام الإمامية المعاصرين لتلك المرحلة، هما: الشيخ محمد بن علي بن حسن العودي الجزيني، في رسالته (بغية المريد في الكشف عن أحوال الشهيد) التي كتبها في أحوال أستاذه الشهيد الثاني زين الدين العاملي حيث ذكر أنّه - أي الكركي - توفي مسموماً في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة (٩٤٠هـ)، وهو في مدينة النجف الأشرف.

كما نُسب للشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي (والد الشيخ البهائي) قوله: «إنّ الكركي قتل شهيداً بالسم، المستند إلى فعل بعض أمناء الدولة»^(٣).

(١) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ج ٣، ص ٢٤٣.

(٢) المصدر السابق نفسه: ص ٢٤٣.

(٣) جودت القزويني المؤسّسة الدينية الشيعية: ص ٣٢٠-٣٢١، وللتوسع ينظر نص رسالة

أمّا محلّ دفنه، فقد ذكر أحد الباحثين أنّه: «دفن في الصحن الشريف»^(١)، نقلاً عن الأفندي في (رياض العلماء: ص ٣٠) ولم نثر على ما ذكر في الجزء والصفحة التي أشار إليهما هذا الباحث، وإنّما وجدنا صاحب رياض العلماء ينقل في ترجمة المحقّق الكرّكي في الجزء الثالث الصفحة ٤٤٨، عن كتاب جهان آرا: «إنّه - أيّ: المحقّق الكرّكي - مات في مشهد علي عليه السلام في الثامن عشر ذي الحجة وهو يوم الغدير سنة أربعين وتسعمائة وقيل في تاريخه (مقتدای شیعه) ولم يذكر محلّ دفنه، فتأمل»، كما أنّه لم يذكر ضمن كتاب مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف الذي كتبه الباحث كاظم عبود الفتلاوي وأصدرته مكتبة الروضة الحيدرية، وشخصية مرجعية كالمحقّق الكرّكي لا يهمل ذكره إن كان مدفنه الحرم العلوي، وهنالك كلام يتداول على الألسن في مدفنه في مسجده (مسجد الطريحي) أو في مسجد بنات الحسن عليه السلام والله العالم بحقائق الأمور.

٢- التراث العلمي للمحقّق الكرّكي:

لقد ترك لنا المحقّق الكرّكي تراثاً علمياً كبيراً اتّصف بالشمول والسعة من جهة وبالعمق العلمي من جهة ثانية، ودل على هذه السعة والعمق قائمة كتبه التي وصلتنا، وعلى رأسها كتابه الكبير (جامع المقاصد) الذي أشرنا إليه سابقاً. ولهذا نجد كلمات المترجمين له تشير إلى هاتين الخصوصيتين في تراث

ابن العودي في كتاب: الدر المنثور من المأثور وغير المأثور للشيخ علي بن محمّد بن الحسن: ج٢، ص ١٦٠، طبعة قم، ١٩٧٩م، وينظر أيضاً ما قاله الخوانساري في الروضات: ج٤، ص ٣٧٢.

(١) الغروي، تاريخ الحوزة: ص ١٠٦.

الكركي، يقول التفرشي في نقد الرجال: «علي بن عبد العالي الكركي، شيخ الطائفة، وعلامة وقته، صاحب التحقيق والتدقيق كثير العلم، نقي الكلام، جيد التصانيف من أجلاء هذه الطائفة»^(١).

ويقول عنه العلامة المجلسي: «... وتصانيفه في نهاية الرزانة والمتانة»^(٢). وعبر عنه الشهيد الثاني في بعض إجازاته بقوله: «الشيخ الإمام المحقق المنقح...»^(٣).

وأما قائمة بليوغرافيا مؤلفاته، فهي طويلة ذكرها العلامة الأمين في أعيانه نقلاً عن ترجمته في كتب التراجم وفيما يلي أسماء أهم هذه المؤلفات:

١ - جامع المقاصد في شرح القواعد: ويعتبر هذا الكتاب من أضخم جهوده العلمية التي عُرف بها واشتهر... والذي شرح فيه كتاب (قواعد الأحكام في مسائل الحلال والحرام) للعلامة الحلّي شرحاً استدلالياً تفصيلياً.

يقول السيّد الأمين: «وهو شرح لم يعمل قبله أحد مثله في حلّ مشكله مع تحقیقات حسنة وتدقیقات لطيفة خالٍ من التطويل والإكثار وشارح لجميع ألفاظه المجمع عليه، والمختلف فيه، وقد اشتهر هذا الشرح اشتهاراً كثيراً واعتمد عليه الفقهاء في أبحاثهم ومؤلفاتهم...»^(٤).

ويصرح المحقق الكركي في مقدمته لكتابه أنّه كتبه في النجف الأشرف حيث

(١) التفرشي، نقد الرجال: ص ٢٣٨.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج ١، ص ٢١، ٤١.

(٣) الحر العاملي، أمل الآمل: ج ١، ص ١٢١.

(٤) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٨، ص ٢١٠.

قال: «ولما كان هذا الكتاب مما منَّ الله عليَّ بإنشائه في حرم سيدي ومولاي أمير المؤمنين، وسيد الوصيين صلوات الله عليه تترى بعد أخيه صفوة الله من النبيين وآلهما المعصومين»^(١).

والذي يبدو أن الكركي قد كتب جامع المقاصد في الفترة الطويلة الأولى من مكوثه في النجف الأشرف والتي امتدت إلى ما يقارب الخمسة عشر عاماً، والتي تفرغ خلالها للتدريس والتأليف، مبتعداً عن الدولة الصفوية وهمومها^(٢)، وكتاب جامع المقاصد - على أهميته - لا يمثل دورة فقهية كاملة: «إذ لم يتجاوز مؤلفه بحث تفويض البضع من كتاب النكاح، وقد وصل إلى هذا الحد في (ج ١ من ٩٣٥) ولم يتيسر له إتمامه بعد ذلك فتممه الفاضل الهندي بكتابه كشف اللثام عن وجه قواعد الأحكام فابتدأ بشرح كتاب النكاح إلى آخر القواعد، ثم شرح بعد ذلك الحج والطهارة والصلاة...»^(٣).

وقد حظي كتاب جامع المقاصد باهتمام العلماء والفقهاء وأساطين الدراسات العليا في الحوزات العلمية لما يتمتع به الكتاب من متانة علمية ورصانة فقهية فرضت نفسها على الوسط الحوزوي، ولما تناوله فطاحل العلماء بالتمحيص والتدقيق والشرح والتفصيل، وكتبت عليه التتّمات والشروح والخواشي، منها: تتميم جامع المقاصد للمولى التستري، وتعليقة الشيخ لطف الله الميسي (ت ١٠٣٢ هـ).. وكلُّ ما تقدم - إن دلَّ على شيء - فإنّما يدل على أنّ الكتاب غني عن كلّ إطرء وثناء وأنّه السفر القيم الذي سدَّ فراغاً في المكتبة الإسلامية طالما

(١) الكركي، جامع المقاصد: ج ١، ص ٦٧ طبعة مؤسسة آل البيت ع، ط ٢، ١٤١٤ هـ.

(٢) ينظر، القزويني، المؤسّسة الدينية: ص ٢٨٨.

(٣) آقا بزرك الطهراني، الذريعة: ج ٥، ص ٧٢.

ظَلَّ شاغراً، وبذلك صار الكتاب منية الفقيه، وطلبة المجتهد»^(١).

٢- الرسالة الجعفرية: والتي أَلَفَهَا سنة (٩١٧هـ) في مدينة مشهد، وهي في الصلاة الواجبة والمندوبة، والتي نالت تقدير تلامذته فكتبوا عليها شروحاً، وتعليقات مختلفة كما أَنَّ للمؤَلَّف نفسه شرحاً على هذه الرسالة^(٢).

٣- الرسالة الخراجية المعروفة بـ (قاطعة اللجاج في تحقيق حلّ الخراج).

٤- الرسالة الرضاعية.

وقد ردَّ على هاتين الرسالتين معاصر الكركي ورفيق دربه الشيخ إبراهيم القطيفي وكثر السجال بينهما بما لا يسعنا ذكره هنا^(٣).

٥- حواشي مختلف الشيعة (للعَلَّامة الحلي).

٦- حواشي كتاب شرائع الإسلام (للمحقق الحلي).

٧- حواشي إرشاد الأذهان (للعَلَّامة الحلي).

٨- حواشي اللمعة الدمشقية (لشَهِيد الأوَّل).

٩- حواشي الذكرى (لشَهِيد الأوَّل).

١٠- حواشي المختصر النافع (للمحقق الحلي).

١١- شرح الألفية (لشَهِيد الأوَّل).

(١) آقا بزرك الطهراني، الذريعة: ج ٥، ص ٧٢ ومقدمة جامع المقاصد: ج ١، ص ٤٦-٤٧.

(٢) ينظر الذريعة: ج ٣، ص ٤٣٦. وج ٤، ص ٩٤، وج ٥، ص ١١١، وج ١٦، ص ٣٥٢، وج ٢١، ص ١٤٠.

(٣) ينظر تفصيل ذلك عند السيّد الأمين في الأعيان: ج ٨، ص ٢١٢-٢١٣، والسيّد القزويني في تاريخ المؤسّسة الدينية: ص ٢٨٥ وما بعدها.

١٢- رسائل المحقق الكركي: وهي مجموعة قيمة من الرسائل طبعت مؤخراً في ثلاثة مجلدات بتحقيق الشيخ محمد الحسون، وقد اهتم الشيخ الحسون بتراث المحقق الكركي وجمعه في موسوعة قيمة تضمنت تراث الكركي ما عدا جامع المقاصد الذي حُقّق من قبل مؤسسة آل البيت عليه السلام وطبع في ثلاثة عشر مجلداً.

وتعتبر رسالة (طرق استنباط الأحكام) من الوثائق العلمية المهمة جداً، فهي على اختصارها تبين كيفية سلوك المجتهد في استنباطه الأحكام، وقد نشرت هذه الرسالة مستقلة ضمن منشورات كلية الفقه في النجف الأشرف سنة (١٣٩١هـ) بتحقيق الشيخ عبد الهادي الفضلي^(١). وطبعت أيضاً ضمن مجموعة رسائل المحقق الكركي^(٢).

كما أنّ هنالك بعض الرسائل نسبت للمحقق الكركي منها رسالة: (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت). يقول أحد المحققين عن هذه الرسالة: «والرسالة ركيكة النسيج، هشة لا ترقى إلى لغة كاتبها، وأسلوبه العلمي المتين». كما أنّ أحداً من فقهاء الشيعة ومراجعهم قبل مرحلة الكركي، أو بعده لم يكن قد تطرق إلى جواز سب الصحابة، وشتهم، والنيل منهم، مما ينفي وجود مثل هذا المنهج في كتب العلماء الشيعة الكبار.

وقريب من هذه الرسالة، رسالة أخرى نسبت إليه بعنوان: (تعين المخالفين لأمر المؤمنين عليه السلام) «وهي رسالة مريبة لا يمكن تحقيق نسبتها إليه، كما أنّ شيخ

(١) ينظر نص الرسالة في كتاب تاريخ التشريع الإسلامي للفضلي: ص ٤٠٩-٤١٩.

(٢) رسائل المحقق الكركي: ج ٣، ص ٤٠-٥٢.

التحقيق العلامة الطهراني لم يذكرها في عداد مؤلفات الكركي في موسوعة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) مما يدل على أنها من صناعة الأقلام المتأخرة... ومما ألحق برسائل الكركي بعض الاستفتاءات المريبة.. إنَّ جميع هذه المرويات لم تتكرر في مؤلفات الكركي الثابتة النسبة إليه، كما أنَّ الأسلوب الذي كتبت به يختلف عن أسلوب المحقق في مؤلفاته الأخرى، يظهر ذلك من المقارنة بين هاتين الطريقتين الدالتين على أنَّ كاتبهما ليس شخصاً واحداً، وأنَّهما مكتوبتان بقلم شخصين مختلفين^(١).

شيوخ وتلامذة المحقق الكركي:

روى الشيخ الكركي ودرس عند كثير من علماء عصره، من الخاصَّة والعامة، ومن أبرز مشايخه وأساتذته:

١ - زين الدين أبو الحسن علي بن هلال الجزائري:

وهو من أبرز أساتذة ومشايخ المحقق الكركي، وقد أثنى الكركي على أستاذه الجزائري في إجازته للقاضي صفي الدين بن عيسى، ومما قاله: «فمن قرأت عليه، وأخذت عنه، واتصلت روايتي به ولازمته دهرًا طويلاً، وأزمنة كثيرة، وهو أجلُّ أشياخي وأشهرهم، وهو شيخ الشيعة الإمامية في زماننا غير منازع، شيخنا الشيخ الإمام السعيد، علامة العلماء في المعقول والمنقول المعمر الأوحد، الفاضل، ملحق الأحفاد بالأجداد، قدوة أهل العصر قاطبة، زين الملة

(١) جودت القزويني، تاريخ المؤسَّسة الدينية: ص ٣٢٥-٣٢٧، وللاطلاع على قائمة مؤلفات الكركي ينظر: أعيان الشيعة للأمين: ج ٨، ص ٢١٠، ومقدمة جامع المقاصد: ج ١، ص ٤١-٤٣، والفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي: ص ٤٠٠-٤٠١.

والحق والدين، أبو الحسن علي بن هلال قدس الله نفسه الزكية وأفاض على مرقد المرحم الربانية^(١).

٢- الشيخ شمس الدين محمد بن خاتون العاملي.

٣- الشيخ شمس الدين محمد بن داود، عن ابن الشهيد، عن أبيه.

٤- الشيخ أحمد بن الحاج علي العاملي العينائي.

٥- الشيخ زين الدين جعفر بن حسام العاملي.

ويعتبر الشيخ الجزائري، شيخ مشايخ الإمامية في عصره، وهو من أبرز تلامذة الشيخ أحمد بن فهد الأسدي الحلّي (ت ٨٤١هـ)، والذي هو من أشهر وألع تلامذة الفاضل المقداد السيوري الحلّي^(٢).

«والفاضل المقداد يجمع بين تلمذته على فخر المحققين الحلّي، والشهيد الأوّل العاملي الشامي، فكان بهذا الملتقى الذي جمع بين الرافدين، والمصب الذي أفرغ محتوى المركزين العلميين، الحلّي والشامي في النجف الأشرف عن طريق المحقق الكركي»^(٣).

وللمحقق الكركي أساتذة ومشايخ من أبناء العامة درس عندهم في سفره إلى بلاد مصر حيث أخذ من علمائها بعد الأخذ من علماء الشام، وقد ذكر في إجازته لصفى الدين عيسى أسماء بعض مشايخه من العامة منهم: أبو يحيى

(١) حسين النوري، خاتمة مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ٢٩٢.

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٩١-٢٩٤.

(٣) الفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي: ص ٣٩٩-٤٠٠.

زكريا الأنصاري، وكمال الدين محمد بن أبي شريف المقدسي...»^(١).

وأما تلامذته فهم من الكثرة الكثيرة حتى إن بعضهم قال: «وربى في مدة يسيرة ما يزيد على أربعمائة مجتهد»^(٢)، ومن أشهرهم:

- ١- الشيخ علي بن عبد العالي الميسي.
- ٢- الشيخ زين الدين الفقعاني.
- ٣- الشيخ أحمد بن محمد بن أبي جامع (المعروف بابن أبي جامع).
- ٤- الشيخ أحمد بن محمد بن خاتون العاملي.
- ٥- الشيخ نعمة الله بن جمال الدين أحمد بن محمد بن خاتون العاملي.
- ٦- الشيخ علي المنشار زين الدين العاملي.
- ٧- الشيخ كمال الدين درويش محمد بن الشيخ حسن العاملي.
- ٨- الشيخ عبد النبي الجزائري (صاحب الرجال).
- ٩- السيّد شرف الدين علي الحسيني الأسترآبادي النجفي.
- ١٠- الشيخ أبو القاسم نور الدين علي بن عبد الصمد العاملي.
- ١١- السيّد الأمير محمد بن أبي طالب الأسترآبادي الحسيني.
- ١٢- الشيخ ظهير الدين إبراهيم بن علي الميسي.
- ١٣- الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي الخانيساري الأصفهاني.
- ١٤- الأمير نعمة الله الحلّي^(٣).

(١) آقا بزرك الطهراني، الطبقات: ج ٤، ص ٦٠. وينظر: أمل الآمل: ج ١، ص ١٢٢، ورياض

العلماء: ج ٣، ص ٤٤٩-٤٥٠.

(٢) جامع المقاصد، مقدمة التحقيق: ص ٤١.

(٣) المصدر السابق: ص ٤١.

المحقق الكركي وولاية الفقيه:

لقد كان المحقق الكركي فقيهاً جامعاً، بل ومن كبار فقهاءنا الذي لا يمكن تجاهل آرائه الفقهية في عمليات الاستنباط الفقهي التي يمارسها فقهاء أهل البيت عليه السلام ومن أهم ما يلفت النظر في فتاوى المحقق الكركي، المدرجة في كتبه الفقهية هو قوله في نيابة الفقيه وصلاحيته في التعامل مع السلطة الزمنية، وكتابه الفقهي (الخراج) أو قاطعة اللجاج في تحقيق حلّ الخراج، وغيره إضافة إلى سيرته العملية مع ولادة الدولة الصفوية تدل على هذا الأمر بوضوح.

ولهذا نجده قد «سار في مرجعيته العامة، وزعامته للطائفة سيرة الشهيد الأول؛ فقد كان يقول بولاية الفقيه، وأدار في هديها وبحكم نيابته عن الإمام المهدي عليه السلام شؤون الدولة الصفوية وكانت آنذاك بزعامه الشاه طهماسب الصفوي؛ فهو أول فقيه اقترن اسمه بظهور الدولة الصفوية ودعمها.

يقول المحدث البحراني في كتابه (لؤلؤة البحرين) وكان من علماء الشاه طهماسب الصفوي، وجعل أمور المملكة بيده، وكتب رقماً إلى جميع الممالك بامثال ما يأمر به الشيخ المزبور، وإنَّ أصل الملك إنَّما هوله؛ لأنَّه نائب الإمام^(١)، فكان الشيخ يكتب إلى جميع البلدان كتاباً بدستور العمل في الخراج، وما ينبغي تدبيره في أمور الرعية^(٢).

(١) يمكن الاطلاع على نص الأمر الصادر في كتاب المحدث النوري، خاتمة المستدرک: ج ٢، ص ٢٨٢ حيث نقل النص الفارسي عن رياض العلماء للأفندي: ج ٣، ص ٤٥٥، كما تجد الترجمة العربية في المرجع نفسه: ج ٢، ص ٢٨٧ وما بعدها.

(٢) البحراني، لؤلؤة البحرين: ص ١٥٢-١٥٣، وللتوسع ينظر: السيّد جودت القزويني في كتابه: المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية: ص ١٤٠-١٥٤، وكتابه الآخر: تاريخ المؤسّسة الدينية: ص ٢٧٦ وما بعدها.

ونقل عن السيّد نعمة الله الجزائري أنّه قال في صدر كتابه (شرح غوالي اللثالي): «رأيت للشيخ أحكاماً ورسائل إلى الممالك الشاهية إلى عمالها، وأهل الاختيار فيها تتضمن قوانين العدل، وكيفية سلوك العمال مع الرعية في أخذ الخراج، وكميته ومقدار مدّته.. وأمر أن يقرر في كلّ بلد وقرية إماماً يصلّي بالناس، ويعلمهم شرائع الدين»^(١).

فالمحقق الكرّكي رحمه الله جمع بين الفقهات والبحوث العلمي، وبين التصدي لأمر الأمة الإسلامية، ولم يقتصر نشاطه على البحث العلمي فحسب بل تجاوزه إلى ميدان الإصلاح الاجتماعي متنقلاً في جملة من البلدان، مساهماً في توعية الجمهور إسلامياً، الأمر الذي يضيف على شخصيته تقديراً خاصاً^(٢).

ويشير مؤرخ الدولة الصفوية (حسن بيك روملو) المعاصر للشيخ الكرّكي، في كتابه القيم أحسن التواريخ ما ترجمته: «لم يسعَ أحد بعد الخواجه نصير الدين الطوسي في الحقيقة أزيد مما سعى الشيخ علي الكرّكي هذا في إعلاء أعلام المذهب الحق الجعفري الاثني عشري، وكان له في منع الفجرة والفسقة وزجرهم، وقلع قوانين المبتدعة وقمعها، وفي إزالة الفجور والمنكرات وإراقة الخمر والمسكرات وإجراء الحدود والتعزيرات وإقامة الفرائض والواجبات والمحافظة على أوقات الجمعة والجماعات، وبيان أحكام الصيام والصلوات، والفحص عن أحوال الأئمة والمؤذنين ودفع شرور المفسدين والمؤذنين، وزجر مرتكبي الفسوق والفجور حسب المقدور مساعي جميلة، ورغب عامة العوام

(١) الفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي: ص ٤٠٢.

(٢) محمود البستاني، مقدمة كتاب الخراجيات: ص ٣٤ طبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم،

في تعلّم الشرائع وأحكام الإسلام وكلّفهم بها»^(١).

ولهذا لاقى المحقّق الكركي عنّاً شديداً من بعض معاصريه من فقهاء الضد النوعي الذي لا يخلو منهم زمان، كما أنّ بعض المتنفذين في الدولة الصفوية أبدوا ممانعة في قبال من ولاية الفقيه المتمثلة في المحقّق الكركي آنذاك، ولهذا سعوا إلى إقصائه فقضى آخر أيام حياته في النجف الأشرف، ومات فيها مسموماً شهيداً رحمة الله عليه.

ب- الشيخ أحمد بن محمّد المعروف بالمقدّس الأردبيلي (ت ٩٩٣هـ):

وكان من أكثر العلماء شهرة بعد المحقّق الكركي في هذه المرحلة من مراحل حوزة النجف الأشرف.

«وأمره في الجلالة والثقة والأمانة أشهر من أن يذكر، وفوق ما تحوم حوله العبارة، كان متكلماً فقيهاً، عظيم الشأن جليل القدر، رفيع المنزلة، أورع أهل زمانه، وأعبدتهم وأتقاهم»^(٢).

وقال عنه العلامة الحرّ العاملي في أمل الأمل: «المولى الأجلّ الأكمل: أحمد ابن محمّد الأردبيلي» كان عالماً، فاضلاً، مدققاً، عابداً، ثقة، ورعاً، عظيم الشأن، جليل القدر معاصراً لشيخنا البهائي»^(٣).

(١) الأفندي، رياض العلماء: ج ٣، ص ٤٥٠-٤٥١، وانظر النص الفارسي عن حسن بيك روملو، أحسن التواريخ: ص ٢٤٩ تحقيق وتصحيح الدكتور عبد الحسين نوائي، طبعة انتشارات بابك، ١٣٥٧هـ-ش.

(٢) مصطفى التفرشي، نقد الرجال: ج ١، ص ١٥١، طبعة مؤسسة آل البيت، ط ١، ١٤١٨هـ. محمّد بن علي الأردبيلي، جامع الرواة: ج ١، ص ٦١، مصدر سابق.

(٣) الحر العاملي، أمل الأمل: ج ٢، ص ٢٣ رقم الترجمة ٥٧.

١ - منهج المقدّس الأردبيلي في الاستدلال الفقهي:

لقد تميز المقدّس الأردبيلي من بين الفقهاء السابقين والمعاصرين له بطريقة استدلالية خاصة أبرزها بشكل خاص من خلال استدلالاته الفقهية في كتابه القيم مجمع الفائدة والبرهان.

فقد كان رحمته الله يعتمد في استدلاله على الفكر والاجتهاد التحليلي من دون النظر إلى آراء بقية العلماء، ومع أنّه لم يكن ذا تجديد خاص به لكن كانت له طريقته الخاصّة^(١) التي ميزته عن غيره من فقهاء عصره.

ولم تذكر لنا كتب التراجم عن أسماء أساتذة المقدّس الأردبيلي شيئاً سوى قولهم إنّهُ درس عند بعض تلامذة الشهيد الثاني وعند فضلاء العراقيين والمشاهد المعظمة وله الرواية عن السيّد علي الصانع الذي هو من كبار تلامذة الشهيد الثاني^(٢).

هذا وقد تميز منهج المحقّق الأردبيلي في الاستنباط عن منهج الفقهاء السابقين واللاحقين له بميزتين:

الأولى: التحرُّر من حصار التبعية للمشهور من الفقهاء السابقين.

(١) مقدمة جامع المقاصد: ج ١، ص ٢٤-٢٥. وانظر حسين مدرسي طباطبائي، مقدمة فقه الشيعة - فارسي: ص ٥٦، مصدر سابق.

(٢) السيّد منذر الحكيم، مقدمة معالم الدين - قسم الفقه: ص ٢٩ وينظر أعيان الشيعة: ج ٩، ص ١٩٥ كذلك المستدرک: ج ٣، ص ٣٩٢، الطبعة القديمة وللسيد أبي الفضل مفتي الشيعة الموسوي كتاب بعنوان: (المقدّس الأردبيلي حياته وآثاره) طبعة دار الهدى - قم، ١٤٢٥هـ، وفيه بعض المعلومات التي لا توجد في ترجمة الأردبيلي من كتب الرجال والتراجم، إلّا أنّ السيّد الموسوي لا يذكر لنا مصدر معلوماته.

والثانية: الاعتماد على مبدأ السماح والسهولة في أحكام الشريعة على أساس قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(١) وقوله ﷺ: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ» و«يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا»^(٢).

وفيما يلي توضيح ذلك من خلال ذكر نماذج من منهجه الاستدلالي.
في مجمع الفائدة والبرهان للأردبيلي في شرح قول العلامة الحلّي في الإرشاد: «ويجب معرفة واجب أفعال الصلاة...». إلى آخره.

قال ﷺ: اعلم: أن الذي تقتضيه الشريعة السهلة والأصل، عدم الوجوب على التفصيل والتحقيق المذكور في الشرح، وأظن أنه يكفي الفعل على ما هو المأمور به.

ثم يقول: والحاصل: أنه لا دليل يصلح، إلا أن يكون إجماعاً، وهو أيضاً غير معلوم لي، بل ظني: أنه يكفي في الأصول الوصول إلى المطلوب كيف كان بدليل ضعيف باطل، وتقليد كذلك كما مر إليه الإشارة.

ثم يقول: وبالجملّة: لي ظنٌ قويٌّ على ذلك من الأمور الكثيرة، وإن لم يكن كلُّ واحد منها دليلاً، فالمجموع مفيد له، وإن لم يحضرني الآن كله...^(٣).

وذكر أيضاً في مسألة الشك بين الاثنتين والثلاث والأربع:

«إنه يكفي في الأصول مجرد الوصول إلى الحق، وأنه يكفي ذلك لصحة

(١) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٢) ينظر: كنز العمال، حديث ٩٠٠، والدر المنثور: ج ١، ص ٤٦٥.

(٣) ينظر الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان: ج ٢، ص ١٨٢ مبحث أفعال

الصلاة، ط. قم، مركز النشر الإسلامي، بلا - ت.

العبادة المشترطة بالقربة من غير اشتراط البرهان والحجة على ثبوت الواجب... هذا ظني وقد استفدته أيضاً من كلام منسوب إلى أفضل العلماء وصدر الحكماء، نصير الحق والشرعية، وعين الفرقة الناجية بالبراهين العقلية والنقلية على أحقية مذهب الشيعة الاثني عشرية...

ومما يؤيده: الشريعة السهلة السمحة... وبالجمله هذا ظني، ولكنه لا يغني من شيء، ولعلي لا أعاقب به إن شاء الله تعالى، وقد استبعدت ما ذكره بعض الأصحاب سيما في الرسالة الألفية...»^(١).

وقال قدس في بحث وجوب العلم بدخول وقت الصلاة: «وبالجمله: كل من فعل ما هو في نفس الأمر - وإن لم يعرف كونه كذلك - ما لم يكن عالماً بنهيه وقت الفعل حتى لو أخذ المسائل عن غير أهله، بل لو لم يأخذ من أحد فظنها كذلك وفعل، فإنه يصح ما فعله، وكذا في الاعتقادات، وإن لم يأخذها عن أدلتها، فإنه يكفي ما اعتقده دليلاً وأوصله إلى المطلوب، ولو كان تقليداً...»^(٢).

وفي زبدة البيان وفي ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...﴾^(٣) يقول المحقق الأردبيلي: «ثم اعلم أن ظاهر الآية تحريم الخمر وكل مسكر مطلقاً، وكذا كل قمار وميسر ولكن مع أخذ الرهن على ما فهم من اشتقاقه والأصحاب يجرمونه مطلقاً لعلّه لإخبار أو إجماع، أو كون الميسر أعم هنا عندهم وإن كان في الأصل خاصاً»^(٤).

(١) مجمع الفائدة والبرهان، المقدس الأردبيلي: ج ٣، ص ١٨٩-١٩٠ باختصار وتلخيص.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٥٤-٥٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٩.

(٤) زبدة البيان في أحكام القرآن، المقدس الأردبيلي: ص ٦٣١. ط. المرتضوية، بلا - ت.

هذه بعض التنف والنماذج التطبيقية الاستدلالية، وهي تعكس منهج رائد هذه المرحلة المحقق الأردبيلي في الاستدلال، حيث الاعتماد على التحليلات العقلية. وإعطاء الظنون مساحة واسعة في مجال الاستنباط، والإعراض عن الأخبار والإجماعات - كما لاحظنا ذلك في نص زبدة البيان - وعدم الالتزام بما يلتزم به المشهور إن لم يكن لرأيهم دليل يعتمد عليه.

وقد أوضح المحقق الأردبيلي منهجه الفقهي في كتابه الاستدلالي القيم (مجمع الفائدة والبرهان) بشكل صريح حيث قال في حجية الإجماع، والشهرة وجبر عمل الأصحاب لضعف الرواية ما نصه:

- ١- «إنَّ الإجماع لا يكون حجة إلاَّ أن يكون له سند»^(١).
 - ٢- «إنَّ الإجماع لا يتحقق مع وجود الخلاف بين أساطين العلماء»^(٢).
 - ٣- «إنَّ مخالفة الدليل القطعي يقدح، ومخالفة الإجماع ما لم يكن قطعياً لم يقدح»^(٣).
 - ٤- «يجوز مخالفة الإجماع المنقول بخبر الواحد - فإنَّ الناس يغلطون فيه كثيراً - بمجرد سماعهم أنَّه لا يجوز خلاف الإجماع»^(٤).
- وقال في الشهرة، وجبران ضعف السند بالشهرة وعمل الأصحاب ما نصُّه:

(١) مجمع الفائدة والبرهان، المقدَّس الأردبيلي: ج ٤، ص ٢٢٨.

(٢) المصدر السابق نفسه: ص ١٧٣.

(٣) المصدر السابق: ج ٣، ص ٢٧٢.

(٤) المصدر السابق نفسه: ص ٢٧٣.

١ - «الشهرة ليست بحجة»^(١).

٢ - «الشهرة ليست بحجة مع وجود الخلاف»^(٢).

٣ - «وعمل الأكثر ليس بحجة»^(٣).

٤ - «والجبر بالشهرة غير مسموع»^(٤).

إلى غيرها من العبارات الصريحة المبثوثة في كتابه المذكور، والتي خالف فيها مباني كثير من الفقهاء السابقين له من أمثال الشيخ الطوسي وابن إدريس والمحقق والعلامة وخالفه كثير من الفقهاء اللاحقين له من أمثال الشيخ الوحيد وصاحب الجواهر وتلامذتهم حيث اشتهر الشيخ الوحيد البهبهاني بالأخذ بالإجماع، وعرف عن صاحب الجواهر استناده إلى الشهرة وعدم مخالفته لها.

ولهذا نجد النقد الشديد لمنهج المحقق الأردبيلي في كلمات أكثر من فقيه جاء من بعده وخاصة من الوحيد البهبهاني الذي أكثر في المناقشة والرد عليه، في حاشيته على كتاب مجمع الفائدة والبرهان، حتى إنه قال عنه: «رأيته قد كبا جواده في بعض الميادين، فأخذ يعترض على علمائنا الأساطين»^(٥).

التراث العلمي للمقدس الأردبيلي:

للمقدس الأردبيلي جملة من المؤلفات والتصانيف منها:

(١) مجمع الفائدة والبرهان، المقدس الأردبيلي: ج ٢، ص ٢٢٦ وج ٧، ص ٣٨٥ وج ٨، ص ٩١،

وج ٩، ص ٣٤٦.

(٢) المصدر نفسه: ج ٤، ص ١٩، ص ٦٥، ص ٢٢٩، ص ٣١٧ وج ١٢، ص ٤٨١.

(٣) المصدر نفسه: ج ١٣، ص ٤٤١.

(٤) المصدر نفسه: ج ١، ص ٨٩.

(٥) مقدمة حاشية مجمع الفائدة والبرهان، المقدس الأردبيلي: ص ٣.

- ١- مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان.
 - ٢- زبدة البيان في تفسير آيات أحكام القرآن.
 - ٣- إثبات الواجب، وهو رسالة فارسية في أصول الدين مع البسط في الإمامة.
 - ٤- النص الجلي في إمامة مولانا علي (عليه السلام).
 - ٥- الحاشية على الإلهيات الشرح الجديد للتجريد.
 - ٦- تعليقات على شرح المختصر العضدي.
 - ٧- تعليقات على خراجية المحقق الثاني (الكركي).
 - ٨- استيناس المعنوية.
 - ٩- حديقة الشيعة في تفصيل أحوال النبي والأئمة (عليهم السلام) - بالفارسية^(١).
- إلا أن المحقق الطهراني في الذريعة شكك في نسبة تأليف (حديقة الشيعة) للأردبيلي، وقال: إن المهوسين ضد التصوف في القرن الحادي عشر، بعد ثورة الشاه عباس الصفوي ضد الصوفية بقزوين عام (١٠٠٢هـ)، وبعد نقل العاصمة إلى أصفهان أخذوا نسخة الكتاب هذا وزادوا عليه رسالة ضد الصوفية وسمّوها (حديقة الشيعة)، ونسبوا إلى المقدّس المترجم له للاستفادة من مكانته عند الناس للدعاية ضد الصوفية، دعايات قامت بها الحكومة ضد الصوفية في ذلك القرن^(٢).

ويعتبر كتاب (مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان) من أهم آثار المقدّس الأردبيلي العلمية، ومن أشهر موسوعات الفقه الاستدلالي، وأحسنها

(١) الطهراني، الطبقات: ج ٤، ص ٨ ومقدمة مجمع الفائدة والبرهان: ص ٣٨-٣٩.

(٢) الطهراني، الطبقات: ج ٤، ص ٨-٩، وقارن بها كتبه المحدث النوري في خاتمة المستدرک: ج ٢، ص ٩١ وما بعدها.

تدقيقاً وتحقيقاً، ولكن المؤسف أن قسماً منه ضاع على مرور الزمن^(١).

ومجمع الفائدة والبرهان للأردبيلي من نتاج هذه المرحلة في مجال البحث الفقهي الاستدلالي، إلى جانب كتاب جامع المقاصد للمحقق الكركي، في المجال نفسه.

يقول أحد الباحثين في تقييمه لهذين الكتابين الفقهيين الموسوعيين وكتابا (الجامع) للكركي، و(المجمع) للأردبيلي هما في الوسط العلمي الإمامي من أمّات الكتب المراجع في الفقه الاستدلالي.

وبما انتهيا إليه من تطور في البحث، حيث تكاملت أدواته الفنية ووسائله العلمية في التحليل والتعليل والاستقراء والاستنتاج، والموازنة والمقارنة، والنقد والمناقشة وما إلى هذه، استقر ووضح الخط العام للتأليف في الفقه الاستدلالي، في المادة والمنهج وأسلوب العرض.

وكُلُّ ما أُلّف بعدهما من الكتب والمراجع في الفقه الاستدلالي لم يخرج عما رسا عليه الكتابان المذكوران من الطريقة في التأليف الفقهي الاستدلالي، إلا في الجوانب الفنية التي لا تمس الجوهر بتغيير أو تعديل.

وعند هذين الكتابين نستطيع أن نقف عند نقطة النهاية لمسيرة التطور الفقهي عند الإمامية، تلكم المسيرة التي تزعمها وابتدأها الشيخ المفيد، حيث تحققت أهدافه في رفع البناء للصرح العلمي على ما وضع وأرسى من أسس وقواعد.

(١) مجمع الفائدة والبرهان، المقدّس الأردبيلي: ج ١، ص ٣٩ المقدمة.

وقد عرف هذا المنهج بمنهج أو طريقة المجتهدين، وعرفه أصحابه بالفقهاء المجتهدين، نسبة إلى ما أوجده من جوٍّ علمي للاجتهد الشرعي - الذي يعني استنباط الحكم من الدليل - حيث وفر له كلّ متطلباته وجميع مستلزماته من أدوات فنية ووسائل علمية^(١).

مشايخ وأساتذة وتلامذة المقدّس الأردبيلي؛

لا توجد لدينا معلومات عن المراحل العلمية التي طواها المقدّس الأردبيلي في مسقط رأسه أردبيل، ولا نعرف شيئاً عن مشايخه وأساتذته سوى بعض الإشارات المقتضبة.

فقد نقل السيّد الأمين في الأعيان عن حدائق المقرّبين: «إنّه قرأ في المنقول والمعقول على بعض تلاميذ الشهيد الثاني وفضلاء العراقيين والمشاهد المشرفة. ويروي عن السيّد علي الصائغ.. الذي هو من كبار تلامذة الشهيد الثاني»^(٢).

ويقول المحدث النوري عن السيّد الصائغ: «العالم الفقيه السيّد علي بن الحسين بن محمّد الشهير بالصائغ الحسيني العاملي الجزيني، شارح الشرايع والإرشاد ويروي عنه المولى الأردبيلي أيضاً كما صرّح به العلّامة المجلسي في أوّل الأربعين..» وأضاف النوري: «لم أعثر له على شيخ غيره»^(٣).

إلا أنّ السيّد الأمين ذكر في الأعيان: ومن مشايخه المولى جمال الدين محمود تلميذ جلال الدين الدواني، وكان شريكاً في الدرس عند المولى عبد الله اليزدي

(١) الفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي: ص ٤٠٣.

(٢) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٣، ص ٨١.

(٣) النوري، خاتمة مستدرك الوسائل: ج ٢، ص ٨٦، ١٠٤.

(صاحب حاشية تهذيب المنطق للتفتازاني) والمولى ميرزا جان الباغندي^(١).

وذكر الشيخ العراقي في مقدمة التحقيق لكتاب مجمع الفائدة والبرهان: «ويظهر مما أفاده رحمته في مبحث القبلة من شرح الإرشاد، أنه تلمذ في الهيئة عند خاله العلامة قال: وأهل هذا العلم (علم الهيئة) في هذا العصر قليل جداً ورأيانه منحصرأ في خالي الذي ما سمح الزمان بمثله بعد نصير الملة والدين.. إلى أن قال: ولنذكر هنا ما استفدناه من خدمته...»^(٢).

تلامذة الأردبيلي:

لقد اتخذ المقدس الأردبيلي من الصحن العلوي الشريف مدرساً للتعليم والتربية والتزكية، متخذاً لنفسه غرفة في مدرسة الصحن الشريف.... فدرس عليه في النجف الأشرف جمع من العلماء المعروفين، وجميعهم يعتبرون من علماء النجف في القرن العاشر (الهجري)^(٣).

وكان من أبرز تلامذة الأردبيلي في النجف الأشرف صاحباً المعالم والمدارك يقول السيد الأمين في الأعيان: «ويقال: إنهما لما وردا العراق طلبا منه درساً خاصاً بهما، وأن يبين لهما نظره فقط إن كان له نظر مخالف في المسألة فأجابهما إلى ذلك فكانا يقرآن كثيراً من المسائل بدون أن يتكلم فيها بشيء، فكان طلبه العجم من تلامذته يهزأون بهما، فيقول لهم الأردبيلي: «قريباً يذهب هذان إلى جبل عامل ويصنفان المصنفات وتقرأون فيها»، فكان كما قال صنف الشيخ

(١) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٣، ص ٨١.

(٢) مجمع الفائدة والبرهان - المقدمة: ص ٣٧.

(٣) محمد الغروي، الحوزة العلمية في النجف: ص ١٠٠-١٠١.

حسن المعالم، والسيد محمد المدارك وجاءت إلى العراق وقرأ فيها الناس^(١).

وفيما يلي ترجمة مختصرة لأبرز تلامذة الأردبيلي:

١- السيد السند الأمير فيض الله بن عبد القاهر الحسيني التفرشي النجفي: وقد نص صاحب الرياض على تلمذته عند المقدس الأردبيلي في النجف الأشرف فقال عنه: «الفاضل العالم العامل الجليل العابد الزاهد الورع التقى النقي الموفق المعروف، الساكن بأرض الغري تلميذ المولى أحمد الأردبيلي»^(٢). وللسيد فيض الله مؤلفات ذكرها السيد الأمين في الأعيان منها شرح المختلف، وكتاب في الأصول، وحواشي على آيات الأحكام للأردبيلي^(٣).

٢- الأمير فضل الله الأسترآبادي النجفي: كان فاضلاً عالماً جليلاً، وكان من أجلاء تلامذة المولى أحمد الأردبيلي، له تعليقات على إلهيات الشرح الجديد للتجريد^(٤).

٣- السيد الأمير علام: قال عنه صاحب الرياض: فاضل عالم جليل معروف علامة كاسمه، وكان من أفاضل تلامذة المولى أحمد الأردبيلي، وله فوائد وإفادات وتعليقات على الكتب في أصناف العلوم.

ولما سُئل المولى أحمد الأردبيلي عند وفاته عمّن يرجع إليه من تلامذته ويؤخذ منه العلم بعد وفاته، قال: «أمّا في الشرعيات إلى الأمير علام، وفي العقلية إلى

(١) محسن الأمين، الأعيان: ج ٣، ص ٨١-٨٢.

(٢) عبد الله الأفندي، رياض العلماء: ج ٤، ص ٣٨٧.

(٣) محسن الأمين، الأعيان: ج ٨، ص ٤٣٢.

(٤) الأفندي، رياض العلماء: ج ٤، ص ٣٦٠-٣٦١، ومحمد الغروي، حوزة النجف: ص ١٠١.

الأمير فضل الله»^(١).

٤- المولى زكي الدين عناية الله: القهبائي أصلاً، الزكي لقباً النجفي مسكناً صاحب كتاب مجمع الرجال الذي حوى ذكر المترجمين في الأصول الخمسة الرجالية، وفرغ منه سنة (١٠١٦هـ) وقد أثنى عليه وعلى كتابه الشيخ الطهراني في كتابه مصفى المقال، فقال: المولى زكي الدين.. من تلاميذ المقدّس الأردبيلي.. له مجمع الرجال جمع فيه تمام ما في الأصول الخمسة الرجالية.. ثم قال: الحمد لله الذي حباني هذا الكتاب النفيس وأدخله في حيازتي من سنة (١٣٥٠هـ) حتى اليوم^(٢).

٥- المولى عز الدين عبد الله بن الحسين: التستري المولد النجفي المسكن، يقول السيّد الأمين: «ومن تلاميذه المولى عبد الله التستري، قال التقي المجلسي في شرح مشيخة الفقيه: كان ملا عبد الله الحسين التستري قرأ على شيخ الطائفة أزهد الناس في عهده مولانا أحمد الأردبيلي، حكى في الرياض عن تاريخ عالم أراي أنّه سكن في مشهد علي والحسين عليهما السلام قريباً من ثلاثين سنة في خدمة مولانا أحمد الأردبيلي يستفيد منه العلوم والفضائل، ويقال إنّّه أجاز له إقامة الجمعة والجماعة وتلقين المسائل الاجتهادية...»^(٣).

٦- السيّد محمّد بن علي الموسوي العاملي المعروف بالسيّد السند (ت

(١) الأفندي، رياض العلماء: ج ٣، ص ٣٢١.

(٢) آقا بزرك الطهراني، مصفى المقال: ص ٣٤٤، طبعة دار العلوم، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ -

١٩٨٨م، ومجمع الرجال للقهبائي: ج ١، ص ٤-٥ (المقدمة).

(٣) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٣، ص ٨٢.

١٠٠٩هـ): وله من المؤلفات الفقهية (مدارك الأحكام)^(١) وهو شرح لقسم العبادات من كتاب الشرائع للحلي، وقد عُرف المؤلف بكتابه فيقال (صاحب المدارك) وعلى الكتاب جملة من الشروح والاستدراكات^(٢).

٧- السيّد جمال الدين الحسن بن زين الدين العاملي: المتوفى سنة (١٠١١هـ) ابن الشهيد الثاني وله من المؤلفات (معالم الدين وملاذ المجتهدين) وقد عُرف المؤلف بكتابه فيقال (صاحب المعالم). إضافة إلى كتابه الروائي القيم (منتقى الجمان). ولكتاب المعالم مقدمة أصولية طبعت بطبعات متعددة، وهي محور الدرس الأصولي إلى وقت قريب في الحوزات العلمية، وعليها جملة من الشروح والخواشي، أمّا القسم الفقهي من الكتاب فلم يكمل المؤلف فيه كتاب الطهارة^(٣).

قال صاحب أمل الآمل في ترجمة الشيخ حسن: «وكان هو والسيّد محمّد بن علي بن أبي الحسن العاملي صاحب المدارك كفرنسي رهان، شريكين في الدرس عند مولانا أحمد الأردبيلي، ومولانا عبد الله اليزدي، والسيّد علي بن أبي الحسن وغيرهم...»^(٤).

وهناك أسماء أخرى تنسب تلمذتهم للمقدس الأردبيلي منهم: الخواجه فضل الدين محمّد تركة، وضياء الدين الكاشاني، والميرزا محمّد بن علي

(١) طبع في (٨) مجلدات مع تحقيقات قيمة من قبل مؤسسة آل البيت عليه السلام - قم المقدسة.
(٢) ينظر: حسين مدرسي الطباطبائي، مقدمه اى بر فقه شيعه: ٢١٢ ط. آستان قدس رضوي - فارسي.

(٣) طبع القسم الفقهي من الكتاب في مجلدين بتحقيق ومقدمة السيّد منذر الحكيم.

(٤) محمّد بن الحسن الحر العاملي، أمل الآمل: ج ١، ص ٥٨.

الأستراتيجي ومولانا حمزة، والسيد عباس الموسوي اليبانكي...^(١).

المقدس الأردبيلي وموقفه من الدولة الصفوية :

لقد كان سلف المقدس الأردبيلي (المحقق الكركي) يهدف إلى تقويم الدولة الصفوية وتنظيمها على وفق القوانين الإسلامية، وكان يسعى إلى بسط ذراع الفقيه وتركيز خط الفقهاء من بعده، وقد مارس حالة الإصلاح على الصعيد السياسي بتصديده لكل انحراف يحصل في مسار الدولة القائمة على أساس عقائدي. أمّا على الصعيد الشعبي فقد أحدث توجهاً دينياً بترغيب: «عامة الناس في تعلم شرائع الدين، ومراسم الإسلام، وحثهم على طريق الالتزام»^(٢)، إضافة إلى قوله بإقامة صلاة الجمعة التي تعتبر مداً شعبياً للفقيه.

إلا أن جهاز الحكم الصفوي كان يسير باتجاه آخر يجعل من الفقيه واجهة لمكاسب سياسية ضيقة حتى أصبحت الخلافات قائمة بين الفقيه والسلطة السياسية المتمثلة بالأمراء ورجال الحكم.

ولم يشأ الكركي أن يجعل علاقته بالسلطان علاقة (تبريرية) للأعمال السياسية. فبقيت مؤسسة الفقهاء مستقلة في آرائها وتصرفاتها إزاء مؤسسة الحكام، إلا أنها لم تستطع أن تكون صاحبة القرار في الشؤون السياسية للدولة، مما يجعل سلطة (الفقيه) محددة ضمن الصلاحيات الشرعية فقط^(٣).

وقد ساءت العلاقة بين الدولة الصفوية والفقهاء والذي كان يتمثل

(١) ينظر: مفتي الشيعة، المقدس الأردبيلي حياته وآثاره: ص ٧٢ وما بعدها.

(٢) حسن رمولو، أحسن التواريخ: ص ١٩٠.

(٣) جودت القزويني، المرجعية العليا: ص ١٥٢-١٥٣.

حضورهم بمنصب (شيخ الإسلام)، وذلك بعد وفاة الشاه طهماسب عام (٩٨٤هـ) حيث انتقل الصراع إلى داخل الأسرة الصفوية، وتسلم ولده إسماعيل الثاني السلطة، الذي قلب ظهر المجن لعلماء الشيعة، وحاول قتل شيخ الإسلام في عصره السيد حسين المجتهد...^(١).

إزاء هذه الأوضاع أحس خلف المحقق الكركي، المقدس الأردبيلي بضرورة الابتعاد عن الدولة الصفوية، والتي كانت منشغلة في حينها في صراع دموي مع الدولة العثمانية للسيطرة على العراق ما بين عامي (٩٣٧هـ) و(٩٤١هـ) حيث استطاع العثمانيون من استرجاع العراق من قبضة وسيطرة الدولة الصفوية^(٢). «ونتيجة لهذا الصراع انقطع فقهاء العراق عن الأمور السياسية كلياً، واتجهوا إلى إظهار القطيعة مع دولة الصفويين واستقالتهم عنها»^(٣).

لقد أظهر المقدسي الأردبيلي تمناً شديداً في قبال الدولة الصفوية، فلم تنفع معه كل الإغراءات: «وكان في عصر الشاه عباس الأول الصفوي، وكان الشاه يبالغ في تعظيمه في الغياب ويتعاهده بالصلة ويكتب إليه بالتوجه إلى بلاد إيران، فيجيبه بالامتناع من ذلك، والرضا بما من الله عليه به من جوار قبور الأئمة الطاهرين عليهم السلام».

وكان الشاه عباس قد غضب على بعض أتباعه لتقصيره في الخدمة فالتجأ إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام وطلب من الأردبيلي كتاب شفاعته إلى الشاه فكتب

(١) للتوسع ينظر: الخوانساري، روضات الجنات: ج ٢، ص ٣٢١ وما بعدها. والقزويني، المرجعية: ص ١٥٤.

(٢) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين الاحتلالين: ج ٤، ص ١٤ وما بعدها.

(٣) جودت القزويني، المرجعية العليا: ص ١٥٥.

إليه هذه الكلمات بالفارسية (ما ترجمته): «يا باني الملك العارية عباس وإن يكن هذا الرجل ظالماً أولاً، فالיום هو مظلوم، كما أنك إذا تجاوزت عن ذنبه فلعل الله يتجاوز عن ذنوبك بسببه، كتبه عبد ملك الإمامة أحمد الأردبيلي...»، ونُقل أن عباس الصفوي ردّ على هذه الرسالة بالخضوع، وتلبية رغبة الشيخ الأردبيلي^(١).

وعلى فرض صحة هذه الرسالة وجوابها^(٢)، فالملاحظ أن الأردبيلي لم يخاطب الشاه عباس الصفوي بصفته الرسمية الزمنية مما له مغزى واضح في عدم إعطاء الشرعية للدولة الصفوية.

وقد سار على طريقة المقدّس الأردبيلي بعض تلامذته الكبار ممن ضمنوا حريتهم الفكرية، واستقلالهم عن السلطة السياسية للصفويين، كما هو الحال في أهم شخصيتين عامليتين تخرجتا عليه وهما: الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني (صاحب المعالم)، والسيد محمد بن علي (صاحب المدارك).

وقد بالغ هذان الفقيهان بإظهار القطيعة بكلّ ما يتصل بالصفويين حتى أنّهما امتنعا عن زيارة الأماكن الشيعية المقدسة في إيران لعدم الرغبة بالدخول على الشاه عباس الصفوي^(٣).

وفاته:

قال السيد الأمين في الأعيان: «توفي في صفر سنة (٩٩٣هـ) في المشهد المقدّس الغروي، ودفن في الحجرة التي عن يمين الداخل إلى الروضة المقدسة،

(١) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٣، ص ٨١ وينظر نص الرسالة بالفارسية عند المحدث النوري في المستدرک: ج ٢، ص ٩٠-٩١.

(٢) ينظر، القزويني، المرجعية العليا: ص ١٥٦.

(٣) المرجع نفسه: ص ١٥٦.

وكلُّ من يدخل إلى الروضة أو يخرج لابد من أن يقرأ له الفاتحة كالعلامة الحلّي المدفون في الحجرة التي عن يسار الداخل»^(١).

أقول، ولعل الصحيح أنَّ مدفنه عن يسار الداخل إلى الروضة المقدسة حيث إنَّ قبره الآن عند المأذنة الجنوبية الواقعة من جهة القبلة عند مقام علي عليه السلام، كما أنَّ قبر العلامة الحلّي على يمين الداخل إلى الروضة.

ومهما يكن من أمر، فقد استطاع المحقّق الكرّكي، وخلفه المقدّس الأردبيلي، ومن جاء بعدهما من تلامذتهما، أن يعيدوا الحوزة النجف الأشرف حركتها العلمية بعد أن انزوت عنها لثلاثة قرون من الزمن، وإنَّ المدرسة الفكرية التي أوجدها المقدّس الأردبيلي، استمرت وبقيت حتى يومنا هذا بدليل أنَّ الأساتذة الكبار والمراجع الدينين العظام الذين أمسكوا بزمام القيادة الدينية من بعده كانوا من بين تلامذته وتلامذة تلامذته الذين برزوا وتجلّوا بشكل أو بآخر هنا وهناك في العراق وإيران وجبل عامل^(٢).

المبحث الثالث

من أعلام هذه المرحلة وتراثهم العلمي

لقد استمرت الحوزة العلمية في النجف الأشرف في حركتها العلمية بعد العلمين الكرّكي والأردبيلي، وذلك من خلال مجموعة من أعلام وفقهاء الشيعة تتلمذ بعضهم عند المحقّق الكرّكي والبعض الآخر عند الأردبيلي، وبعض

(١) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٣، ص ٨٠.

(٢) أبو الفضل السيّد مفتي الشيعة، المقدّس الأردبيلي حياته وآثاره: ص ٣٥.

ثالث وفد النجف بعدهما، وتتلّمذ عند تلامذتهما، وأولئك الأعلام يشكلون طبقة واسعة ينتسبون إلى القرن العاشر الهجري وبدايات القرن الحادي عشر، ومن أبرزهم:

١ - الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي (كان حياً سنة ٩٤٤هـ): وهو من المعاصرين للمحقق الكركي ومن زملاء درسه وله من المحقق مذكرات ومساجلات مدونة بالتفصيل في كتب التراجم، قدم من القطيف إلى العراق وسكن النجف، وكان مقدمه إلى العراق في أواخر جمادى الآخرة سنة (٩١٢هـ)^(١) وللقطيفي ترجمة موسعة في كتب التراجم والرجال، ففي أمل الآمل: «الشيخ إبراهيم القطيفي: فاضل عالم فقيه محدث»^(٢).

وفي الرياض: «الإمام الفقيه الفاضل العالم الكامل المحقق المدقق، وكان يسكن المشهد المقدّس الغروي»^(٣).

كما أن الشيخ القطيفي يعتبر من مشايخ الإجازة، إذ صدرت منه إجازات كثيرة لتلاميذه وغيرهم معظمها صادرة أيام سكّنه في النجف الأشرف^(٤).

كما أن له مجموعة من الرسائل العلمية، والمؤلّفات منها بعض الردود على كتب ومؤلّفات المحقّق الكركي، وعلى رأسها كتابه الموسوم بـ (السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج)^(٥) يرد فيها على المحقق. وغيرها من الكتب.

(١) ينظر: محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٣، ص ٨٧.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ج ٢، ص ٨.

(٣) الأفندي، رياض العلماء: ج ١، ص ١٥.

(٤) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢٨٨.

(٥) طبع الكتابان مع كتاب آخر تحت عنوان (الخراجيات) بتحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، قم

٢- المولى عبد الله بن الحسين اليزدي (ت ٩٨١هـ): وصفه الحر في أمل الآمل: «... فاضل عالم جليل إمامي، له حاشية على شرح الشمسية.. وقرأ عليه الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني والسيد محمد بن أبي الحسن العاملي وقرأ عليهما»^(١).

وفي الأعيان: قرأ عليه في العقلات وقرأ عليهما في الشرعيات.

والمولى عبد الله اليزدي عرف بحاشيته على كتاب تهذيب المنطق للعلامة التفتازاني والمعروفة بحاشية المولى عبد الله، وعرف صاحبها بها فليل (صاحب الحاشية)، وله مؤلفات أخرى منها شرح قواعد العلامة الحلبي في الفقه، وتفسير سورة الفاتحة، وحاشية على كتاب الاستبصار، بالإضافة إلى حواشي على المطول.

وكان رحمه الله يتبوأ منصب خازن الحرم الشريف الغروي من قبل سلاطين الدولة الصفوية، وورث ولده خزانة الحرم الشريف، وعرفت أسرته ببيت الملا، كما أنه من البانين لمدرسة دينية في محلة المشراق في النجف الأشرف كما سوف يأتي تفصيل ذلك لاحقاً^(٢).

٣- الشيخ علي المنشار العاملي (من علماء القرن العاشر): ترجم له الأفندي في الرياض فقال: كان من أجلة الفضلاء المعاصرين للسلطان طهماسب الصفوي.. وكان من تلامذة الشيخ علي الكركي، وكان قول هذا التلميذ

المشرفة، ١٤١٣هـ.

(١) محمد الغروي، مع علماء النجف الأشرف: ج ١، ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) محمد الغروي، مع علماء النجف الأشرف: ج ١، ص ٢٤٧-٢٤٨ طبعة دار العارف -

بيروت، ط ٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.

معتبراً في المسائل الشرعية وأجوبة الفتاوى، وموثوقاً به، وكان في انتظام الأمور الشرعية والعرفية له رأي صائب^(١).

والظاهر من تلمذته على المحقق الكركي أنه عاش في النجف، لأن الشيخ الكركي لم يستقر للتدريس والبحث إلا في المشهد الغروي، رغم كثرة أسفاره وتجوّاله، وعليه يكون تلامذته من علماء القرن العاشر الهجري^(٢).

٤- الشيخ محمد علي البلاغي (ت ١٠٠٠هـ): مؤسس كيان هذه الأسرة ورافع علم العلم في ربوع الدرس والتدريس.

قال حفيده الشيخ حسن ابن الشيخ عباس في كتابه تنقيح المقال: محمد علي بن محمد البلاغي جدي رحمته الله، وجه من وجوه علمائنا المجتهدين المتأخرين، وفضلائنا المتبحرين ثقة، صحيح الحديث، واضح الطريقة.. كان من تلامذة أحمد بن محمد الأردبيلي قدس سره وتوفي عام (١٠٠٠هـ) في كربلاء^(٣).

وبيت البلاغي من البيوت والأسر العلمية المعروفة في النجف الأشرف، وبرز منهم أسماء لامعة في الوسط الحوزوي.

وللبلاغي من المؤلفات: شرح إرشاد العلامة، شرح أصول الكافي، حاشية التهذيب، حاشية من لا يحضره الفقيه^(٤).

٥- الشيخ شمس الدين محمد بن الحسن الأسترآبادي كان حياً سنة

(١) الأفندي، رياض العلماء: ج ٤، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٢) الغروي، مع علماء النجف: ج ١، ص ٢٥٦.

(٣) باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ج ٢، ص ٧٩.

(٤) محمد الغروي، مع علماء النجف الأشرف: ج ١، ص ٢٦٦.

٩٢٠هـ): وهو من علمائنا الصالحين الأتقياء الذين أفادوا واستفادوا في القرن العاشر الهجري في النجف الأشرف، يقول فيه الشيخ إبراهيم القطيفي: «العالم العامل الفاضل الكامل النقي التقي الورع العابد الزاهد المجاهد شمس الملة والعلم والحق والدين محمد بن الحسن الأسترآبادي جعله الله من الفائزين يوم الحسرة والندامة»^(١).

«درس الفقه والتفسير والعلوم العقلية على علماء عصره، وورد النجف الأشرف ولقي بها الفقيه الكبير إبراهيم بن سليمان القطيفي، وقرأ عليه شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام للمحقق الحلي والمختصر النافع والألفية.. ورسالة (النجفية) لأستاذه القطيفي.

ثم أجازة القطيفي في محرم (٩٢٠هـ) العمل بما نقله وقرأه من المؤلفات المذكورة.. وأجاز له أيضاً رواية كتب جميع الفتاوى للشريعة ومما جاء في هذه الإجازة المطولة: «فلما قضى من الزيارة أدباً، وأحسن عند الحضرة الغروية على مشرفها الصلاة والسلام أدباً.. فأحب أن يفيد باسم المستفيد ويزيد، ويعين باسم المستعين المستزيد.. فذاكرته في الكتاب الموسوم بالشرائع من أوله إلى آخره.. مذاكرة شهدت له بالفضل والاطّلاع والمعرفة والاتّساع، وكانت الإفادة منه أكثر من الاستفادة، بل ليس له إلّا ما أفاده.. فلما أتى على آخره بالمشهد الغروي، التمس مني أن أجزئ له ما أجزئ لي من الرواية.. فأجبت إلى ما التمسه طلباً لرضاه، ولوجوب نقل العلم إلى من أرضاه، فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه.. إلخ» وتاريخ هذه الإجازة عام (٩٢٠هـ)^(٢).

(١) الغروي، حوزة النجف: ص ١٠٤.

(٢) للتوسع ينظر: نص الإجازة في البحار: ج ٤٣، ص ٢٩٤ وما بعدها.

أولئك نخبة من العلماء العاملين في القرن العاشر الهجري ممن لهم حضور وتأثير في حوزة النجف الأشرف.

ومن المؤكد أنَّ قائمة أسماء أولئك الأعلام طويلة جداً لا يسعها هذا المختصر، إذ حوتها كتب وأسفار التراجم، ومن لم يذكر فيها كثرة كاثرة، إذ رحلوا عن الدنيا ولم يكتب أحد تراجمهم أو يوثق آثارهم العلمية، رحمة الله عليهم أجمعين.

الدور الثالث: دور التكامل والنضوج

المبحث الأول

أقول حوزة النجف الأشرف، الأسباب والنتائج

في نهاية المرحلة الثانية من مراحل حوزة النجف الأشرف، وبعد رحيل رائديها الكركي والأردبيلي أفل نجم حوزة النجف مرةً أخرى؛ لكنها استمرت في عطائها العلمي من خلال تلامذة هذين العلمين وتلامذة تلامذتهما ومن تأثر بمدرستهما.

إلا أنَّ الثقل الأكبر للحوزة العلمية للإمامية انتقل هذه المرة إلى مدينة كربلاء المقدسة.

وشهدت مساجد كربلاء وبيوت العلماء، والمدارس والحوزات التي أنشئت؛ إضافة إلى الصحن الشريف حركة علمية متصاعدة ونشطة وبرز فيها

جملة من الأعلام والمجتهدين والفضلاء والمحصلين من أبرزهم:

١- الشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور الدرزي البحراني (ت ١١٨٦هـ)
(صاحب الحقائق).

٢- الشيخ محمد باقر البهبهاني الحائري الملقّب بالوحيد (ت ١٢٠٦هـ).

لقد كانت مسيرة التطور العلمي الذي قادها علماء الفقه الإمامي من عصر الشيخ المفيد والمرتضى والطوسي وإلى عصر الكركي والأردبيلي.. قد تبلور فيها منهج واضح المعالم، له مستلزماته العلمية وأدواته الفنية، ويعتمد على أسس علمية دقيقة تعرف بمنهج أو طريقة الاجتهاد، أو (المدرسة الأصولية) في الاستنباط.

إلا أنّه في أوائل القرن الحادي عشر وما بعده ظهرت إلى الوجود نزعة جديدة في الوسط الحوزوي الإمامي، تشجب طريقة الأصوليين في الاستنباط الفقهي وأخذت تنظر لطريقة جديدة، تزعم أنّها هي الطريقة التي دعت إليها مدرسة أهل البيت عليه السلام، وقد عُرف هذا الاتجاه في الوسط الإمامي بـ (الأخبارية). وبهذا تبلورت في أوائل القرن الحادي عشر الهجري مدرستا الأصولية والأخبارية، والاختلاف بينهما اختلاف في المنهج (نظرياً) إلا أنّ وتيرة الصراع قد تصاعدت بين المدرستين بشكل حاد، وانحاز لكلّ جبهة منها مجموعة من علماء مدرسة أهل البيت الإمامية.

وما نريد أن نشير إليه - والذي يلامس المرحلة الثالثة من مراحل حوزة النجف الأشرف - أنّ الصراع الأخباري الأصولي قد اتخذ من حوزة كربلاء ميداناً له من خلال قطبي المدرستين الشيخ الوحيد، والشيخ البحراني (قدس

سرهما)، والتي انتصر في نهايتها الاتجاه الأصولي، وانحسر الاتجاه الأخباري فيها.

وبوفاة الشيخ البحراني (ت ١١٨٦هـ)، ومن بعده الشيخ الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٦هـ) انتهى الصراع الأخباري الأصولي، في كربلاء، ليظهر بعد فترة من خلال علم آخر من أعلام المدرسة الأخبارية وهو الميرزا محمد الأخباري (ت ١٢٣٢هـ)، الذي كان شديداً في آرائه، قاسياً في نقده للأصوليين وفي ردّه عليهم، ومثّل الأخبارية المتطرفة بكلّ معانيها وكان السبب في القضاء عليها بالكامل^(١).

ومهما يكن من أمر، فبوفاة العلمين الوحيد والبحراني، انتهى الصراع الأخباري الأصولي في حوزة كربلاء، وخليت حوزة كربلاء من أقطابها العلمية، وبعد ذلك انتقل أبرز تلامذة الشيخ الوحيد البهبهاني إلى النجف الأشرف.

فإن كان لأقول حوزة كربلاء أسبابها، فإنّ من أهمها انتهاء الصراع الأخباري الأصولي بانتصار المدرسة الأصولية. ووفاة قطبي الصراع فيها.

وبانتقال تلامذة العلمين إلى النجف الأشرف، تبدأ المرحلة الثالثة من عمر هذه الحوزة المباركة. وسوف يأتينا الحديث مفصلاً عن تفاصيل حوزة كربلاء ومعالمها إن شاء الله.

(١) للتوسع ينظر: العبارات العنبرية للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، بتحقيق: السيّد جودت القزويني. وكتابتنا، تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، فصل المدرسة الأخبارية.

المبحث الثاني

بدايات المرحلة الثالثة ودور تلامذة الوحيد

في إحياء حوزة النجف الأشرف

لم يلبث الشيخ الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٦ هـ) في مدينة النجف الأشرف إلا قليلاً، ثم انتقل إلى مدينة كربلاء، إلا أن حضور الشيخ الوحيد العلمي في حوزة النجف الأشرف لاحقاً كان من خلال حضور تلامذته الكبار الذين تلقوا العلم والتربية منه، فكانوا امتداده في العلم والعمل في هذه الحاضرة العلمية (الحوزة).

وعندما نعود إلى السيرة العلمية للشيخ الوحيد البهبهاني نجد أن جهوده قد انصبت على محورين:

المحور الأول: تربية نخبة من الفقهاء الأصوليين ليحافظوا على خط الزعامة العلمية الدينية من بعده.

المحور الثاني: تصديه بحملة عنيفة ضد الاتجاه الأخباري وذلك من خلال نقده اللاذع لأهم شبهاتهم، وهو ما ضمّنه كتابه (الفوائد الحائرية) وكتبه الأخرى التي كرّسها للردّ على الحركة الأخبارية.

وكان - وبحق - موفقاً في كلا المحورين.

أمّا المحور الأول:

فقد استطاع الوحيد خلال فترة إقامته في كربلاء^(١) أن يربي عدداً كبيراً من

(١) لم يحدثنا تاريخ سيرة الوحيد العلمية عن تلامذته في مدينة بهبهان والتي قضى فيها قرابة

الفقهاء والمجتهدين ولو تحرينا نحن فروع شجرة فقهاء أهل البيت عليهم السلام في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر لوجدنا أنهم جميعاً يرجعون بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى الوحيد البهبهاني، ولذلك يطلق على الوحيد البهبهاني (أستاذ الكل) أو (الأستاذ الأكبر) وهو لقب يختص به الوحيد البهبهاني^(١).

وقد تخرّج من مدرسته المئات من كبار العلماء المجدّدين وأساطين العلم وجهابذته، منهم:

- ١- السيّد محمّد مهدي بحر العلوم المتوفى سنة (١٢١٢هـ) مؤلّف (الفوائد الرجالية) وغيرها.
- ٢- السيّد مهدي الشهرستاني الموسوي (ت ١٢١٦هـ) مؤلّف (المصباح في الفقه) و(شرح المدارك)، وغيرهما.
- ٣- الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٢٢٧هـ) مؤلّف (كشف الغطاء) وغيره.
- ٤- الشيخ أبو علي الحائري المازندراني المتوفى سنة (١٢١٦هـ) مؤلّف (منتهى المقال) وغيره.
- ٥- السيّد علي الطباطبائي المتوفى سنة (١٢٣١هـ) مؤلّف الموسوعة الفقهية (رياض المسائل).
- ٦- الميرزا أبو القاسم القمي المتوفى سنة (١٢٣١هـ) مؤلّف كتاب (قوانين الأصول).
- ٧- السيّد جواد العاملي المتوفى سنة (١٢٢٦هـ) مؤلّف الموسوعة الفقهية

ثلاثين سنة.

(١) محمّد مهدي الآصفي، مقدمة الرياض: ج ١، ص ١٠١.

(مفتاح الكرامة).

٨- الشيخ أسد الله التستري المتوفى سنة (١٢٣٧هـ) مؤلف (كشف القناع) و(مقاييس الأنوار).

٩- السيّد محمد حسن الزنوزي الخوئي المتوفى سنة (١٢٤٦هـ) مؤلف (رياض الجنة) و(دوائر العلوم).
وكثيرون غيرهم من أساطين العلم والفقه والاجتهاد.

ثم أعقبهم جيل آخر من تلامذة تلاميذه أمثال:

١- السيّد محسن الأعرجي المتوفى سنة (١٢٤٠هـ) مؤلف كتاب (المحصول في الأصول).

٢- والمحقق المولى أحمد النراقي المتوفى سنة (١٢٤٥هـ) مؤلف الموسوعة الفقهية (مستند الشيعة)^(١).

٣- والشيخ محمد تقي عبد الرحيم المتوفى سنة (١٢٤٨هـ) مؤلف (هداية المسترشدين) في شرح المعالم^(٢).

٤- والسيّد عبد الفتاح المراغي المتوفى حوالي سنة (١٢٥٠هـ) مؤلف (عناوين الأصول) في الفوائد الفقهية^(٣).

٥- والسيّد محمد باقر الشفتي المتوفى سنة (١٢٦٠هـ) مؤلف (مطالع الأنوار في شرح الشرائع).

٦- والشيخ محمد حسن بن محمد باقر النجفي المتوفى سنة (١٣٦٦هـ) مؤلف

(١) طبع الكتاب بـ (١٩) مجلداً محققه من قبل مؤسسة آل البيت عليه السلام، مشهد، سنة ١٤١٩هـ.

(٢) طبع بثلاثة أجزاء، بتحقيق جامعة المدرسين - قم.

(٣) طبع بجزأين بتحقيق جامعة المدرسين سنة ١٤١٨هـ - قم.

(جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) (١).

وغيرهم من الأعلام الذين أرسوا دعائم الفقه وأحيوا النهج الاجتهادي، ولكلّ منهم مسيرة علمية حافلة، وآثار فقهية وأصولية ورجالية وكتب وموسوعات نجدها في مظانها من كتب التراجم (٢).

ومدارس الفقه الشيعية الموجودة الآن كلّها تابعة لهذا الدور الذي يعتبر أحد القمم السامقة في تطور حركة الاجتهاد وفقه آل البيت (عليه السلام).

ولهذا نجد السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر يعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل الفكر العلمي في المدرسة الإمامية، ويعبر عنه بـ (عصر الكمال العلمي)، ويعرفه بأنه: «... العصر الذي افتتحته في تاريخ العلم المدرسة الجديدة التي ظهرت في أواخر القرن الثاني عشر على يد الأستاذ الوحيد البهبهاني، وبدأت تبني للعلم عصره الثالث بما قدمته من جهود متضافرة في الميدانين الأصولي والفقهية. وقد تمثّلت تلك الجهود في أفكار وبحوث رائد المدرسة الأستاذ الوحيد وأقطاب مدرسته الذين واصلوا عملهم الرائد حوالي نصف قرن حتى استكمل العصر الثالث خصائصه العامة ووصل إلى القمة» (٣).

وفي الحقيقة أنّ مدرسة الشيخ الوحيد هي السائدة فيمن جاء بعده إلى عصرنا الحاضر، فلا تكاد ترى فقيهاً من فقهاء الشيعة خارجاً عن أطر هذه (١) ويعتبر كتاب الجواهر من أهم الموسوعات الفقهية لدى الشيعة وقد طبع عدّة مرات في أكثر من أربعين مجلداً.

(٢) ينظر تراجمهم عند الطهراني في كتابيه الطبقات والذريعة، وأبو علي الحائري: منتهى المقال، والمامقاني: تنقيح المقال، والسيّد الأمين العاملي: أعيان الشيعة... وغيرهم.

(٣) محمّد باقر الصدر، المعالم الجديدة: ص ١١١، طبعة المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر ١٤٢٥هـ.

المدرسة في مناهج الاجتهاد وكيفية استنباط الأحكام^(١)، فالحوزة العلمية الآن تعيش دور مدرسة الشيخ الأنصاري، والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر المستمدة من أفكار وآراء الشيخ الأكبر الوحيد البهبهاني.

وأما المحور الثاني من محاور جهود الشيخ الوحيد العلمية وهو التصدي للحركة الأخبارية فسوف يأتينا الحديث عنه من خلال ترجمته في فصل حوزة كربلاء إن شاء الله.

وعلى أي حال؛ فإن المدرسة التي شيدها الشيخ الوحيد قدس سره وتبناها بالرعاية أعادت للفقهاء الشيعي الإمامي حياة جديدة في إطار قوانينه وقواعده وقدرته على الانطباق مع حاجات البشر وتطور أفكاره خلال القرون والأعصار. ولا يخفى أن المدونات الفقهية عند الشيعة الإمامية اليوم، تعدُّ - وبحق - في أوج الكمال العلمي، لا قياساً بفقهاء المذاهب الأخرى فحسب، بل حتى مع مقارنتها مع القوانين الوضعية.

أبرز تلامذة الشيخ الوحيد ودورهم في إحياء حوزة النجف الأشرف:

لقد أثمرت جهود الشيخ الوحيد البهبهاني قدس سره:

في محور إعداد وتربية النخبة من العلماء والمجتهدين ممن يحفظون خط الزعامة الدينية من بعده على أسماء جملة من العلماء والفقهاء الأفاضل من خريجي مدرسته أو من تلامذة تلامذته، وقد أشرنا إليهم سابقاً إلا أنها كانت إشارة إجمالية مختصرة لم تف بحق هؤلاء الأساطين من العلماء الأفاضل.

(١) مقدمة جامع المقاصد، المحقق الكركي: ج ١، ص ٢٦.

وفيماء يلي نشير بشيء من التفصيل إلى نخبة من هؤلاء الأعلام، مع الإشارة إلى بعض مؤلفاتهم الفقهية أو الأصولية وخصوصية هذه المؤلفات. ومن هؤلاء الفطاحل الذين يمكن أن نسلط بعض الضوء عليهم:

أولاً: السيد محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٣هـ):

وهو من أبرز تلامذة الوحيد، وله تخصص كبير في مجال الفقه والأصول، وقد تصدّى لزعامة الشيعة في حياة أستاذه الوحيد، وكان له كرسي التدريس وكان يشترك في محضر درسه مئات العلماء من بينهم شخصيات كبيرة من أمثال الشيخ أحمد النراقي صاحب مستند الشيعة والشيخ محمد تقي الأصفهاني صاحب حاشية المعالم، والشيخ مير علي طباطبائي صاحب رياض المسائل، والسيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة، والسيد محمد المجاهد صاحب المناهل وغيرهم من كبار العلماء^(١).

ومن أهم الخصائص التي تميز بها السيد مهدي بحر العلوم، هي العقلية القيادية الفذة، والقدرة على تنظيم الأمور وتوزيع المسؤوليات، ولعل من أهم الخطوات التي مَنَّيَ (هكذا) بها هذا العصر، وعلى يد زعيم الجامعة النجفية السيد بحر العلوم تنظيمه للقضايا والمشاكل التي تقتضيها طبيعة المجتمع، كما يقتضيها سير الزعامة الدينية في النجف.

فمثلاً ركز الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٢٢٨هـ) للتقليد والفتوى حتى قيل: إنّه أجاز لأهله وذويه الرجوع في التقليد للشيخ جعفر الكبير تمشياً مع التنظيم والتركيز.

(١) للتوسع راجع مقدمة المجلد الأول من كتاب رجال بحر العلوم: ص ٦٧-٧٠.

كما عيّن الشيخ حسين نجف المتوفى سنة (١٣٥١هـ) للإمامة والمحراب، فكان يقيم الجماعة في الجامع الهندي ويؤم الناس - على اختلاف طبقاتهم - بإرشاد من السيّد بحر العلوم.

أمّا في القضاء والخصومات، فقد خصّ لها الشيخ شريف محيي الدين فكان يرشد إليه في ذلك، علماً منه بمهارته في القضاء، وتبنته في الدين، وسعة صدره لتلقي الدعاوى والمخاصمات

واضطلع هو بأعباء التدريس والزعامة الكبرى، وإدارة شؤونها العامة والخاصة^(١).

وكان هذا التقسيم منه لإدارة شؤون (الحوزة) النجف العامة يدل على وعي كبير في الذهنية القيادية الدينية، والتي تبرز عصره بطابع يختلف عن العصور السابقة من حيث النضج والوعي^(٢).

وقد ترك لنا هذا العلم الشامخ أكثر من ثلاثين مؤلفاً في العلوم المختلفة، منها كتاب الرجال، وكتابان في علم الأصول هما الفوائد الأصولية، والدرة البهية^(٣) في نظم رؤوس المسائل الأصولية.

وقد مرّ بنا في بحوث سابقة سفر السيّد إلى مكة المكرمة سنة (١١٩٣هـ) لأداء مناسك الحج، وقد مكث فيها مدة من الزمن قام خلالها بتدريس الفقه

(١) رجال السيّد بحر العلوم (الفوائد الرجالية)، السيّد محمد المهدي بحر العلوم، ص ٤١-٤٢.

(٢) محمّد بحر العلوم، الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات قسم النجف: ج ٧، ص ٧٩.

(٣) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١٠، ص ١٦٠.

على المذاهب الأربعة، وبتعيين مواقيت الإحرام، وتحديد المشاعر الحرام^(١).

ثانياً: الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨هـ):

وهو جعفر بن خضر الجناحي النجفي، وهو من أكابر علماء هذه المرحلة ومن أبرز تلامذة الوحيد، وكان له الدور الكبير في تكميل وتوسيع المباحث الأصولية والفقه الاجتهادي، وقد شيد قواعد وتفريعات كثيرة لم تكن معهودة عند غيره من قبل والشاهد الحي على ذلك كتابه الكبير (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء) حيث أودع في كتابه هذا أهم القواعد والأسس للاجتهد والاستنباط.

وقد أثنى العلماء الكبار على كتاب كشف الغطاء إلى درجة أنه نقل المحدث النوري عن الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري أنه قال: «من أتقن القواعد الأصولية التي أودعها الشيخ في كشفه فهو عندي مجتهد»^(٢).

ولهذا نجد الشيخ الأعظم في كتاب (المكاسب) يولي أهمية كبيرة للمباني الاجتهادية التي يذكرها الشيخ كاشف الغطاء، ويعبر عنه ببعض الأساطين، ولكنه عندما يستعرض آراء أستاذه صاحب الجواهر يعبر عنه ببعض المعاصرين.

وكان لهذا الشيخ الجليل محضر درس مبارك تخرج منه فطاحل العلماء والمجتهدين من أمثال صاحب الجواهر والشيخ الشفتي صاحب مطالع الأنوار، والشيخ الكلبي صاحب إشارات الأصول، والسيد صدر الدين العاملي، والشيخ محمد تقي الأصفهاني صاحب حاشية المعالم إضافة إلى أولاده

(١) الجنائي، أدوار الاجتهاد: ص ٢٩٦، وعبد الهادي الفضلي، دليل النجف: ص ١٣٨.

(٢) النوري، مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٣٩٨.

الفقهاء الأربعة: موسى، وعلي، وحسن، ومحمد... وغيرهم من أساطين العلم والفقاهة والاجتهاد ولكل واحد من هؤلاء دوره البارز في توسعة وتكامل الفقه الاجتهادي^(١).

وكانت مرجعية التقليد بعد وفاة الوحيد بعهدة الشيخ كاشف الغطاء، وكان ﷺ قد تمتع بمرجعية دينية عليا شاملة وسعة التقليد والفتيا ورعاية شؤون المسلمين الاجتماعية والسياسية، فقد حصل على تقدير ورجاء كبيرين من قبل حكام العراق آنذاك من سلاطين آل عثمان، وأذن للشاه (فتحعلي شاه) حاكم إيران أن يتصرف في القضايا السياسية العامة، التي هي من أعمال الرئاسة الإسلامية العليا^(٢)، وإلى جانب خصوصية العلم والفقاهة التي امتاز بها الشيخ كاشف الغطاء امتاز بخصوصية الشجاعة والإقدام ومقارعة الظالمين، وكان كهفاً حصيناً للمجاهدين والثائرين حيث كانوا يرجعون إليه في مهماتهم الجهادية، وخاصة في واقعة محاصرة النجف الأشرف من قبل الفرقة الوهابية الضالة، وينقل تاريخياً أنه كان يحمل السلاح ويقاتل إلى جانب المجاهدين، واتخذ من بيته مخزناً لأسلحة المجاهدين وملجأً لإيوائهم^(٣).

ثالثاً: السيد جواد العاملي:

آية الله السيد جواد العاملي (ت ١٢٢٦ هـ) وهو من تلامذة الشيخ الوحيد

(١) ينظر، مقدمة التحقيق لكتاب كشف الغطاء: ج ١، ص ١٢-١٩.

(٢) الفضلي، دليل النجف: ص ١٤٠. وللتوسع ينظر: صورة الإجازة في كتاب كشف الغطاء في

موضوع الجهاد المبحث الثاني عشر: ج ٤، ص ٣٣٣-٣٣٥، الطبعة المحققة من قبل مكتب

الإعلام الإسلامي فرع خراسان، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

(٣) الشيخ الجنائي، أدوار اجتهاد: ص ٢٩٨.

المبرزين.

وكان له محضر درس يحضره كبار العلماء والمجتهدين من تلامذة الوحيد، ومن أهم آثاره الفقهية كتاب (مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة)، وقد ألّفه بأمر أستاذه. الثاني بعد الوحيد الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء.

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب الفقهية المهمة ويتسم بالعمق العلمي والإحاطة الكاملة بأقوال العلماء والمجتهدين. كذلك من آثاره العلمية في علم الأصول شرح على وافية الفاضل التوني وحاشية على كتاب تهذيب الأصول للعلامة الحلي، وتعليقة على كتاب معالم الأصول للشيخ حسن نجل الشهيد الثاني^(١).

رابعاً: السيّد محسن الأعرجي:

آية الله السيّد محسن الأعرجي (ت ١٢٤٠هـ) وهو من أبرز تلامذة الوحيد، ومن أعظم عصره في البحوث الأصولية والفقهية. وقد تخرج من مدرسته الفقهية والأصولية جملة من العلماء أمثال:

- ١ - السيّد عبد الله شبر (ت ١٣٢٢هـ).
- ٢ - الشيخ محمد تقي الأصفهاني (ت ١٢٤٢هـ).
- ٣ - وحجة الإسلام الشفتي (ت ١٢٦٠هـ).

و من آثاره العلمية شرحه لوافية الفاضل التوني بعنوان (المحصول في شرح وافية الأصول) وهو شرح مختصر، وأردفه بشرح ثانٍ مفصل عنوانه (الوافي في

(١) الشيخ الجنائي، أدوار اجتهاد: ص ٢٩٨-٢٩٩.

شرح الوافية^(١).

المبحث الثالث

تلامذة تلامذة الشيخ الوحيد ودورهم في حوزة النجف الأشرف

وقد حظيت هذه الحقبة من الحياة العلمية الحوزة الشيع في النجف الأشرف بأسماء لامعة من العلماء من تلامذة تلامذة الشيخ الوحيد، أو من امتدادات هذه المدرسة وفروعها، حيث كان لكل تلميذ من تلامذة الشيخ الوحيد محفل درس تخرج منه جهابذة العلم والتحقيق.

ولا يسع هذا المختصر في استعراض الحياة العلمية لهؤلاء الأعلام وآثارهم الفقهية والأصولية، ولكن نكتفي بواحد من أبرز علماء هذا الدور وهو:

آية الله الشيخ محمد حسن النجفي (ت ١٢٥٥ هـ) صاحب الجواهر:

وهو من تلامذة الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء، والشيخ موسى كاشف الغطاء والسيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة.

ويعتبر صاحب الجواهر امتداداً لأستاذه الشيخ جعفر الكبير في إكمال وتوسعة الفقه الاجتهادي، وكان موفقاً في هذا المجال بشكل ملحوظ.

وهو فقيه الإمامية الشهير، وعالمهم الكبير، مربّي العلماء، وسيد الفقهاء، انتهت إليه رئاسة الطائفة في منتصف القرن الثالث عشر وصار مرجعاً للتقليد

(١) الشيخ الجنائي، أدوار اجتهاد: ص ٢٩٨-٢٩٩.

في سائر الأقطار وأذعن له معاصروه...^(١).

وكان لدرسه العلمي في الفقه والأصول وقع خاص وطريقة فريدة امتاز بها عن الآخرين، وكان يشترك في محفل درسه مئات العلماء والمجتهدين، وتخرج على يديه جهابذة العلم، من أمثال الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري، والشيخ جعفر الشوشتري والميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ محمد حسن آل ياسين وغيرهم، وكان لكل واحد من هؤلاء الأعلام دوره البارز في تكامل المباحث الفقهية الاجتهادية.

ومن الآثار العلمية للشيخ صاحب الجواهر كتاب قيم في علم الأصول، **إلا أن هذا الكتاب - الذي كان يحتفظ المؤلف بنسخة واحدة بخطه الشريف - قد فقد أثره في حياة المؤلف ولم يعثر عليه بعد ذلك**^(٢).

ومن أهم الآثار الفقهية التي خلفها هذا العلم كتاب (جواهر الكلام). وهو شرح جامع ومفصل لكتاب شرائع الإسلام للمحقق الحلي (ت ٦٧٦هـ) ومن يطالع هذا الكتاب القيم يتضح لديه عمق العقلية الفقهية والأصولية لصاحب الجواهر. وأصبح هذا الكتاب القيم مرجعاً أساسياً لكل من أراد أن يحقق في كتاب الشرائع بعد الشيخ صاحب الجواهر.

ومن الخصوصيات المهمة لهذا الكتاب:

- ١ - اشتمال الكتاب على جميع أبواب الفقه من الطهارة إلى الديّات.
- ٢ - مناقشة جميع آراء العلماء السابقين والمعاصرين للمؤلف ومناقشة

(١) محمد الغروي، مع علماء النجف: ص ٧٠٤.

(٢) الجنائي، أدوار اجتهاد: ص ٣٠٥ وما بعدها.

وتحقيق الأدلة والبراهين التي استندوا إليها.

٣- طرح ومناقشة المسائل الفقهية بأسلوب وطريقة فريدة في تمام فصول الكتاب.

٤- عدم احتياج المجتهد في مقام استنباط الأحكام إلى كتاب مرجعي آخر بعد مراجعته للجواهر.

٥- إحاطة الكتاب واشتماله على فروع فقهية نادرة قلما نجدها في الكتب الفقهية الأخرى^(١).

في مقابل ذلك قد توجد بعض المؤاخذات على طريقة المؤلف في الاقتباس وإرجاع الآراء إلى أصحابها، وبعض التطويل والإطناب في الشرح إلى غيرها من المؤاخذات الفنية، إلا أنها لا تخل ولا تقلل من أهمية الكتاب ومكانته العلمية.

المبحث الرابع

الشيخ مرتضى محمد أمين الأنصاري (ت ١٢٨١هـ)

ودوره في حوزة النجف الأشرف

يبدأ دور هذا العلم الشامخ في سماء العلم والمعرفة من منتصف القرن الثالث عشر الهجري حيث وفاة الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر في سنة (١٢٦٦هـ) إذ اختير الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره لزمّام المرجعية العلمية

(١) الجنائي، أدوار اجتهاد: ص ٣٠٦.

لما تميز به من بين أقرانه من علم وتقوى، وكان هذا الاختيار من قبل صاحب الجواهر نفسه وخاصة تلامذته الذين عرفوا نبوغ الشيخ ومنزلته العلمية التي تؤهله بحق لتسّم زمام المرجعية.

ويستمر هذا الدور حتى عصرنا الحاضر، إذ ما زلنا - كما يعترف بذلك المعنيون بتاريخ الفقه الإمامي^(١) - نعيش في ظل مدرسة الشيخ الأنصاري الفقهية والأصولية، ولم يتجاوز فقهاؤنا حتى اليوم أصول مدرسته وتفاصيل منهجه العلمي الذي أرسى قواعده خلال حياته الكريمة، وبقي هذا المنهج حياً وقوياً إلى يومنا هذا وهو العقد الثالث من القرن الخامس عشر الهجري^(٢).

وتعتبر هذه المرحلة الجديدة استمراراً للمرحلة السابقة وللمنهج العلمي الذي أرسى قواعده المحقق الوحيد البهبهاني؛ إلا أن لكل مرحلة رائدها وموجهها، ورائد هذه المرحلة وفارس مضمارها هو الشيخ الأنصاري رحمته الله، إذ يعتبر، رائداً لأرقى مرحلة من مراحل العصر الثالث، وهي المرحلة التي يتمثل فيها الفكر العلمي منذ أكثر من مائة سنة حتى اليوم. كما يقول الشهيد الصدر^(٣).

(١) ينظر كل من: طباطبائي حسين مدرسي، مقدمه اى برفقه شيعه (بالفارسية): ص ٦١.

والشيخ الجناتي، أدوار اجتهاد: ص ٣٨٩. والسبحاني، تاريخ الفقه الإسلامي: ص ٤٣١.

والدكتور أبو القاسم گر جي، تاريخ فقه وفقهاء (بالفارسية): ص ٢٥٧.

(٢) مراحل تطور الاجتهاد، مجلة فقه أهل البيت عليه السلام: ج ١٧، ص ١٧٣-١٧٤.

(٣) محمد باقر الصدر، المعالم الجديدة: ص ١١٢.

الشيخ الأنصاري في سطور^(١) :

هو الشيخ المحقق والفقير الكبير (مرتضى بن محمد أمين الأنصاري)، ولد سنة (١٣١٤هـ) في بلدة دزفول من البلاد الإيرانية وتوفي سنة (١٢٨١هـ) ودفن في النجف الأشرف في الرواق الشريف في الحجرة المتصلة بباب القبلة على يسار الداخل إلى الصحن الشريف.

رحلته العلمية :

بعد أن أنهى المحقق الأنصاري قدس مقدمات العلوم وشرع في الأصول والفقير في مسقط رأسه، قام بجولة علمية قادته إلى كربلاء في العراق، حيث مكث فيها أربع سنوات ثم غادرها إلى النجف الأشرف، حضر خلالها دروس مرجع عصره الشيخ موسى كاشف الغطاء قدس ثم غادر العراق متوجهاً إلى موطنه، حيث جاب المدن الإيرانية للاستفادة من علمائها.

فحضر درس الشيخ أسد الله البروجردي (ت ١٢٧٠هـ) في مدينة بروجرد، ثم غادرها إلى أصفهان وحضر درس السيد محمد باقر الشفتي (ت ١٢٩٠هـ) ثم هبط إلى بلدة كاشان وكان زعيمها العلمي آنذاك الشيخ أحمد النراقي (ت ١٢٤٥هـ) صاحب الموسوعة الفقهية الضخمة (مستند الشيعة في أحكام الشريعة) فمكث في هذه المدينة أربع سنين حضر خلالها دروس الشيخ النراقي، ونبغ في الفقير والأصول على يديه، ثم غادر كاشان إلى النجف الأشرف بعد أن نال من أستاذه (النراقي) إجازة مفصلة.

(١) ترجم له السيد محمد الكلانتر ترجمة وافية في بداية النسخة المحققة من كتاب المكاسب، طبعة النجف.

وفي النجف الأشرف حضر دروس الشيخ علي كاشف الغطاء (ت ١٢٥٤هـ).
وكذلك دروس الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر (ت ١٢٦٦هـ)^(١).

ولما لبى الشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر) نداء ربه (١٢٦٦هـ) انتخب
الشيخ بإيضاء منه مرجعاً للشيعة، فخضعت له القلوب والأفكار وانتقلت
الزعامة العلمية إليه بلا منازع، وقام بأعبائها بحزم وحكمة وإرادة صلبة، إلى
أن لبى نداء ربه ليلة الثامن عشر من شهر جمادى الأولى عام (١٢٨١هـ).

هذه الإمامة عابرة وعرض موجز لحياة الشيخ الأعظم الأنصاري الذي كرّس
حياته في التدريس والتأليف وإعداد الفضلاء وتربية المجتهدين، وإرساء دعائم
النهضة العلمية الحديثة التي تعد بحق ثروة علمية كبرى قلما اتفق نظيرها في
العصور السابقة^(٢).

الإبداع العلمي للشيخ الأنصاري قدس سره:

للشيخ الأنصاري قدس سره جملة من المؤلفات والآثار العلمية المهمة، إلا أن أهم
أثرين منها الكتابان المعروفان بـ (الفرائد) و (المتاجر) في الأصول والفقه، أو
(الرسائل) و (المكاسب) كما يصطلح عليهما طلاب الحوزات العلمية^(٣).

وقد أصبحا - ومنذ أن ألفهما الشيخ وإلى يومنا هذا - من أهم المتون

(١) هنالك من يشكك في تلمذة الشيخ الأنصاري لدى صاحب الجواهر، ينظر: مقدمة المكاسب
للسيد الكلاتر: ج ١، ص ١٠٣-١٠٧.

(٢) الشيخ السبحاني، تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص ٤٢٩-٤٣٣ باختصار، وللتوسع
ينظر: السيد الكلاتر في مقدمته على الطبعة الحديثة للمكاسب، ج ١، ط. النجف الأشرف.

(٣) وللشيخ قدس سره كتاب أصولي ضخيم عنوانه (مطarach الأنظار) وهو عبارة عن تقارير درسه
الأصولي بقلم تلميذه السيد أبي القاسم كلاتر.

الدراسية في الحوزات العلمية الشيعية في علمي الأصول والفقه وفي أعلى مستويات الدراسة الحوزوية (السطح)، أو الدراسة الإعدادية للفقه والأصول. يقول الشيخ الطهراني: «فرائد الأصول، المعروف بالرسائل تأليف الشيخ الأنصاري.. وقد طبع الكتاب في حياة المؤلف وكان التدريس والبحث والنظر فيه من عصر المؤلف إلى زمن تأليف الكفاية، قرب سبعين سنة، فعلمت عليه حواشٍ كثيرة نذكر بعضها مما ظفرنا به منها...»^(١) ثم يذكر أكثر من خمسين حاشية لأساطين العلماء والمحققين. وفيما يلي موجز لهذه الكتب والجانب الإبداعي فيهما:

الإبداع الأصولي عند الشيخ الأنصاري:

يقول أحد الباحثين في تراث الشيخ الأنصاري: «وقد وفق الله هذا العبد الصالح والعالم الجليل، لكثير من التطور والتجديد في المباحث الأصولية الخطيرة، والشيخ لو حده أمة ومدرسة في هذا العلم الشريف الذي يتوقف عليه الاستنباط الفقهي بشكل تام.

لقد آتاه الله عقلاً خصباً قوياً، وقدرة على الاستيعاب والتجديد فاستوعب كلّ التراث العلمي الذي سبقه في علم الأصول، ونهض بعد ذلك بتجديد واسع في هذا العلم، وكان حصيلة ذلك كله مدرسة علمية ضخمة في علم الأصول آتت ثماراً طيبة، واحتضنت كلّ العقول والكفاءات العلمية في هذا الحقل الخصب من الذين جاؤوا من بعده، وقد هيأ الله لهذه المدرسة المباركة من

(١) آقا بزرك الطهراني، الذريعة: ج ٦، ص ١١١-١١٩.

أسباب النمو والتجديد والتكامل ما لم يتهيأً لغيرها من مدارس هذا العلم»^(١).
ثم يضيف: «وقد أودع الشيخ الأنصاري في كتابه (فرائد الأصول) الكثير من روائع أفكاره ودقائق نظراته.

ومما جددّه في هذا العلم، وجاء فيه بمنهجية جديدة تماماً هو مبحث (الحجج والأدلة). إذ إنّ هذا المنهج الجديد لمبحث (الحجج) ينطوي على تصور جديد للحجج وطريقة تصنيفها وفهمها وتنظيمها ضمن النظام الذي يشرحها الشيخ بحسب اختلاف مراتبها، ثم حلّ التعارض فيما بينها بموجب هذا النظام، كل ذلك بصورة علمية دقيقة ومتينة ومحكمة ومتكاملة وفي نظام علمي فريد من نوعه.

وأمانة هذا الاستحكام والقوة والمتانة في المنهج والتصور والمحتوى أنّ الفقهاء الذين جاؤوا من بعد الشيخ - وهم كثيرون - لم يغيروا لحدّ اليوم الخطوط الأساسية لهذا المنهج، رغم أنّ هذه الفترة كانت حافلة بعقول فقهية وأصولية كبيرة من أمثال المولى الشيخ محمّد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند (ت ١٣٢٩هـ) صاحب الكتاب الأصولي المعروف بـ (كفاية الأصول)، والسيد محمّد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢هـ) المعروف بالمجدد الشيرازي، والشيخ حبيب الله الرشتي المتوفى سنة (١٣١٢هـ) وشيخ الشريعة الأصفهاني (ت ١٣٣٩هـ) وغيرهم من تلامذة الشيخ رحمته.

كذلك الأعلام الثلاثة من تلامذة الشيخ الآخوند الخراساني (النائني،

(١) محمّد مهدي الآصفي، مقدمة فرائد الأصول للأنصاري: ج ١، ص ٥، ط. وتحقيق جامعة المدرسين، قم. بتصرف.

والعراقي والأصفهاني) وغيرهم من الأعلام المعاصرين والمحققين الكبار في هذا العلم^(١). ورغم بعض التغيير الحادث على أيديهم في منهجة هذا العلم وأفكاره، إلا أن الخطوط الرئيسية للمنهج والأفكار لا تزال تدور حول التصورات التي وضعها الشيخ الأعظم، وتتنظم بموجب النظام الذي استحدثه الشيخ لهذا العلم.

ولا يمكننا بهذه العجالة أن نستوعب كل ما يمكن الإشارة إليه من ابتكارات علمية لدى الشيخ الأعظم رحمته^(٢) والذي يعتبر (خاتمة الفقهاء والمجتهدين) أو كما قيل عنه بآئنه: «أنسى من قبله واتعب من بعده».

إلا أننا يمكن أن نقول - وبثقة تامة - إن جهود الشيخ الأعظم رحمته قد انصبت وبشكل مباشر على تأسيس تفاصيل المنهج العلمي للمدرسة الأصولية الحديثة. وقد تجلّى ذلك من خلال:

- الإبداع في الترتيب الجديد للبحوث الأصولية على أساس تثليث حالات المكلف من القطع والظن والشك.

- الاستقصاء الشامل للفرضيات والحالات التفصيلية في كل من هذه الأقسام الثلاثة.

- ظهور لون جديد من المصطلحات الأصولية وخاصة في بحوثه في تعارض الأدلة مثل مصطلحي: (الحكومة والورود).

هذه أهم الخطوط العامة للمنهجية التي سار عليها الشيخ الأعظم،

(١) محمد مهدي الآصفي، مقدمة فرائد الأصول للانصاري: ج ١، ص ١١-١٢، يتصرف.

(٢) للتوسع ينظر: الدكتور أبو القاسم جرجي، تاريخ فقه وفقهاء بالفارسية: ص ٢٦٠-٢٧٧.

ومقدمة الطبعة الجديدة من كتاب المكاسب بقلم السيّد الكلانتر، والمصدر السابق.

والتي انعكست بدورها على كل كتاباته الأصولية أولاً، وكتاباته الفقهية ثانياً، وارتضاها من بعده الفقهاء من تلامذته وتلامذة تلامذته ثالثاً^(١).

الإبداع الفقهي عند الشيخ الأنصاري:

لقد شهد الدرس الفقهي في حوزة النجف الأشرف في دورها الثالث تطوراً ملحوظاً، وقطع البحث الفقهي الاستدلالي شوطاً كبيراً من التكامل والرقى في القرن الثالث عشر الهجري، وخاصة في عصر شيخ الفقهاء والمجتهدين صاحب الجواهر قدس سره، حيث احتوى كتابه القيم (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) من التحقيقات القيمة والدقيقة الشيء الكثير، مما جعله في مقدمة الموسوعات الفقهية التي لا يستغني عنها فقيه قط.

إلا أن الشيخ الأنصاري قدس سره بما تميز به من غزارة العلم، وعمق النظر، وسعة الاطلاع، والإحاطة الواسعة بالمباني الأصولية والفقهية، قد استطاع أن يؤسس منهجاً جديداً في الفقه المعاملي لم يسبق إليه أحد ممن سبقه من الفقهاء والمجتهدين فاستحق بذلك - وبحق - أن يلقب بالشيخ الأعظم والشيخ المؤسس للفقه والأصول.

ولا نقصد بالمنهج الجديدة للفقه التي شيدها الشيخ الأعظم، أن كل ما أتى به الشيخ فهو جديد، وإنما المقصود أن الشيخ قدس سره قد أسس لمنهجية جديدة لم يكن مسير الاستدلال الفقهي قد انتهجها من قبل وبهذه الأساليب الفنية الحديثة.

فقد كرس قدس سره جهوده في نظم هذه اللآلي في أحسن ترتيب، وتنظيمها على

(١) السيد منذر الحكيم، مراحل تطور الاجتهاد؛ مجلة فقه أهل البيت عليه السلام: العدد ١٧، ص ١٧٦.

أكمل تنضيد وتهذيبها على أجمل تهذيب فتناول القواعد العلمية وأفرغها في قوالب حكمية، وعرضها بأساليب رضية، وزاد عليها أكثر من الزيادة، وبذل جهوده في تمحيصها وتنقيحها^(١).

ولو قارئاً بين ما كتبه الشيخ الأعظم من بحوث فقهية في فقه المعاملات، وبين ما كتبه أساطين العلماء ممن سبقه وعاصره كصاحب الجواهر قدس سره نجد من الفوارق الكيفية والتي تحكي بدورها عن فوارق جوهرية الشيء الكثير^(٢).

وسوف يتضح ذلك من خلال الإشارة إلى مناحي الإبداع الفقهي في منهج الشيخ الأنصاري قدس سره.

الآثار العلمية للشيخ الأنصاري:

والآثار العلمية للشيخ الأعظم قدس سره كثيرة، إلا أننا اكتفينا في هذا المجال بذكر كتابين من مؤلفاته وهما: (المكاسب والرسائل) حيث ذكر في ثانيهما عصارة علم الأصول، والأقوال والآراء فيها، إضافة إلى تأسيس قواعد ومباني أصولية جديدة كنا قد أشرنا إليها في الحديث عن الإبداع الأصولي عند الشيخ قدس سره.

والإبداع العلمي للشيخ في مجال الفقه والاستدلال الفقهي قد برز بشكل واضح في كتابه الموسوم بـ (المكاسب)، والرسائل الفقهية التي ألحقت به أو التي طبعت وحدها، وكذلك الحواشي والتعليقات على بعض الكتب الفقهية^(٣).

(١) السيد محمد كلانتر، مقدمة المكاسب: ج ١، ص ١٨٣-١٨٤، ط. مؤسسة النور، بيروت.

(٢) ينظر مقدمة الطبعة الحديثة لكتاب المكاسب، ط. وتحقيق مجمع الفكر الإسلامي.

(٣) ينظر الذريعة: ج ٢، ص ٢١٠ وكذلك مقدمة السيد الكلانتر على كتاب المكاسب: ج ١،

وقد حظي كتاب المكاسب باهتمام العلماء وعنايتهم دراسة وبحثاً وتدریساً، وصار هذا الكتاب مدار الاجتهاد ومناط الاستنباط منذ ظهوره إلى عالم الوجود سنة (١٢٧٥هـ).

ولعظم هذا الكتاب فقد علّق عليه النوابع من الفقهاء الكبار التعاليق القيمة والخواشي الدقيقة التي جاوزت العشرات^(١).

مناحي الإبداع الفقهي في منهج الشيخ الأنصاري الفقهی:

فيما يلي نحاول أن نخترّل أهم ما يمكن الإشارة إليه من وجوه الإبداع عند الشيخ وضمن نقاط محورية

أولاً: الإحاطة والاستيعاب التام لأراء سلفه من الفقهاء:

الدارس والباحث في البحوث الفقهية للشيخ الأعظم يلاحظ وبجلاء إحاطة واستيعاب الشيخ لما دونه الفقهاء من قبل، ويكاد الباحث لترات الشيخ رحمته أن يقف على كلّ الوجوه والاحتمالات المتوقعة في كلّ بحث من بحوثه الفقهية، وقد صرح بعض الأساتذة بأنّه: «لا تجد رأياً جديداً بعد عصر الشيخ إلّا وتجد جذور ذلك الفكر والرأي في بحوث الشيخ نفسه»^(٢).

(١) من أساطين العلماء الذين علّقوا على المكاسب المحقّق الرشدي، والمحقّق المامقاني، والفقيه الهمداني والسيّد اليزدي والميرزا الشيرازي والشيخ البلاغي والمحقّق الخراساني، وغيرهم الكثير. ينظر: مقدمة الطبعة الحديثة من كتاب المكاسب.

(٢) السيّد منذر الحكيم، مراحل تطور الاجتهاد؛ مجلّة فقه أهل البيت عليه السلام: العدد (١٧)،

ثانياً: الانسجام الكامل بين مبانيه الأصولية وأبحاثه الفقهية:

يلاحظ الدارس في التراث الفقهي للشيخ الأعظم قدس سره ظاهرة جديرة بالاهتمام ألا وهي ظاهرة الانسجام الكامل بين فكره الأصولي وبحثه الفقهي، ونجد ذلك متجلياً في عامة بحوثه الفقهية.

فرغم ما عرف عنه بالكر والفر في البحوث الفقهية، إلا أن المتعمق في أبحاث الشيخ الأعظم درساً وتدریساً يجد أن ظاهرة الكر والفر لها ما يبررها بحسب المباني الأصولية للشيخ، بالإضافة إلى ما يحسُّ به من نشوة علمية، وشحن لذهن الدارس، وفتح لآفاقه الفكرية والعقلية.

وإذا كان بعض السلف من الفقهاء حين يدخلون مجال البحث الفقهي يغفلون عن أنهم أصحاب مباني أصولية، فإن الشيخ الأعظم تجده أصولياً بارعاً حين يقف على مشارف البحث الفقهي ولا يكاد ينسى أنه صاحب مدرسة أصولية متكاملة، لا يمكن للبحث الفقهي أن يقف على جانب منها، وهذه ميزة كبيرة قد انعكست في بحوث الشيخ الأعظم الفقهية وانتقلت إلى تلامذته ومن تلاهم حتى يومنا هذا^(١).

ثالثاً: الاهتمام الوافر بفقه المعاملات:

عندما يستعرض الباحث تراث الشيخ الأعظم قدس سره الفقهي، يجد أن الشيخ قد كتب وحقق وبحث في جملة من أبواب الفقه سواء في العبادات أو المعاملات أو الأحكام وضمن رسائل وتعليقات وحواشٍ فيها من الدقة والمباني العلمية والإحاطة الكاملة الشيء الكثير.

(١) السيّد منذر الحكيم، مراحل تطور الاجتهاد؛ مجلّة فقه أهل البيت عليه السلام: العدد (١٧)،

إلا أنَّ مدرسة الشيخ الأعظم قد تميزت بشكل واضح بالاهتمام الوافر بفقهِ المعاملات اهتماماً أعطاهَا صيغة جديدة بحيث مهدت لدخول الفقه الإمامي في ساحات البحث العلمي الأكاديمي وتجلَّت في نظام معاملي وحقوق فريد بحيث تستفيد منه سائر المدارس الفكرية غير الإسلامية فضلاً عن المذاهب الإسلامية الأخرى^(١).

ويعتبر كتاب (المكاسب) من أهم ما كتبه الشيخ الأعظم قدس سره في فقه المعاملات، وهو كتاب عظيم جليل القدر لم يجد الدهر بمثله، وفيه من الدقائق العلمية المدهشة الشيء الكثير، مما أدَّى إلى اهتمام العلماء وجهابذة الفقهاء والمحققين به.

ويكفي في عظمة هذا الكتاب وعمق محتواه، وقوة حججه وسلامته منهجه، أنَّه أعجب المخالف فضلاً عن المؤلف، فهذا هو الدكتور عبد الرزاق السنهوري مؤلِّف موسوعة (الوسيط) التي شرح فيها القانون المدني المصري، وتقع في عشرة أجزاء ضخمة وبدأ بتأليفه عام (١٩٣٦م) وحازت شهرة كبيرة في البلاد العربية، وصار يضرب بها المثل في الدقة والعمق.

هذا الدكتور قال - كما حدَّث بذلك بعض الثقات نقلاً عن بعض أساتذة كلية الحقوق ببغداد - «لو كنت قد اطلعت على كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري قبل تأليف (الوسيط) لغيرت الكثير من آرائي في ما كتبه حول المعاملات»^(٢).

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) ينظر كتاب الشيخ الأنصاري زعيم النهضة العلمية: ص ٦٧-٦٨، من منشورات جامعة المدرسين، قم.

رابعاً: المنهج الحديثة في البحث الفقهي:

إنَّ منهج الشيخ الأعظم قدس سره في أبحاثه الأصولية والفقهية منهج فريد؛ لم يسبقه فيه سابق من الفقهاء الكبار، وكلُّ من جاء من بعده سار على خطاه ومنهجه في بيان الأبحاث الفقهية وخاصة في الفقه المعاملي. وفيما يلي إشارة مختصرة لبعض مناحي الإبداع في منهجه الفقهي:

١ - منهجه في كيفية الدخول في الموضوع:

إنَّ الشيخ الأنصاري حينما يريد الدخول في بحث ما، يقسم غالباً الموضوع الذي يريد أن يبحث فيه إلى أقسامه، ثم يدخل في كلِّ قسم بالترتيب، وقلما نجده يدخل في موضوع مهم من دون مقدمة.

وهذه الميزة قد لا نجدها عند أساطين الفقهاء، إذ ربما تجد أحدهم يدخل في موضوع ويبحث فيه من دون أن يلتفت إلى كيفية دخوله فيه إلَّا النابغين والناهين من أهل الدقة والنظر.

والشواهد على هذه المنهجة الفريدة للشيخ الأنصاري كثيرة^(١).

٢ - منهجه في تنظيم البحث واستيعاب جوانبه:

إنَّ الشيخ الأنصاري حينما يريد الدخول في البحث عن موضوع ما، يدخل فيه على أساس منهج معين قد يعلن عنه، ويوضح جوانبه قبل الدخول في البحث، وقد لا يعلن عنه، ولكن يلتزم به في بحثه. وعلى أيِّ حال فهو يسير في البحث طبقاً لمنهجية معينة فلا يرجع إلى المرحلة التي تجاوزها.

(١) للمقارنة ينظر بحث الشيخ الأنصاري في موضوع الغيبة، وقارن ذلك ببحث صاحب الجواهر في نفس الموضوع.

وهذه المنهجية في تنظيم البحوث تعين الدارس والباحث على فهم مراد الشيخ فمع غض النظر عن مستوى البحث العلمي الدقيق عند الشيخ الأعظم **إِلَّا أَنَّهُ لَا يَصْعَبُ التَّوَصُّلُ إِلَى مَا يَرُومُ إِلَيْهِ غَالِبًا^(١)**.

٣- لغة البيان عند الشيخ الأعظم:

مما لا شك فيه أَنَّ لغة علمي الأصول والفقه، والمصطلحات الفنية لهذين العلمين، مما يتعسّر أو يصعب على غير المتمرس بها أن يفهمها فهماً صحيحاً.

هذا إضافة إلى عبارات وطريقة بيان بعض العلماء رحمهم الله المغلقة في كثير من الأحيان تزيد الأمر صعوبة وعسراً، ولذلك يعاني الدارس والباحث كثيراً في فهم المطالب العلمية، ويحتاج إلى تأمل ودقة فائقة لفهمها.

إِلَّا أَنَّ التَّأَمُّلَ فِي الْأَسْلُوبِ الْبَيَانِيِّ الَّذِي اتَّبَعَهُ الشَّيْخُ الْأَعْظَمُ فِي كِتَابِهِ (الْمَكَاسِبِ) يَجِدُ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ أَنَّ التَّعَابِيرَ خَالِيَةً مِنَ التَّعْقِيدِ اللَّفْظِيِّ وَالْبَيَانِيِّ فَهِيَ قَابِلَةٌ لِلْفَهْمِ فِي حَدِّ ذَاتِهَا لَمَنْ قَدْ طَوَى الْمَرَاهِلَ الْأُولَى، وَاتَّقَنَ مَقَدِّمَاتِ الْعُلُومِ، وَوَصَلَ بِجِدِّ إِلَى مَسْتَوًى دِرَاسَةِ السُّطُوحِ.

وهذه الميزة قد لا تجدها في أغلب الأحيان في الكتب الفقهية المؤلفة قبل زمن الشيخ أو من عاصره، بل وحتى يومنا هذا **إِلَّا النَّزْرَ الْيَسِيرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِمَّنْ آتَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَوْهَبَتِي الْبَيَانِ وَالْبَنَانِ السَّلْسِ الْوَاضِحِ^(٢)**.

وهذا لا يعني براءة كتب الشيخ من الإغلاق في التعبير تماماً، وإنَّما المقصود

(١) للمقارنة ينظر بحث الشيخ الأنصاري في موضوع بيع الفضولي، وقارن ذلك ببحث صاحب الجواهر في نفس الموضوع.

(٢) كما نجد ذلك عند السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر في الفتاوى الواضحة.

بيانه هو أنَّ الصفة الغالبة في تعبير الشيخ هي السلاسة والوضوح بخلاف عبارات غيره^(١).

٤ - في كيفية الاقتباس من الآخرين:

جرت عادة العلماء والمحققين على الاقتباس أو نقل آراء العلماء الآخرين، لغرض الاستشهاد بها أو مناقشتها، وهي طريقة منهجية متعارف عليها بين العلماء والمحققين، وليست بطريقة مستنكرة أو غريبة.

إلاَّ أنَّنا نجد هذه الظاهرة قد تأخذ منحىً آخر قد يخرجها عن المنهجية العلمية في الاقتباس أو نقل الآراء، كما لو نقل المحقق أو المؤلف عدَّة أسطر أو صفحة أو أكثر من كتاب آخر ومن دون تصريح أو إشارة إلى ذلك، وهي طريقة توقع الباحث في إيهامات وإشكالات عديدة، وتؤدي إلى خلط الآراء والأقوال وتداخلها، أو نسبة بعض الآراء إلى غير قائلها، وغيرها من المحاذير، وعندما نرجع إلى منهج الشيخ الأعظم قدس سره نجد فيه ميزة فريدة في الاقتباس ونقل الآراء والأقوال، فهو إضافة إلى الاختصار في نقلها نجده يعتمد على عباراته الجزلة في بيان مراده ومقصوده والشواهد على ذلك كثيرة من كتابي المكاسب والرسائل لا يسع مجال البحث لذكرها.

هذه أهم مميزات منهج الشيخ الأعظم قدس سره نجدها شاخصة في كتبه ومؤلفاته الفقهية والأصولية، إضافة إلى أمور وميزات أخرى كالاعتماد على العرف والعرفيات في فهم كثير من موضوعات الأحكام والنصوص وتبيين المفاهيم (١) للمقارنة ينظر وقارن بين بعض مطالب وموضوعات كتاب المكاسب، وما كتبه صاحب الجواهر في نفس المطالب والموضوعات وقارن بين ما كتبه الشيخ في الرسائل من مباحث أصولية، وبين ما كتبه الميرزا القمي في القوانين المحكمة.

الحقوقية مثل (الحكم) و(الحق) و(المال) و(الملكية) ونحوها، وإعطاء صيغة عامة للبحث عن العقد بحيث يشمل غير البيع^(١) وأمور أخرى يجدها الباحث والمتتبع في كتاب وتراث الشيخ الأعظم قدس سره.

وفي ختام هذا الفصل عن إبداعات وابتكارات الشيخ الأعظم الأصولية والفقهية ينبغي أن نشير إلى أن مؤلفات الشيخ قد اتسمت بثلاث ميزات:

١ - إنها منقحة جداً أو تكاد: وفي هذا الصدد يقول السيّد محسن الأمين العاملي: «كان (الشيخ الأنصاري) لا يحب إخراج شيء إلا بعد تنقيحه وإعادة النظر فيه مراراً»^(٢).

٢ - إن أكثر مطالبه مبتكرة: كذلك يقول السيّد الأمين: «كما أن مؤلفاته تحتوي على الدقائق العجيبة والتحقيقات الغريبة، مع لزوم الجادة المستقيمة والسليقة المعتدلة»^(٣).

٣ - إن كتبه أصبحت مداراً للبحث والدراسة في الحوزات العالية: ولهذا كله أصبحت كتب ومؤلفات الشيخ مداراً للبحث والدراسة، واكتسبت حظاً عظيماً من العناية والاهتمام شرحاً وتعليقاً، وخاصة رسائله ومكاسبه حتى شذ من لم يعلق عليهما من مشاهير العلماء بعده^(٤).

وقد علّق عليها الكثير من العلماء والمحققين حتى إن الشيخ الطهراني ذكر

(١) مقدمة كتاب المكاسب: ص ٢٨، نشر وتحقيق مجمع الفكر الإسلامي، وقد اقتبسنا - باختصار - وتصرف - بعض المطالب منها.

(٢) السيّد محسن الأمين: أعيان الشيعة، ترجمة الشيخ الأنصاري: ج ١٠، ص ١١٨.

(٣) المصدر السابق نفسه: ص ١١٨.

(٤) ينظر الشيخ الأنصاري وتطور البحث الأصولي: ص ٦٥، ط. مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

في ذريعته أكثر من (٣٠) حاشية^(١)، على كتاب المكاسب.

من سمات وملامح هذه المرحلة :

لقد اتّسمت هذه المرحلة بخصائص وسمات مهمة منها:

أولاً: الدقة والتحقيق في المباحث الفقهية والأصولية: المتبع لأبحاث ومؤلفات علماء ومجتهدي هذه الدورة، يلحظ الدقة المتناهية والتحقيق العميق في تطبيق وإرجاع الفروع الفقهية إلى الأصول الأولية، وكذلك الاستفادة من الأدلة العقلية والمنطقية في أبحاث الاستدلال الفقهي والأصولي، بدرجة كبيرة لا تمكن مقايستها بالدورات التي سبقتها.

ثانياً: ظهور الإبداعات والابتكارات الجديدة: لقد أوضحنا سابقاً أنَّ الشيخ الأعظم الأنصاري قدسُ صاحب مدرسة أصولية متميزة، وله من الابتكارات والإبداعات العلمية في علمي الأصول والفقه، مما ينفرد بها عن غيره من أساطين العلماء من السابقين، وأصبح أسوة لمن تأخر عنه من تلامذته وتلامذة تلامذته، ومن أتباع منهجه ومدرسته العلمية العالية.

ثالثاً: عدم التأثير بالمدرسة السنية ومنهجيتها في الاستدلال: والملاحظ في المنهج الإبداعي للشيخ الأنصاري قدسُ عدم تأثره بالمنهج الاستدلالي السني، ويتضح ذلك جلياً في الأبحاث والرسائل الفقهية التي دوّنها الشيخ، وكذلك نجد الابتعاد عن المنهج الاجتهادي الأصولي للمدرسة السنية في أبحاثه الأصولية المدونة، واتبع نفس الطريقة والمنهج أتباع مدرسته الفقهية والأصولية

(١) للتوسع ينظر: الذريعة: ج ٦، ص ١٥٧، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١،

من بعده.

رابعاً: مناقشة ودحض أدلة وبراهين أتباع المدرسة الأخبارية: رغم الهزيمة الماحقة للمدرسة الأخبارية واتباعها على يد الشيخ الوحيد وتلامذته، إلا أنه بقيت بعض البراهين والأدلة التي يتشبث بها أتباع هذه المدرسة، مما دعا الشيخ الأعظم قدس إلى مناقشة هذه المسائل والأدلة والبراهين وإبطالها، ويتضح ذلك جلياً في منهجه الفقهي والأصولي.

خامساً: ظهور المنهجة الحديثة في المباحث الفقهية والأصولية: لقد ظهرت عبر هذه الدورة المباركة منهجة جديدة في ترتيب الأدلة، وموارد جريانها، والتفرقة الدقيقة بين الأمارات والأصول، ورتبة كل واحدة منها في الاستدلال الفقهي، وهذا ما أشرنا إليه سابقاً عند الحديث عن منهج الشيخ الأعظم قدس الأصولي^(١).

بهذه السمات وغيرها اصطبغت هذه الدورة وتركت بصماتها الواضحة على حركة الاجتهاد وتطوره في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

(١) للتوسع ينظر تاريخ فقه وفقهاء، دكتور أبو القاسم گرجي: ص ٢٥٧-٢٥٨ (فارسي).

المبحث الخامس

تلامذة الشيخ الأنصاري ودورهم في حوزة النجف الأشرف

بعد وفاة الميرزا الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٥هـ) تعاقب ثلاثة أجيال من كبار الفقهاء والمجتهدين على إدامة السير على خطى أستاذهم الكبير صاحب المدرسة الفقهية والأصولية.

ومن هؤلاء الأعلام من تتلمذ على يد أستاذه الوحيد قدس سره مباشرة من قبيل السيّد محمّد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ) والشيخ أسد الله الشوشري (ت ١٢٣٤هـ)، والشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٧هـ)... وغيرهم.

ومنهم من تتلمذ على يد تلامذة الشيخ، وهم علماء الجيل الثاني بعد الشيخ الوحيد من قبيل السيّد محسن الأعرجي (ت ١٢٤٠هـ) وشريف العلماء محمّد شريف بن حسن علي (ت ١٢٤٥هـ) والمولى أحمد النراقي (ت ١٣٤٥هـ) والشيخ محمّد تقي عبد الرحيم (ت ١٢٤٨هـ) والشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر (ت ١٢٦٦هـ)... وغيرهم.

والجيل الثالث من هؤلاء الأعلام من تتلمذ على يد علماء الطبقة الثانية، وعلى رأس هؤلاء ومن أبرز علماء هذه الدورة ورائدها، هو الشيخ الأعظم مرتضى بن محمّد أمين الأنصاري (ت ١٢٨٧هـ) صاحب المدرسة الفقهية والأصولية المتميزة.

وقد ترجمنا في بداية الحديث عن هذه الدورة حياة الشيخ الأعظم قدس سره

ودوره العلمي والمرجعي في حوزة النجف الأشرف. أمّا تلامذة الشيخ، وتلامذة تلامذته فعددهم كبير جداً، حيث تخرج عليه عدد كبير من كبار الفقهاء والمجتهدين وقد أنهى

بعضهم أسماء تلاميذه فبلغ (٣١٥) مجتهداً عالماً^(١). كما وتتبع أحد الباحثين عدد تلامذة الشيخ الأنصاري وأسمائهم فذكر أسماء أربعمئة وستة عشر عالماً تلمذوا على الشيخ قدس سره^(٢).

وكان لهم أيضاً دور كبير في استمرار هذه الحوزة ورفدها بالأفكار الفقهية والأصولية المبتكرة، إضافة إلى الآثار العلمية القيمة.

وسنشير هنا إلى أسماء ومصنفات أبرزهم وأشهرهم، وممن كان له دور مهم في حفظ وتطوير التراث الفكري الذي خلفه الشيخ الأعظم قدس سره.

١- آية الله السيد محمد حسن الشيرازي (١٢٢٠-١٣١٢هـ) المعروف بـ (المجدد الشيرازي) :

وهو من أبرز تلامذة الشيخ ومتبعاً طريقة أستاذه في المباحث العلمية والاجتهادية، ومن أساطين علماء المذهب في هذه الدورة.

تسلّم زمام المرجعية الدينية بعد وفاة الشيخ الأعظم، وأصبح - وبجدارة - مرجعاً أعلى لعموم الشيعة، وله مواقف سياسية مهمة، من أشهرها فتواه المشهورة (بالتنباك) أو تحريم التبغ، والتي أجبرت ناصر الدين شاه القاجاري على إلغاء العقد الذي أبرمه مع الشركات الإنكليزية.

(١) ينظر مقدمة المكاسب، الطبعة الحديثة، بقلم السيد الكلانتر.

(٢) محمد الغروي، مع علماء النجف: ص ٧٤٢.

آثاره العلمية :

بسبب انشغال هذا العلم بأمور المرجعية الدينية، ولعدم وجود الوقت الكافي لديه، لم يترك لنا من الآثار العلمية سوى رسالة في علم الأصول تخص مبحث اجتماع الأمر والنهي.

إلا أن تقارير درسه في علم الأصول والتي دونت بقلم أحد تلامذته المبرزين، قد طبعت مؤخراً^(١). وهي تقارير لها أهمية خاصة لأنها تعكس آراء ونظريات أستاذه الشيخ الأنصاري، وبيان واضح بعيد عن الإبهام والتعقيد^(٢). وينبغي أن نشير إلى أن الإمام المجدد الشيرازي قد انتقل إلى مدينة سامراء وانتقل معه بعض تلامذته، وتوفي فيها سنة (١٣١٢هـ) وحمل إلى النجف الأشرف ودفن فيها. وسوف يأتي مزيد من البحث حول هذه المرحلة وأسبابها عند الحديث عن حوزة سامراء إن شاء الله.

٢- الشيخ الميرزا حبيب الله الرشتي (١٢٣٤-١٣١٢هـ) :

وهو من أبرز تلامذة الشيخ الأعظم رحمته، وكان يقال عنه في أوساط أهل العلم في ذلك الزمان بأنه وارث علم أستاذه الأنصاري.

والمعروف عن هذا العالم الزهد والتقوى والإخلاص، إضافة إلى تحقيقاته الواسعة في الأبحاث الأصولية والفقهية، وكتابه الأصولي (بدائع الأفكار) من أروع المتون الأصولية، وحظي بقسط وافر من عناية واهتمام العلماء والمحققين

(١) ينظر تقارير الأصول للمجدد الميرزا الشيرازي بقلم آية الله ملا علي روزدري، وقامت مؤسسة آل البيت عليه السلام في قم بتحقيق وطبع هذا الأثر القيم في أربعة مجلدات كبيرة.

(٢) الجناتي، أدوار اجتهاد: ص ٣٩٤-٣٩٥.

الكبار.

لقاء الفقيه الرشتي بالشيخ الأنصاري:

ومن طريف ما ينقل أنه يوم قدوم الشيخ الأنصاري إلى النجف الأشرف، لم يكن يعرف علماء النجف وفضلاؤها يومئذ مكانته العلمية فكان يحضر كسائر الطلاب في درس الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر)، فجاء في درس الشيخ صاحب الجواهر ذكر لدليلين مختلفين متعارضين فقدم الشيخ أحد الدليلين على الدليل الآخر ومضى في درسه، وكان الشيخ الأنصاري حاضراً يومئذ في الدرس فسأله أحد تلامذة درس صاحب الجواهر - وهو كما قيل الفقيه الشيخ ميرزا حبيب الله الرشتي - عن سرّ تقديم دليل على دليل آخر؟

فأجاب الشيخ الأنصاري: بـ (الحكومة).

فقال الفقيه الرشتي وما الحكومة؟

فقال الشيخ: إذا أحببت أن تعرف ما الحكومة فعليك أن تحضر مجلس درسي على الأقل ستة أشهر.

ومنذ ذلك التاريخ توثقت العلاقة بين الميرزا الرشتي والشيخ الأنصاري، وأصبح من كبار تلاميذه ومن كبار فقهاء المسلمين بعد تخرجه من درس الشيخ الأنصاري رحمته (١).

(١) محمد مهدي الآصفي، مقدمة فرائد الأصول، ط. جامعة المدرسين، قم.

آثاره العلمية :

للفقيه الرشدي رحمته الله آثار علمية جلية في الفقه والأصول^(١) من أهمها:

١ - كتب فقهية في أبواب الفقه المتعددة مثل كتاب اللقطة، كتاب الإرث، كتاب الوقف.

٢ - كتاب (بدائع الأصول) في أصول الفقه.

٣ - كتاب القضاء والشهادات في جزأين.

٤ - حاشية على كتاب أستاذه الأنصاري (المكاسب).

٣ - الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند والمحقق الخراساني (١٢٥٥-١٣٢٩هـ) :

ويعتبر الشيخ الآخوند الخراساني من أكابر علماء هذه الدورة، ومن أبرز تلامذة الشيخ الأعظم، حضر بحث أستاذه الأنصاري قريباً من ثلاث سنين حتى وفاته، ويوم تتلمذ الخراساني على يد الشيخ الأنصاري كان - الأنصاري - يحاضر «في مبحث الظنون الخاصة ومسألة حجية خبر الواحد وقد ذكره هو على المنبر في إحدى محاضراته مبتهجاً»^(٢)، وحظي خلاهما من أستاذه باهتمام بالغ، وأحاطه بعناية خاصة.

ولما لبى الأستاذ نداء ربه التحق ببحوث درس المجدد الشيرازي، ولازم درسه بعد ان كان يختلف إلى درسه أيام أستاذه الشيخ الأعظم، حتى ينقل عن

(١) ينظر: مجلة فقه أهل البيت عليه السلام العدد (١٧)، ص ١٨٣، ومقدمة كتاب القضاء للرشدي بقلم

السيد أحمد الحسيني، ط. منشورات دار القرآن الكريم، قم - إيران، ١٤٠١هـ.

(٢) عبد الرحيم محمد علي، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني: ص ٢٦، طبعة مطبعة

النعمان، النجف، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

الآخوند قوله: «إنني اتخذت المحقق الأنصاري أول ما حللت النجف شيخاً لنفسي، واتخذت سيدنا الميرزا حسن الشيرازي أستاذاً، فكنت اختلف إلى سيدي الأستاذ وأحضر أبحاثه الخصوصية والعمومية، ثم بصحبته نحضر معاً درس شيخنا الأنصاري فنكمل استفاداتنا من بياناته»^(١).

وبقي المحقق الآخوند ملازماً للسيد المجدد الشيرازي عشر سنوات، يحضر دروسه ويباحثه، حتى إذا غادر المجدد الشيرازي من النجف إلى سامراء ناقلاً معه حوزته العلمية، انتقل معه الآخوند إلى هناك ولكن سرعان ما عاد إلى النجف وبأمر من أستاذه من أجل التصدي للتدريس، ولحاجة النجف إليه.

وفي النجف استقطب مجلس درسه أكثر الأفاضل وطلاب العلم، حتى صار المدرس الأول، مع وجود علماء كبار من أمثال الميرزا حبيب الله الرشتي (ت ١٣١٣هـ)، والشيخ هادي الطهراني وغيرهم.

وقد امتاز درسه عليه السلام بالقوة والإيجاز والتهذيب والإحاطة كما صرح بذلك السيد الأمين في أعيانه بقوله: «وتميز عن جميع المتأخرين بحب الإيجاز والاختصار، وتهذيب الأصول، والاختصار على لباب المسائل، وحذف الزوائد، مع تجديد في النظر وإمعان في التحقيق»^(٢).

وبعد وفاة أستاذه المجدد الشيرازي تقاطر عليه علماء الحوزة وفضلاؤها وازدهروا في درسه وتحت منبره «فكان مجلس بحثه محفلاً علمياً ضخماً مهيباً قلماً رأته عين الزمان أو عرفت له نظيراً، وربما بلغ عدد الحاضرين في درسه الشريف

(١) كفاية الأصول (المقدمة)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام: ص ١٨.

(٢) السيد الأمين: أعيان الشيعة: ج ٩، ص ٥.

زهاء ثلاثة آلاف مستمع»^(١).

وقال صاحب الذريعة: «وقد سمعت ممن أحصى تلاميذ شيخنا الأستاذ الأعظم المولى محمد كاظم الخراساني في الدورة الأخيرة، أنه زادت عدتهم على الألف والمائتين، وكان كثير منهم يكتب تقاريره، ورأيت تقاريرهم الكثيرة في الكراريس والمجلدات»^(٢).

وقال السيد العاملي في الأعيان: «وعمر مجلسه بمئات من الأفاضل والمجتهدين كان منهم أساتذة مراجعنا العظام كالمرزا النائيني والسيد أبي الحسن الأصفهاني، والشيخ ضياء الدين العراقي والشيخ محمد حسين الأصفهاني، والشيخ عبد الكريم الحائري، والسيد البروجردى والسيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ محمد جواد البلاغي والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد صدر الدين الصدر، والسيد رضا الهندي، والسيد محسن الطباطبائي الحكيم وغيرهم من فطاحل العلماء وجهابذة العلم والتحقيق»^(٣). وذكر بعض الباحثين أسماء ما يزيد على الثلاثمائة من تلامذته من خلال تتبع بعض المراجع والمصنفات»^(٤).

يصف الشيخ علي الشرقي درس الشيخ الأخوند وصفاً طريفاً فيقول: «لقد كان الخراساني آية عصره وكان من الأفذاذ، وهو حجة في الفلسفة النظرية وعلم الأصول، وكان يحاضر في مسجد الهندي، وكان يحف بمئبفه ثلاثة آلاف

(١) الكفاية (المقدمة): ص ٢١، ط. مؤسسة آل البيت عليه السلام.

(٢) آقا بزرگ الطهراني، الذريعة: ج ٤، ص ٣٦٦ مادة تقارير.

(٣) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٩، ص ٥.

(٤) عبد الرحيم محمد علي، المصلح المجاهد: ص ٣٥-٦٣.

طالب، فيهم المجتهد والمرشح للاجتهد، وكانت له الروعة والهيبة إذا استوى فوق منبره، فما أرهب زجرته التي يزجر بها من كان في أقصى المسجد إذا سمع كلمة أثناء إلقائه، إنه يقرع ذلك الحشد المهيب بقولته (نفس) يريد إسكات ذلك المتنفس، وإذا انتهت محاضراته وانتشرت تلامذته، تقف حركة المرور فلا ترى غير تموج العمام البيضاء والسوداء...»^(١).

ولم يكن الشيخ الآخوند ينقطع عن تدريسه حتى في أيام زيارته لكربلاء في مواسم الزيارة. يقول الشيخ القوجاني - وهو أحد تلامذته المبرزين - متحدثاً عن زيارة النصف من رجب: «أغلب الطلاب النجفيين كانوا في كربلاء لأداء مراسم اليوم الخامس عشر من شهر رجب، وكذلك الآخوند الملا محمد كاظم الخراساني حلَّ بكربلاء من اليوم العاشر لأداء المراسم... وكان يدرس في الأسبوعين اللذين كان حاضراً - فيهما - في كربلاء والطلاب النجفيون كانوا يغتنمون هذه الفرصة فيحضرون درسه».

ثم يضيف قائلاً: «وكان الآخوند في تلك الآونة أستاذ الكل في الكل حتى إنه اشتهر في أوساط المجتهدين والفضلاء، ولم ير الإسلام مدرساً مثله حتى الآن»^(٢).

آثاره العلمية:

لم يمنع شيخنا الآخوند اشتغاله بالتدريس، وتحمله لأعباء المرجعية، واهتمامه بأمور المسلمين في تلك الفترة العصيبة من تاريخنا المعاصر، من

(١) علي الشرقي، الأحلام: ص ٨٢.

(٢) القوجاني النجفي، السياحة الشرقية: ص ١٩٥، ترجمة: ناصر الربيعي.

اتحاد المكتبة الإسلامية الأصولية والفقهية بنفائس الكتب والرسائل في الفقه والأصول والفلسفة.

ومن أهم ما خلفه من تراث علمي هو كتاب (كفاية الأصول) وهو من أبرز الكتب الأصولية، حيث استوعب فيه البحوث الأصولية، وأبرز الآراء المطروحة فيها، مع مناقشتها وإعطاء الرأي فيها بعبارة وجيزة وبدقة متناهية، وظهرت فيه إبداعاته وابتكاراته الجديدة التي جعلت منه صاحب منهج متكامل في علم الأصول.

وأصبح هذا الكتاب منذ صدوره مدار بحث العلماء في الحوزات العلمية، وكان في علم الأصول خاتمة مرحلة السطوح، كما أنه من أعمدة بحوث الخارج ومحور رحاها^(١).

يقول الشيخ الطهراني:

«كفاية الأصول متن جامع في أصول الفقه، لشيخنا الأخوند المولى محمد كاظم الهروي الخراساني قدس سره وقد أدخل المسائل الفلسفية في الأصول أكثر ممن قبله من مؤلفي الرسائل والفصول والقوانين، وهو المتداول تدريسها إلى اليوم في جوامع النجف، ولهذا فقد كثرت الحواشي عليه من تلاميذ المصنف»^(٢).

ومن آثاره العلمية الأخرى:

١ - تعليقه على الرسائل لأستاذه الأنصاري.

(١) كفاية الأصول مع حاشية المشكيني: ج ١، ص ٢٥ المقدمة التحقيقية بقلم الشيخ سامي الخفاجي.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني: ج ٦، ص ١٣٥.

٢- تعليقه على المكاسب لأستاذه الأنصاري.

٣- مجموعة من المقالات والرسائل الفقهية في شتى أبواب الفقه^(١).

وفاته:

توفي في (٢٠ ذي الحجة ١٣٢٩هـ) بعد أن عاش عمراً حافلاً بالمآثر العلمية والجهادية، فقد كان ليلة وفاته عازماً على الرحيل إلى إيران ليردّ عادية الأعداء عنها، ويحارب الاستعمارين الشرقي والغربي اللذين تكالبا عليها، تغمدته الله برحمته الواسعة.

وأما عن سبب وفاته فإنَّ السيّد الأمين في أعيانه يقول: «توفي فجأة فجر الثلاثاء»، ولم يشر إلى سبب معين لوفاة، كذلك يقول الشيخ الطهراني، إلّا أنَّ الدكتور علي الوردي ينقل عن مجلّة العلم النجفية في عددها السابع للسنة الثانية (ص ١٢٤): «أنّه بعد وفاة الشيخ كاظم الخراساني استدعي إليه طبيب الحكومة، وقد قرر هذا بعد فحصه أنّه مات بالسكتة القلبية. ولكن الناس لم يصدقوا ذلك وأخذت الإشاعات تروّج بينهم في أنّه مات مسموماً بأيدي الجواسيس وانتشرت بينهم قصة مفادها أنَّ رجلاً كان قد أهدى إليه قبيل وفاته تفاحة صفراء وهي التي جرت عليه البلاء»^(٢).

(١) ينظر: مجلّة فقه أهل البيت (عليه السلام)، العدد (١٧)، ص ١٨٥.

(٢) ينظر محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٩، ص ٥. والطهراني، طبقات أعلام الشيعة نقباء البشر:

ج ٥، ص ٦٦. والدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ج ٣،

ص ١٢٤.

المبحث السادس

تلامذة الشيخ الآخوند ودورهم في حوزة النجف

١ - آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني المعروف بـ (الكمباني) (ت ١٢٩٦ - ١٣٦١ هـ): ويعتبر الشيخ الأصفهاني من أبرز علماء هذه الدورة ومن أوتادها العلمية وجهابذتها، تتلمذ على الشيخ الآخوند الخراساني واختص به، وامتدت صحبته له لمدة قاربت ثلاثة عشر عاماً، كما أنّه حضر دروس الفلسفة عند العلامة الشيخ محمد باقر الأصطبهاناني والذي كان يعد من كبار الفلاسفة في عصره.

منزلته العلمية :

يصف لنا الشيخ المظفر منزلة أستاذه الأصفهاني العلمية بقوله: «كان من زمرة النوابغ القلائل الذين يضمنُ بهم الزمان إلّا في الفترات المتقطعة ومن أولئك المجددين للمذهب الذين يبعث الله تعالى واحداً منهم في كلّ قرن، ومن تلك الشخصيات اللامعة في تاريخ قرون علمي الفقه والأصول»^(١).

وقد كان الشيخ الأصفهاني محط إكبار العظماء في عصره كما يظهر من كلمة السيّد الصدر في إجازته له^(٢)، وقد جمع هذا الشيخ الجليل من المواهب الكريمة المتعددة ما قلّ نظيره في أقرانه واحتمل مكانة مرموقة ومنزلة عظيمة، فكان نابغة الدهر وفيلسوف الزمن وفقه الأمة، إضافة إلى صلاته بالأدب العربي

(١) الأصفهاني، نهاية الدراية المقدمة التحقيقية لمؤسسة آل البيت (عليه السلام): ص ١١، قم.

(٢) المصدر السابق نفسه.

والفارسي، حيث أبقى لنا آثاراً دلّت على تمكنه من هذه الصناعة^(١).

آثاره العلمية :

ومما لا شك فيه ولا ترديد أن الشيخ الأصفهاني قدس كان متخصصاً ومتبحراً في أكثر من علم سواء في التفسير أو الفقه أو الأصول أو الحكمة والعرفان والكلام والتاريخ والأدب والشعر... مما يقل نظيره بين العلماء^(٢).

اعتلى كرسي التدريس والإفادة بعد وفاة أستاذه الآخوند، واستطاع أن يشيد مباني أصولية محكمة وبعبارات دقيقة وخلّف من الآثار العلمية والمباحث العالية، جملة متعددة من الكتب القيمة الدالة على علو منزلته العلمية من أهمها:

١- (نهاية الدراية في شرح الكفاية) وهو شرح وحاشية على كتاب أستاذه الآخوند كفاية الأصول ويعتبر كتاب النهاية من أهم كتب الشيخ الأصفهاني العلمية ويشتمل على تحقيقات أصولية عميقة.

٢- تعليقة على كتاب (المكاسب) للشيخ الأنصاري.

٣- جملة من البحوث العلمية الفقهية في مباحث الاجتهاد والتقليد والعدالة وغيرها.

توفي قدس في فجر اليوم الخامس عشر من ذي الحجة عام (١٣٦١م) تغمدّه الله برحمته^(٣).

(١) للتوسع ينظر: الخاقاني، موسوعة شعراء الغري: ج٨، ص ١٨٦-١٨٩، ط. افست مكتبة المرعشي - قم، ١٤٠٨هـ.

(٢) الجناتي، أدوار فقه: ص ٤٠١، بالفارسية.

(٣) للتوسع ينظر: ترجمة المصنف في مقدمة تعليقه على المكاسب بقلم الشيخ المظفر.

٢- آية الله الشيخ ضياء الدين العراقي (ت ١٣٦١هـ): يعتبر الشيخ آقا ضياء العراقي من علماء هذه الدورة المبرزين، وامتداداً لطريقة الشيخ الأنصاري وخاصة في البحث الأصولي عن العناصر المشتركة، في عملية الاستنباط الفقهي. هاجر إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته الفقهية والأصولية، بعد أن أكمل المقدمات عند والده والسطوح عند جملة من علماء أصفهان... فحضر فيها على كبار شيوخها وفقهائها وأساتذتها، فحضر بحث السيّد محمد الفشاركي الأصفهاني، ثم حضر درس الميرزا حسين الخليلي، والآخوند الخراساني، والسيّد اليزدي، وشيخ الشريعة الأصفهاني.

ولقد لمع اسمه في فضلاء عصره في بحث المحقق الخراساني.

يقول الشيخ آقابزرگ الطهراني - وهو من زملائه يومئذٍ في درس الآخوند -: «ولا أزال أذكر جيداً أنّه كان من أجلاء تلامذة شيخنا الخراساني وكبارهم، ومن مدرسي السطوح المعروفين»^(١).

وتصدّى لتدريس السطوح العليا وخارج الفقه والأصول ستين سنة، واشتغل في التدريس على منبر الدراسات العليا (بحث الخارج) أكثر من ثلاثين سنة بعد وفاة أستاذه الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند (ت ١٣٢٩هـ).

وكان مجلس درسه حافلاً بفضلاء عصره، لما به من دقة الرأي، وعمق النظر، وسداد التفكير، وسلاسة الذوق الفقهي، والإحاطة بكلمات الفقهاء،

(١) آقابزرگ الطهراني، نباء البشر: ص ٩٥٧، نقلاً عن مقدمة (مقالات الأصول) بقلم الشيخ الأصفي: ص ١٩.

والفهم والمنهجية في البحث»^(١).

تخرج على يده أكثر من ثلاثة آلاف من الفقهاء والمجتهدين ومراهقي الاجتهاد والفضلاء.. ومن أبرز تلاميذه الذين تخرجوا من مجلس درسه وبرزوا في الأوساط الدينية والسياسية والفقهية والتدريس والتأليف والتحقيق: السيّد عبد الهادي الشيرازي، والسيّد محسن الحكيم، والسيّد أبو القاسم الخوئي والشيخ محمّد تقي الآملي، والشيخ محمّد تقي البروجردي، والشيخ حسين الحلّي والسيّد ميرزا حسين البجنوردي... وغيرهم من فقهاء العصر، وقد تولّى جمع منهم مرجعية الطائفة وزعامتها في عصره.

درّس الأصول عدّة دورات ودرّس الفقه دورة كاملة تقريباً، وقليل من الفقهاء من تمكن من تدريس الفقه دورة كاملة.

كان من مراجع عصره ورجع إليه جمع من المؤمنين في تقليدهم، وقد علق على رسالة الشيخ عبد الله المازندراني العلمية، ولكنه بقي بعيداً عن أجواء الزعامة الدينية، وآثر أن يتفرغ للعلم والتحقيق، وقد آتاه الله ما يريد وفتح عليه فتوحاً جليّة في الفقه والأصول واستمر في التدريس إلى آخر عمره الشريف تغمده الله برحمته^(٢).

(١) ضياء الدين العراقي، مقالات الأصول (المقدمة): ص ١٩، تحقيق: محسن العراقي، ومنذر الحكيم، ط. مجمع الفكر الإسلامي، ط ٣، ١٤٢٨ هـ.

(٢) المصدر السابق نفسه: ص ١٧.

آثاره العلمية :

ضاع - مع الأسف - جملة من آثار المحقق العراقي، وأهم ما بقي منها في أيدينا^(١): كتاب (مقالات الأصول في جزأين)، وهو الكتاب الذي يجمع آخر ما توصلت إليه المدرسة العراقية (النجفية) في التفكير الأصولي، ويعد من أهم مصادر الفكر الأصولي المعاصر...^(٢).

المبحث السابع

آية الله العظمى الشيخ محمد حسين النائيني (ت ١٣٥٥ هـ)
ودوره في حوزة النجف الأشرف

يعتبر الشيخ النائيني (رضوان الله عليه) من أبرز أعلام هذه الدورة المباركة، ومن أساطينها العظماء، وهو مجتهد خالد الذكر ومن أعظم علماء الشيعة وأكابر المحققين.

هاجر إلى العراق بعد أن أكمل المراحل الأولية والسطوح في مسقط رأسه نائين وأصفهان سنة (١٣٠٣ هـ) وحلَّ في مدينة سامراء، حيث كانت مهد العلم والعلماء في زمن المجدد الشيرازي، وحضر دروس السيد إسماعيل الصدر، والسيد محمد الفشاركي، ثم أخذ بالحضور في بحث المجدد الشيرازي، وبقي ملازماً لبحثه إلى أن توفي المجدد الشيرازي في (١٣١٢ هـ). ثم لازم السيد

(١) ضياء الدين العراقي، مقالات الأصول (المقدمة): ص ٢٣، تحقيق: محسن العراقي، ومنذر

الحكيم، ط. مجمع الفكر الإسلامي، ط ٣، ١٤٢٨ هـ.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢.

إسماعيل الصدر إلى أن انتقل إلى كربلاء سنة (١٣١٤هـ) بصحبة السيّد الصدر، وبقي معه عدّة سنين ثم غادرها وتحول إلى النجف.

وكان الشيخ محمّد كاظم الخراساني (الآخوند) قد استقل بالتدريس على عهد السيّد المجدّد الشيرازي ولما توفي - المجدّد الشيرازي - زادت طلبه الآخوند وعظم شأنه، وأصبحت بين المحقّق النائيني والآخوند رابطة أكيدة واختصاص وثيق، حتى صار من أعوانه وأنصاره في مهماته الدينية والسياسية، كما صار من أعضاء مجلس الفتيا الذي كان يعقده في داره مع بعض خواص أصحابه للمذاكرة في المسائل المشكّلة.

ولم يحضر المحقّق النائيني درس الشيخ الآخوند العام لأنّه كان غنياً عنه وشأنه أرفع من حضوره.

واتفق أن حدث أمر نهضة (المشروطة) وتبديل حكومة إيران الاستبدادية إلى الدستورية، وكان زعيم هذه النهضة الشيخ الآخوند الخراساني فوقف النائيني معه وألّف بالفارسية كتابه الموسوم (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) وقرضه كلّ من الخراساني والشيخ عبد الله المازندراني.

ولما توفي الآخوند سنة (١٣٢٩هـ) حفّ به جمع من الطلاب، وكان بحثه من الأبحاث الآهلة برجال الفضل، وبعد وفاة شيخ الشريعة الأصفهاني، ارتفع ذكر الشيخ النائيني ورجع إليه الكثير من أهل البلاد البعيدة.

وكان المحقّق النائيني (رحمه الله)، متورعاً تقيّاً صالحاً غير متهاك على حطام الدنيا ولا متفانٍ في الحصول على الرئاسة، وكان إذا وقف للصلاة ارتعدت فرائضه وابتلت لحيته من دموع عينيه، وكان له تضلّع وبراعة في الآداب اللغوية

الفارسية والعربية ورسوخ في الكلام والفلسفة وتوحد في الفقه.

أمّا في علم الأصول، فأمره عظيم؛ لأنّه أحاط بكلّياته، ودقّقه تدقيقاً مدهشاً، وأتقنه، إتقاناً غريباً، وقد رنّ الفضاء بأقواله ونظرياته العميقة، كما انطبعت أفكار أكثر المعاصرين بطابع خاص من آرائه، حتى عدّ مجدداً في هذا العلم كما عدّت نظرياته مماثلة لنظريات الشيخ الخراساني صاحب الكفاية^(١).

وكان لبحثه ميزة خاصة لدقة مسلكه وغموض تحقيقاته، فلا يحضره إلّا ذوو الكفاءة من أهل النظر والتحقيق، ولذلك كان تلامذته المختصون به هم الذين تعلق عليهم الآمال، وهكذا كان، فقد برز فيهم أفذاذاً أصبحوا فيما بعد قادة الحركة العلمية والفكرية، والمدرسين المشاهير ناهيك بمثل السيّد أبي القاسم الخوئي، والشيخ حسين الحلّي والسيّد حسن البجنوردي، والميرزا باقر الزنجاني وآخرين ممن أصبحوا فيما بعد من أعمدة وأساطين الحوزة العلمية^(٢).

تراثه العلمي؛

ترك الشيخ النائي تراثاً علمياً أمّا بقلمه الشريف كرسالة (حكم اللباس المشكوك) أو بقلم تلامذته، فإنّ أكثر أفكاره في الفقه والأصول دُوّنت بقلم ليف منهم ومن أهم تلك الآثار:

- ١- فوائد الأصول بقلم الشيخ محمّد علي الكاظمي (ت ١٣٦٥هـ) في أربعة أجزاء.
- ٢- أجود التقريرات بقلم المرجع الديني الأعلى السيّد الخوئي (ت ١٤١٣هـ)

(١) آقا بزرك الطهراني، نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ص ٥٩٣-٥٩٥ بتصرف وتلخيص.

(٢) جعفر السبحاني، موسوعة طبقات الفقهاء: ص ٤٤٥.

في جزأين.

ونشرت مؤخراً موسوعة في علم الأصول تتضمن حواشي أصولية على الكتابين بقلم الشيخ حسين الحلّي رحمته الله.

المبحث الثامن

تلامذة الميرزا النائيني ودورهم في حوزة النجف الأشرف

١ - السيّد محسن الحكيم الطباطبائي (ت ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م): كان المرجع الديني الكبير لتقليد الشيعة الإمامية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري اشتغل بالتدريس واهتم بالتأليف والتصدي لشؤون الفتيا على نطاق واسع، وذاع صيته واشتهر اسمه في أرجاء العالم الإسلامي لأكثر من عقدين من الزمن.

ولد في النجف الأشرف سنة (١٣٠٦هـ)، وبعد وفاة والده تولى تربيته العلمية ونشأته الدينية أخوه الأكبر السيّد محمود الحكيم، وقد درس عند أخيه مقدمات العلوم الإسلامية والفقه والأصول حتى كتاب (القوانين) للميرزا القمي، ثم تلقى بقية دروسه في المراحل العالية عند مشايخ وأساتذة الحوزة العلمية في النجف. وفي مرحلة درس الخارج - البحوث العلمية العالية - حضر دروس وأبحاث المولى محمّد كاظم الخراساني (الآخوند) والشيخ ضياء الدين العراقي، والميرزا النائيني.

له مواقف جهادية مشهودة إلى جانب السيّد محمّد سعيد الحبوبي،

ضد الاحتلال البريطاني، وبعد وفاة السيّد أبي الحسن الأصفهاني والسيّد البروجردي، أصبح المرجع الديني الأعلى للطائفة الشيعية.

آثاره العلمية:

ترك لنا السيّد الحكيم آثاراً علمية قيمة أهمها:

- ١- مستمسك العروة الوثقى: وهو من أفضل وأشهر الشروح الفقهية على كتاب (العروة الوثقى) للسيّد اليزدي، ويتألف من أربعة عشر مجلداً، وطبع عدّة مرات.
- ٢- كتاب (حقائق الأصول) وهو تعليقة وشرح مزجي على كتاب كفاية الأصول.
- ٣- تعليقات فقهية على ملحقات العروة الوثقى وعلى مكاسب الشيخ الأنصاري. كذلك له تعليقة على مناسك الشيخ الأنصاري بعنوان (دليل الناسك).
- ٤- كتاب (منهاج الناسكين في أعمال الحج).
- ٥- رسالة منهاج الصالحين وهي رسالته العلمية الفتوائية في جزأين.

وفاته:

توفي في بغداد في يوم الثلاثاء (٢٧ / ربيع الأوّل / ١٣٩٠ هـ). وكان قد نقل إليها للعلاج، وحمل جثمانه إلى النجف الأشرف، بعد أن شيع تشيعاً مهيباً حافلاً، ودفن في مقبرته الخاصّة بجانب مكتبته العامة في الجامع الهندي، وهو أكبر جوامع النجف وأقيمت مجالس الفاتحة في أرجاء العالم الإسلامي على

روحه الطاهرة^(١).

٢- السيّد أبو القاسم الخوئي قدس سرّه: هو السيّد الفقيه الكبير والأصولي البارع، السيّد أبو القاسم ابن السيّد علي أكبر ابن هاشم الموسوي الخوئي، ولد في مدينة (خوي) إحدى المدن الإيرانية، هاجر والده إلى النجف الأشرف سنة (١٣٢٨هـ) والتحق به سنة (١٣٣٠هـ)، فقرأ المقدمات والسطوح العالية عند أساتذة الفن حتى حضر بحث الشيخ المحقّق شيخ الشريعة الأصفهاني عام (١٣٣٨هـ). ولما التحق شيخ الشريعة برّبّه عام (١٣٣٩هـ) اختص بشيخه الجليلين:

١- الشيخ محمّد حسين النائيني.

٢- الشيخ محمّد حسين الأصفهاني.

فقد عكف على دروسهما، وكتب شيئاً كثيراً منهما، حتى أصبح أستاذاً بارزاً يشار إليه بالبنان في الفقه والأصول، واكتظت دروسه برواد العلم والمعرفة، وأصبح مرجعاً دينياً وزعيماً دينياً للطائفة الشيعية بعد رحيل السيّد محسن الحكيم قدس سرّه.

آثاره العلمية:

لقد كان السيّد الخوئي صاحب مدرسة في الفقه والأصول، وقد انتشرت عنه تقريرات ومحاضرات كثيرة لم ينشر عن أحد قبله، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنّه كان أستاذاً مربياً للجيل، حنوناً عطوفاً على التلاميذ، يرعاهم ويرشدهم إلى معالم العلم، ويذاكرهم ولا يمل من ذلك.

(١) نور الدين الشاهرودي، المرجعية الدينية: ص ١٤٥.

ومن أهم ما نشر بقلمه الشريف:

١- أجود التقارير في جزأين: دورة أصولية تقريراً لمحاضرات أستاذه النائيني.

٢- رسالة في اللباس المشكوك: نشر (١٣٦١هـ) وهي مفعمة بالتحقيق العلمي الدقيق.

٣- البيان في تفسير القرآن: وهو يشتمل على مقدمة في علوم القرآن، مع تفسير الفاتحة، ويعدُّ هذا الكتاب من أهم مصادر البحث في علوم القرآن الكريم.

٤- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة.

أمّا ما نشر من آثار علمية للسيد الخوئي بقلم تلامذته فأهمها:

١- التنقيح في شرح العروة الوثقى: في أكثر من سبعة أجزاء بقلم الميرزا الغروي.

٢- المستند والمعتمد في شرح العروة الوثقى: في أكثر من عشرين جزءاً بقلم الشيخ مرتضى البروجردي والسيد محمد رضا الخلخالي، وغيرهم.

٣- مصباح الفقاهة: شرح على مكاسب الشيخ الأنصاري بقلم الشيخ التوحيد.

٤- الواضح في شرح العروة الوثقى: أضواء وآراء على بحوث سيد الطائفة السيد الخوئي، تأليف الشيخ محمد الجواهري.

٥- مصباح الأصول: بقلم السيد محمد سرور الواعظ، والمحاضرات في أصول الفقه بقلم الشيخ محمد إسحاق الفياض... وغيرهما^(١).

توفي عام (١٤١٣هـ) ودفن في مقبرة قريبة على مدخل جامع الخضراء من

(١) تجد سيرة السيد الخوئي بقلمه في كتابه معجم رجال الحديث: ج ٢٣، ص ٢٠-٢٥ برقم ١٤٧٢٧ مع قائمة مفصلة بأسماء كتبه الفقهية والأصولية وغيرها.

الصحن الحيدري الشريف في مدينة النجف الأشرف رضوان الله تعالى عليه^(١).

المبحث التاسع تلامذة السيّد الخوئي

يعتبر السيّد الخوئي أستاذ العلماء والفقهاء بلا منازع، وظاهرة علمية فريدة في تاريخ الحوزة العلمية في النجف الأشرف، بل في تاريخ الحوزات العلمية الشيعية على امتداد العالم الإسلامي.

حيث مارس التدريس العالي لأكثر من نصف قرن من الزمن، وتسلم زعامة المرجعية الدينية العليا قرابة ربع قرن من الزمن وتخرج من محفل درسه آلاف العلماء والفضلاء، برز من بينهم كثرة من المجتهدين والمراجع.

وتلامذة السيّد الخوئي من الكثرة بمكان يتجاوز حدّ الإحصاء والتعداد، فهم أجيال متعاقبة ممن امتدّ بهم الزمن وتعذر فيهم الإحصاء.

يقول آية الله السيّد علي السيستاني - والذي يعدّ من أبرز تلامذة السيّد الخوئي ومن تسلم زمام المرجعية من بعده - عن أستاذه السيّد الخوئي: «... وقد نذر نفسه لخدمة العلم وكان همّه التحقيق والتدقيق والبحث والتدريس، وقد رافقه التوفيق وأعانتة المشيئة الإلهية، فربى أجيالاً من العلماء والفضلاء الذين التفوا حول منبره الشريف، ونهلوا من عذب فرائه طوال عقود من

(١) محمّد الغروي، مع علماء النجف الأشرف: ج ٢، ص ٥٧١.

الزمن»^(١).

ويقول باحث آخر: «... لم يصادف في تاريخ مذهب أهل البيت عليهم السلام على مرّ العصور، أن كان مثل هذا العدد الوافر من المرشدين يخرج من مرجع ديني واحد غير شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي، وزعيم الحوزة العلمية أبي القاسم الموسوي الخوئي قدس سرهما»^(٢).

ومما يؤسف له أن كثيراً من تلامذة السيّد الخوئي ممن لا يعرفهم الجيل المعاصر، وهنالك المئات ممن لا يعرف أسماءهم أحد.. يقول أحد العلماء: في أواخر الستينيات من القرن العشرين أنه أحصى ألفي إمام جماعة في العالم الإسلامي من تلامذة الإمام الخوئي، ومعنى هذا أن طلاب السيّد الخوئي آنذاك قد تجاوزوا هذا العدد أضعافاً مضاعفة^(٣).

وبعد وفاة السيّد الخوئي أصدر أحد الباحثين معجم بيلوغرافي لتلامذة السيّد الخوئي أحصاهم فيه بـ (٦١٧) تلميذاً مما تمكن من ذكره ونشره، وهنالك جملة من الملاحظات على هذا المعجم سجلها الدكتور محمد حسين الصغير ومن أهمها إغفال الباحث لأسماء بعض تلامذة السيّد من الفضلاء والمراجع والمجتهدين، مما استدعى أن يستدرك عليه بأسماء جملة من الأعلام ممن فاته ذكرهم^(٤).

(١) محمد حسين الصغير، أساطين المرجعية: ص ٢٩٤. وانظر مجلّة الموسم، العدد (١٧) لسنة ١٤١٤ هـ.

(٢) المصدر السابق نفسه: ص ٢٩٤ و ص ٣٣١-٣٣٥.

(٣) محمد حسين الصغير، أساطين المرجعية: ص ٢٩٢.

(٤) المصدر السابق نفسه: ص ٢٩٢، و ٣٣١-٣٣٥.

من أبرز تلامذة السيّد الخوئي المراجع:

لا يمكن لنا أن نتوقف عند كلّ تلامذة السيّد الخوئي، ولا عند النابغين منهم، بل ولا عند كلّ من بلغ درجة الاجتهاد والمرجعية لتعذر ذلك كما أسلفنا، إلّا أنّنا نشير إشارة عابرة إلى عدد من المجتهدين المراجع من تلامذته ممن تسنموا منصب المرجعية العليا في حياته أو من بعد وفاته، منهم:

١- آية الله السيّد علي الحسيني السيستاني.

٢- آية الله الشيخ محمّد إسحاق الفياض.

٣- آية الله الشيخ بشير حسين النجفي.

وهؤلاء الثلاثة حفظهم الله من أهم مراجع الدين في النجف الأشرف في الوقت الحاضر؛ وخاصة السيّد السيستاني دام ظلّه الذي ألقت له المرجعية العليا أزمتها فتسنّمها بجدارة وقوة وبصيرة ودراية عالية، رغم كلّ الظروف الصعبة التي مرّت على العراق والحوزة العلمية.

٤- آية الله السيّد محمّد باقر الصدر قدس استشهد سنة (١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ).

ويعتبر السيّد الشهيد السعيد آية الله محمّد باقر الصدر من أبرز تلامذة السيّد الخوئي ومن نوابغ الحوزة العلمية، بل من عباقره العالم الإسلامي، ومن المفكرين النواذر في دنيا البشرية.

تسلّم زمام المرجعية في حياة أستاذه السيّد الخوئي وامتدت مرجعيته لتشمل رقعة واسعة من العالم الإسلامي، ورجع إليه جمع كثير من المؤمنين ينهلون من علمه وفكره وفقهه.

ولئن تعذر علينا الوقوف عند تلامذة السيّد الخوئي وخاصة المراجع الأحياء منهم، فلا بد لنا من وقفة قصيرة عند البُعد العلمي في شخصية الشهيد محمّد باقر الصدر وفاء لهذا العلم الذي أرخص نفسه لله سبحانه، فتوجّه إلى الله بتاج الشهادة وبقي ذكره في الخالدين.

البُعد العلمي في شخصية الشهيد محمّد باقر الصدر:

لقد امتاز السيّد الشهيد الصدر في شخصيته العلمية الفذة بتنوع موسوعي في جميع حقول المعرفة التي خاض غمارها وأبدع فيها، إلى جانب توازن الشخصية والتواضع العلمي واللغة العلمية الموضوعية التي كانت من السمات البارزة في شخصيته وفي كلّ نتاجه العلمي الذي تركه للأمة من بعده.

والسمة الموضوعية والعلمية والإبداعية في فكر الشهيد الصدر قدس سرّه نجدها شاخصة في كلّ نتاجه الفقهي والأصولي والتفسيري والفكري، بل وحتى التاريخي الذي خاض غماره في مقتبل عمره عن طريق كتابه (فدك في التاريخ).

وعندما نعود إلى تراثه الفقهي المتمثل في تعليقاته على رسالة منهاج الصالحين وشرحه على كتاب العروة الوثقى، ورسائله العملية في قسمها الأوّل (الفتاوى الواضحة) وبعض الأبحاث الفقهية الأخرى التي كتبها في محضر درسه بعض النابغين من تلامذته... نلاحظ الدقة والإحاطة والشمولية والمنهج العلمي على مستوى المضمون والشكل، وهذه من السمات البارزة في كلّ تراث السيّد الشهيد العلمي، حيث كان يشير إلى منهجه في بداية كتابه ثم يسير على هذا المنهج ولا يغفل عنه في ثنايا البحث.

وأهم ما يميز منهج السيّد الشهيد في المجال الفقهي هو العمق العلمي

الفقهي من جهة^(١)، مع الوفاء لروح المعاصرة ومعالجة الإشكاليات الحديثة من جهة ثانية، إضافة إلى مفردات اللغة وتركيبها والأسلوب الأدبي الذي ينسجم مع لغة العصر ويلبي حاجة الجمهور المتدين من جهة ثالثة، وهذا ما نلاحظه بوضوح عن طريق كتابه الفقهي الفتواني الموسوم بـ (الفتاوى الواضحة) الذي اشتمل على خلاصة آرائه الفقهية، حيث نجد تطوراً كبيراً في المنهج على مستوى الشكل والمضمون مقارنة بالرسائل العملية التي انتشرت في القرون الهجرية الأخيرة وبشكل واسع وملحوظ.

ولم تقتصر هذه الخصائص العلمية على التراث الفقهي للشهيد الصدر وإنما يشمل كلّ نتاجه الفكري.

ولا يخفى الدور الريادي للسيد الشهيد الصدر في الإجابة على تحديات العصر وما تواجهه الأمة الإسلامية من إشكاليات حديثة، فتأتي مؤلفاته القيمة (اقتصادنا)، و(البنك اللاربوي في الإسلام)، و(الإسلام يقود الحياة)، و(الأسس المنطقية للاستقراء)، و(فلسفتنا).... لتعالج تلك المشاكل، ولتجيب على تلك الإشكالات وغيرها وبروح علمية موضوعية فذة.

أمّا في مجال علم الأصول فيقول أحد تلامذته: «نستطيع أن نعتبر المرحلة التي وصل إليها مستوى البحث الأصولي على يد الأستاذ، عصرّاً رابعاً من أعصر العلم وتطوراته التي مرّ بها على يد أستاذنا الشهيد بعصر جديد، فلو أضفنا إلى الأعصر التي قسم إليها فترات العلم في المعالم الجديدة لكان هذا العصر عصرّاً رابعاً هو عصر ذروة الكمال ترى فيه من الأبحاث القيمة

(١) محمد الحسيني، المنهج الفقهي عند الشهيد الصدر: ص ١١٦-١٢٠.

والجواهر الثمينة والدرر المضيئة ما يبهر العقول، وهي تشتمل على مباحث فريدة في نوعها، وفيها ما تكون تارة جديدة على الفكر الأصولي تماماً، أي: إنَّها لم تبحث من قبل، وأخرى تكون مغيرة لما اختاره الأصحاب في أبحاثهم السابقة ببرهان قاطع وأسلوب فائق، وثالثة تكون معدلة لنفس ما اختاره الأصحاب ومصلحة له ببيان لم يسبق له نظير^(١). ثم ذكر شواهد لذلك مما لا يسع المجال لذكرها.

هذا وقد ترك لنا السيّد الشهيد من تراثه الأصولي كتابه التدريسي (دروس في علم الأصول) والذي يعرف بـ (الحلقات) وهو متن دراسي لطلّاب السطوح العالية في علم الأصول، إضافة إلى كتاب (نهاية الفكر) و (المعالم الجديدة للأصول) ودوّن بعض طلابه النابغين تقارير درسه الأصولية، وبين أيدينا ثلاث دورات أصولية، إضافة إلى بعض المباحث الأصولية التي دَوَّنَها بعض تلامذته الآخرين.

وهناك أبحاث أخرى للسيّد الشهيد تناولت مجال التفسير، والتاريخ، والأخلاق... «وجميع أبحاثه - رضوان الله عليه - ترى فيها إضافة إلى الدقة والعمق مع السعة والشمول، منهجية فنية رائعة في طريقة العرض»^(٢).

أمّا الجهاد السياسي في حياة السيّد الشهيد الصدر والذي توجه بالشهادة في

(١) كاظم الحائري، مباحث الأصول الجزء الأوّل من القسم الثاني، المقدمة: ص ٥٨-٥٩، وللتوسع في معالم وخصائص المنهج عند السيّد الشهيد الصدر، ينظر: مقدمة السيّد الهاشمي للطبعة الثانية لكتاب بحوث في علم الأصول.

(٢) كاظم الحائري، المصدر السابق: ص ٦٦ وانظر قائمة بمؤلّفات السيّد الشهيد في المرجع نفسه: ص ٧٠ وما بعدها. كذلك مقدمة الحلقة الأولى من طبعة مؤسسة الفكر الإسلامي بقلم: علي أكبر الحائري.

سبيل الله، بعد مقارنته أعتى الظالمين في عصره، فهذا مما لا يمكن الخوض في
عبابه ولا نستطيع أن نعطيه حقَّه اللازم عبر أسطر أو صفحات بل وحتى عبر
مؤلف مستقل.

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

المصدر: تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية: د. الشيخ عدنان فرحان
آل قاسم، ج ٣، ٢٠١٦م.

**أثر المدارس الدينية المسيحية
على المؤسسة التعليمية في العراق
خلال القرن العشرين**

الدكتور ضياء عبد الرزاق خضير

ملخص البحث:

كانت للتنظيمات الإصلاحية العثمانية أثر واضح على الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، لأنّه من خلال تلك الإصلاحات حاولت السير بركب التطور والتقدم الأوربي، ويمكن القول إنّ التعليم على الرغم من أنّه في البداية لم يأخذ ما يستحقه من الاهتمام، إلّا أنّ بعد فتح المدارس حتى وإن كانت ليس بالمستوى المطلوب من حيث العدد إلّا أنّه أعطى فرصة كبيرة لدراسة علوم أخرى غير التي كانت تدرس بالكتاتيب. كما أنّ هذه الإصلاحات أعطت للأقليات حقهم في التعليم وفتح مدارس خاصة بهم، لاسيّما أنّ تلك المدارس كانت تتمتع بتمويل مادي من الدول الغربية، كما أنّها تدرس كافة العلوم. لذلك لا بد من أن يكون لها تأثير على الواقع التعليمي العراقي آنذاك.

المقدمة:

كانت الدولة العثمانية تعتقد أنّ التعليم هو نتاج فردي أو جماعي يخص تلك الجماعات ولا يقع من ضمن مسؤوليتها. لذلك، كان التعليم في العراق يعتمد بشكل أساسي على الكتاتيب التي مثلت العتبة المدرسية الأولى في الحياة التعليمية. وكان المسجد أو بيت الملة هو المقر لتعلم مبادئ الدين وحفظ القرآن الكريم، وهذا ينطبق على الأقليات غير المسلمة أيضاً كالمسيح، الذين اتخذوا من الأديرة والكنائس مقراً لتعلم وحفظ كتابهم المقدس.

وعلى هذا الأساس ارتبط تطور التعليم في العراق بعملية التطور والإصلاح في الدولة العثمانية، وإن تخلف من الناحيتين الزمنية والنوعية عن الإصلاح في مركز الدولة العثمانية. إلّا أنّ وجود بعض القادة المصلحين ساعد في إحداث

تغيير لا بأس به في الناحية التعليمية، وإنَّ هذا التغيير عُدَّ تطوراً كبيراً إذا ما قورن بحالة العدم التي كانت موجودة في العراق.

كانت للتنظيمات الإصلاحية العثمانية أثر واضح على الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي؛ لأنَّها من خلال إصلاحاتها حاولت السير بركب التطور والتقدم الأوربي، ويمكن القول إنَّ التعليم على الرغم من أنَّه في البداية لم يأخذ ما يستحقه من الاهتمام، إلَّا أنَّ بعد فتح المدارس حتى إن كانت ليس بالمستوى المطلوب من حيث العدد إلَّا أنَّه أعطى فرصة كبيرة لدراسة علوم أخرى غير التي كانت تدرس بالكتاتيب. كما أنَّ هذه الإصلاحات أعطت للأقليات حقهم في التعليم وفتح مدارس خاصة بهم، وهذا ما سنسلط الضوء عليه في بحثنا هذا المعنون: (أثر المدارس الدينية المسيحية على المؤسسة التعليمية في العراق)، لاسيما أنَّ تلك المدارس كانت تتمتع بتمويل مادي من الدول الغربية، كما أنَّها تدرس كافة العلوم. لذلك لا بد من أن يكون لها تأثير على الواقع التعليمي العراقي آنذاك.

قسَّم البحث إلى ثلاثة مباحث فضلاً عن المقدمة والخاتمة وقائمة المصادر، تضمَّن المبحث الأول، حركة الإصلاح العثماني وأثرها على التعليم في العراق، وفيها ذكرنا بداية تلك الإصلاحات وما مدى تأثيرها على الجانب التعليمي. أمَّا المبحث الثاني، استعرض المدارس الأهلية الخاصَّة بالمسيحيين فيما تناول المبحث الثالث، تأثير المدارس المسيحية على التعليم في العراق. وما مدى استفادة المجتمع العراقي منها وما مدى تأثيرها ونتائجها الفكري على غيرها من المدارس، أمَّا المبحث الرابع عالج التأثير الثقافي والاجتماعي للطائفة المسيحية

في تاريخ العراق الحديث.

المبحث الأول

حركة الإصلاح العثماني وأثرها على التعليم في العراق

شهدت أنظمة الحكم العثماني تدهوراً واضحاً في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، وشمل هذا التدهور المجالات كافة، لاسيما التعليم الذي كان في الأساس يعاني من الإهمال فلم يكن هناك مدارس نظامية، لذلك انتشر في ذلك الوقت حلقات تعليمية أطلق عليها الكتاتيب والتي كانت تدرس مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ويكون التعليم في بيت الملا أو في الجامع، وكان التعليم فيها مجانياً لأن الدولة العثمانية لم تكن تدعم هذا الجانب.

ولم تقتصر الكتاتيب على المسلمين فقط بل كان هناك كتاتيب خاصة بالأقليات ولاسيما المسيحيين، فكانت مدارسهم الدينية في الكنائس والأديرة وإنَّ من يقوم بالتعليم هم القساوسة والرهبان وغالباً ما تدرس دروسهم باللغة العربية أو الكلدانية^(١). لذلك أخذت الدولة ومنذ منتصف القرن الثامن عشر تشهد محاولات عديدة لإصلاح نظامها ومؤسساتها الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وفق النظم والأساليب الغربية وكان للتعليم حصة من تلك الإصلاحات.

بدأ بعض السلاطين ورجال السياسة والمثقفين من الذين تأثروا بالحضارة الغربية، يبحثون عن الحلول الناجعة لإيقاف حالة التدهور الذي أصاب

(١) سليمان الصايغ، تاريخ الموصل: ج ١، القاهرة، ١٩٣٢، ص ٣٢٧.

الدولة وإعادة حيويتها. ونتج عن ذلك حركة لإصلاح نظام الحكم والإدارة منذ عام ١٨٣٩م سميت بالتنظيمات، كان الهدف منها إعادة ترتيب ومنهجية النظم والمؤسسات العثمانية في كافة الأصعدة لمواكبة التطور الذي شهدته الدول الغربية^(١).

إلا أن دعاة الإصلاح انقسموا إلى فريقين، رأى الأول أن العلاج يكمن في تطبيق الأنظمة الإسلامية والتقاليد العثمانية الأصيلة، أمّا الآخر فكانت نظرتة أبعد إذ ارتأى أن الإصلاح يكمن في اقتباس النظم الأوروبية وتطبيقها في الدولة العثمانية وولاياتها. لذلك، شهدت الولايات العربية عامة والعراق خاصة تطوراً ملموساً في مجال التعليم بعد حركة الإصلاح^(٢).

ارتبط تطور التعليم في العراق بعملية التطور والإصلاح في الدولة العثمانية، وإن اختلف من الناحية النوعية والزمنية عن الإصلاح في مركز الدولة العثمانية. إلا أن وجود بعض القادة المصلحين ساعد في إحداث تغيير في الجانب التعليمي، بعد أن كان العراق يعاني من حالة العدم في هذا الجانب. ولكن بعد أن تبنت الدولة خطة الإصلاح أصدر السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١) فرماناً إصلاحياً سنة ١٨٣٩ أطلق عليه (خطي شريف كلخانة)، وآخر سنة ١٨٥٦ أطلق عليه (خطي شريف همايون) اللذان تضمّنا عدّة جوانب إصلاحية في هيكل الدولة العثمانية، ولاسيما التعليم لكافة شرائح المجتمع على اختلاف مذاهبهم وديانتهم.

(١) إبراهيم خليل أحمد، تاريخ السيطرة العثمانية على أقطار الوطن العربي: مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٢، ص ١٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٥.

إذ أكدا على قبول الطلبة غير المسلمين من رعايا الدولة العثمانية في المدارس الرسمية وإعطاء الأقليات غير المسلمة الحق في إنشاء مدارس خاصة بهم، على أن تكون تحت إشراف مجالس المعارف^(١).

على أثر ذلك، شكلت في عام ١٨٤٥ لجنة سباعية ضمت أبرز الشخصيات العلمية، كلفت بدراسة واقع المدارس وتقديم التوصيات اللازمة للنهوض بالجانب التعليمي. وفي عام ١٨٤٦ أصدرت حكومة الباب العالي تعليمات لإجراء إصلاح شامل في الحركة التعليمية، كما حثت على إيجاد مؤسسات تربوية حديثة في ولايات الدولة العثمانية كافة، وكان لتأسيس مجلس المعارف^(٢) في إسطنبول في السنة ذاتها، دور في متابعة حركة التعليم، فضلاً عن تأسيس إدارات للمعارف في الولايات لتنظيم شؤون التعليم والإشراف عليه^(٣).

على الرغم من كل تلك القوانين الإصلاحية في المجال التعليمي، إلا أنها لم تلقَ بظلالها بشكل واضح على الساحة العراقية، إلا في زمن الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢)، الذي قام بالعديد من الإصلاحات العامة في المجالات كافة ولاسيما مجال التعليم. فقد أسس أول مدرسة رشيدية عسكرية في بغداد عام ١٨٦٩.

(١) سليمان سليم الطراونة، دور السلطان عبد الحميد الثاني في مواجهة الهجرة اليهودية والمخططات الصهيونية تجاه فلسطين، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ٢٠٠٢، ص ٦-٧.

(٢) كان هذا المجلس يرأسه مدير ويعاونه مساعدان مع أربعة مشرفين وعشرة أعضاء ينتمون إلى ديانات مختلفة، فضلاً عن كاتب وأمين صندوق ومحاسب للمزيد. ينظر: عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٨٠.

(٣) سيار كوكب جميل، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦: الموصل، ١٩٩١، ص ٣٦٧.

وكان لصدور قانون المعارف في العشرين من أيلول عام ١٨٦٩، الذي وضع حجر الأساس للنظام التعليمي في ولايات الدولة العثمانية، ولاسيما ولايات المشرق العربي، إذ عاجلت مواد هذا القانون البالغة مائة وثمانٍ وتسعين مادة مختلف الجوانب التعليمية، لا سيما المادتين الثامنة عشرة والسابعة والعشرين التي نصت على تأسيس مدارس رشيدية للبنين والبنات خاصة بالمسيحيين وغيرهم من الأقليات الدينية حسب كثافة سكان المناطق.

كما أنّ قانون المعارف قسّم المدارس الحكومية إلى خمسة أقسام: الابتدائية، الرشيدية (المتوسطة)، الإعدادية، السلطانية (الثانوية)، والعالية^(١). وبعد خمس سنوات أصدر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩)، الدستور العثماني الذي أفرد بعضاً من مواده لجانب التعليم، إذ اشترطت المادة الرابعة عشرة بعد المائة أن يكون التعليم إلزامياً للمشمولين بسنّ التعليم^(٢). وهكذا أدى التوسع في تأسيس المدارس الحكومية الحديثة، ومدارس الإرساليات التبشيرية إلى انتشار التعليم الحديث في الولايات العربية.

المبحث الثاني

المدارس الأهلية الخاصة بالمسيحيين

بعد الإصلاحات التي شهدتها الجانب التعليمي لا سيما فيما يخص الأقليات عامّة والطائفة المسيحية خاصة، فقد أخذوا ببناء المدارس الخاصة بهم والتي

(١) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧: بغداد، ١٩٥٩، ص ٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

يمكن القول أنَّها نهضت في تطوير العملية التعليمية في العراق، على الرغم من أنَّ هناك تحفظاً على مواردها المالية التي كانت تأتي من خارج البلاد إلاَّ أنَّه لا يمكن إنكار إسهاماتها في العملية التعليمية، إذ عملت على خدمة التراث العربي واللغة العربية، إذ كانت حلقة وصل مع الحضارة الغربية الحديثة^(١). ومن تلك المدارس:

١ - مدرسة اللاتين: التي أسَّسها القنصل الفرنسي عمانويل الكرمل، عام ١٨٢٨ في بغداد، اشتملت الدراسة فيها على ثلاث مراحل: الابتدائية، الرشيدية، والإعدادية، وبلغ عدد طلابها حوالي (٣٠٠) طالب. كان الأب أنستانس ماري الكرمل^(٢) أبرز معلميه وتولَّى إدارتها في عام ١٨٩٧. أمَّا منهاجها الدراسي تضمن اللغة العربية، الفرنسية، التركية، والإنكليزية، فضلاً عن الحساب والهندسة. ولم تقتصر على المسيحيين فقط، بل درس فيها المسلمون أيضاً، واستمرت في التدريس حتى عام ١٩١٤^(٣).

(١) إبراهيم خليل أحمد، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢: مطبعة جامعة البصرة، ص ٥٧.

(٢) الأب أنستانس الكرمل (١٨٦٦-١٩٤٧): ولد ونشأ في بغداد وتلقى تعليمه الابتدائي فيها بمدرسة الآباء الكرمليين، وبعد ذلك انتقل إلى مدرسة الاتفاق الكاثوليكي، التي تخرج منها سنة ١٨٨٢، وبدأ حياته معلماً في مدرسته الأولى. وفي عام ١٨٨٦ سافر إلى بيروت وعمل مدرساً بكلية الآباء اليسوعيين، وفي الوقت ذاته أكمل دراسته في تعلم العربية واللاتينية واليونانية فضلاً عن الفرنسية. وسافر إلى بلجيكا لإكمال دراسته ثم عاد إلى العراق ليتولَّى إدارة مدرسة الآباء الكرمليين. وضع كتباً مهمة وأبحاثاً جديدة عن اللغة العربية. كما ساهم في عملية التعريب، وأصدر مجلتيْن وجريدة. وتميزت مجلَّة لغة العرب التي أصدرها في عام ١٩١١، بأبحاثها الأدبية والتاريخية. للمزيد ينظر: إبراهيم عبد الغني الدروبي، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد ١٩٨٥، ص ٢٠٥.

(٣) بيير دي فوسيل، الحياة في العراق منذ قرن (١٨١٤-١٩١٤): ترجمة أكرم فاضل، بغداد،

٢- مدرسة الدومنيكان الابتدائية: تأسست عام ١٨٥٤ في مدينة الموصل، وأخذت بالتوسع حتى أصبح عدد طلابها في عام ١٨٧٥، ما يقارب المائة وعشرين طالباً.

٣- مدرسة الاتفاق الشرقي الكاثوليكي: تأسست هذه المدرسة من قبل الطوائف المسيحية الكاثوليكية في بغداد عام ١٨٧٨، تضمّن منهجها الدراسي مبادئ الدين، اللغة العربية، الفرنسية، والتركية، فضلاً عن الحساب والجغرافية. كانت مدة دراستها أربع سنوات.

٤- في عام ١٨٩٨: أنشأت طائفة المسيح البروتستانت مدرستين واحدة للبنين، والثانية للبنات^(١). كان يلاحظ على الطائفة المسيحية اهتمامهم بمدارس البنات، لذلك كان هناك إقبال واسع لانضمامهم إلى تلك المدارس، وهذا ما شجع الآباء الدومنيكان إنشاء مدرسة في مدينة الموصل عام ١٨٧٣، خاصة للبنات أطلقوا عليها اسم (مدرسة أخوات المحبة). كما أنشأ الآباء الكرملين عام ١٨٩٤ مدرسة ابتدائية مختلطة، ومدرسة أخرى خاصة بالبنات اليتيمات عام ١٩٠٢ كان الكادر التدريسي فيها من الراهبات، أمّا منهجها الدراسي، تضمن اللغات الثلاث: العربية، الفرنسية، والتركية، هذا فضلاً عن التاريخ والجغرافية والعلوم الطبيعية^(٢).

مما تقدّم يمكن أن نلاحظ أنّ المنهاج الدراسي للمدارس الخاصّة بالطائفة

١٩٦٨، ص ١٤٥.

(١) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم: ص ٢٠١.

(٢) رافائيل بطي، تاريخ نصارى العراق: بغداد، ١٩٤٨، ص ١٤٤.

المسيحية، كان لا يخلو من تدريس اللغة العربية كمادة أساسية.

المبحث الثالث

تأثير المدارس المسيحية على التعليم في العراق

على الرغم من التطور النسبي الذي شهده الجانب التعليمي في ظلّ الإصلاحات العثمانية، إلّا أنّه حتى قبل الثورة الدستورية عام ١٩٠٨، لم يخرج من نمطه الديني لاسيّما أنّ سياسة الحكومة العثمانية كانت لا تشجع على تكوين نخبة مثقفة قادرة على رفع المستوى الفكري في العراق، هذا فضلاً عن أنّ الدعم المادي الذي يقدمه الولاة العثمانيون يسمح لهم بالتدخل في شؤون وسياسة التعليم. فهم من كانوا يقررون مفردات المناهج والكتب في المدارس، فضلاً عن تعيين المدرّاء والمعلمين، وهذا يدل على فلسفة الحكومة العثمانية التي أرادت إذابة كينونة المجتمع بواسطة فرض التعليم المركزي، ومما يدل على ذلك أنّ منهاج اللغة العربية كان يدرس باللغة التركية^(١). وازداد الأمر بعد قيام جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٩، بفرض سياسة تعليمية في العراق تعتمد على إذابة جميع الفروق (الدينية، الاثنية، والقومية)، لإعداد شباب متعلم مؤمن بالعثمانية الاتحادية، وهذا ما ذكره الهلالي: «حتى نجازف ونقول إنّ السياسة التعليمية العثمانية، تعنى بتخرج جماعات تكاد تكون منفصلة عن المجتمع سواء هذه الفئة ممتازة بعقليتها أم لم تكن فالثابت أنّه لم يكن لهذه المدارس حظ كبير في تثقيف المجتمع ذلك لأنّ الاتصال لم يكن وثيقاً بين العلم الذي يلقي وبين

(١) سليمان فيضي، مذكرات تحقيق وتقديم باسل سليمان، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٧٣.

سواد الناس»^(١).

بسبب هذه السياسة التعليمية اضطر أهالي الطلبة إلى إرسال أبنائهم إلى المدارس غير الحكومية لاسيما المدارس الخاصة بالطائفة المسيحية؛ لأنّها كانت تتبع طرق وأساليب جديدة في التدريس، فإنّها كانت تهتم بتعليم اللغات الأجنبية كالإنكليزية والفرنسية^(٢). في الوقت الذي بقت فيه المدارس الرسمية تعتمد على فلسفة دعم السلطة. لذلك، أثمرت المدارس التبشيرية في خلق نخبة مثقفة من العراقيين كان لهم دور في تاريخ العراق السياسي منهم على سبيل المثال لا الحصر مؤسس الحزب الشيوعي يوسف سلمان^(٣).

(١) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم، ص ١٢٢.

(٢) جميل موسى النجار، التعليم في العهد العثماني الأخير ١٨٦٩-١٩١٨: بغداد، ٢٠٠٢، ص ٢١٧.

(٣) يوسف سلمان (١٩٠١-١٩٤٩): هو أحد أوّل الناشطين السياسيين في العراق كما يعتبر من المؤسسين للحزب الشيوعي في العراق، عرف بالاسم الحركي (فهد). ولد في الموصل لعائلة مسيحية وعندما أتم السابعة من عمره انتقل مع عائلته إلى البصرة، وهناك دخل مدرسة السريان الابتدائية ثم مدرسة الرجاء العالي الأمريكية. وبسبب الوضع الاقتصادي لعائلته اضطر إلى ترك الدراسة ليعمل في معمل للثلج، ومن خلال عمله هذا تعرف على أحوال العمال وظروفهم المعيشية. انضم إلى الحزب الوطني الديمقراطي، ولكنه لم يشعر بفاعلية أساليب النضال التي كانت آنذاك. لذلك وبسبب إتقانه للعديد من اللغات ومنها الروسية، مكنته من تتبع الأحداث الدولية من خلال الصحف الأجنبية. آمن بالنظرية الماركسية فوجد فيها السلاح لمقاومة الظلم والاستغلال وتحقيق العدالة الاجتماعية. وفي غمرة كفاحه الوطني التقى بأمثاله من رواد الحركة الشيوعية في العراق وأسس أولى الخلايا الشيوعية في البصرة والناصرية عام ١٩٢٩ بين صفوف العمال والفلاحين، وكانت أولى الخلايا الماركسية التي تربط النظرية بالعمل وتساند الحزب الوطني العراقي الذي كان يترأسه محمد جعفر أبو الثمن. للمزيد ينظر: هاجر مهدي خاطر الندوي، (فهد) يوسف سلمان يوسف ودوره السياسي والفكري في العراق (١٩٤٩-١٩٠١): دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،

وبعد قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، واحتلال بريطانيا العراق، وتعرض معظم المباني المدرسية إلى التخريب لاسيما في مدينة البصرة، التي لم يسلم من مدارسها، إلا المدارس التبشيرية التي كانت تحت حمايتها. وهذا ما دفع معظم أهالي المدينة إلى إلحاق أبنائهم في المدارس التبشيرية، بعد أن وضعت السلطات البريطانية في الخامس عشر من شباط ١٩١٥ شؤون التعليم وإدارته تحت إشراف البعثات التبشيرية المسيحية البروتستانتية والتي كان هدفها من ذلك تحجيم النزعة الإسلامية، وكبح جماح الأهالي ضد المحتل، وهكذا ترسّمت السياسة التعليمية لبريطانيا في العراق. إذ اعتمدت من خلال سياستها هذه على أعداد دورات تدريبية سريعة لأعداد المعلمين الباحثين عن الوظائف، فضلاً عن خلق شريحة من المجتمع تساند المحتل^(١).

وبعد احتلال بغداد في الحادي عشر من آذار عام ١٩١٥، اتبعت السلطات المحتلة سياسة جديدة في التعليم، إذ اعتمدوا على نخبة عربية في التعليم وفتح دورات سريعة مدتها ثلاثة أشهر لإعداد معلمين، كما خصصوا للطلاب مبلغ مالي شهري، كنوع من الدافع للالتحاق بمدارسهم^(٢) بعد تأسيس دائرة المعارف العمومية عام ١٩١٨، برئاسة الرائد في الجيش البريطاني همفري بومن، وفي رئاسته شهدت السياسة التعليمية تطوراً ملحوظاً، لاسيما أنه قام بربط كل دوائر المعارف بالعراق بها لتكون دائرة متكاملة مسؤولة أمام الحاكم البريطاني

٢٠٠٧.

(١) فيليب ويلارد إيرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر الخياط، بيروت،

١٩٤٩، ص ٨٩.

(٢) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم، ص ٦٧.

آرنولد ولسن.

وبهذا أصبحت دائرة المعارف في بغداد شأنها شأن أي قطاع آخر كالجيش مثلاً، إذ إنَّ التسلسل الإداري في شؤون التعليم يبدأ من الحاكم العسكري في العراق إلى دائرة المعارف العمومية في بغداد والتي بدورها تتصل بالحكام السياسيين في المدن العراقية والذين بدورهم يتصلون بمدراء المدارس^(١) تمكن البريطانيون بواسطة السياسة التعليمية التي اعتمدها من ضمّ مسيحي الموصل، فعقدوا اتفاقية مع رؤساء الطوائف المسيحية عام ١٩١٩ أطلق عليها اتفاقية الكونكرداتو لمدة عام واحد فقط، نصّت على:

- ١- عدم نقل المعلمين إلّا بموافقة رؤساء الطوائف.
- ٢- لرؤساء الطوائف الحق في اختيار المقررات المدرسية.
- ٣- قيام رؤساء الطوائف بإدارة مدارسهم والإشراف عليها.
- ٤- تقرير المناهج التعليمية يتم بين نظارة المعارف ورؤساء الطوائف.
- ٥- تتولى نظارة المعارف الإنفاق على المدارس وصرف رواتب للمعلمين من ميزانية الحكومة^(٢).

وفي عام ١٩٢٠، جدّدت السلطات البريطانية اتفاقية كونكرداتو، بسبب تخوفها من كسب الفرنسيين ود مسيحيي الموصل، ولكن هذه المرة شملت في اتفاقها حتى اليهود ومنحتهم امتيازات. لذلك سارعت بريطانيا بعد إعلان انتدابها على العراق عام ١٩٢١، باتخاذ العديد من القرارات كان أهمها تشكيل حكومة مؤقتة في الخامس والعشرين من تشرين الأوّل عام ١٩٢١ برئاسة عبد

(١) هنري فوستر، تكوين العراق الحديث: ترجمة عبد المسيح جويده، بغداد، ١٩٤٦، ص ٤٠٤.

(٢) إبراهيم خليل أحمد، تطور التعليم: ص ١١٥.

الرحمن النقيب، والتي تكونت من ثماني وزارت كانت وزارة التعليم والصحة مدججة عرفت بـ (وزارة المعارف والصحة العمومية)، عملت على تحسين واقع التعليم وبناء المدارس لاسيما بعد التخريب الذي أصابها بعد ثورة ١٩٢٠ وقررت في السابع والعشرين من شباط ١٩٢١ الاستغناء عن الهنود العاملين في وزارة المعارف وإبعاد المستشار البريطاني، الذي قام بتحويل أغلب المخصصات المالية للوزارة إلى نظارة معارف الموصل، لبناء الأديرة والكنائس^(١).

إلا أن واقع التعليم تحسّن بشكل ملفت في العراق، بعد قيام العهد الملكي، بموجب قرارات مؤتمر القاهرة الذي عقد من ١٢-٢٣ آذار ١٩٢١، والذي كانت إحدى قراراته ترشيح الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق^(٢). إذ أصبحت وزارة المعارف وزارة مستقلة عن الصحة، تتكون من وزير ومستشار ومجلس معارف تمارس نشاطها بمركزية.

وعلى هذا الأساس مارس أول وزير للمعارف السيّد هبة الدين الشهرستاني (١٨٨٤-١٩٦٧) سياسة الانعتاق من الاستشارة البريطانية وإبعاد نفوذ المستشار البريطاني عن آلية عمل الوزارة. لذلك تعد وزارة المعارف من أولى الوزارات التي نقلت سلطتها إلى العراقيين، الذين رسموا سياسة تعليمية يغلب عليها الطابع العلماني، لاسيما بعد تعيين ساطح الحصري (١٨٧٩-١٩٦٨) مديراً عاماً للمعارف في السابع عشر من كانون الثاني ١٩٢٣^(٣).

(١) إبراهيم خليل أحمد، تطور التعليم: ص ١٢٣.

(٢) عبد المجيد كامل التكريتي، الملك فيصل ودوره السياسي في تأسيس الدولة العراقية الحديثة

(١٩٢١-١٩٣٢)، بغداد، ١٩١٩، ص ٩.

(٣) هنري فوستر، المصدر السابق: ص ٤٨٤.

حاول الملك فيصل الأوّل خلق موازنة تعليمية بين الطوائف المتعددة في العراق، ففي عام ١٩٢١ قام بإنشاء جامعة آل البيت عليه السلام، كما طلب من الأب إدموند فتح ثانوية برعاية الآباء اليسوعيين الأمريكيين، والتي عدت في مقدمة المدارس المنتظمة ويدرس فيها العلوم، ويشترك طلابها في الامتحانات الوزارية المتوسطة الإعدادية، وكانت خليط من المسيحيين والمسلمين، وتخرج منها من عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٥١، (٤٠١) طالباً من حملة الشهادة الإعدادية^(١).

وفي الثلاثين من تشرين الثاني ١٩٣٠، وضعت وزارة المعارف لجنة من الخبراء لتحسين وضع التعليم، وأوصت بضرورة اعتماد النهج الأمريكي في التعليم، وكان هذا الأمر من ترتيب البريطانيين الذين يريدون كسب طرف مؤثر في عصبة الأمم ليشهد على تحسن الأحوال الاجتماعية في العراق عند رفع التقرير الدوري الخاص بالعراق، وبالمقابل أراد الأمريكيون استغلاله بعد أن أصبح لهم حصة في نفط العراق، وبالتالي استغلال جميع الوسائل بغية ضمان مصالحها، ولا سيما التعليم؛ لأنّه الوسيلة الفعالة في خلق اتجاه من النخب المتعلمة تميل للولايات المتحدة الأمريكية، وجسّد هذا في الاتفاقية الخاصة بالتعليم بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في التاسع من كانون الثاني ١٩٣٠، التي استمرت بعمل البعثات العلمية إلى أمريكا وبعض الدول الأوروبية^(٢).

(١) عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق: ج ١، بغداد، ١٩٥٣، ص ٢١٨.

(٢) عبد الرزاق الهلالي، لمحات عن الدراسة العلمية في الخارج البعثات العلمية ما بين ١٩٢٢ -

١٩٣٢: مجلّة آفاق عربية، العدد (١)، ١٩٧٩، ص ٣٠.

المبحث الرابع

التأثير الثقافي والاجتماعي للطائفة المسيحية

في تاريخ العراق الحديث

كان للآباء الدومنيكان أثر كبير في الجانب الثقافي إذ أنشأت أول مطبعة في العراق على أيديهم، وأول ما طبعوا الكتاب المقدس الإنجيل بلغتين العربية والسريانية، بعد ذلك قاموا بترجمة العديد من الكتب الدينية المسيحية. ثم أنشأوا معهد لدراسة اللاهوت يسمح للقسيس الدراسة فيها وتكون شهادته مساوية لدرجة البكالوريوس^(١).

إنَّ علاقة هؤلاء الآباء مع الحكومة الفرنسية ساعدتهم في إثراء وتطوير الوضع الثقافي للطائفة المسيحية لاسيما في الموصل، مما مكّنهم من فتح الكثير من المدارس التي استمرت حتى عام ١٩٢١ بداية الحكم الملكي في العراق، والذي بدوره أخذ في إنشاء مدارس حكومية في كلّ المدن العراقية.

ولكن على الرغم من إنشاء تلك المدارس إلّا أنَّ الحكومة العراقية لم تمنع الطوائف الأخرى من إنشاء مدارسهم الخاصّة، كما أنَّها منحتهم حق الترشح في مجلس النواب ليكون لهم صوت في الحكومة، وفضلاً عن هذه كلّها كان لهم نصيب في الوظائف لاسيما لأولئك الذين يحملون شهادات عليا. وقد ذكر

(١) عبد الرزاق الهلالي، لمحات عن الدراسة العلمية في الخارج البعثات العلمية ما بين ١٩٢٢ - ١٩٣٢: مجلّة آفاق عربية، العدد (١)، ١٩٧٩، ص ٥٦.

سيار كوكب جميل، في كتابه (زعماء وأفندية) بعض الشخصيات المسيحية التي كانت لها الأثر الواضح في تاريخ العراق^(١).

بعد ذلك أخذت الحكومة في إنشاء مدارس متخصصة في شتى المجالات ومنها مدرسة الحقوق عام ١٩٠٨ والتي تخرج منها الكثير من الشخصيات العراقية والذي كان لهم أثر واضح في تاريخ العراق لاسيما المؤرخ عباس العزاوي وجورج جرجي وروفاثيل بطي الذي عُيِّن كأول وزير للإعلام في العراق في حكومة فاضل الجمالي (١٩٠٣-١٩٩٧) عام ١٩٥٦^(٢).

وفضلاً عن هذا كانت هناك فئة درست وتخرجت من الجامعات الأوربية والأمريكية ساهمت بشكل كبير في نهضة المجتمع العراقي، أمثال حنا خياط الذي تسنم وزارة الصحة في حكومة عبد الرحمن النقيب عام ١٩٢١. كما كان للأب أنستانس الكرمللي دور كبير في حقل التعليم لاسيما أنه كان أستاذاً في اللغة العربية، وأحد رموزها، وعرف عنه دفاعه عن القومية العربية، ولا ننسى أن نذكر الأستاذ متي عقراوي الذي أصبح أول رئيس لجامعة بغداد عام ١٩٥٩^(٣).

وهنا لا بد لنا من أن نذكر بعض الشخصيات التي كان لها تأثير كبير في المجال التربوي ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: كوركيس عواد الذي ألف ما

(١) سيار كوكب جميل، زعماء وأفندية الباشاوات العثمانيون والنهضويون العرب: بيروت، ١٩٩٩، ص ١٢٣.

(٢) إبراهيم خليل أحمد، تاريخ التعليم، ص ١٩٦.

(٣) المسيحيون العراقيون وفقرة تاريخية عند أدوارهم الوطنية والحضارية:

يقارب (٥١) كتاباً في تاريخ البلدان والبيوغرافيا، وبرز في تاريخ العراق القديم بشير فرنسيس الذي ترجم ملحمة كلكامش مع طه باقر ما بين عامي ١٩٤٩-١٩٥٠ وفؤاد سفر مؤلف كتاب مملكة الحضر والذي نُقِبَ في آثارها ودرس وترجم نحو ثلاثمائة من الكتابات المنقوشة باللغة الآرامية الحضرية على آثارها. أمّا الباحثان يوسف يعقوب مسكوني ويعقوب سركيس فقد اشتهرا في البلدانيتين وفي تحقيق بعض المخطوطات الأدبية العربية^(١). كان لكلّ هؤلاء الأثر الواضح في تاريخ التعليم في العراق فقد أنشأوا المدارس وألّفوا الكتب من أجل نهضة المجتمع.

الخاتمة:

تبين مما سبق أنّ السياسة التعليمية في العراق منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، كانت إمّا مشروعاً أهلياً أو مشتركاً بين المؤسّسات الدينية والأهلية، وإنّ معظم المناهج وأساليب التعليم كانت تقليدية. إلّا أنّ بعد قيام الدولة العثمانية بطرح برنامجها الإصلاحي شهد التعليم - لاسيما التعليم عند الطوائف المسيحية - تطوراً ملحوظاً؛ لأنّ بعد أن سمح لهم بإنشاء مدارسهم الخاصّة أصبحت تلك المدارس تمول من قبل الدول الغربية، وهذا ما سمح لهم بدراسة علوم متنوعة فضلاً عن العلوم الدينية التي كانوا يتلقونها في الكنائس.

وكان لمدارس الطوائف المسيحية دور مهم في استقبال الطلبة المسلمين

(١) الوجود المسيحي في العراق وأبرز رموزهم، مجلّة الشرق الأوسط، العدد (١٤٣٥٤)، ١٧

بعد أن تعرضت معظم المدارس الحكومية في أثناء الحرب العالمية الأولى إلى التخريب مما جعل الأهالي يلجأون لتعليم أولادهم في تلك المدارس، وبما أن تلك المدارس كانت لا تقتصر على التعليم الديني فقط كما هو الحال في معظم المدارس الحكومية طور هذا النهج الجديد المستوى التعليمي للطلبة المسلمين والمسيحيين.

وعلى الرغم من أن السياسة التعليمية في أثناء مرحلة الاحتلال البريطاني، تهدف إلى خلق جيل ينبذ الدولة العثمانية ويساعدهم في ترسيخ سلطتهم، إلا أن تلك المرحلة ساعدت وبشكل في تكوين طبقة مجتمعية ذات استعداد عقلي لتقبل جميع الفلسفات السياسية، لاسيما بعد اعتماد السلطات البريطانية على النهج الأمريكي في التعليم. رغم ما كانت تهدف له السلطات المحتلة إلا أن تلك السياسية سمحت لكثير من الطلبة العراقيين الالتحاق بالمدارس والجامعات الغربية عن طريق البعثات العلمية، وهذا ما فسخ المجال أمامهم لأخذ العلم من مصادر متقدمة علمياً.

قائمة المصادر:

- ١- إبراهيم خليل أحمد، تاريخ السيطرة العثمانية على أقطار الوطن العربي: مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٢.
- ٢- إبراهيم خليل أحمد، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢: مطبعة جامعة البصرة.
- ٣- إبراهيم عبد الغني الدروبي، البغداديون أخبارهم ومجالسهم: بغداد، ١٩٨٥.
- ٤- بير دي فوسيل، الحياة في العراق منذ قرن (١٨١٤-١٩١٤): ترجمة أكرم فاضل، بغداد، ١٩٦٨.
- ٥- جميل موسى النجار، التعليم في العهد العثماني الأخير ١٨٦٩-١٩١٨: بغداد، ٢٠٠٢.
- ٦- رافائيل بطي، تاريخ نصارى العراق: بغداد، ١٩٤٨.

- ٧- سليمان الصايغ، تاريخ الموصل: ج ١، القاهرة، ١٩٣٢.
- ٨- سليمان سليم الطراونة، دور السلطان عبد الحميد الثاني في مواجهة الهجرة اليهودية والمخططات الصهيونية تجاه فلسطين: أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ٢٠٠٢.
- ٩- سليمان فيضي، مذكرات: تحقيق وتقديم باسل سليمان، بيروت، ٢٠٠٠.
- ١٠- سيار كوكب جميل، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦: الموصل، ١٩٩١.
- ١١- عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧: بغداد، ١٩٥٩.
- ١٢- عبد الرزاق الهلالي، لمحات عن الدراسة العلمية في الخارج (البعثات العلمية ما بين ١٩٢٢-١٩٣٢)، مجلة آفاق عربية، العدد (١)، ١٩٧٩.
- ١٣- فيليب ويلارد إيرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي: ترجمة جعفر الخياط، بيروت، ١٩٤٩.
- ١٤- هاجر مهدي خاطر النداي، (فهد) يوسف سلمان يوسف ودوره السياسي والفكري في العراق (١٩٤٩-١٩٠١): دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٧.
- ١٥- هنري فوستر، تكوين العراق الحديث: ترجمة عبد المسيح جويده، بغداد، ١٩٤٦.

Abstract:

The Ottoman reformist organizations had a clear impact on the economic, social and cultural reality, because through these reforms I tried to follow the European development and progress, and it can be said that education although at the beginning he did not take what it deserves of attention, except that after opening schools even if it is not At the required level in terms of number, it gave a great opportunity to study other sciences other than those that were taught in the cables. Also, these reforms

gave minorities their right to education and open their own schools, especially since these schools had material funding from Western countries, and they are studying all sciences. Therefore, it must have an impact on the Iraqi educational reality at the time. Despite the succession of governments.

المدارس المسيحية في العراق ١٩٢١ - ١٩٥٨

ثانوية راهبات التقدمة أنموذجاً

(دراسة تاريخية)

م. د. قصي محمود راضي

الملخص:

تعد ثانوية راهبات التقدمة من المدارس الحضارية والتربوية في تاريخ العراق المعاصر وفي بغداد تحديداً، كونها تأسست على يد نخبة من الراهبات المسيحيات وبدعم من الملك فيصل الأول، إذ أخذت مجموعة من الراهبات الفرنسيات على عاتقهن تأسيس تلك المدرسة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وتحرر العراق من السيطرة العثمانية. من جانب آخر كانت الراهبات ينتمين إلى جمعية خدمية اجتماعية دولية عريقة في تاريخها وهي (جمعية أخوات المحبة الومنيكيات لتقدمة العذراء القديسة) ومقرها في فرنسا، كما شكلت ثانوية راهبات التقدمة أهمية وأثر كبيرين في تاريخ العراق لما حققته من نتائج على مستوى التعليم النسوي في العراق، تناول المحور الأول جذور تأسيس المدرسة وتسميتها، وخصّص المحور الثاني لموضوعه بناية وتصميم المدرسة العمراني أمّا المحور الثالث فضم الواقع الإداري للمدرسة ونشاطاتها.

Abstract:

The (Sunnah Nuns) school is considered one of the civilized schools in the history of modern Iraq and in Baghdad in particular, as it was founded by an elite group of Christian nuns and with the support of King Faisal I. backward Ottoman control. On the other hand, the nuns belonged to a well-established international social service association, which is the (Association of the Sisters of Monkia Charity of the Presentation of the Blessed Virgin),

based in France. The Takdmah High School was also of great importance and impact in the history of Iraq due to the results it achieved on the level of women's education in Iraq. The first axis dealt with the roots of establishing and naming the school, and the second axis was devoted to the theme of the building and urban design of the school, while the third axis included the administrative reality of the school and its activities.

توطئة :

بالرغم من كتابة دراسة تاريخية عن المدارس المسيحية في العراق وتناولها مدرسة راهبات التقدم إلا أنَّها لم تتعمق بالتفاصيل لأثر تلك المدرسة وتاريخ تأسيسها كما أنَّها لم تركز على تفاصيل بنائها أو كوادرها التدريسية واختصاصاتهم وكذلك أنشطتها التربوية. لذلك جاء بحثنا ليكون أكثر تفصيلاً وتعمقاً في الكتابة عن مدرسة راهبات كدراسة تاريخية متخصصة.

يعود تأسيس المدارس الأجنبية المسيحية في ولاية بغداد إلى النصف الأوّل من القرن السابع عشر من قبل الإرساليات التبشيرية الأوربية التي وصلت إلى الدولة العثمانية، ويأتي في طليعتها الإرساليات الفرنسية الكاثوليكية في بغداد^(١). علماً أنَّ المدارس الحديثة في العراق لم تنشأ إلا في الربع الأوّل من القرن الثامن

(١) الأب لويس شيخو اليسوعي، رسولا الخير العام في مدينة السلام، مجلّة المشرق، آباء كلية القديس يوسف، السنة ١٥، العدد ٣، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، آذار

عشر من قبل البعثات التبشيرية خصوصاً الآباء الكرمليين والدومنيكيان^(١).

وفي الواقع، تأسست في العراق مدارس مسيحية عدّة وكان أكثرها في الموصل، إذ بلغ عدد تلك المدارس داخل العراق في القرن العشرين سبع عشرة مدرسة مسيحية موزعة بين الذكور والإناث وعلى الشكل التالي:

- ثلاث مدارس لطائفة السريان الكاثوليك.

- وثلاثة للكلدان.

- واثنتين للسريان القدماء.

أمّا عدد المدارس المسيحية للبنات فهي:

- ثلاث للكلدان.

- واثنتان للسريان الكاثوليك.

- واثنتان للسريان القدماء.

علماً أنّ تلك المدارس كانت تابعة في إدارتها وتنظيماتها إلى الطائفة نفسها^(٢)، غير أنّ رواتب المعلمين ومصرفات المدرسة تدفعها الحكومة العراقية بموجب نظام الكوندراتو^(٣).

(١) بهنام فضيل عفاص، أقليمس يوسف داود رائد من رواد الفكر في العراق ١٨٢٩-١٨٩٠ (دراسة تحليلية)، مطبعة الأديب البغدادية بغداد ١٩٨٥، ص ١١.

(٢) رزوق عيسى، المدرسة السريانية الإفرامية الأهلية، نشرة الأحد (مجلة)، ج ٤، السنة ١٣، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد ١٨ شباط ١٩٣٤، ص ١٨٩. عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧، المطبعة الأهلية، بغداد، ١٩٥٩، ص ١٩٥. فيصل محمّد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ١٨١٨-١٩١٤، مطبعة الجمهورية، الموصل، ١٩٧٥، ص ١٢٩.

(٣) الكوندراتو: نظام تم تطبيقه بين بريطانيا ورؤساء الطوائف الدينية المسيحية وكان الكثيرون وعلى رأسهم وكيل بطريركية السريان الكاثوليك يسمون الاتفاقية المذكورة بهذا الاسم.

بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة كان من الطبيعي أن تنظّم الحكومة العراقية المدارس الأهلية في إطار قانوني، فوضعت بذلك الشأن القوانين والأنظمة الخاصّة بها وفرضت تعليمات جديدة على المدارس الأهلية، فأصبحت كلّ مدرسة ترغب بالحصول على المنح المالية من الحكومة يجب عليها اتباع تعليمات وأنظمة وزارة المعارف^(١). تستمد المدارس الأهلية ماليّتها من العراقيين أو من العراقيين والحكومة، ولا يجوز لها قبول إعانات من مصادر أجنبية إلّا بموافقة وزارة المعارف آنذاك.

أمّا الإشراف عليها فيتم من هيئات رسمية لوزارة المعارف وتشرط الوزارة لغرض تأسيس أية مدرسة أهلية أو أجنبية الحصول مقدماً على إجازة خطية من الوزارة، وتأمين من وزارة المعارف لتنفيذ المتطلبات من قبل المدارس الأهلية، فقد ألزمتهم باستخدام المعلمين الذين تعينهم أو تعيرهم وزارة المعارف لتدريس مادة التاريخ والجغرافية واللغة العربية والدروس الوطنية وحسب منهج الوزارة، على أن تدفع المدارس رواتبهم، أمّا مديروها ومعلموها الآخرون فلا يتم تعينهم إلّا بموافقة وزارة المعارف، كما خضعت الامتحانات في المدارس الأهلية إلى أنظمة الوزارة أيضاً للحصول على اعتراف وزارة المعارف بشهادة خريجها.

ولوزارة المعارف أيضاً أن تمنح منحة مالية للمدارس الأهلية حسب الزيادة في أعداد الطلبة وعدد الصفوف ومستوى التدريس وأعداد المعلمين، فضلاً

ينظر: عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب البريطاني ١٩٢١ -

١٩٣٢، ط١، بغداد ٢٠٠٠، ص ٤٠-٤١.

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٤٠-٤٢.

عن نسبة الاشتراك والنجاح في الامتحانات العامة. جدير بالذكر أن ذلك القانون ظلّ معمولاً به حتى عام ١٩٥٨م^(١).

اعتمد الباحث على مجموعة من المصادر وأبرزها الوثائق العراقية غير المنشورة مثل ملفات البلاط الملكي ومقررات مجلس الوزراء وملفات وزارة المعارف، كما اعتمدنا على السجلات الحكومية ومنها التقارير السنوية التي تصدر عن وزارة المعارف، فضلاً عن المقابلات الشخصية لبعض الشخصيات الذين درسوا في تلك المدرسة، وأخيراً وليس آخراً الموقع الإلكتروني الخاص بالوقف المسيحي.

المحور الأول: التأسيس والتسمية

١ - تأسيسها:

ترجع جذور تأسيس (ثانوية راهبات التقدم) إلى عام ١٩٢٠، إذ يذكر البعض أن مجموعة من الراهبات الكاثوليكيات الفرنسيات المنتهات إلى (جمعية أخوات المحبة الدومنيكيات لتقدمة العذراء القديسة)^(٢) قدمن إلى العراق

(١) وزارة المعارف، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٢٥-١٩٢٩، مطبعة دار السلام بغداد ١٩٢٦، ص ١٨-٢١. الجمهورية العراقية وزارة التخطيط، مديرية الإحصاء العامة التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٥٧-١٩٥٨ مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٥٩، ص ٨٦.

(٢) انتشرت تلك الجمعية في بلدان العالم وهي مجازة من الكنيسة الكاثوليكية، وكان تأسيسها لأول مرة عام ١٦٩٦ في فرنسا على يد الراهبة الفرنسية ماري بوسبان (Poussepin) التي حصلت على أول قرار لتأسيسها من الملك الفرنسي لويس الخامس عشر عام ١٧٢٤، ولها مهمتان: روحية وإنسانية، وضمت فرعين: رجالي ونسائي، كان أول وجود للجمعية في

للعمل مجاناً، وهنالك من يذكر أنَّهنَّ جئنَ لمساعدة العراقيين بعد نهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، وهنالك من يذكر أنَّهنَّ جئنَ لمساعدة العراق في مكافحة مرض الطاعون الذي كان منتشرًا في بغداد حينها، وبعد أن انتهت مهمتهنَّ قررت الراهبات البقاء في العراق، وبما أنَّه لم يكن لهن مأوى للسكن والاستقرار فيه قاموا بتقديم طلب إلى الملك فيصل الأوَّل لتخصيص قطعة

العراق داخل الموصل عام ١٨٧٣. وفي عام ١٨٨٠ فتحت الجمعية فرعاً لها في بغداد. كان التأسيس الأوَّل الذي حول الجمعية من فرع الجمعية أجنبية إلى جمعية عراقية هو القرار الذي صدر بموجب قانون تأليف الجمعيات من وزارة الداخلية العراقية بكتابها المرقم (١١٩٦٣) في ١٩٣١/٩/٢ باسم (أخوية أخوات المحبة الدومنيكيات لتقدمة العذراء القديسة). وتجدد التأسيس في ١٩٥٤/١٢/١ تحت رقم (١٧٤٦١) بموجب مرسوم الجمعيات رقم ١٩ لسنة ١٩٥٤ وقرار التأسيس الصادر من وزارة الداخلية العراقية باسم (جمعية أخوية أخوات المحبة الدومنيكان لتقدمة العذراء القديسة). وفي العام ١٩٦٠ تجدد تأسيسها وفق قانون الجمعيات رقم (١) لسنة ١٩٦٠، وفي ١٩٦٣/٥/١١ وتحت رقم (٢٣٣١) منحها مجلس الوزراء صفة (جمعية ذات نفع عام). وفي ١٩٧١/١/٣٠ وتحت رقم م ح / ٢٤٣ تم تصحيح اسم الجمعية ليستقر كما هو اسمها الحالي (جمعية أخوات المحبة الدومنيكيات لتقدمة العذراء القديسة) وأخيراً وبسبب صدور قانون المنظمات غير الحكومية رقم (١٢) لسنة ٢٠١٠ فقد تجدد تأسيسها ومنحت شهادة التسجيل برقم (١١٧٧٢٥٨) وتم تعديل نظامها الداخلي في ضوء هذا القانون، وهي مرتبطة حالياً بدائرة المنظمات غير الحكومية التابعة لمجلس الوزراء حسب ما نص عليه القانون المذكور. أمّا من الناحية الكنسية وباعتبارها رهبنة نسائية فهي تتبع كنيسة اللاتين في العراق، قامت الجمعية بتأسيس أوَّل مدرسة تابعة لها هي المدرسة المركزية ثم تبعها المدارس الأخرى. ينظر: د. ك. و. وملفات وزارة الداخلية، الأذن بتأسيس الجمعية، العدد ١١٩٦٣، ٣ أيلول ١٩٢١، و٢٦ ص ٣٠. الفكر المسيحي، (مجلة)، راهبات التقدمة، العددان ٢١٨-٢١٩، مطبعة الرشيد، بغداد، السنة ٢٢، ت ١ وت ٢، ١٩٨٦، ص ٣٨٤. فائز عزيز أسعد، جمعية أخوات المحبة الدومنيكيات لتقدمة العذراء القديسة التأسيس والنشاط، الموقع الرسمي للبطريركية الكلدانية، ٢١ آب ٢٠١٨.

أرض لهنّ لبنائها دير للراهبات. فاستجاب الملك فيصل الأوّل وقرر إعطائهن قطعة أرض تكريماً لجهودهنّ في العراق إبّان مرض الطاعون وكان موقع قطعة الأرض تلك في مدينة بغداد على جانب الرصافة، وبالقرب من ضفاف نهر دجلة مقابل (ساحة التحرير) حالياً. ويذكر أنّ تلك الأرض كانت عبارة عن مرعى للجواميس والماشية آنذاك^(١).

أمّا الرأي الثالث فيذكر أنّه في عام ١٩٢٠ عرضت مجموعة من الراهبات الفرنسيات على الملك فيصل الأوّل مشروع بناء دير من قبل جمعية أخوات المحبة فوافق الملك على الفور، وبما أنّ الأرض كانت ملكاً للحاج عبد الرحمن الأورفلي^(٢)، فقد تبرع بإهداء قطعة من أرض بستانه للجمعية^(٣) فتم بناء الدير

(١) يبدو أنّ اختيار المكان لم يكن مصادفة إنّما كانت له جذور تاريخية ودينية خاصة بـ (جمعية أخوات المحبة) إذ يذكر ياقوت الحموي، في كتابه معجم البلدان أنّ ذلك المكان كان ديراً في العصر العباسي يسمّى (دير الزندورد) وكان يشغل مكان ساحة التحرير ومحيطها حالياً، وقد ازدهر ذلك المكان ليصبح ملتقى لثقافة الأديان وملتقى لأهل بغداد خصوصاً أيام الأعياد. وكانت تحيط بالدير مزارع عامرة بالكروم (الأعناب) حتى أنشد الشاعر أبو نؤاس قصيدة مطلعها:

واسقني من كروم الزندورد ضحى
مساء العناقيد في ظلّ العناقيد
إلا أنّ ذلك الدير اندثر فيما بعد نتيجة الفيضانات لنهر دجلة والإهمال. ينظر: ديوان أوقاف الديانات المسيحية والأيزيدية والصابئة المندائية قسم تكنولوجيا المعلومات، ٨ آب ٢٠١٨، على الموقع الإلكتروني: <https://www.cese.iq/index.html>

(٢) مقابلة شخصية مع الدكتورة نجلة بيرسي بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ٢٠١١، وهي إحدى طالبات المدرسة التي تخرجت منها في أربعينيات القرن الماضي وهي تدير مقر الجمعية المسيحية التابعة لها بناية المدرسة؛ مقابلة شخصية مع مديرة مدرسة ثانوية العقيدة للبنات عبير محمد. بتاريخ ١٤ تشرين الثاني ٢٠١١.

(٣) عبد الرحمن الأورفلي: ولد عام ١٨٢٤، وهو من الملاكين العراقيين وقام في عام ١٨٨٢ بشراء أرض في منطقة السعدون وتمتد حتى ساحة التحرير حالياً في الباب الشرقي وقام

على غرار دير آخر تم بناؤه عام ١٨٨٧، في عكد النصارى في (الشورجة حالياً). وأطلق على الدير اسم (دير راهبات التقدمة) والذي تم بناؤه بجهود الجمعية التي تعنى بالأمور الصحية والثقافية والتربوية لعموم الناس دون التمييز بينهم على أساس الدين أو المذهب أو الطائفة^(١).

مهما يكن من أمر، قامت تلك الراهبات ببناء الدير منذ عام ١٩٢٠، من قبل إحدى الشركات الفرنسية، وكانت الماسيرة جوزيف مكلفة من الجمعية بمتابعة البناء، وكان الدير في بادئ الأمر مكوناً من سرداب وبنائتين ذات طابق الأولى للدير والثانية للميتيم، أمّا السرداب فكان لمعيشة الراهبات وسكناهم ثم تحول السرداب إلى مسرح للطالبات بعد إضافة أبنية جديدة آنذاك، وقد أطلق على الدير اسم دير راهبات التقدمة الذي تم بناؤه بجهود الجمعية^(٢).

ولم تتوقف الجمعية والراهبات عن الاستمرار في إضافة الأبنية متى ما توفرت لهم الأموال اللازمة حتى تمكن من إنهاء البناية الأولى وافتتاح المدرسة باسم مدرسة راهبات التقدمة عام ١٩٢٥، وكانت تقتصر على قسمين: الروضة

بزرعها بالأشجار والنخيل والحمضيات وعرفت لاحقاً بستان الأورفلي والذي قسّمه فيما بعد أحفاده إلى مناطق سكنية توفي عام ١٩٤٤. ينظر: بيت الأورفلي ملاك بساتين مدينة شهربان، مجلة شهربان (إلكترونية)، ١٦ أيار ٢٠٢١. جريدة النّآخي، بغداد، ٢٧ آب ٢٠٢٢.

(١) مقابلة شخصية مع الدكتورة نجلة بيرسي بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ٢٠١١. وهي إحدى طالبات المدرسة التي تخرجت منها في أربعينيات القرن الماضي، وهي تدير مقر الجمعية المسيحية التابعة لها بناية المدرسة.

(٢) من المدونة الخاصّة بالباحث إبراهيم بن حاتم الأفندي التي نشرت بتاريخ ١٥ تشرين الأوّل ٢٠٢٠.

والدراسة الابتدائية^(١).

لا بأس في أن نشير إلى أن وثيقة صادرة من وزارة المعارف تذكر أن تاريخ تأسيس مدرسة الراهبات كان عام ١٩٢١، إلا أن الاعتراف بها كمدرسة وممارستها عملها من قبل الراهبات كان عام ١٩٢٥^(٢).

على أية حال، بعد النجاح الذي حققته المدرسة ووجود وفرة مالية لدى الجمعية أضيفت إليها مرحلتان: المتوسط والإعدادي، وأصبحت ثانوية متكاملة ضمت المراحل الدراسية كافة في ٤ تشرين الأول ١٩٢٨^(٣) وعرفت باسم (ثانوية راهبات التقدمة)^(٤).

٢ - تسميتها:

يعود سبب تسمية المدرسة بـ (راهبات التقدمة) إلى أن المؤسسين لهذه المدرسة هم مجموعة من الراهبات المسيحيات وتحديدًا الراهبات الفرنسيات، إذ كانت الراهبات ينتمين إلى جمعية خاصّة اسمها (جمعية أخوات إخوان

(١) ديوان أوقاف الديانات المسيحية والأيزيدية والصابئة المندائية قسم تكنولوجيا المعلومات ٨

آب ٢٠١٨. على الموقع الإلكتروني: <https://www.cese.iq/index.html>

(٢) -- دار الكتب والوثائق الوطنية الوحدة الوثائقية، رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠ ملفات وزارة المعارف - الديوان، التقرير المدرسي عن ثانوية راهبات التقدمة، ٢٦ أيار ١٩٥٤، و١٢٩ ص ١٧٠. من الجدير بالذكر أنه سيرمز لدار الكتب والوثائق الوطنية بالرمز (د. ك. و. و.).

(٣) د. ك. و. و. رقم الملف ٦٢٠، تسلسل ٣٢١٢٠. وزارة المعارف الديوان ١٩٤٠-١٩٥٩، و١٢٦ ص ١٧٢. العراق (جريدة)، العدد ١٤٢٢، ٨ كانون الثاني ١٩٢٥ و١٢٩ ص ١٧٧.

(٤) د. ك. و. و.، رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠. ملفات وزارة المعارف - الديوان التقرير المدرسي عن ثانوية راهبات التقدمة، ٢٦ أيار ١٩٥٤، و١٢٩ ص ١٧٠.

المحبة الدومنيكان لتقدمة عذراء القديسة^(١)، وكان شعار تلك الجمعية هو (D+S)^(٢)، وقد أطلق على الدير الذي شُيِّد أوَّل الأمر اسم (دير راهبات التقدمة)، ثم تحول اسمها بعد تحول الدير إلى مدرسة وتحديدًا في عام ١٩٢٥، تحت اسم (مدرسة راهبات التقدمة) وفي عام ١٩٢٨ إلى (ثانوية راهبات التقدمة)، وظلَّ هكذا حتى قرار التأميم عام ١٩٧٤ ليتغير بعد ذلك اسمها إلى (ثانوية العقيدة للبنات)، حتى يومنا هذا^(٣).

المحور الثاني: بناؤها وتصميمها

تطل بناية ثانوية راهبات التقدمة على نهر دجلة في محلة رأس القرية في الباب الشرقي (ساحة التحرير حالياً)، تميزت بموقعها الجميل وسعة مساحتها وصفوفها الرحبة^(٤). وكان الدير في بادئ الأمر مكوناً من سرداب وبنائتين ذواقي طابق واحد لكلٍّ منهما، الأولى على الشارع المؤدي إلى جسر الجمهورية والثانية خلفها إذ أصبحت البناية الأولى للدير والثانية للميتم أمَّا السرداب فكان مشغولاً لمعيشة الراهبات وسكناهم، ثم تحول السرداب فيما بعد إلى

(١) د. ك. و. و، رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠، ملفات وزارة المعارف - الديوان، ثانوية راهبات التقدمة، و١٢٩ ص ١١٦٩.

(٢) المعلومة كذلك مدونة في السجل الخاص بإدارة مدرسة ثانوية العقيدة راهبات التقدمة للبنات المحفوظ في مكتبة المدرسة.

(٣) د. ك. و. و، رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠، وزارة المعارف، الديوان ١٩٤٠-١٩٥٩، و١٢٩ ص ١٧٢.

(٤) د. ك. و. و، رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠ ملفات وزارة المعارف - الديوان التقرير المدرسي عن ثانوية راهبات التقدمة، ٢٦ أيار ١٩٥٤، و١٢٦ ص ١٧٠؛ مقابلة شخصية مع الست عبير محمد مديرة مدرسة ثانوية العقيدة للبنات بتاريخ ١٤ تشرين الثاني ٢٠١١.

مسرح بعدما بنيت غرف المعيشة الراهبات في الطابق العلوي^(١). وخلال عام ١٩٢١، وبعد توفر الأموال اللازمة أضيف طابق ثانٍ للبناتين واستمر الحال في إضافة الأبنية الجديدة للمدرسة والتي اشتملت على روضة ومدرسة ابتدائية والثانوي المتوسط والإعدادي) فيما بعد كما ذكرنا سابقاً^(٢) تبلغ مساحة بناية الموقع تقريباً ٣٥٠٠ متر، وتلك المساحة فيها أكثر من مدرسة حالياً^(٣).

أمّا ثانوية راهبات التقدم فتحتوي بنايتها على (٢٠) صفّاً دراسياً و(٥) مختبرات في الوقت الحاضر، إضافة إلى المكتبة التي ضُمَّت بين رفوفها مجموعة من الكتب العلمية والأدبية غالبيتها باللغة الفرنسية، فضلاً عن الكتب المصنفة باللغتين العربية والإنكليزية، وكانت في متناول أيدي الطالبات وأعضاء الكادر التدريسي^(٤). يغلب على شكل البناء الطابع الكنسي ذو النكهة البغدادية. رغم

(١) د. ك. و. و، رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠، ملفات وزارة المعارف الديوان ثانوية راهبات التقدم، ٩ نيسان ١٩٥٣ و ١٧٥ ص ٢٣٧.

(٢) ديوان أوقاف الديانات المسيحية والأيزيدية والصابئة المندائية قسم تكنولوجيا المعلومات، ٨ آب ٢٠١٨، على الموقع الإلكتروني: <https://www.cese.iq>

(٣) ديوان أوقاف الديانات المسيحية والأيزيدية والصابئة المندائية قسم تكنولوجيا المعلومات، ٨ آب ٢٠١٨، على الموقع الإلكتروني: <https://www.cese.iq/index.html>

(٤) ظلت المدارس الأولى تعمل كمشاريع تعليمية من مشاريع جمعية راهبات التقدم الدومنيكية وتحت إدارتها حتى العام ١٩٧٤ حين أصدر مجلس قيادة الثورة العراقي قرار تأميم المدارس الأهلية والتعليم الأهلي فصودرت بناية الباب الشرقي (مدارس راهبات التقدم) بمحتوياتها وسجلت باسم وزارة المالية وألغيت مدارس الباب الشرقي التابعة للجمعية وتأسست مكانها مدارس حكومية للبنات تابعة لوزارة التربية وهي (روضة الشقائق ودجلة الابتدائية وثانوية العقيدة)، وفي العام ١٩٩٣ أصدر مجلس قيادة الثورة قراره رقم ٨١ في ٩ أيار ١٩٩٣ بإعادة ملكية العقارات التي كانت مستغلة كمدراس أهلية والتي فيها كنائس إلى مالكيها الأصليين فأعيدت من بينها ملكية عقار الباب الشرقي إلى جمعية أخوات المحبة الدومنيكيات لتقدمة العذراء القديسة، لكن المدارس الحكومية المذكورة ظلت تشغل البناية

أنَّ الشركة المنفذة والمخططة هي شركة فرنسية. إذ يتكون البناء من أقواس صغيرة تستند إلى أعمدة أسطوانية صغيرة القطر، يبرز في وسطها (الصليب) بأبسط أشكاله والبناء معمول بالأجر المعروف بالطابوق، والجص وهذا البناء هو للواجهة الأمامية للطابقين وخلفهما تأتي الصفوف الدراسية. والبناء مربع الشكل منقوص الضلع تتوسطه ساحة (حديقة) تستخدم لمختلف النشاطات الطلابية. ومن الملاحظ أنَّ سمك الجدران في عموم البنايات القديمة يقترب من نصف متر وفيه عدد من الروازين^(١) التي تستخدم للنشريات الجدارية أو للخرن. أمَّا ارتفاع السقف فهو في عموم البناية يربو على أربعة أمتار وهو معقود بالطابوق ومسّاح بحديد الشيلمان وخالٍ من أية نقوش^(٢).

من المفيد أن نذكر هنا أنَّ تقريراً صادراً من المفتش العام لوزارة المعارف عام ١٩٢٥، يصف فيه بعض المعلومات الخاصّة بالمدرسة إذ ذكر ما نصّه: «تأسّست ثانوية راهبات التقدم عام ١٩٢٥، في محلة الباب الشرقي والبناية

بصفتها مستأجرة من وزارة التربية وحتى الآن، وهذا يعني أنَّ روضة الشقائق ومدرسة محلة الابتدائية وثانوية العقيدة ليست تابعة للجمعية بل لوزارة التربية، وبالتالي هي ليست امتداداً لمدارس الراهبات الأولى. ينظر: فائز عزيز أسعد، جمعية أخوات المحبة الدومنيكيات لتقدمة العذراء القديسة التأسيس والنشاط الموقع الرسمي للبطيركية الكلدانية، ٢١ آب ٢٠١٨.

(١) د. ك. و. و، رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠، ملفات وزارة المعارف - الديوان التقرير المدرسي عن ثانوية راهبات التقدم، ١٥ آذار ١٩٥٧، و ٤٠ ص ٥٨.

(٢) رازونة: مفردة عراقية عربية عامية، وقاموسياً هي الكوة، أو الحنية، أو الروشن وهي شكل لمفردة بنائية غائرة داخل كتلة جدار مشيد في مبنى، وهي غالباً صماء غير نافذة، بتعبير آخر هي خرق في الجدار ثلثة فتحة نافذة للتهوية والإضاءة أو لتعليق الأوراق أو النشريات المدرسية. ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط: الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٤، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

فخمة وهي ملك صرف للطائفة وفيها أجنحة ثلاث، الميتم والروضة والقسم الابتدائي والثانوي، وتفصلها ساحات لعب وحدائق... ثم يبين مفتش المعارف في التقرير إلى أنَّ بناية المدرسة احتوت على أقسام داخلية للبنات مقابل بعض الأجور وعلى سبيل المثال كانت أجور القسم الداخلي في المدرسة عام ١٩٤٥ ما مقداره (١٥٠) دينار سنوياً، أمَّا أجور الدراسة للمرحلة المتوسطة فهي (١٦) ديناراً، وأجور الدراسة الثانوية (١٨) ديناراً^(١).

من المفيد أن نشير إلى أنَّه في الحادي عشر من كانون الثاني ١٩٤٠ قامت الراهبة ماريلا دولا كروا^(٢)، بتقديم طلب إجازة بناء مدرسة ابتدائية جديدة، ووجَّه الطلب إلى وزارة المعارف التي أعطت بدورها الموافقة^(٣).

المحور الثالث: الواقع الإداري للمدرسة ونشاطاتها

١- الواقع الإداري:

خضعت (ثانوية راهبات التقدم) إلى شروط والتزامات وزارة المعارف وتدرس فيها المناهج الرسمية التي تدرس في المدارس الحكومية مع إضافة

(١) ديوان أوقاف الديانات المسيحية والأيزيدية والصابئة المندائية قسم تكنولوجيا المعلومات ٨ آب ٢٠١٨، على الموقع الإلكتروني: <https://www.cese.iq/index.html>
(٢) مقتبس في د. ك. و. ورقم الملف ٥٩٢ تسلسل ٥٢١٢٠، وزارة المعارف الديوان ١٩٤٤ - ١٩٥٨ و ١٥٥ ص ١٦٣.

(٣) ماريلا دولا كروا: هي راهبة فرنسية حاصلة على شهادة الدراسة الثانوية في مدرسة المرسيليا في فرنسا عام ١٨٩٨، وتخرجت منها عام ١٩٠٠. كانت أوَّل محطة لها في العراق هي الموصل، ثم جاءت إلى بغداد وأصبحت مديرة لثانوية راهبات التقدم. ينظر: د. ك. و. ورقم الملف ٦٢٠، تسلسل ٣٢١٢٠، وزارة المعارف الديوان ١٩٤٠ - ١٩٥٩ و ١٢٩ ص ١٧٥.

بعض المواد مثل اللغة الفرنسية والموسيقى واللغة الإنكليزية، ودرس الديانة المسيحية للمسيحيات بعد حصولها على الموافقة الرسمية من قبل وزارة المعارف^(١).

ويذكر تقرير صادر عن وزارة المعارف إلى أن عدد طالبات المدرسة للعام الدراسي الأول ١٩٢٥-١٩٢٦ بلغ (٢٥) طالبة^(٢). على أية حال تشكل طالبات المدرسة منذ بداية تأسيسها خليط متنوع من الطالبات كانت تعطي معلمات المدرسة بعد نهاية الدوام دروساً إضافية لمن يرغب من الطالبات^(٣)، وللطالبات زيّ موحد ففي الشتاء يرتدين الملابس السوداء، أمّا في الصيف فيرتدين الملابس البيضاء^(٤).

والمديرة هي المسؤولة عن إدارة المدرسة واسمها جان مادلين^(٥) وهي راهبة مسيحية حاصلة على شهادة الجنسية العراقية. وحاصلة على شهادة الدبلوم في العلوم الرياضية في جامعة فرنسا^(٦).

(١) د. ك. و. ورقم الملف ٦٢٠، تسلسل ٣٢١٢٠، وزارة المعارف الديوان ١٩٤٠ - ١٩٥٩ و١٢٩ ص ١٧٥..

(٢) د. ك. و.، ورقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠، ملفات وزارة المعارف - الديوان، التقرير المدرسي عن ثانوية راهبات التقدم، ٩ نيسان ١٩٥٣، و١٧٥ ص ٢٣٧.

(٣) د. ك. و. ورقم الملف ٥٩٢ تسلسل ٥٢١٢٠ وزارة المعارف - الديوان، ١٩٤٤-١٩٥٨ و١٥٥ ص ١٦٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الكاردينيا: مجلة إلكترونية مقالة بعنوان ثانوية العقيدة للبنات ١٩٦١، ٣ حزيران ٢٠١٥.

(٦) جان مادلين: واسمها الأصلي إميلي رزوق رزق الله عبد الأحد بسام، راهبة عراقية تنتمي لراهبات التقدم الدومنيكيات. ولدت في الموصل عام ١٩١٤. أكملت دراستها الابتدائية في الموصل حتى عام ١٩٣٢ ثم درست أيضاً الابتدائية في فرنسا عام ١٩٣٥، أكملت دراستها المتوسطة عام ١٩٤٠، والدراسة الثانوية (خارجي) عام ١٩٤٢، ثم أكملت

كانت ثانوية راهبات التقدمة كبقية المدارس الأهلية تحصل على منحة مالية سنوية من وزارة المعارف ويحدد مقدارها حسب أعداد الطلبة والمستوى العلمي ونسبة النجاح وعلى سبيل المثال، ففي العام الدراسي ١٩٢٥-١٩٢٦، بلغت المنحة ما مقداره (١٠٠) دينار سنوياً^(١). وفي العام الدراسي ١٩٤٦-١٩٤٧، بلغ مقدار المنحة المالية للمدرسة ما مقداره (٧٥) دينار^(٢)، وفي العام الدراسي (١٩٥٧-١٩٥٨) بلغت المنحة (٣٠٠) دينار^(٣).

من الجدير بالذكر أنه في بداية تأسيس ثانوية راهبات التقدمة كانت جميع

دراساتها الجامعية عام ١٩٤٨، وتخرجت في كلية الآداب الجامعة المستنصرية قسم التربية وعلم النفس عام ١٩٧٠ عملت في بداية حياتها في شركة التأمين الوطنية عام ١٩٢٩، ثم أصبحت معلمة مجانية في ثانوية راهبات التقدمة في منطقة عند الراهبات عكد النصرى حالياً حتى عام ١٩٣٢، ثم انتقلت لتصبح مديرة الثانوية راهبات التقدمة (الباب الشرقي) عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٦٩. وتم اختيارها لتصبح رئيسة لجمعية أخوات المحبة خلال الأعوام ١٩٧١-١٩٧٩، كذلك عيّنتها جمعية أخوات المحبة مسؤولة عن جميع مدارس الراهبات حتى عام ١٩٧٤، ثم أصبحت بعد ذلك وبسبب وضعها الصحي معانة لإحدى المدارس الابتدائية التابعة لمدارس الراهبات، أحيلت بعدها على التقاعد عام ١٩٧٦. توفيت عام ١٩٨٦ في منطقة الكرادة. ينظر: د. ك. و. و، ملفات وزارة المعارف - الديوان، التقرير الشخصي عن مديرة ثانوية راهبات التقدمة، ٤ حزيران ١٩٥٨، رقم الملف ٣٢١٢٠/١٢٠، الوثيقة المرقمة ٥٢، ص ٧٧؛ تقرير وثائقي خاص عن جان مادلين بتاريخ ٢٤ شباط ٢٠٢٢ على الموقع الإلكتروني: <file:///F:/YouTube.html>

(١) د. ك. و. و. رقم الملف ٥٩٢، تسلسل ٥٢١٢٠ وزارة المعارف - الديوان ١٩٤٤ - ١٩٥٨ و ١٥٥ ص ١٦٥.

(٢) د. ك. و. و. رقم الملف ٥٩٢، تسلسل ٥٢١٢٠، وزارة المعارف - الديوان ١٩٤٤ - ١٩٥٨ و ١٥٥ ص ١٦٦.

(٣) وزارة المعارف، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٤٦ - ١٩٤٧، مطبعة الحكومة بغداد، ١٩٤٨، ص ٧٩.

المعلمات من المسيحيات فقط ثم جاءت بعد ذلك بسنوات عدّة معلّّات مسلمات^(١). كما خصّصت إدارة المدرسة باصات لنقل الطالبات من جميع مناطق بغداد بواسطة باصات صفراء اللون من نوع (بدفورد) مصبوغة باللون الاصفر لنقل الطالبات من وإلى المدرسة مكتوب عليها (مدارس راهبات التقدمة)^(٢).

وجدنا من الضروري الإشارة إلى أنّ هنالك بعض المدرسات في المدرسة لا يملكن شهادة عالية وربما اقتصرّت على شهادة الإعدادية وهو ما وضحه أحد التقارير الصادرة من المفتش العام لوزارة المعارف عام ١٩٤٢، من أنّ هنالك بعض المعلمات في ثانوية راهبات التقدمة لم تكن لديهن شهادات دراسية ومع ذلك تم إبقاؤهنّ في التدريس، نظراً لإخلاصهنّ وخبرتهن في التدريس، وكان التدريس والمستوى العلمي للمدرسة يقرب من تقدير المتوسط. كما بين في التقرير أنّ الطالبات يعانين من ضعف في مادة اللغة العربية والتاريخ بشكل نسبي^(٣).

وجاء في التقرير أنّ بعض المعلمات يدرس أكثر من مرحلة وهو يؤثر بشكل سلبي على نتائج المستوى العلمي للمدرسة ثم وجّه المفتش العام طلباً إلى إدارة المدرسة بضرورة رفع المستوى العلمي للطالبات والمعلمات، كما طالب بتعيين

(١) الجمهورية العراقية، وزارة التخطيط - مديرية الإحصاء العامة، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨. مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٥٩ ص ١٠٢.

(٢) المعلومة مدونة في السجل الخاص بإدارة مدرسة ثانوية العقيدة راهبات التقدمة للبنات المحفوظ في مكتبة المدرسة.

(٣) من المدونة الخاصّة بالباحث إبراهيم بن حاتم الأفندي، التي نشرت بتاريخ ١٥ تشرين الأوّل ٢٠٢٠.

معلمات حاصلات على شهادة الإعدادية على الأقل^(١).

في الواقع أن ذلك الكلام لم يكن يشمل جميع المعلمات في المدرسة وربما البعض القليل منهن لا يحملن شهادة أكاديمية لأنّ وثائق صادرة من وزارة المعارف نفسها توضح شهادات المعلمات في المدرسة، كما في الجدول رقم (١)^(٢):

ت	الاسم	التحصيل الدراسي	الجنسية	الديانة	الدروس
١	جان مادلين	دبلوم عالي رياضيات	عراقية	مسيحية	الديانة المسيحية - الرسم والأشغال اليدوية
٢	دومنيكا	دبلوم عالي إنكليزي	فرنسية	مسيحية	الديانة المسيحية - الرياضيات
٣	جوزيف	دبلوم عالي	أمريكية	مسيحية	الموسيقى والنشيد - اللغة الإنكليزية
٤	دانتون	دبلوم عالي	فرنسية	مسيحية	_____
٥	روز انطوان	اختصاص في الموسيقى	بريطانية	مسيحية	اللغة الإنكليزية - الروضة
	انجيل كولنكيان	كلية بيروت	لبنانية	مسيحية	اللغة العربية - الطبعيات
	سلمى إلياس راهي	دراسة أجنبية	عراقية	مسيحية	اللغة الفرنسية
	نبيهة عبد السلام	ليسانس كلية الآداب	عراقية	مسلمة	اللغة العربية
	سعاد جميل الخوري	ليسانس كلية الحقوق	عراقية	مسيحية	الدين - الرياضيات
٦	غابريل	اختصاص في الموسيقى	بريطانية	مسيحية	موسيقى وفنون
٧	إيليا يعقوب	دار المعلمين العليا	عراقية	مسيحية	_____
٨	حنا طوبيا	دار المعلمين العليا	عراقية	مسيحية	_____
٩	فيصل خضر	دار المعلمين العليا	عراقية	مسيحية	_____
	جانت سامر توما	ليسانس كلية الآداب	عراقية	مسيحية	الاجتماعيات
	سارة يوسف	إعدادية	عراقية	مسيحية	اللغة العربية والحساب

(١) د. ك. و. و. رقم الملف ٥٩٢، تسلسل ٥٢١٢٠، وزارة المعارف - الديوان ١٩٤٤ - ١٩٥٨ و ١٥٥ ص ١٦٥.

(٢) د. ك. و. و. رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠، وزارة المعارف - الديوان ١٩٤٠ - ١٩٥٩ و ١٢٩ ص ١٧٨.

أميرة عزيز نعيم	إعدادية	عراقية	مسيحية	اللغة العربية - الحساب - الديانة المسيحية
داود نعوش	دار المعلمين العالية	عراقي	مسيحي	الرياضيات
١٠ خديجة نعوش	دار المعلمين العليا	عراقية	مسيحية	الطبيعيات
١١ طعمة الطالباني	دار المعلمين العليا	عراقية	مسلم	
١٢ بتول الهنداوي	دار المعلمين العليا	عراقية	مسلمة	
١٣ ناهدة أمين	دار المعلمين العليا	عراقية	مسلمة	اللغة العربية
١٤ غانم طويل	كلية الطب	عراقية	مسيحي	علوم عامة
نجيب خضر	دار المعلمين العالية	عراقي	مسيحي	الطبيعيات
فيصل عزيز دقان	دار المعلمين العالية	عراقي	مسيحي	الاجتماعيات
سامي سفر	دار المعلمين العالية	عراقي	مسيحي	الطبيعيات

على ما يبدو أنَّ هنالك خطأ أو سوء تقدير من قبل مفتش الوزارة حين ذكر أنَّ المستوى العلمي للمدرسة لم يكن جيداً، والدليل على ذلك ما توضح لنا من الجدول أعلاه، اعتادت إدارة الثانوية على نظام استعارة الخدمات التدريسية للمدرسين والمدرسات على الملاك التدريسي الدائم للثانوية لسنوات دراسية عديدة، بعد حصول موافقة مجلس الوزراء بموجب كتاب وزارة المعارف^(١) تذكر بينهم الشاعرة لميعة عباس عمارة^(٢)، الأساتذة يوسف سمعان، فازع

(١) د. ك. و. و. رقم الملف ٦٢٠، تسلسل ٣٢١٢٠. وزارة المعارف - الديوان ١٩٤٠-١٩٥٩ و ١٢٩ ص ١٧٨؛ د. ك. و. و. رقم الملف ٦٢٢ تسلسل ٣٢١٢١، ملفات وزارة المعارف - الديوان، الملاك الدراسي الثانوية راهبات التقدم الابتدائية للسنة الدراسية ١٩٥٣-١٩٥٤، و ٢٤ ص ٩٣.

(٢) د. ك. و. و. رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠، ملفات وزارة المعارف - الديوان، إعارة خدمات مدرسات في ثانوية راهبات التقدم، كتاب وزير المعارف إلى رئاسة ديوان مجلس الوزراء، العدد ٣٢١١٠، ١٣ تشرين الأول ١٩٥٣، و ١٢٣ ص ٢٥١.

العاني، فاضل عباس الحسني وسامي سفر^(١).

لا بأس أن نوضح هنا، ومن خلال الجدول رقم (١) أعداد الصفوف وعدد المدرسات إضافة إلى عدد الطالبات في كل صف حسب العام الدراسي المذكور^(٢).

العام الدراسي ١٩٤٣-١٩٤٤						
عدد الصفوف	عدد الشعب	عدد المدرسات	عدد الصف الأول	عدد الصف الثاني	عدد الصف الثالث	المجموع
٣	-	٥	٣٢	١٦	١٧	٦٥
العام الدراسي ١٩٤٥-١٩٤٦						
عدد الصفوف	عدد الشعب	عدد المدرسات	عدد الصف الأول	عدد الصف الثاني	عدد الصف الثالث	المجموع
٣	-	٧	٣٠	٢٠	٢٤	٧٤

في العام الدراسي ١٩٥١-١٩٥٢، تكوّنت الهيئة التدريسية للثانوية من ست مدرسات أجنبيات من راهبات التقدمة الدومنيكيات، وجميعهن يعطين

(١) لميعة عباس عمارة: ولدت عام ١٩٢٩ في بغداد لعائلة صابئية مندائية، وجاء لقبها من مدينة العمارة حيث ولد والداها، تخرجت من الثانوية العامة ثم دخلت دار المعلمين العالية وتخرجت منها عام ١٩٥٥ لكنّها عُيِّنت قبل ذلك في دار المعلمات بعد حصولها على إجازة في التدريس من المعهد عام ١٩٥٠، كتبت الشعر في وقت مبكر من حياتها وأجادت الشعر الفصيح والشعبي أيضاً، لها دواوين عدّة منها: (الزاوية الخالية) و(عودة الربيع) و(عراقية) وغيرها. أصبحت عضواً في الهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء العراقيين خلال الأعوام ١٩٦٣-١٩٧٥، وعضواً في الهيئة الإدارية للمجمع السرياني في بغداد، ونائباً لممثل الدائم في العراق في منظمة اليونسكو في باريس بين عامي ١٩٧٣-١٩٧٥. وفي عام ١٩٧٨ هاجرت من العراق بعد تعرضها لمضايقات النظام حصلت على جوائز وأوسمة تقديرية عدّة توفيت في الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٢١. ينظر: حميد المطبعي، موسوعة أعلام وعلماء العراق، الطبعة الأولى، مؤسسة الزمان الدولية، بغداد ٢٠١١. ص ٦٧٢.

(٢) قصور عراقية، منصة إلكترونية، ١ حزيران ٢٠١٧.

الدروس مجاناً دون أن يتقاضين الرواتب الشهرية، وقد تألف منهن ثلاث راهبات فرنسيات وهنّ كالأتي:

- دومنيكا: التي تقوم بتدريس اللغة الفرنسية.
- وفرانشواز: التي تقوم بتدريس اللغة الفرنسية والرسم والأشغال اليدوية.
- وماري مادلين: التي تقوم بتدريس الديانة المسيحية واللغة الفرنسية واللغة الإنكليزية.

- والراهبة الإنكليزية كابريل: والمتخصصة بالدراسات الموسيقية من الجامعة البريطانية التي تقوم بتدريب الموسيقى والنشيد واللغة الإنكليزية. كما تألفت الهيئة التدريسية للقسم الثانوي من المحاضرين والمحاضرات الذين استعارتهم إدارة الثانوية من سائر المدارس الحكومية الرسمية، لتدريس المواد الدراسية الأخرى، وقد بلغ عددهم في السنة الدراسية المذكورة (١١) محاضراً ومحاضرة، وكان معظمهم من خريجي دار المعلمين العالية، وكان من بين أعضاء الكادر التدريسي:

- المحاضر روفائيل بابو إسحاق: مدرس اللغة العربية من ثانوية الرصافة المركزية.
- ومدرس الرياضيات أوهان ركو وهو أحد خريجي الجامعة الفرنسية من مدرسة متوسطة الرشيد^(١).

في الواقع، أشارت تقارير مفتشية وزارة المعارف للأعوام الدراسية السابقة

(١) وزارة المعارف، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٤٣-١٩٤٤ مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٤٥، ص ٥٩: وزارة المعارف، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٤٥-١٩٤٦، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٧، ص ٧٤.

تبين أنَّ المستوى العلمي للصفوف الدراسية الابتدائية في المواضيع الأساسية جيدة جداً، إذ كان عدد طالبات الثانوية في العام الدراسي ١٩٥٠-١٩٥١، قد بلغ (١٤٧) طالبة غالبية من المسيحيات اللواتي بلغ عددهنَّ (٨١) طالبة و(٦١) طالبة مسلمة، وخمس طالبات يهوديات^(١).

وقد قدمت إدارة الثانوية (٢٣) طالبة بفرعها العلمي لأداء الامتحانات الوزارية العامة وقد نجح منهنَّ (٩) طالبات، وكانت نسبة النجاح المتحققة (١٣، ٣٩)، كما اشتركت (٢٩) طالبة في القسم المتوسط في الامتحانات الوزارية العامة، وقد نجح منهنَّ (٢٣) طالبة، وكانت نسبة النجاح المتحققة (٧٩٪)^(٢)، وحققت المدرسة بقسمها الابتدائي نسب النجاح العالية في الامتحانات الوزارية العامة، فعلى سبيل المثال قدمت إدارة المدرسة في السنة الدراسية ١٩٥٣-١٩٥٤ (٢٧) طالبة لأداء الامتحانات الوزارية العامة، وكانت نسبة النجاح المتحققة (١٠٠٪)^(٣).

أجد من المناسب أن أسجِّل هنا كلمة للشاعرة العراقية لميعة عباس عمارة بحق ثانوية راهبات التقدم، قبل أن تصبح إحدى المدرسات فيها، إذ تذكر ما نصه: «أتمنى لو درست ابتني الوحيدة في تلك المدرسة التي تعلم الفرنسية

(١) د. ك. و. و. رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠، ملفات وزارة المعارف - الديوان، الملاك الدراسي لثانوية راهبات التقدم للسنة الدراسية ١٩٥١-١٩٥٢، و٢٠ ص ٢٩٨.

(٢) د. ك. و. و. رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠، ملفات وزارة المعارف - الديوان، التقرير المدرسي عن ثانوية راهبات التقدم، للسنة الدراسية ١٩٥٠-١٩٥١، و١٩٦ ص ٢٦٢.

(٣) الحكومة العراقية، وزارة المعارف التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٥٠-١٩٥١، ص ١٠٨.

والإنكليزية والأخلاق والأصول والتربية الراقية»^(١).

يشير التقرير السنوي الصادر عن وزارة المعارف للعام الدراسي ١٩٥٧-١٩٥٨، أن هنالك عدداً من المدرسين الذكور في المدرسة بلغ عددهم (١٥) مدرساً، في حين بلغ عدد المدرسات (١٤) مدرسة، أمّا عدد الطالبات فبلغ (٢٢٧) طالبة للدراسة المتوسطة.

وجدير بالذكر أن أعداد الطالبات في العام الدراسي ١٩٥٧-١٩٥٨ للمرحلة الإعدادية بلغ في الصف الرابع بفرعيه العلمي والأدبي (٣٨)، أمّا عدد طالبات الصف الخامس لكلا الفرعين فبلغ (٤٩) طالبة. والشيء بالشيء يذكر، أن عدد الطالبات اللاتي شاركن في امتحانات الصف الرابع والخامس إحصائي لثانوية راهبات التقدمة حققن نسبة نجاح (١٠٠٪) للعام الدراسي ١٩٥٧-١٩٥٨ م^(٢).

استمرت إدارة المدرسة وتابعيتها حتى عام ١٩٥٨ م^(٣) إلى الجمعية

(١) د.ك. و. و، رقم الملف ٦٢٢ تسلسل ٣٢١٢٠، ملفات وزارة المعارف - الديوان، التقرير المدرسي عن ثانوية راهبات التقدمة الابتدائية للسنة الدراسية ١٩٥٣-١٩٥٤، و ١٠٣ ص ١٨٧.

(٢) مقتبس في: (عالم الثقافة) جريدة إلكترونية، ١٨ أيلول ٢٠٢٢.

(٢) الجمهورية العراقية، وزارة التخطيط - مديرية الإحصاء العامة، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٥٩ ص ١٢٠-١٢١.

(٣) استمرت تسمية المدرسة وتابعيتها إلى الجمعية المسيحية حتى قرار التأميم عام ١٩٧٤، إذ تم تحويل اسم المدرسة من ثانوية راهبات التقدمة إلى (ثانوية العقيدة للبنات) وعائديتها من الطائفة المسيحية إلى الحكومة، وليس للجمعية حق سوى أخذ الإيجارات، مما يجدر ذكره أيضاً أن معظم السجلات القديمة الخاصة بالمدرسة أخذت وصودرت من النظام العراقي السابق وفقد أثرها مع شديد الأسف. ينظر: د.ك. و. و. رقم الملف ٥٩٢ تسلسل ٥٢١٢٠.

المسيحية^(١). وتحت إدارة الراهبة جان مادلين^(٢)، كما اتسمت المدرسة بطابعها الديني، إذ حرص القائمون عليها على النواحي الدينية والتهديبية فضلاً عن اهتماماتها العلمية والتثقيفية كما هو الحال في مدارس راهبات التقدمة الأخرى في بغداد، كما وألزمت إدارة الثانوية الطالبات بتطبيق النظام السائد في المدرسة وعدم الإخلال به، إذ أكدت بموجبه على المحافظة على الدوام، والالتزام بالزِّي الموحد للطالبات والعناية الخاصّة بهندامهنّ وحشمتهنّ، في الوقت نفسه حرصت إدارة الثانوية على صحة الطالبات وراحتهنّ وتهيئة الأجواء الدراسية الملائمة لهنّ^(٣).

من المفيد أن نذكر هنا أنّ ديانات الطالبات لم تقتصر على ديانة واحدة إنّما كان هنالك تنوع كبير بالنسبة للطالبات وهو ما يعطي تصوراً جميلاً ومميزاً لثانوية راهبات التقدمة ولل عراق بشكل عام آنذاك. والجدول رقم (٢) يوضح أعداد الطالبات وديانتهمّ وجنسيتهنّ لبعض السنوات^(٤):

وزارة المعارف الديوان ١٩٤٤-١٩٥٨.

(١) د. ك. و. و. رقم الملف ٥٩٢ تسلسل ٥٢١٢٠ وزارة المعارف الديوان ١٩٤٤-١٩٥٨، و ١٥٥ ص ١٨٠.

(٢) توالى على إدارة المدرسة بعد ذلك كلّ من: (ماري انطوانيت ١٩٩٩-١٩٧٩، نظيرة الخزرجي ١٩٧٩ - ١٩٧٩، زاهدة بابان ١٩٧٦ - ٢٠٠٤، باسمّة صبي موسى ٢٠٠٤ - ٢٠١٠، خالدة محمّد طاهر ٢٠١٠ - ٢٠١٠ وكالة عبير سلمان ٢٠١٠). ينظر: المعلومة مدونة في السجل الخاص بإدارة مدرسة ثانوية العقيدة راهبات التقدمة للبنات المحفوظ في مكتبة المدرسة.

(٣) د. ك. و. و. رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠، ملفات وزارة المعارف الديوان التقرير المدرسي عن ثانوية راهبات التقدمة، كتاب مفتش المدارس الأهلية إلى رئيس المفتشين في وزارة المعارف، العدد ١٦، ١٤ كانون الأوّل ١٩٥٢، و ١٦٨ ص ٢٤٢.

(٤) د. ك. و. و. رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠ وزارة المعارف، الديوان ١٩٤٠-١٩٥٩،

السنة الدراسية	الصف	العدد	الطالبات المسلمات	الطالبات المسيحيات	الطالبات اليهوديات	الجنسية
١٩٤٢-١٩٤١	الأول	٩٩	١٤	٨٠	٥	عراقيات
	الثاني	٦٧	١٥	٥٠	٢	
١٩٤٤-١٩٤٣	جميع المراحل	٢٢٤	٣٠	١٧٥	١٩	عراقيات
١٩٤٨-١٩٤٧	جميع المراحل	١٥٠	٢٧	٤٢	٨١	عراقيات
١٩٥١-١٩٥٠	جميع المراحل	١٥١	٣٥	٤٥	٧١	عراقيات، هنديات، لبنانيات، بريطانيات

ولا بأس أن نعطي تصوراً بسيطاً لبعض السنوات الدراسية فيما يتعلق بالأمور المالية للمدرسة وعلى سبيل المثال الواردات والمصروفات الخاصة بالمدرسة، كما مبين في الجدول رقم (٣):

السنة الدراسية		الواردات		المصروفات	
١٩٤٢-١٩٤١		المبلغ بالدينار	نوع الوارد	المبلغ بالدينار	نوع الصرف
		٦٤,٠٠٠	أجور مدرسية		رواتب
		٣,٨٠٠	بيع لوازم مدرسية		
		-	-		
		-	-		
		-	-		
١٩٤٣-١٩٤٢		١٩٧٤٦٠	أجور مدرسية		
		١٦٥	مشغل الراهبات	مصاريف بيتية	

١٩٤٤-١٩٤٣	٤٦٨	أجور مدرسية		
	٦٥	مساعدة الجمعية	مصاريف بيتية	
	٧٠٠	خياطة	-	
١٩٤٥-١٩٤٤	٣,٧٠٠	أجور مدرسية	١٨٠٠	مصاريف بيتية
	١,٢٢٠	دروس خصوصية	٣٩٠٠	مصاريف بيتية ^(١)

كما رأينا أنه من المفيد أن نذكر بعض الطالبات المتخربات من المدرسة واللاتي شغلنَ موقعاً متميزاً في المجتمع العراقي نذكر منهن على سبيل المثال لا الحصر «المهندسة المعمارية زها حديد، أستاذة اللغة الإنكليزية في جامعة بغداد مي رسام، أستاذة الفيزياء في الجامعة المستنصرية نجله بيرسي، الصحافية والروائية المشهورة أنعام كججي، الأدبية والشاعرة ناصرة السعدون، وغيرهنَّ ممن تبوأنَ مناصب رفيعة في كافة المجالات»^(٢).

٢- أنشطتها المدرسية :

احتوت ثانوية راهبات التقدم على نشاطات متعددة كانت في وقتها أنموذجاً رائعاً على مستوى مدارس العراق لا سيَّما مدارس الإناث، إذ احتوت على مختبرات دراسية وملاعب وساحات لإقامة الاحتفالات المدرسية والنشاطات الطلابية، أضف إلى ذلك وجود قسم داخلي تسكن فيه الطالبات الأجنيات ومطعم^(٣). يحتوي القسم الداخلي على حديقة وبعض

(١) د.ك. و. و، رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠، وزارة المعارف - الديوان ١٩٤٠-١٩٥٩ و١٢٩ ص ١٧٨.

(٢) www.radiodidijla.com.

(٣) مقالة نشرت على صفحة باسم (قصور عراقية) بتاريخ ٤ تموز ٢٠١٧.

الألعاب الرياضية والترفيهية لطالبات القسم الداخلي، وكانت تقام حفلة تخرج للطالبات المتخربات كل عام... يتم خلالها ارتداء زيٍّ موحد للطالبات المتخربات والتقاط الصور^(١).

لم تكن ثانوية راهبات التقدمة بعيدة عن الأجواء الاجتماعية خارج المدرسة إذ قامت إدارة المدرسة وبمشاركة الطالبات بحفل تشييع الملكة عالية^(٢) وذلك عام ١٩٥٠م^(٣) إلى جانب ذلك كله شاركت طالبات ثانوية راهبات التقدمة في العديد من المهرجات الرسمية التي تقام آنذاك. ومنها المهرجان الذي حضره الملك فيصل الثاني^(٤) في ساحة الكشافة بمناسبة تتويج الملك عام ١٩٥١م^(٥).

حرصت ثانوية راهبات التقدمة الدومنيكيات على تعليم الطالبات

(١) د. ك. و. و، رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠، ملفات وزارة المعارف - الديوان، الميزانية السنوية لثانوية راهبات التقدمة للسنة الدراسية ١٩٥٦-١٩٥٧، و ٣٨ ص ٦٤: أرشيف ثانوية راهبات التقدمة المحفوظ في المدرسة؛ (الكاردينيا) مجلة إلكترونية، مقالة بعنوان ثانوية العقيدة للبنات، ١٩٦١، ٣ حزيران ٢٠١٥.

(٢) الملكة عالية: هي بنت علي بن الشريف حسين قائد الثورة العربية عام ١٩١٦ ولدت في مكة عام ١٩١١، انتقلت إلى بغداد عام ١٩٢٦. تمتلك شخصية قوية ورؤية سياسية واجتماعية لكونها عاصرت أحداث سياسية كثيرة مع والدها. تزوجت الملك غازي عام ١٩٣٣، وولدها الملك فيصل الثاني. توفيت عام ١٩٥٠ بمرض السرطان. ينظر: قاسم حلو، كوثر الغرابي، الملكة عالية سيرتها ونشاطها الاجتماعي في العراق ١٩١١-١٩٥٠، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القادسية كلية التربية، ٢٠١٤.

(٣) صورة لدى الباحث خاصة بالمدرسة مدون عليها مشاركة المدرسة بتشيع الملكة عالية.
(٤) فيصل الثاني: ولد في بغداد عام ١٩٣٥، وهو الولد الوحيد للملك غازي، توج في سن الرابعة من عمره بعد مقتل والده عام ١٩٣٩، ولصغر سنه تولى خاله عبد الإله الوصاية حين بلوغه السن القانونية، قتل في ثورة ١٤ تموز. للمزيد من التفاصيل ينظر: لطفي جعفر فرج، الملك فيصل الثاني آخر ملوك العراق، ط ١، دار العربية للموسوعات، لبنان، ٢٠٠١.

(٥) المنقب، منتدى ثقافي، بغداد ٢٦ آذار ٢٠١١.

الجوانب العملية في الحياة والخاصّة بتدبير المنزل والخياطة والتطريز، وشجعت ذوات المواهب الخاصّة منهنّ بتعليمهنّ الرسم والموسيقى والعزف على البيانو ورقص البالية^(١)، كما كانت إدارة المدرسة تعمل على تشجيع طالبات الصفوف الثانوية المتفوقات لأداء امتحانات الكفاءة العالمية التي كانت تقام في جامعة كمبرج البريطانية للحصول على الشهادة العالمية، وقد ورد في إحدى التقارير الخاصّة لمفتشية المدارس الأهلية والأجنبية المرسلة إلى وزارة المعارف ما نصه: «ولدى تدقيق نتائج الطالبات في امتحانات الكفاءة العالمية في جامعة كمبرج البريطانية وجدناها مرضية جداً، وقد استحدثت إدارة الثانوية صفّاً دراسياً خاصاً بالطالبات الأجنبيات لتعليمهن اللغتين الإنكليزية والفرنسية، ضمّت فيها (١٥) طالبة في السنة الدراسية ١٩٥٦-١٩٥٧م»^(٢).

الخاتمة:

يمكن القول أنّ المؤسّسات التعليمية والثقافية التي أنشأتها مختلف البعثات المسيحية الدينية الغربية في العراق قد فتحت آفاقاً كبيرة أمام العراقيين للتعرف على عالم الغرب وحضاراته الحديثة، والتي بدورها أسهمت في حركة النهضة الثقافية في البلاد، لذا تعد ثانوية راهبات التقدم من المدارس الحضارية والتراثية المميزة في تاريخ العراق المعاصر نظراً لطبيعة وطريقة تأسيسها وطبيعتها التي تأسّست لأجلها، وبنائها المميز وكوادرها التي غلب عليها طابع الراهبات

(١) د. ك. و. و، رقم الملف ٦٢٠ تسلسل ٣٢١٢٠، ملفات وزارة المعارف - الديوان، التقرير المدرسي عن ثانوية راهبات التقدم، مذكرة المفتش الاختصاصي في وزارة المعارف، رقمها ١، ٢٣ آذار ١٩٥٧، و ٣٩ ص ٦٣.

(٢) المصدر السابق نفسه، و ٤٠ ص ٦٤.

المسيحيات من داخل العراق وخارجه، وما أعطاها بصمة مميزة أيضاً هو وجود معلمات مسلمات وحتى مديرات فيما بعد، أضف إلى ذلك التنوع الكبير لطالبتها من المسيحيات والمسلمات واليهوديات وغيرها.

لم تقتصر مناهج ثانوية راهبات التقدمة على تعليم مناهج وزارة المعارف فقط إنما هنالك مواد إضافية كالموسيقى والرسم واللغة الفرنسية والإنكليزية وتعليم الأخلاق، الأمر الذي انعكس على خريجات المدرسة اللاتي أصبحن طبيبات ومهندسات ومعلمات جامعيات وأديبات، وسيدات مجتمع مشهورات، فضلاً عن مناصب إدارية وجامعية رفيعة أخيراً تعد ثانوية راهبات التقدمة رمزاً من رموز التعليم المتحضر في العراق مع بداية تأسيس الدولة العراقية الحديثة، ودلالاته الرمزية كمكان للعلمانية التربوية التي سادت في العراق، أن تدرس الطالبة المسيحية والمسلمة واليهودية والمندائية في ثانوية واحدة بمنتهى الوئام والمحبة.

المحتويات

المدارس الدينية.....	٥
هيئة التحرير	
مسجد الهندي بين العلم والعبادة.....	٧
حسن علي الجوادي	
الجدِّيد المنسي من الأدب العاملي: حَضارة المدارس الدِّيْنِيَّة في	
جَبَل عَامِل خِلالَ القَرْنين التَّاسِع عَشَرَ والعِشرين المِئْلاتين	٢٩
د.عبد المجيد الحُر	
اليوتات العلمية والمدارس في الحلة	
في القرن السادس حتى القرن العاشر (دراسة تاريخية).....	٤٩
أ.م.د. ثامر كاظم عبد	
أ.م.د. محمود شاكر مشعان	
المؤسَّسات العلمية عند الإمامية.....	١٠٣
أ.د. حسن عيسى الحكيم	
عمارة المدارس الدينية في مدينة النجف الأشرف:	
مدرسة اليزدي أنموذجاً.....	١٣٣
م.م مؤمل سليم مرزة	
الشيرازي ودوره في تأسيس حوزة سامراء العلمية.....	٢٢٣
أ.م.د. ريم هادي مرهج الذهبي	
م.د. غفران محمَّد عزيز الدعمي	
المؤسَّسات الدينية - العلمية في كركوك	
في أواخر العهد العثماني (دراسة تاريخية وثائقية).....	٢٤٩
ماجد محمَّد يونس	

الحوزة والجامعة رافدان معرفيان لبناء الوعي

الفكري لمجتمع متحضر ٣٠١

أ.م.د. محمد جواد كاظم السلامي

الحوزة العلمية في النجف الأشرف ٣٣٧

د. الشيخ عدنان فرحان آل قاسم

أثر المدارس الدينية المسيحية

على المؤسسة التعليمية في العراق خلال القرن العشرين ٤٩٩

د. ضياء عبد الرزاق خضير

المدارس المسيحية في العراق ١٩٢١ - ١٩٥٨:

ثانوية راهبات التقدم أنموذجاً (دراسة تاريخية) ٥٢١

م. د. قصي محمود راضي